الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الهندسة المعمارية
قسم تاريخ ونظريات العمارة



طريق الحج وعمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية

(دراسة تاريخية ومقارنة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في الهندسة المعمارية – قسم تاريخ ونظريات العمارة

إعداد:

م.أماني خليل الرحّال

المشرف العلمـي:

د.م.عبير عرقاوي

دمشق/ 2015م.

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الهندسة المعمارية

قسم تاريخ ونظريات العمارة



طريق الحج وعمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية

(دراسة تاريخية ومقارنة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية – قسم تاريخ ونظريات العمارة

إعداد:

م. أماني خليل الرحّال

المشرف العلمي:

د.م.عبير عرقاوي

نُوقشت الرسالة بموجب قرار مجلس البحث العلمي والدراسات العليا رقم /1649/ بتاريخ 2015/4/2 وأجيزت من قبل أعضاء لجنة الحكم:

أ.د محمد يسار عابدين | **د.م. سلوى ميخائيل** | **د.م. عبير عرقاوي**

إهداء

إلى وطني الحبيب بلد التاريخ والعزة......................... سورية

إلى من علمني النجاح .... أبي

إلى التي أمدتني بالعون والتصميم، نبع العطاء............... أمي

إلى من أمدني بالعون والتفاؤل.................................... إخوتي

إلى من ساندني وأعطاني الأمل والتصميم....................... زوجي

إلى نوري عينيا، طفلتي... لانا ودانه

إلى من أنار دربي.. أساتذتي

م.أماني خليل الرحّال

كلمة شكر

بعد الشكر لله تعالى على إتمام هذا البحث

أتوجه بجزيل الشكر وآيات التقدير المحفوفة بالمحبة، لكل من كانت نصائحهم وتوجيهاتهم ومساندتهم وتشجيعهم حافزاً لإتمام هذا البحث بالشكل الأمثل وأخص بالذكر:

- الدكتورة عبير عرقاوي للتفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ولمتابعتها الدورية وتوجيهاتها القيمة، ولدعمها الدائم والمستمر اللذين كان لهما بالغ الأثر في تنمية الفكر والوعي المعماري.

- الدكتور محمد يسار عابدين لكل ماتفضل به من نصح ورأي سديد، أغنى البحث وساهم في تطويره، ولكل التشجيع والدعم اللذين يقدمهما على الدوام واللذين كان لهما بالغ الأثر في التحفيز البناء.

- الدكتورة سلوى ميخائيل لدعمها الدائم ومساندتها المستمرة ، والذين تقدمهما لنا على الدوام ولملاحظاتها القيمة التي أغنت البحث، ولما قدمته من جهود مبذولة خلال فترة البحث.

وأخص بالشكر والتقدير كلاً من الدكتور موفق دغمان، الدكتور عمار السمر، المهندسة عاليا كيال، المهندس محمود زين العابدين، الاستاذ غالب الزامل لدعمه وحرصه على التدقيق اللغوي السليم للبحث، الاستاذ ابراهيم العبيد الذي كان خير عون لي في الترجمة وقدم لي الدعم المستمر، وزميلاتي المهندسة رهف كركوكي، المهندسة نور مرعي، المهندسة تهاني نموره. وأخيراً لكل من علمني وساعدني وأسهم في دفع هذا البحث على مساره الصحيح.

فهرس المحتويات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

فهرس الصور

فهرس المخططات

ملخص البحث:

يكتسب التراث المعماري أهمية خاصة، لأنّ العمارة والعمران كانت دائماً وعلى مسار التّاريخ، المعبّر الحقيقي عن أخلاق المجتمع والقيم السائدة فيه، وعلى مدى ما توصل إليه من تطور في شتّى مجالات المعارف والعلوم، ولما له من دورٍ بارز في تطور المدن، ولذلك يُعتبر التراث بمثابة مدرسة للمعماريين والأثريين ومخططي المدن، يمكن أن ينهلوا منها ويتزودوا بمبادئها، ومن هنا نشأت ضرورة الحفاظ على هذا التراث، وحمايته، وإعادة إحياؤه .

ويعد محور الحج الإسلامي في سورية أحد المسارات التي تعبر عن تراثنا التاريخي؛ فهو قبل أنّ يكون طريقاً للحج كان طريقاً للقوافل التجارية، فضلاً عن كونه يتمتع بالعديد من القيم المهمة، وقد أدى دوراً مهماً في نمو مدينة دمشق وتوسعها في العهد العثماني، ويمتاز هذا المسار بغناه بالعناصر المعمارية الأثرية والتاريخية التي أنشئت على هذا المحور أو في محيطه المجاور؛ لخدمة هذ المحور ومن يأتون للانطلاق للحج، باتجاه أراضي الحجاز، لأداء الركن الخامس من الإسلام.

واليوم وقد غُيب الدور الذي أداه طريق الحج في سورية في المراحل التّاريخية السابقة بشكل عام وفي الفترة العثمانية بشكل خاص؛ وغيب الاهتمام بالعديد من أبنيته التّاريخية الخدمية، سواءً التي تقع على هذا المحور أو التي أنشئت بعيداً عنه، بهدف خدمة الحجاج الذين يعبرون طريق الحج، وغُيب دورها بالنسبة لهذا المحور المهم، لذلك وخوفاً من ضياع هذا التراث وقيمه المتعددة، يعد البحث خطوة في سبيل إعادة إحياء محور الحج وحمايته؛ والحفاظ على مبانيه التاريخية والأثرية الخدمية.

قدمت الرسالة دراسة تاريخية وتحليلية شاملة لطريق الحج في سورية ولعمائره الخدمية في الفترة العثمانية. فتناولت الدراسة في الفصل الأول، طرق الحج القديمة، وطرق التجارة، والتي استخدمت ذاتها في السير للحج إلى بيت الله الحرام، وركز البحث على مسار طريق الحج الإسلامي في الفترة العثمانية، بدءاً من إسطنبول في تركيا، والتي كانت مقر الدولة العثمانية، باتجاه الأراضي السورية مروراً بحلب - حماة - حمص - وصولاً لدمشق، ومن ثم للديار المقدسة. وتضمن البحث تحديداً للمسار بشكل دقيق، وللطرق، والدروب التي كانت الخط الأساسي المتبع للمسير في الرحلة للديار المقدسة، بالإضافة لكافة المراسم التي كانت تتم في دمشق وحلب التي كانت تترافق مع الاستعداد لرحلة أداء هذا الفرض المقدس.

وتناول الفصل الثاني توثيق مسار الحج في سورية، وانعكاسات تطور طريق الحج على تطور البنية العمرانية والمعمارية للمدن المار بها بالإضافة إلى التطور التاريخي والعمراني لهذه المدن، وتوثيق كافة الأبنية والمعالم التّاريخية التي تقع على هذا المحور، وتم القيام بالدراسة التوثيقية والتحليلة لمحور الحج ومحيطه المجاور في دمشق وإعداد كافة المخططات اللازمة لهذه الدراسة. كما تناول البحث في فصله الثالث دراسة تاريخية ومقارنة للعمائر الخدمية (التكايا، والخانات)؛ إذ اكتسبت هذه المباني أهمية كبيرة من هذه المناسبة الدينية، وعني البحث بدراسة التكايا، وصولاً لتحديد أسسها التصميمية ومواصفاتها المعمارية، ودورها بالنسبة لمحور الحج. وذلك في سبيل الحفاظ على هذه المباني وإعادة الاستخدام الأمثل لهذه المباني بما يحقق الحفاظ عليها، وتفعيل دورها بالنسبة لمحور الحج. وعرض الفصل الرابع الدور الاقتصادي للحج في الفترة العثمانية، ودور مدينة دمشق في تأمين مستلزمات الحجيج في أثناء فترة إقامتهم في دمشق، وتأثير ذلك على البنية العمرانية والمعمارية بدمشق؛ من ظهور مناطق جديدة وأسواق، وخانات، بالإضافة لظهور مباني مهمة أخرى على طول الطريق، والتي بقيت الذاكرة الحية لما كان لهذه العبادة من تأثير على البنية العمرانية والمعمارية، ثم استعرض تطور وسائل النقل بدءاً من ركوب الدواب، ووصولاّ لظهور السكة الحديدة وشق قناة السويس، وتوضيح الانعكاس المباشر لهذا التطور على المدينة وعلى بنيتها العمرانية والمعمارية، وعلى محور الحج وصولاً إلى إهمال هذا المسار تدريجياً، إذ يوثق البحث مسار الحج الجديد الذي انتقل لسكة حديد الحجاز، وانعكاس ذلك على العمارة والعمران، ويوثق المباني التي ترافقت مع ظهور هذا الخط .

وهكذا يخلص البحث إلى توثيق مسار الحج الإسلامي في سورية بشكل عام، وتحديد المسار في دمشق بشكل دقيق، وتوثيق منشآته الخدمية في الفترة العثمانية، بالإضافة إلى إظهار دور هذا الطريق في تطور العمارة والعمران في مراحل تاريخية معينة، وصولاً لحمايته وإبرازه كمسار سياحي مهم، مترافقاً مع طريق الحج في سكة حديد الحجاز، وذلك لإبراز هذه الطرق كإحدى المسارات السياحية المهمة في سورية، وصولاً ليكون البحث خطوة على طريق تسجيل طريق الحج الإسلامي على لائحة التراث العالمي، وقدم البحث مجموعة من المقترحات التي تشمل المسار ومبانيه

الخدمية، وذلك في سبيل أن يكون خطوة لإعادة إحياء هذا المسار المهم، بالإضافة إلى تأكيد البحث على ضرورة المشاركة المجتمعة بعد القيام بالتثقيف الضروري واللازم لأهمية التراث؛ وذلك لضمن نجاح عملية الحماية والإحياء لمحور الحج والحفاظ على مبانيه التاريخية.

الجزء التمهيدي

الإطار المنهجي للبحث

الجزء التمهيدي: الإطار المنهجي للبحث

المقدمة:

كانت دمشق مركز تجمع الحجاج في العصر العثماني فقد كانت مركز استقبال حجاج شرقي قارة آسيا مثلما كات مصر مركز تجمع حجاج قارة إفريقيا، وقد اكتسبت الأولى لون من القدسية والشرف حتى دعيت (الشام شريف)، وذلك نظراً لأهمية موقعها بالنسبة لطريق الحج في الفترة العثمانية، و كان لهذا الطريق نفس أهمية طريق الحج المصري، وذلك باعتبار أن دمشق والقاهرة كانتا عاصمتي الخلافة في الفترة العثمانية.

حظي طريق الحج ومدينة دمشق بأهمية خاصة؛ فتطورت البنية العمرانية والمعمارية، ونشأت العديد من الخانات والتكايا والزوايا والأسواق و... وكل ما من شأنه خدمة الحجاج وتوفير سبل الراحة له، وتطور طريق الحج فنشأت القلاع والحصون و... على طول الطريق، ذلك الطريق؛ الذي كان مستخدماً قبل ظهور الإسلام وقبل البدء بعبادة الحج بقرون، فقد كان طريقاً للقوافل التجارية وإن اختلف في بعض أجزاء مساراته عن الطريق الذي سُلك في العصر العثماني. واستمر الحجاج يسلكون هذا الطريق؛ حتى فتحت قناة السويس ومُد خط سكة حديد الحجاز عندها تم التحول عن استخدام هذا الطريق البري.

بدأ هذا الطريق يغيب عن الذاكرة وطال الكثير من مبانيه التاريخية الأثرية الإهمال، رغم ماتشكله من رصيد ثقافي هام. في الوضع الذي نشهد فيه كثيراً من الهدم والتعديات في معظم المناطق التاريخية، وأُعيد توظيف الكثير من هذه المباني التاريخية الأثرية بعض الوظائف التي تسيئ لهذه المباني ولقيمها الهامة.

وبذلك فإن تحديد المسارات الهامة؛ على مستوى سورية بشكل عام وعلى مستوى دمشق بشكل خاص-ومن هذه المسارات مسار الحج الإسلامي- يعتبر ذوأهمية كبيرة في الحفاظ على التراث العمراني والمعماري وفي حفظه في الذاكرة بالتالي يسهم في الحفاظ على المباني التاريخية الأثرية ودورها المباشر في خدمة هذ المحاور في فترة استخدام هذه المسارات والمحاور، وفي إعادة الإحياء. وبذلك نصل للتأكيد على أهمية المخزون الثقافي التراثي في المجتمع، والذي يعتبر ملكاً للإنسانية جمعاء، وإرث الأجداد للأحفاد .

يقدم هذا البحث دراسة لطريق الحج ومبانيه الخدمية في الفترة العثمانية من خلال الدراسة التاريخية والمقارنة، والدراسة والتحليل للمحور وللمبانيه الخدمية لتحديد طرزها واسسها التصميمية ومواصفاتها المعمارية، وصولاً لتقديم مقترحات لإعادة إحياء طريق الحج وإعادة تأهيل وتوظيف المباتي التاريخية الأثرية المخدمة لهذا الطريق.

- **إشكالية البحث:**

1- واقع محور الحج الإسلامي لا يتناسب مع ما يخطط له؛ لإظهار قيمته كمسار للحج الاسلامي؛ حيث تتباين مواصفاته الفنية من جزء إلى آخر، كما يحتاج إلى إعادة النظر في استعمالات الأراضي المحيطة به وتحتاج إلى قوانين تشريعية ناظمة لها. بالإضافة لعدم وضوح أهمية مسار الحج الإسلامي وهويته كمسار سياحي وثقافي وغياب الدور الذي أداه على مر الزمن وماحمله من مختلف القيم الدينية، والقيم الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية...

2- تعاني الدراسات المقدمة لمحور الحج الإسلامي من عدم الترابط والتكامل والوضوح في المفهوم وأسلوب وآلية العمل، وتتناول أجزء منه بحسب التبعية الإدارية، بعض الأجزاء يخلو من الدراسات، وكذلك التنسيق مع الأطراف المعنية وبين هذه الدراسات مجتمعة.

3- غياب السمة التاريخية للمحور ودوره التاريخي. فضلاً عن أنه هناك تناقض واضح بين واقع المحور ومأموله كمحور سياحي.
4- غياب دراسة التغيرات الوظيفية للمباني المتوضعة على هذا المسار والتي كانت نقطة عصب هامة فيه، اندثار لبعض هذه المباني، تعديات...).
5- عدم وضوح ربط بين المباني القائمة على خدمة هذا المسار، بالإضافة لعدم وضوح طرزها، وفعالياتها المستخدمة والتي ارتبطت بالضرورة بالحج.
6- التعامل مع الأبنية التاريخية وكأنها مباني مشادة حديثاً، وإعادة توظيفها واستعمالها تجديدها وإعادة تأهيلها بشكل يتناقض مع القيم الهامة لهذه المباني، بسبب غياب الدراسات التي تظهر أهمية ودور هذه المباني بالنسبة للحج في الفترات التاريخية السابقة.

- **هدف البحث:**

يهدف البحث من خلال الدراسة التاريخية والمقارنة والتحليل إلى:

1- إعادة إحياء محور الحج في الذاكرة، وتوثيقه وبالتالي إعطاء هذا المسار حقه من الدراسة والحماية، بالتوازي مع التأكيد على البعد الفلسفي والتاريخي للطريق (جوانب العمران، المباني، الخدمات، ساحات التجمع، تطور وسائط النقل وانعكاساتها على هذا المحور...) تفعيل دور هذا المسار (طريق الحج) لما كان يحمله من قيم اجتماعية واقتصادية وثقافية و...
2- دراسة المشيدات المعمارية التي كانت تخدم طريق الحج، ومحاولة استنباط أسس ومفاهيم تصميمها.
3- وضع توصيات معمارية وعمرانية وأسس لكل ما يتعلق بطريق الحج ومبانيه التاريخية الأثرية الخدمية.

- **أهمية البحث:**

تأتي أهمية البحث من كونه يقدم دراسة شاملة لمسار الحج الإسلامي في سورية ولقيمه الهامة بشكل عام، ولأبنيته الخدمية ذات القيمة التاريخية الأثرية بشكل خاص وكونه يؤكد على النقاط التالية:

1- طريق الحج في سورية، وعلى أهمية هذا الطريق على المستوى التاريخي والتنموي والتخطيطي.
2- إظهار طريق الحج في دمشق بشكل خاص حيث أن دمشق حظيت بأهمية خاصة نظراً للطقوس التي كانت تؤدى فيها، وتأثير طريق الحج على التطور العمراني والمعماري، وبالتالي إعادة هذا المحور إلى الذاكرة.
3- الأهمية المكانية لطريق الحج في كل من دمشق (مركز التجمع الرئيسي للحجيج) وحلب (الواقعة على طريق الحج والتي تشكل مركز استقبال حجاج بلاد الأناضول، وماوراء الامبراطورية العثمانية، وشرقي العالم العربي ...).
4- الأهمية العلمية والتطبيقية؛ من خلال التوصل لتحليل تاريخي يوضح أسس تصميم مباني طريق الحج الخدمية وطرزها السائدة في الفترة المحددة في البحث.

- **منهجية البحث:**

تعتمد منهجية البحث إلى التوصل بالدراسة للعناصر التالية:

1- إظهار مسار الحج الإسلامي الذي سلكه الحجاج، وهويته وأهميته كمسار سياحي في سورية.

2- تتبع المحطات والأماكن التي ينزل بها الحجاج في سورية أثناء رحلتهم لبلد الله الحرام.
3- إظهار تطور مسار الحج البري، وتحوله باتجاه سكة حديد الحجاز.
4- اقتراح رؤية جديدة لإعادة إحياء محور الحج الإسلامي في سورية.

حيث أنه في إنجاز البحث تم الاعتماد على كلاً من الآليات التالية:

- المنهج التاريخي: في التعريفات وفي المقدمات وفي التعرف على مسارات الحج القديمة وطرق التجارة.
- المنهج التاريخي والتحليلي لطريق الحج وتطوره وأثره في التطور العمراني والمعماري.
- المنهج التحليلي الوصفي: في وصف واقع محور الحج ومبانيه الخدمية.
- المنهج الاستنتاجي والاستدلالي والمقارنة للتوصل لأسس واضحة للمباني الخدمية .
- المنهج الاستقرائي للتوصل إلى نتائج وتوصيات ومقترحات اتجاه هذا المسار ومبانيه الخدمية.

- **مكونات البحث:**
- **القسم النظري:**

يتناول البحث بقسمه النظري طرق التجارة القديمة، وطرق الحج القديمة في شبه الجزيرة العربية، ويتناول البحث البعد الزماني لطريق الحج الشامي والعهود والفترات الزمنية التي مرت عليه انتهاءاً بالعصر العثماني، ويبين البحث البعد المكاني لطريق الحج ومساره بدءاً من مغادرته قصر طوب قابي في اسطنبول؛ وحتى وصوله لدمشق، ويعرف البحث بكافة الطقوس والمراسيم التي ترافقت مع الاستعداد للذهاب إلى الحج، وحتى مغادرته دمشق ولمحطاته المختلفة على طريق الحج في سورية .

- **القسم العملي:**

يتناول البحث بقسمه العملي التطور العمراني لمورفولوجيا المدينة الذي ترافق مع تطور طريق الحج ويقدم دراسة تحليلية للمباني التاريخية الأثرية المخدمة لهذا الطريق وتعريفاً لها وذلك وفي إطارإعادة إحياءه وتفعيل دورها بالنسبة لطريق الحج، ويوضح البحث مستلزمات الحجيج وانعكاسها المباشر على البنية العمرانية والمعمارية، ويظهر التحولات التي رافقت التحول عن هذا الطريق البري باتجاه البحر أو باتجاه خط سكة حديد الحجاز، وذلك للاستفادة من من هذه النتائج في إحياء محور الحج الإسلامي ومبانيه الخدمية .

- **آفاق البحث المستقبلية:**

يخلص البحث إلى عدد من النتائج الهامة والتوصيات والمقترحات لإعادة إحياء محور الحج الأسلامي ومبانيه الخدمية، بالإضافة لكونها تشكل لبنة أساسية في طور إعداد ودراسة أبحاث أخرى تعنى بدراسة المسارات ذوات القيم الهامة كمحور الحج المسيحي وطريق الحرير...

الباب النظري

الفصل الأول: محاور الحج
(دراسة طريق الحج الإسلامي في سورية)

مقدمة:

يبين هذا الفصل محاور الحج القديمة التي كان يسلكها الحجاج للوصول إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، ويوضح طرق التجارة التي كانت مستخدمة قديماً والتي استخدمها العرب نفسها لأداء فريضة الحج، ويتناول هذا الفصل محور الحج الشامي بدءاً من خروجه من اسطنبول وحتى مغادرته الأراضي السورية، و يوضح تطوره الزماني والمكاني، وكافة المراسم والطقوس التي كانت تؤدى في مدينة دمشق، والتي غابت عن الذاكرة حالياً، مع غياب استخدام هذا الطريق.

1 - محاور الحج في شبه الجزيرة العربية قديماً:

قال تعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميقٍ* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير* ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) [1].

لذلك شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهور وتطور لسبعة طرق رئيسية للحج والتجارة، هي طريق الحج الكوفي، وطريق الحج البصري، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي، وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العُماني، وطريق الحج الشامي.

تتصل هذه الطرق مع بعضها البعض في نقاط رئيسية، أو بواسطة طرق فرعية، ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين، والأمراء، والوزراء، والأعيان. وأقيمت على طرق الحج منشآت عديدة، مثل: المحطات والمنازل والمرافق الاساسية من برك، وآبار، وعيون، وسدود، وخانات، ومساجد، وأسواق، كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام، والمنارات، والأميال، التي توضح مسار تلك الرق تفرعاتها [2].

وهذه الطرق قديماً هي:

1-1 - طريق الحج الكوفي:

يعد طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي، المخطط [1-1]، وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم (درب زبيدة)؛ نسبة إلى زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، ويبلغ طوله حوالي 1400 كيلو متراً وهو يمر بمناطق مختلفة في طبيعتها متباينة في تضاريسها فتارة نراه مستوياً على أرض رملية أو طينية وتارة أخرى منحوتاً وسط الصخور في المناطق الجبلية ومرة نراه موسعاً وخالياً من العوائق الخطرة في المناطق الوعرة.

[1]-سورة الحج الآيات (27-28).

[2]-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 100– 101.

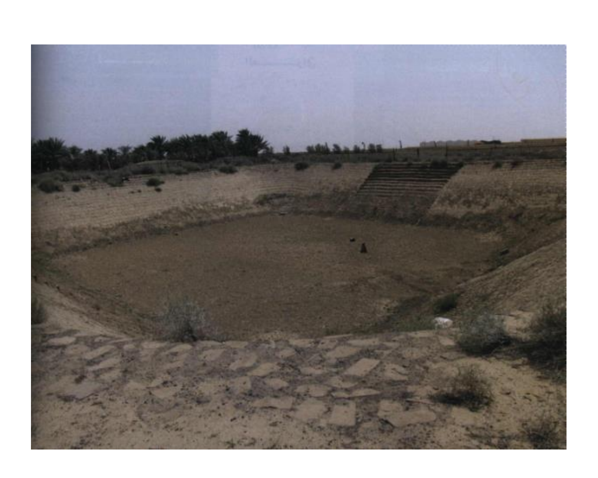
وطبقاً لما ورد عن علماء الجغرافيا المسلمين الأوائل فإنه يوجد على طول الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة حوالي أربع وخمسين محطة رئيسية، كما توجد محطات أخرى صغيرة فيما بينها.[1] استدلوا عليها من الآثار الباقية، وتبين الصورة [1-1] إحدى النقوش الكتابية على طريق الحج الكوفي.

وقد قامت زبيدة بنت جعفر المنصور بالإشراف على إنشاء طريق الحج، وتم وضع علامات على الطريق؛ لإرشاد الحجاج، وتم وضع برك لجمع الماء بطريقة ذكية، حيث تم وضع كل بركة أسفل وادي صغير تجمع ماء المطر ويستفيد منها الحجاج للتزود بالماء(الصورة [1-2] والصورة [1-3])، ومع مرور السنين استفاد حجاج بيت الله الحرم من هذا الطريق [2].



الصورة [1-1]: النقوش الكتابية على طريق الحج الكوفي.

المصدر: محمود، أحمد، رحلات الحج ج2، ص 204.



الصورة [1-2]: بركة زبيدة جنوبي حائل.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص102.

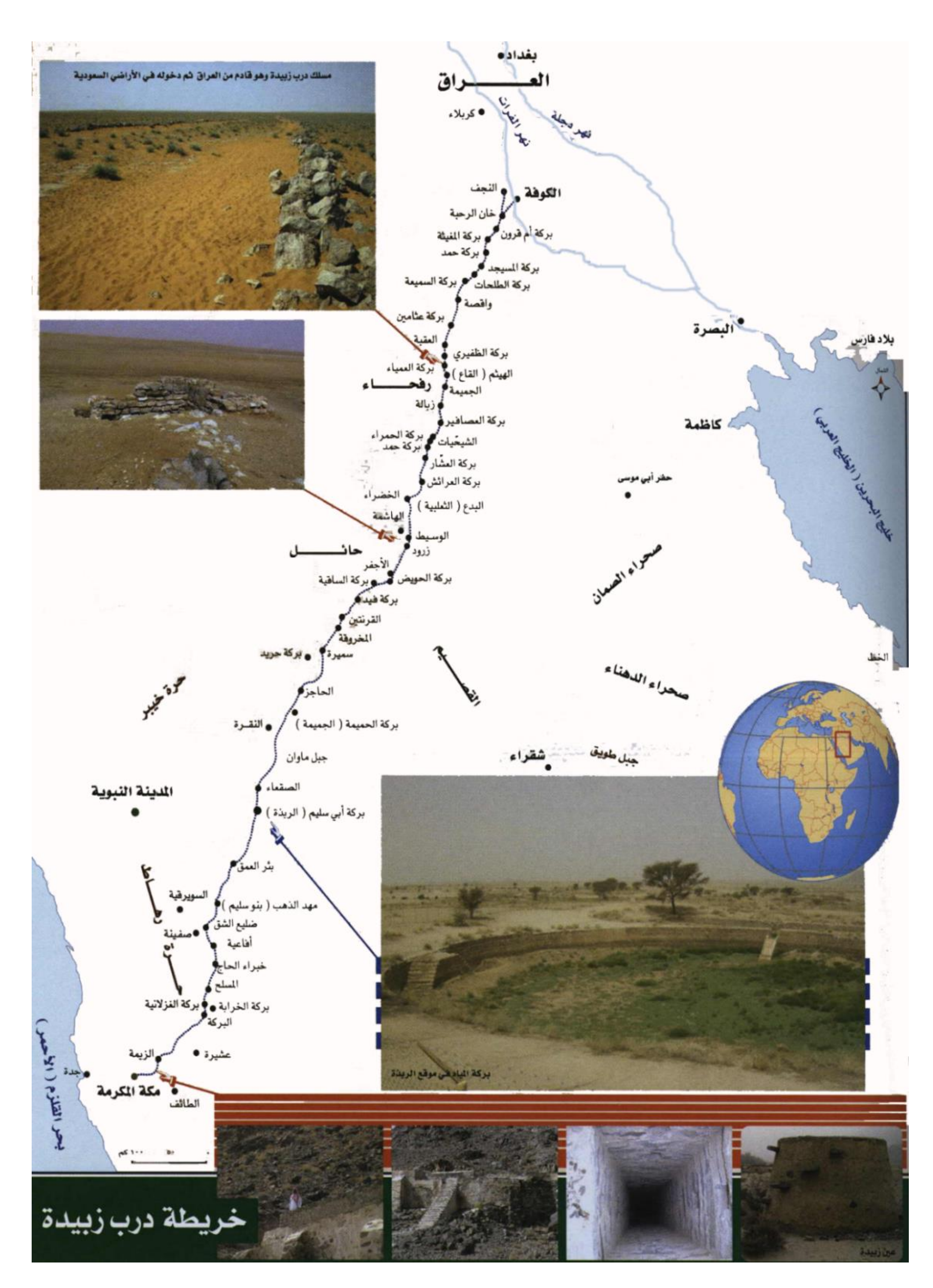


الصورة [1-3]: لقطة في بركة زبيدة.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 102.

1-محمود، أحمد، رحلات الحج ج2، ص 204.

2-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 101 .

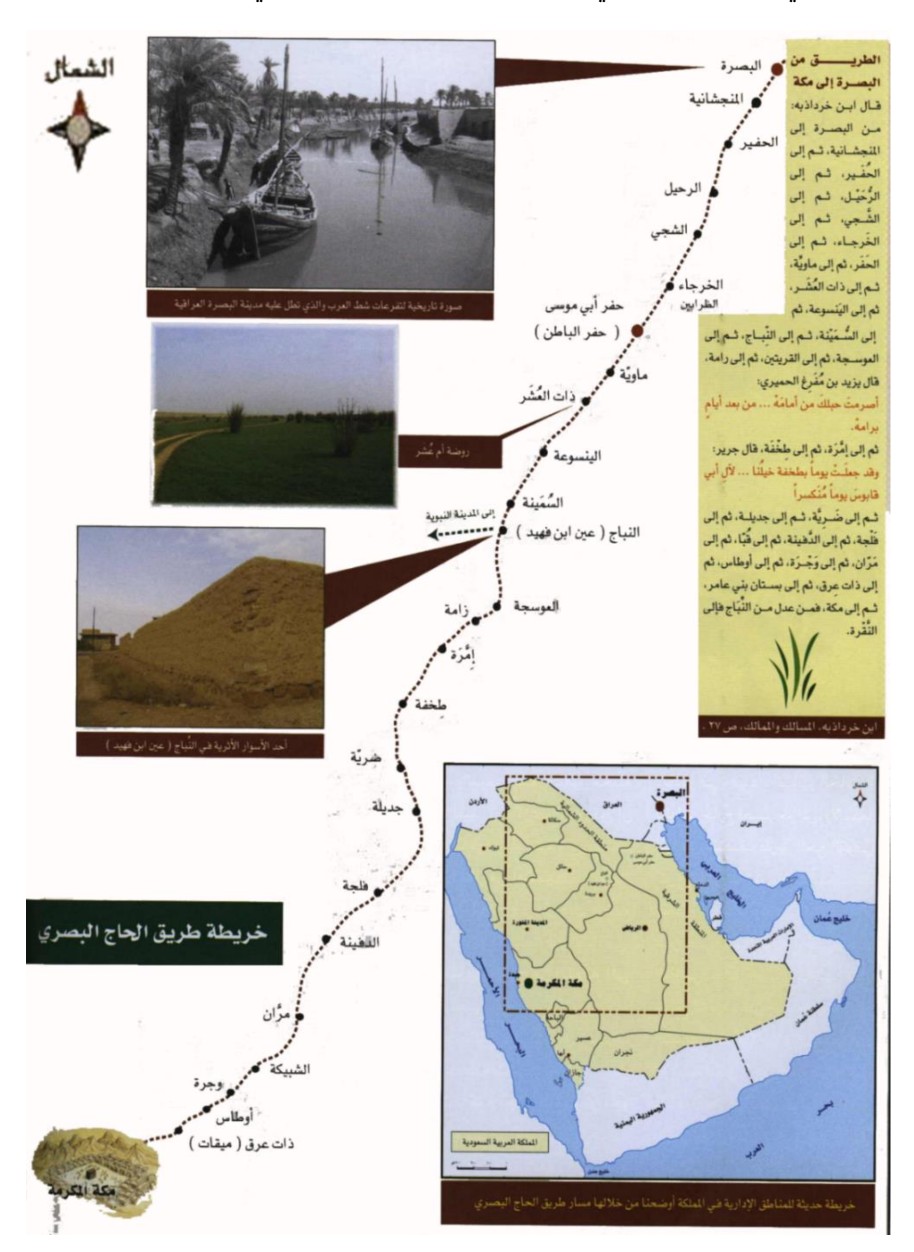


المخطط [1-1]: طريق الحج الكوفي (درب زبيدة).

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 101- بتصرف الباحثة.

2-1- طريق الحج البصري:

كان طريق الحج البصري يجتاز القسم الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة العربية عبر وادي الباطن وصحراء الدهناء والقصيم ليلتقي بعد ذلك مع طريق الكوفة مكة في ميقات (ذات عرق)، ويعد هذا الطريق من الطرق المهمة في العصر الإسلامي المبكر ، وقد تركزت أهميته في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، المخطط [2-1].



المخطط [2-1]: طريق الحج البصري.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص104 – بتصرف الباحثة.

3-1- طريق الحج العُماني والساحل الشرقي للجزيرة العربية:

كان هناك طريقان داخليان من عمان إلى مكة المخطط [1-3]، أحدهما: يأخذ من عمان إلى يبرين، ثم إلى اليمامة، ثم إلى ضريَة، وضرية كانت ملتقى حجاج البصرة، والبحرين، وهناك يفترقون إذا انصرفوا من الحج، فيأخذ حجاج البصرة ذات الشمال، وحجاج البحرين ذات اليمين، وهناك طريق آخر من عُمان يتجه إلى فرق، ثم عوكلان، ثم إلى ساحل هباة، وبعدها إلى الشحر. وبإمكان حجاج عُمان أخذ أحد الطريقين من اليمن، فإما عن **طريق الحج الساحلي** الموازي لساحل البحر الأحمر الذي يمر بعدد من المخاليف، والمنازل، مثل: مخلاف عك، والحردة، وخلاف حكم، وعثر، مرسى، وضنكان، والسرين، حتى الشعيبة، ثم جدة، فمكة. أو بإمكان حجاج عُمان أخذ **الطريق الداخلي** من اليمن إلى مكة مروراً بعدد من المنازل، بعضها لايزال معروفاً حتى اليوم مثل: رنية، وتربة، حتى يصل إلى مكة [1].



المخطط [1-3]: طريق الحج العُماني والساحل الشرقي للجزيرة العربية.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص108 – بتصرف.

[1]-الغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 108.

4-1- طريق الحج اليمني القديم:

وتضم حجيج اليمن والهند وماليزيا وأندونيسيا، وينضم إليها حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع وسواكن وموانئ اليمن.

يبدأ هذا الطريق من صنعاء مروراً بصعدة، ويسلك المناطق الجبلية لمنطقة عسير، والحجاز ماراً بالقرب من موقع جُرش، ثم يتجمع إلى بيشة، وتَبَالَةَ، وتُربة، حتى يصل قرن المنازل، فمكة المكرمة. وهو ذات الطريق الذي استخدم في الأزمنة القديمة للتجارة [1]، المخطط [1-4] يبن طريق الحج اليمني القديم.



المخطط [1-4]: طريق الحج اليمني القديم.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 111– بتصرف الباحثة.

[1]-القطوري، أحمد، مجلة حراء، ص 35.

5-1- طرق الحج الإفريقية (طريق الحج المصري):

كانت تضم حجيج مصر وشمال أفريقيا، وكانت من أهم القوافل خلال العصر العثماني حيث كانت تضم المحمل المصري وكسوة الكعبة المشرفة الجديدة، ويبين المخطط [5-1] أبرز مسالك الحج الإفريقي.



المخطط [5-1]: أبرز مسالك الحج الإفريقي من الغرب الأوسط ووسط إفريقيا إلى الديار المقدسة.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص119.

وكانت هذه القوافل تتحرك من القاهرة خلال الأسبوع الأخير من شوال من كل عام، وسط احتفالات عظيمة، الصورة [1-4]، تتم تحت إشراف الوالي نفسه. وتقطع المسافة في 37 يوماً، سالكة طريق السويس وسيناء والعقبة ثم تلتقي في بعض الطرق مع قوافل الحج الشامي، وفي بعض السنوات كانت تستقل السفن من السويس إلى جدة، أو من الموانئ المصرية الأخرى المواجهة لجدة[1].

فقد كانت (الفسطاط) هي مركز التجميع في طريق الحج المصري، وكان ميناء عيذاب هو بداية الرحلة البحرية إلى بيت الله الحرام، وهو أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وكانت ترد إليه مراكب الهند، واليمن، وتغادره بالإضافة إلى مراكب الحجاج الصادرة، والواردة. وقد ظل هذا الميناء طريق الحج الوحيد إلى مكة لفترة زمنية طويلة، يقول المقريزي في خططه: "إن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب"، وكان الحجاج–كما وصف ابن جبير– يقلعون في النيل من الفسطاط إلى (قوص) مارين بالعديد من المدن، والقرى على ضفتي النيل–التي كانت تمتاز بكثرة أسواقها، ومرافقها، وكانت ملتقى الحجاج، والتجار من مختلف الأنحاء. وهي رحلة كانت تستغرق ثمانية عشر يوماً في النيل. وكان الحجاج يستريحون بعض الشيء في (قوص)؛ انتظاراً لانتقالهم إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر بعد أن يتزودوا بما يحتاجون إليه، ويتجمعون في (المبرز) – قبلي قوص– وهناك يتم وزن أمتعتهم، وأثقالهم؛ لتقدّر الأجرة عليها حيث تحمل أصحابها على ظهور الإبل، ويمكن استخدام غيرها من وسائل النقل عبر الفيافي المقفرة، التي تقل فيها المياه، وكان أصحاب الجاه، والثراء يركبون (الشقاديف)-وهي أشبه بالمحامل– وأحسن أنواعها اليمانية وهي مجلدة متسعة، يوصل الاثنان منها بالحبال الوثيقة، وتوضع على الإبل، ولها ذراع قد حفت بأركانها، ويكون عليها مظلَة، فيكون الراكب مع عديله في وقاية من لفح الشمس المحرقة، خصوصاً وقت الهاجرة، ويجلس في مكان أو يتكئ، دون أن يشعر بالتعب.

وبعد الانتهاء من الإجراءات يقلع الحجيج من المبرز إلى عيذاب عبر الصحاري المقفرة في حوالي ثمانية وثلاثين يوماً، إذ تقطع الرحلة من الفسطاط إلى عيذاي في حوالي ستة وخمسين يوماً. وبعد وصول الحجاج إلى عيذاب، كانوا ينتظرون أياماً صعبة؛ لعدم توفر الغذاء الضروري لحياة الإنسان، وإضافة إلى أسوء أحوال الطقس، والطبيعة القاسية في هذه المرفأ، فهو كما وصفه ابن جبير: "كل شيء فيه مجلوب حتى الماء، والعطش أشهى إلى النفس منه، فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام، وماء يشغل المعدة عن اشتهاء الطعام... فهي ماء زعاق، وجو كله لهب، فالحلول بها من أعظم المكاره التي حف بها السبيل إلى البيت العتيق... وما أعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه لاسيما في تلك البلدة ...

بعد تلك المعاناة التي كان يلقاها الحجاج في عيذاب يركبون الجلاب إلى جدة، والجلاب هو من نوع المركب التي كانت تسير في المحيط الهندي، والبحر الأحمر، ومفردها جلبة: وهي عبارة: عن قارب كبير، أو قنجة مصنوع من ألواح موصولة بأمراس ألياف النارجيل، وقد استعملها أهل مصر، والحجاز، واليمن في نقل الحجاج والأزواد [2]. المخطط [1-6] يظهر طريق الحج الإفريقي.

---

[1]-القطوري أحمد، مجلة حراء، ص35.

[2]-إمام، محمد، طرق الحج وقوافله في التاريخي الثقافي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2007 م.

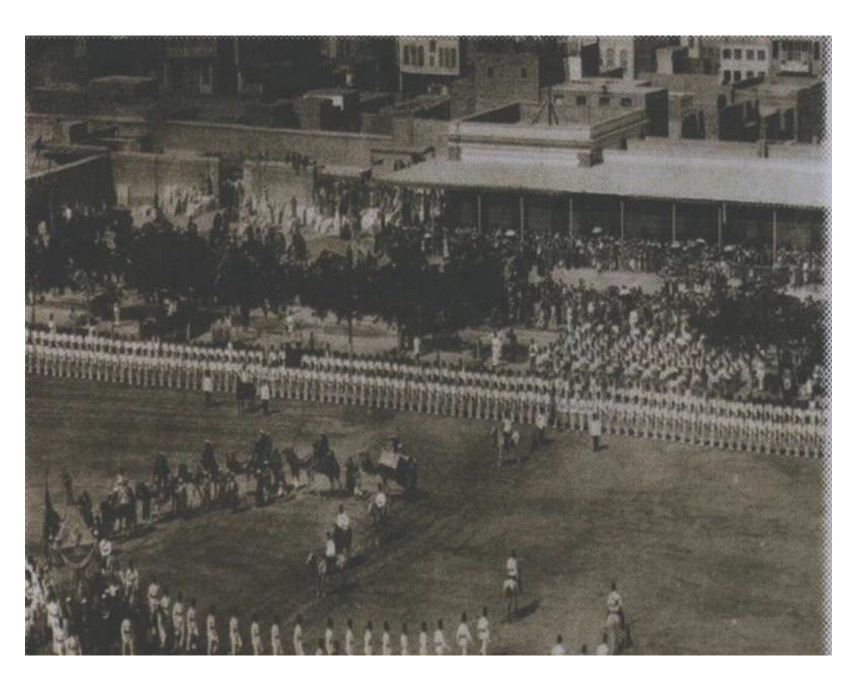


المخطط [6-1]: طريق الحج الإفريقي.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 114– بتصرف الباحثة.

وقد ذكر المؤرخ تقي الدين المقريزي في كتابه الخطط: "أن هذا الطريق (الطريق البحري إلى مكة) ظل مسلكاً للحجاج من سنة 450 هـ إلى سنة 660 هـ، ومع انتهاء الوجود الصليبي في مصر والشام عاد الحجاج إلى استخدام طريق سيناء والبحر الأحمر مرةً ثانيةً" .

تبدأ قوافل حجاج بلاد المغرب الإسلامي بالانطلاق من مدن المغرب، كمراكش، وفاس، وسلا، وأحياناً كانت تضم حجاج السنغال، وبعد تجمُع الحجاج تنطلق قافلتهم سالكة إما الطريق البري المحاذي للبحر المتوسط، أو الطريق البحري عبر البحر المتوسط. واعتادت هذه القافلة أن تكون على موعد مع غيرها من قوافل الحج للحجاج الجزائرين، والتونسيين، والليبيين؛ وذلك لمرور طريق الحج بمدن هؤلاء الحجاج، ثم تعبر هذه القوافل مجتمعةً الأراضي المصرية بمحاذاة الساحل حتى ميناء الإسكندرية، ثم رشيد، وبعدها تركب قوافل الحجاج المراكب النيلية عبر فرع رشيد، إلى أن تصل جميعها إلى القاهرة، وتلتقي مع قافلة الحج المصرية حتى تأنَس بها ذهاباً وإياباً عند مكان شمالي القاهرة كان يُعرف آنذاك ببركة الحاج. ثم تواصل جميع القوافل مسيرتها براً حتى تصل إلى ميناء القلزم (السويس حالياً)، ومنها إما مواصلة الطريق البري عبر سيناء، ثم محاذاة البحر الأحمر برَاً إلى مدينة جدة، أو تبحر القوافل في السفن عبر الأحمر إلى ميناء جدة، ومنها براً إلى المدينة، ثم إلى مكة المكرمة (شرفها الله). [1] المخطط [1- 7] يظهر طريق الحج المصري.



الصورة [1-4]: الاحتفال المصري بكسوة الكعبة قديماً.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص117 .

[1]-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 114.

وأما حجاج الشرق الإفريقي -بلاد الزيلع (البلاد المقابلة لبراليمن على أعالي بحر القزم (الأحمر) - فكان لهم مسالك متعددة وينطلقون منها إلى أراضي الحجاز وتظهر في المخطط [1-8].



المخطط [1-7]: طريق الحج المصري.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 116- بتصرف الباحثة.

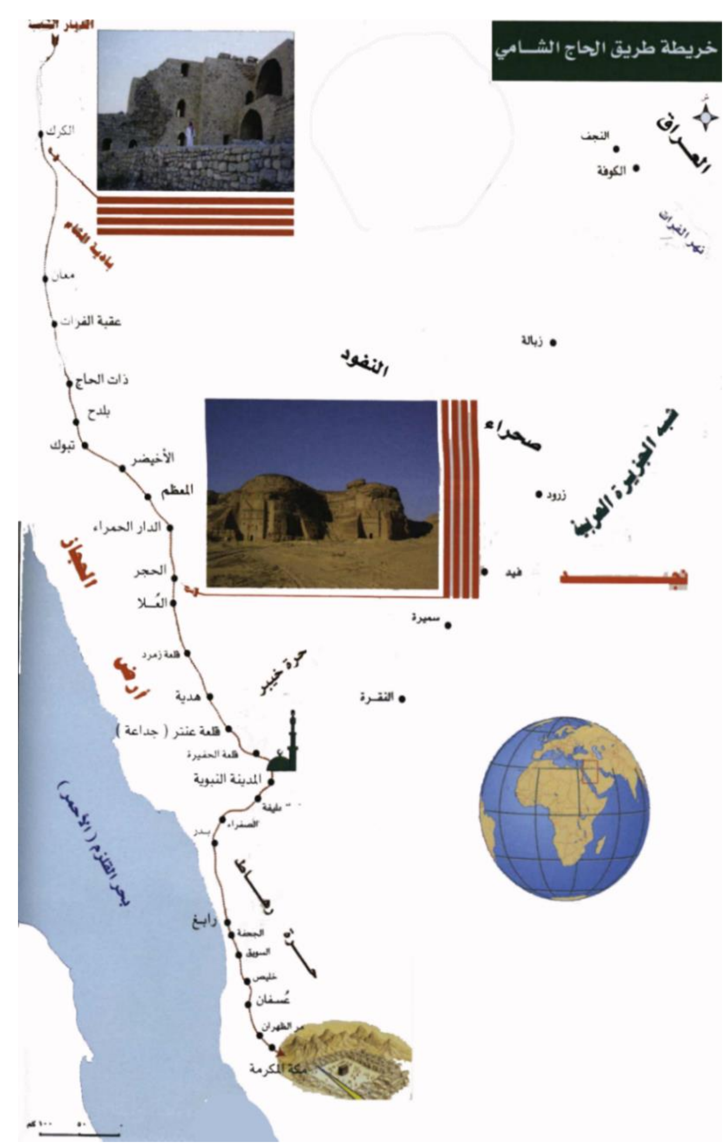


المخطط [1-8]: طرق الحج الإفريقي من بلاد الزيلع(البلاد المقابلة لبراليمن على أعالي بحر القزم (الأحمر)).

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 120 -بتصرف الباحثة.

1-6- طريق الحج الشامي:

طريق الحج الشامي هو الطريق الذي يربط بلاد الشام بالمدينة المنورة، وعرف في صدر الإسلام بالتبوكية، نسبة إلى بلدة تبوك، ويمر ببصرى وأدرعات في سورية، وسرغ (المدورة) في الأردن ثم يدخل حدود المملكة، ويمر بعدد من المنازل أهمها: ذات الحاج، تبوك، والأخضر، والمعظم، والأقرع والحجر، والعُلا طوال العصور الإسلامية[1]، المخطط [1-9].



المخطط [1-9]: طرق الحج الشامي.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 106– بتصرف الباحثة.

---

[1]-الجزيري الحنبلي، عبد القادر، الدرر الفرائد المنظمة، ص 1254.

2– طرق التجارة:

2-1- طريق الحرير (الحوار) والطرق التجارية الأقدم:

ازدهرت في تاريخ العالم طرق برية مهمة كانت تصل بين مناطق النشاط البشري القديمة وأدت إلى نشوء عدد كبير من المراكز العمرانية المستقرة كمحطات لقوافل المسافرين والبضائع في الأماكن التي كانت تتمتع بظروف طبيعية مناسبة يتوافر فيها الأمن[1]، وتظهر في الصورة [1-5] إحدى هذه المحطات.



المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص109.

الصورة [1-5]: استراحة على طريق قوافل الحجاج في طشقند (الأوزبكية).

يعتبر طريق الحرير من عناصر التراث الحضاري العالمي الممتاز الذي نعتز به، فالطريق لم يكن تجارياً تسلكه القوافل وحسب، فعبره اتصل الشرق بالغرب، ونقل رجال القوافل معهم الأفكار والخبرات في كلا الاتجاهين وفي مجالات عدة، وقد سلك تجار الحرير طريقين بريين وطريق بحري [2]. إن تسمية (طريق الحرير)، التي كان أول من استعملها العالم الألماني فرديناند فون ريشتهوفن في القرن التاسع عشر، لاتعني بطبيعة الحال أن هذا الطريق كان يُستعمل للتجارة بالحرير فقط، فقد كان هذا الطريق يشحن إلى الغرب أهم البضائع المرغوبة في العالم القديم والوسيط كالتوابل والعاج والأحجار الكريمة...[3]

إنّ التجارة مع الهند، انبعثت في الفترة مابين عام (61 ق.م– 90 م). وقد ربط طريق الحرير بين جناحي القارة الآسيوية الشرقي والغربي، وقد نشأ وتعاظم شأنه لأن طرق تجارية أخرى قد نشأت قبله، وأن سكان هذه القارة في عصر نشوء طريق الحرير قد ساروا على تقاليد من سبقهم، من الأمم فاستفادوا من تجاربهم وزادوا عليها. فمن الطرق التجارية التي كانت سائدة طريق تجارة الحجر الأزرق اللامع، وكان لهذه المادة طريقان، الأول شمالي يمتد من كابول مجتازاً إيران عبر تبه هيسار وتبه سيالك إلى جنوبي العراق (أو إلى مدينة آشور في الشمال)، ومن ثم إلى شمالي سورية وجنوبها حتى مصر. والثاني يمتد من كابول إلى شار السوختا، وتبه يحيى، فالخليج، حيث تنقل بحرياً إلى سواحل الهند، وشبه الجزيرة العربية [4].

---

[1]-محلي، ساطع، دراسات تاريخية، ص 49.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص72.
[3]-الأرناؤط، محمد، دراسات تاريخية، ص156.
[4]- أبو عساف، علي، مجلة دراسات تاريخية، ص ص (74-75).

أنّ الاتجاه الرئيسي في طريق الحرير، هو محور يتّجه في البر من سورية، الدولة الأكثر نشاطاً، والتي تمتلك مفرق الطرق التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ففيها دمشق، المنفذ الرئيسي إلى بلاد الحجاز ومصر، وانطاكية التي تسلم بضائع آسياإلى مراكب البحر المتوسط لتنقلها إلى بريينديزي والبندقية وجنوه ، ومن ثم عبر الطرق البرية الأوربية، إلى مدينة قادش على المحيط الأطلسي، وفيها تدمر التي تتجه بأبوابها الشرقية إلى بلاد الرافدين لتسلم البضائع إلى ثلاث طرق تجرية للحرير فيها، ومن بلاد الرافدين يتجه الطريق إلى إيرا وأفغانستان والباكستان للاتصال بالمحور الأساسي في آسيا الوسطى[1]. ويبين المخطط [1-10] طرق التجارة القديمة.وطريق الحرير الذي يمتد من أقاصي شرق الصين مرراً بالهند وإيران إلى شمال الجزيرة العربية وتركيا انتهاءً بأوروبا؛ وبذلك مشكلاً الشريان الرئيسي للتجارة [2].



المخطط [1-10]: طريق الحرير وطرق التجارة القديمة.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 109.

2-2- رحلة الشتاء والصيف:

كانت علاقة العرب ببلاد الشام سابقة على ظهور الإسلام، فقوافل التجارة في رحلة الشتاء والصيف كانت تصل بين بلاد الشام من طريقين، داخلي يمر بالمدينة المنورة فتبوك ويصل إلى بصرى الشام فدمشق، وطريق ساحلي يسمى (المعرفة) وسلكته قوافل قريش في عودتها من الشام في غزوة بدر.

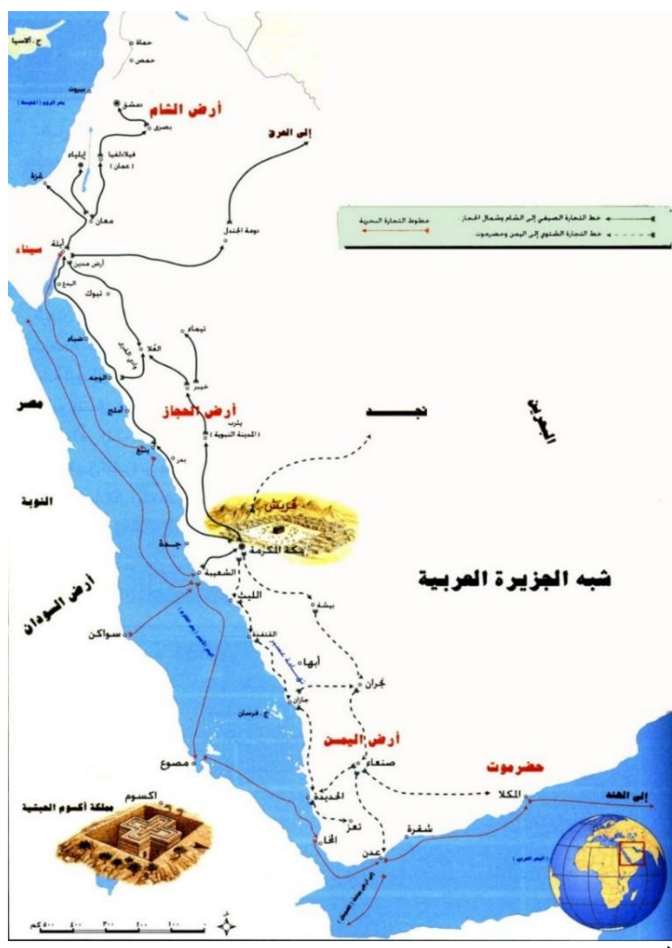
[1] - محلي، ساطع، دراسات تاريخية، ص 54.
[2]- أبو عساف، علي، مجلة دراسات تاريخية، ص 72.

ولقد سلكت الجيوش الإسلامية الطريقين في غزو الشام في عهد أبي بكر رضي الله عنه –فوجه الخليفة الأول للرسول عليه الصلاة والسلام (يزيد بن أبي سفيان) لفتح الشام وسلك طريق تبوك وحدثت معركة تبوك بين يزيد بن أبي سفيان والروم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كذلك وجه عمرو بن العاص إلى إيليا (العقبة) لفتح الشام أيضا، وهكذا كان طريق الشام الداخلي أو الساحلي معبراً لتجارة العرب ومسلكاً عبرته الجيوش الإسلامية في فتوح الشام [1].

وكان لقبيلة قريش العربية في مكة المكرمة رحلتان للتجارة في العام، المخطط [1-11]:

الأولى: رحلة الشتاء من مكة إلى اليمن وحضرموت.
الثانية: رحلة الصيف من مكة إلى الأراضي الشامية.

وكانت قريش في هاتين الرحلتين؛ تتزود بأصناف عدة من أطايب الطعام والبخور والثياب، مما كان يدر عليها أرباحاً طائلة وخيراً كثيراً، وهم آمنون مطمئنون بهذه النعمة العظيمة، والمكانة العالية بين القبائل[2].



المخطط [1-11]: رحلة الشتاء والصيف.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 71- بتصرف الباحثة.

[1]-بكر سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ص (170-171) .
[2]-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 71.

3- التسلسل التاريخي لتطور مسار الحج الشامي:

3-1- الإطار التاريخي لطريق الحج (البعد الزماني):

كان درب الحج الشامي مطروقا في عهد الصحابة واالدولة الأموية حيث كان خلفائها يولون الحجاز أهمية كبرى حتى في غير أيام الحج ويشهد لهذا ما سطره المسافرون من كتابات على صخور الدرب، حيث أنه يمكن تقسيم تاريخ هذا الطريق، والأحداث التي شهدها إلى خمسة مراحل هي على الترتيب:

المرحلة الأولى: طريق الحج الشامي خلال الفترة الإسلامية المبكرة.

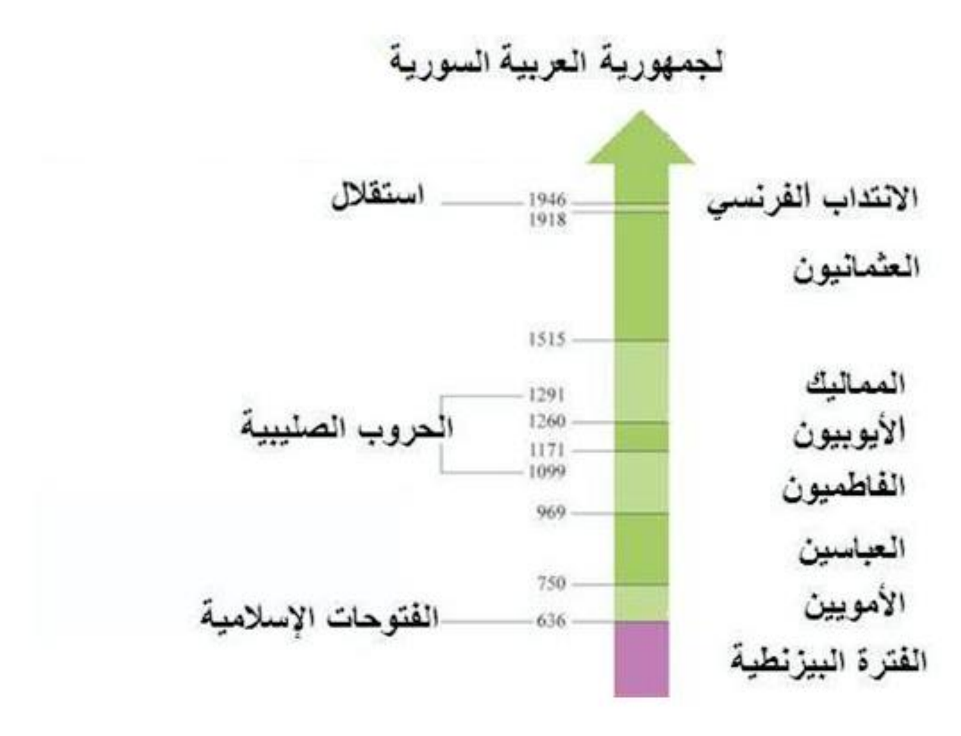
المرحلة الثانية: طريق الحج الشامي خلال فترة وجود الصليبيين في جنوب الأردن.

المرحلة الثالثة: طريق الحج الشامي في عصر الدولة الأيوبية.

المرحلة الرابعة: طريق الحج الشامي خلال العصر المملوكي.

المرحلة الخامسة: طريق الحج الشامي خلال العصر العثماني.

وسيركز البحث على تحديد هذا المسار خلال الفترة العثمانية ويظهر الشكل [1-1] التسلسل الزمني لتاريخ مدينة دمشق.



الشكل [1-1]: المخطط الزمني لمدينة دمشق.

المصدر: الباحثة.

3-1-1- طريق الحج الشامي خلال الفترة الإسلامية المبكرة:

أول قافلة للحج في الإسلام كانت في السنة التاسعة للهجرة سنة (631) م. وقد ضمت نحو (300) حاج وهي تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنه... المخطط [1-14]، وفي السنة التالية حج رسول الله (ص)، المخطط [1-13]، ثم تعاقبت السنون، واستقّر تقليد خروج قوافل الحج سنوياً من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة فعرفات فمزدلفة فمنى ثم تعود أدراجها إلى المدينة المنورة بعد تمام الحج ...

ولم تمض سنوات على وفاة رسول الله (ص) حتى أخذ الإسلام ينتشر خارج حدود شبه جزيرة العرب وامتد الإسلام إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر وشمالي إفريقية، المخطط [1-12]، وغير ذلك من الأقاليم التي وطئتها الفتوحات العربية وأصبح لزاماً على شعوب تلك الديار التي دخل معظمها في حظيرة الإسلام تأدية ما عليهم من واجب نحو الركن الخامس في الإسلام، فنشأت مراكز جديدة إلى جانب المدينة المنورة ومن هذه المراكز دمشق والكوفة وبغداد والفسطاط ثم القاهرة وتونس وفاس ثم تعز وصنعاء لتّجمع الحجيج وانطلاق قوافلهم التي تشكلت سنوياً في تلك المراكز في طريقها لأداء فريضة الحج [1].

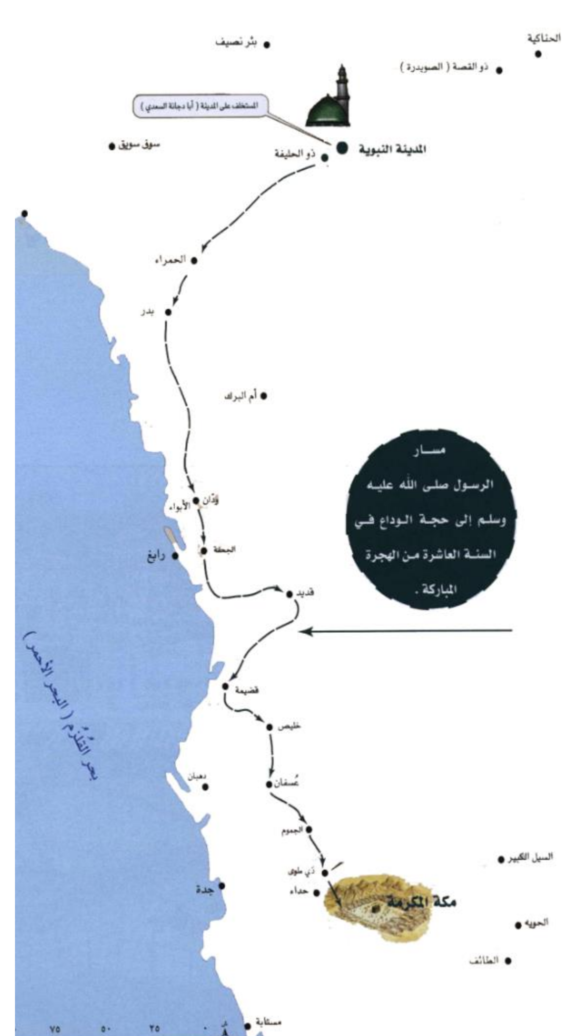


المخطط [1-12]: الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 83.

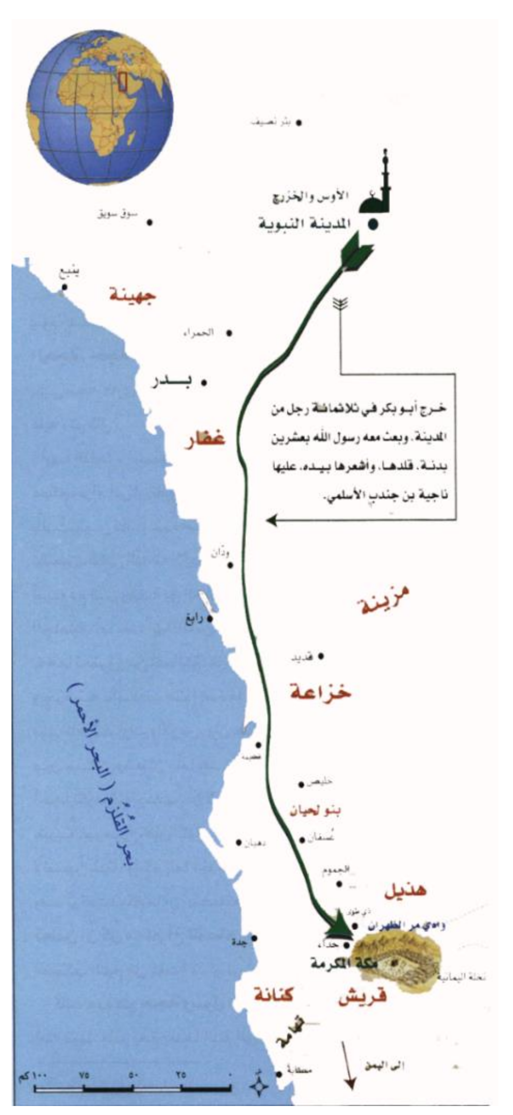
---

[1] -منير، كيال، محمل الحج الشامي، ص 123.



المخطط [1-13]: طريق الحج الذي سلكه رسول الله (ص) في حج الوداع.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص79– بتصرف الباحثة.



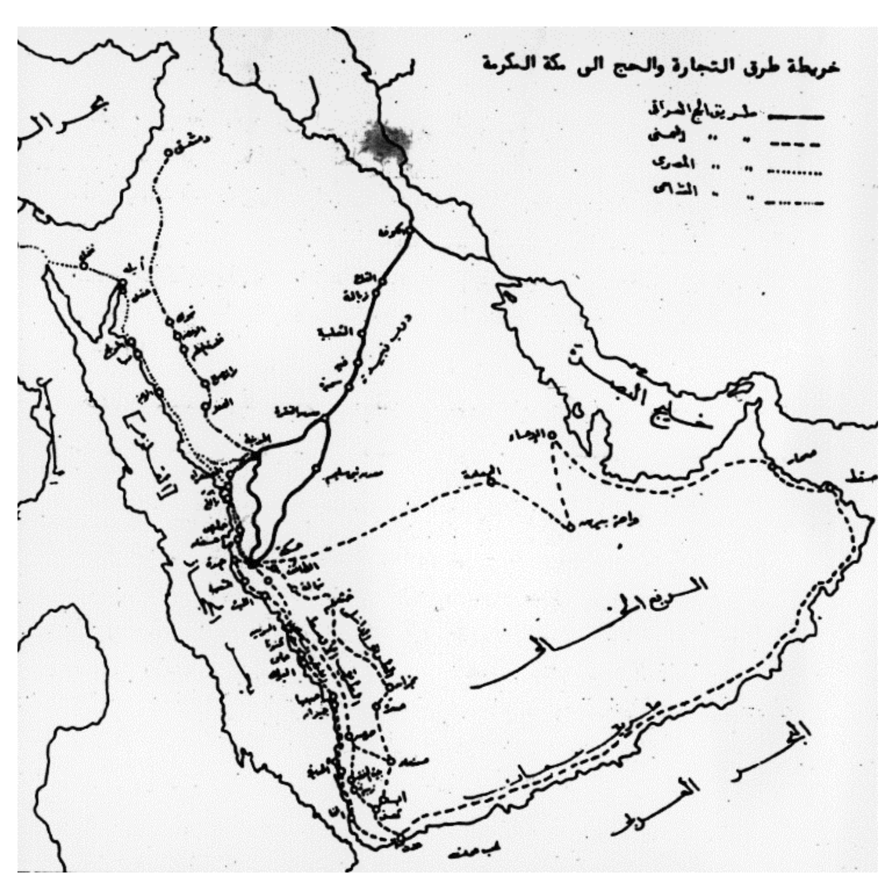
المخطط [1-14]: طريق الحج الذي سلكه المسلموه برفقة أبي بكر الصديق.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة ص77- بتصرف الباحثة.

3-1-2- طريق الحج في الفترة من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية:

بعد أن استقرت أحوال الإسلام ببلاد الشام، اتخذ المسلمون الطريقين اللذين سلكتهم قوافل التجارة في رحلة الشتاء والصيف، والجيوش الإسلامية؛ للحج اللذين يظهرا في المخطط [1-15]، فكان درب غزة طريقاً لحجاج جنوب فلسطين، وكان طريق تبوك درباً للحجاج من الداخل؛ وقد أشار إلى هذا الدرب الجغرافيون والمؤرخون العرب القدامى، مثل ابن رستة في (الأعلاق) في النصف الثاني من القرن الهجري الثالث، وإلى نفس المنازل أشار بن خرداذبة، وابن قدامة.

والمواضع التي أشار إليها هؤلاء معظمها في شبه الجزيرة العربية-فسرع قرية بوادي القرى على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة المنورة، وذي المرو، بوادي القرى على ثمانية برد من المدينة المنورة ايضاً، وذي خشب واد على ليلة من المدينة المنورة، أو واد قرب ينبع، فكان هؤلاء من قدامى الجغرافيين العرب لم يذكروا تفاصيل منازل الطريق بين تبوك ودمشق[1].



المخطط [1-15]: طرق التجارة والحج في الفترة من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية.

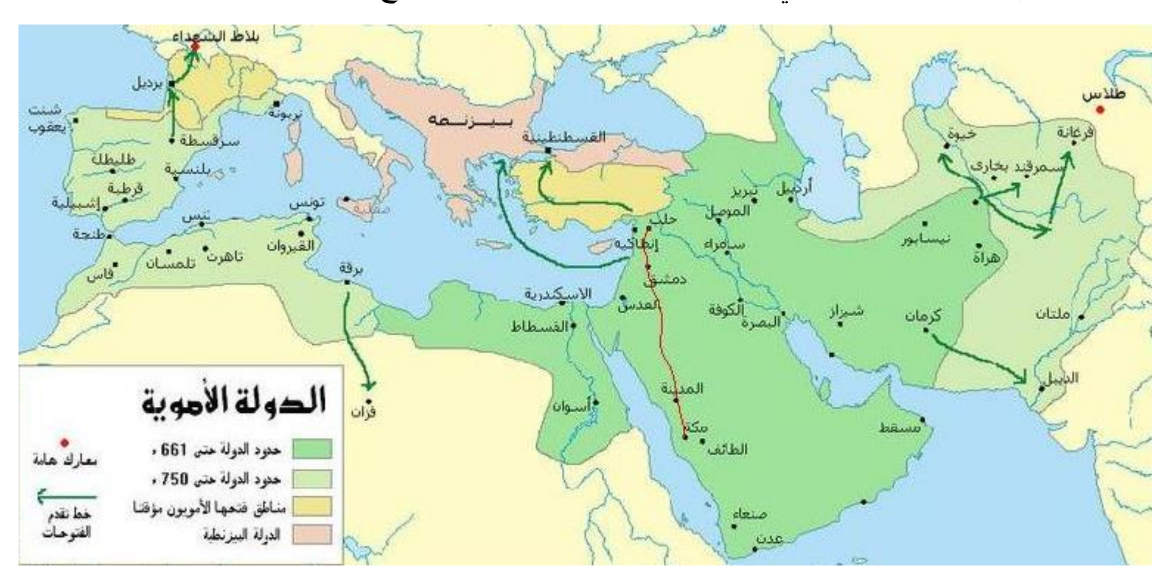
المصدر: كيال منير، محمل الحج الشامي، ص 98.

[1] - بكر سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ص (170-171).

أولاً: طريق الحج في الفترة الأموية:

لقد مر درب الحاج الشامي بمراحل مختلفة، خلال العصور الإسلامية، فبعد أن فتحت الشام واستقر الأمر للدولة الإسلامية، خصوصاً في عهد الأمويين، كانت مواكب الحجيج تسير بانتظام إلى البقاع المقدسة، لا يعكر صفاء مسيرتها سوى الثورات المحلية، أو هجمات البدو، هكذا كان أمر المسيرة عبر درب الحاج الشامي في عهد بني أمية، ولقد تتبع درب الحاج الشامي طريق القوافل بين مكة المكرمة وبلاد الشام في كثير من اجزائه المخطط [1-16][1].

فقد درج الركب الشامي الذي ضم حجاج بلاد الشام، والأناضول والقرم والقوقاز ...على تتبع المخلفات الآثارية للطريق الذي تسلكه القوافل التجارية الحجازية واليمنية في ذهابها وإيابها من وإلى بلاد الشام. وكانت هذه الطريق تتبدل ذات اليمين أو ذات الشمال في اجتياز جنوب دمشق وحوران ووديان البحر الميت إلى الجزيرة العربية بسبب ما طرأ على طريق الركب الشامي من توفير للمياه وبناء عدد من القلاع والحصون والمحارس ...[2] .



المخطط [1-16]: طريق التجارة والذي كانت تسلكه قوافل الحج في عهد الدولة الأموية.

المصدر: الباحثة.

ثانياً: طريق الحج في الفترة العباسية:

في عهد بني العباس كانت العناية الملحوظة بالبقاع المقدسة واهتمام الخلفاء بفريضة الحج من الأمور التي حرص عليها خلفاء بني العباس، فقد حج أبو جعفر المنصور والمهدي والرشيد عدة مرات، وإن كان اهتمامهم انصب على طريق الحاج العراقي، إلا أن درب الحاج الشامي استمر كرافد هام ينقل الحجيج، وفي عصر الخلفاء الضعفاء من العباسيين، اختل زمام الأمن، لاسيما في فترة فوضى القرامطة، ووصل عبثهم إلى طريق الحاج العراقي (درب زبيدة) فقطعوا الطريق وأخلوا بأمنه، ونتيجة لذلك تحول حجاج شمال العراق وغربه إلى درب الحاج الشامي، وهذا تبادل بين دروب الحاج تكرر أكثر من مرة، حدث مثل ذلك أثناء احتلال الصليبيين لبلاد الشام [3].

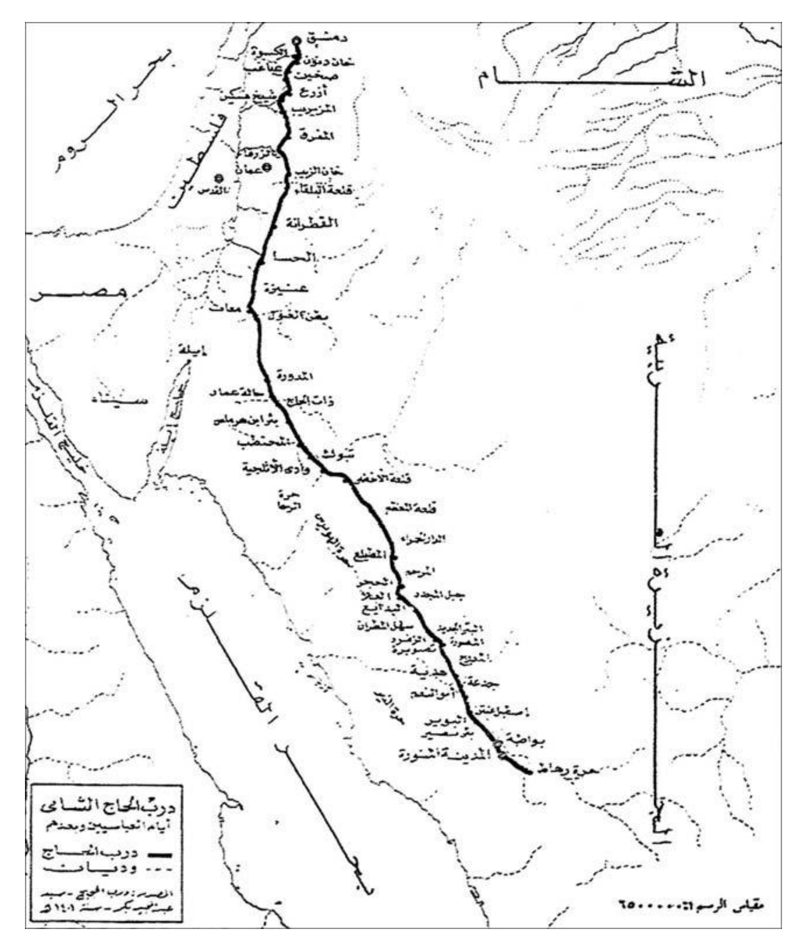
---

[1]-بكر سيد، الملامح الجغرافية لدرب الحجيج، ص 169.

[2]-كيال، منير محمل الحج الشامي، ص 104.

[3]-بكر، سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص 169.

في أيام العباسيين استمر الدرب الشامي مطروقاً وقد ترك لنا القاضي وكيع (304 هـ) وصفاً لمراحل الطريق في أيامه بقوله: "طريق أهل الشام: من دمشق إلى الصنمين ومن الصنمين إلى أذرعات ومن أذرعات إلى الزرقاء ومن الزرقاء إلى القسطل ومن القسطل إلى قبال ومن قبال إلى البالعة ومن بالعة إلى الحفير ومن الحفير إلى معان ومن معان إلى ذات المثار ومنها إلى المغيثة ومنها إلى سرغ، ومن سرغ إلى تبوك ومن تبوك إلى المحدثة ومن المحدثة إلى الأقرع ومن الأقرع إلى الجنينة ومن الجنينة إلى الحجر ومن الحجر إلى وادي القرى ومن وادي القرى إلى السقيا وبها يلتقي الطريق (يقصد طريق مصر الداخلي) ومن السقيا إلى عتاب ومن عتاب إلى المروة ومن المروة إلى السويداء ومن السويداء إلى الأراك ومن الأراك إلى ذي خشب ومن ذي خشب إلى المدينة. لكن هذا الدرب انقطع أيام العباسيين ثم أيام وجود الصليبيين بالشام". ويظهر المخطط [1-17] طريق الحج الذي سلكته القوافل في عهد الدولة العباسية.



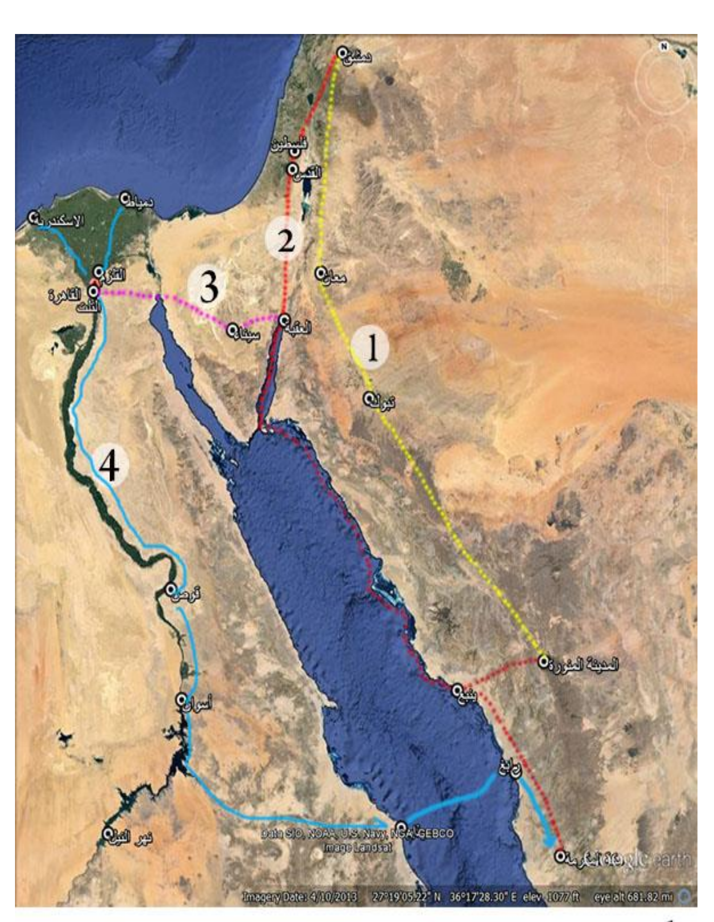
المخطط [1-17]: طريق الحج في عهد الدولة العباسية.

المصدر: بكر، سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص 156.

3-1-3- طريق الحج الشامي خلال فترة وجود الصليبيين في جنوب الأردن:

في هذه الفترة، اضطرب مسار درب الحاج الشامي، وانقطع الطريق لفترة طويلة نتيجة قرصنة الصليبيين لاسيما في الاردن فلقد وصل الاحتلال الصليبي إلى الكرك، وهدد قوافل الحج والتجارة فكان حجاج الشام يبتعدون في مسارهم إلى الداخل، بل كان الكثير منهم يضطر إلى مرافقة موكب الحجاج العراقيين، وظل هذا الاضطراب في دربي الحاج الشامي والمصري قرابة قرنين كما أشار إلى ذلك المقريزى (من اعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة) [1].

وقد شهد ابن جبير الحجاج الشوام يرافقون موكب الحاج العراقي في عودته من الحج في سنة 580 هـ، إبان احتدام الحروب الصليبية وحدث مثل ذلك في غزو التتار للعراق، وفي القرون الثلاثة من انتشار الإسلام بمصر، كان درب الحاج المصري يتحد مع درب الحاج الشامي في وادي القرى جنوب بلدة بعد أن يسير من مدينة نحو الجنوب الشرقي. وبعد الحروب الصليبية عاد درب الحاج الشامي يؤدي مهمته في مساره القديم، وعادت العلا وذلك الأمور سيرتها الأولى، وكان لدرب الحاج الشامي رافدان، داخلي من دمشق إلى معان وتبوك فالمدينة المنورة، وهامشي من جنوب فلسطين إلى العقبة ويلتحم بدرب الحاج المصري؛ الذي يظهر في المخطط [1-19]، فبساحل البحر الأحمر إلى ينبع (النخيل أو البحر) فالمدينة المنورة أو مكة المكرمة، وعرف الدرب في الأراضي الفلسطينية (بدرب غزة)، وظل هذا وضعه طيلة حكم المماليك بمصر والشام المخطط [1-18]، حتى ظهر الأتراك العثمانيون، وامتد الإسلام نحو آفاق جديدة في الشمال، وظهر رافد جديد أخذ يغذي درب الحاج الشامي، كان هذا الرافد يضرب بمنابعه في آسيا الصغرى والبلقان، وفي بلاد الصرب والبلغار وهكذا مر درب الحاج الشامي بطور آخر زاد من تدفق الحجيج خلاله [2].



1 طريق الحج الشامي عند التحاقه بطريق الحج المصري البحري
2 طريق الحج الشامي عند التحاقه بطريق الحج المصري البحري
3 طريق الحج المصري بعد أن تحول من سيناء إلى عيذاب نتيجة سيطرة الصليبيين بعد سيطرة الصليبيين على بلاد الشام وأرض فلسطين
طريق الحج المصري البحري

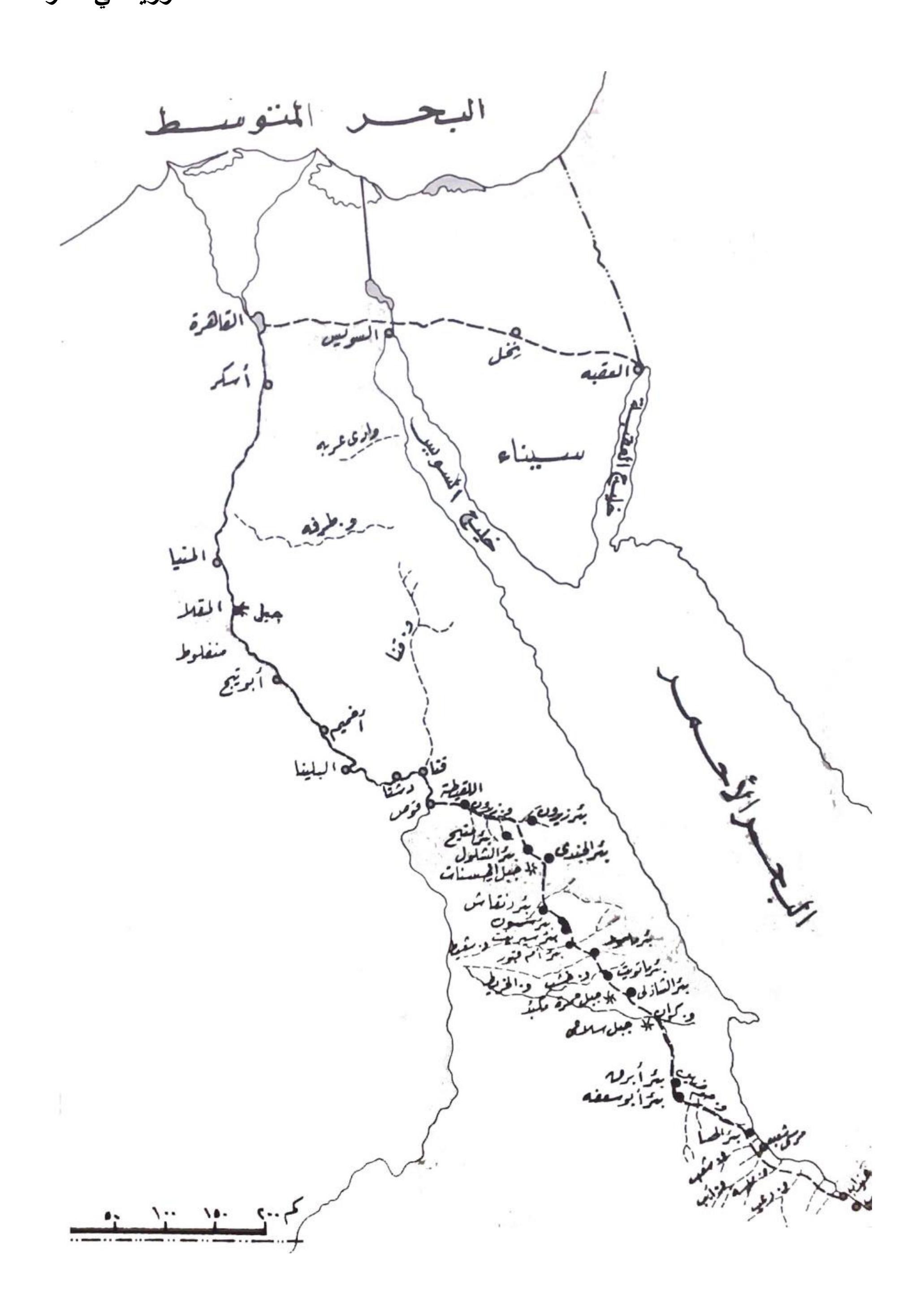
المخطط [1-18]: طرق الحج الشامي أثناء الحروب الصليبية.

المصدر: الباحثة.

---

[1]-بكر سيد الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص 171

[2]-المرجع السابق ذكر، ص ص (169-170).



المخطط [1-19]: طرق الحج المصري أثناء الحروب الصليبية.

المصدر: بكر، سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص 97.

3-1-4- طريق الحج الشامي خلال العصر المملوكي:

كان طريق الحج في العهد المملوكي نفسه تقريباً في العهد العثماني، باستثناء العناية الزائدة التي قدمها العثمانيين للطرق.

3-1-5- طريق الحج الشامي خلال العصر العثماني:

كان من أحد نتائج اتساع الدولة العثمانية هو ازدهار الحج في العصر (المخطط [1-20])، ولذلك عنى العثمانيون بتحسين الدرب الحاج الشامي نظرا لأهميته، فقاموا بتشيد القلاع لحراسته وحفر الآبار وبناء البرك والخزانات خدمة للدرب، وتسهيلاً لمسيرة الحجيج، فمثلما امتدت أيدي العباسيين بإصلاح درب زبيدة ومثلما امتدت أيدي المماليك بإصلاح درب الحاج المصري، امتدت أيدي العثمانيون لإصلاح درب الحاج الشامي. (الصورة [1-6] قافلة الحجاج في المدينة المنورة) [1]

سار بدرب الحاج الشامي في الفترة العثمانية، كل من الموسوي المدني في سنة 1039هـ، والخياوي في سنة (1080هـ) والزياني في سنة (1208هـ) وذكر الموسوى تفاصيل منازل درب الحاج الشامي في (رحلة الشتاء والصيف) -فذكر- الكسوة المنزل الأول بعد دمشق، خان ذي النون (دنون)، صنمين، المزيريب، المفرق (وادي القديم)، الزرقا، البلقاء القطراني، الحسا، عنيزة، معان، بطن الغول، ذات حج، تبوك، الأخيضر، المعظم، الأقرع، المبرك (مبرك الناقة)، مدائن صالح، العلا، مطران شعب النعام (النعم)، هدية، وادي القرى[2]، يظهر المخطط [1-21] طريق الحج الشامي في العصرين المملوكي والعثماني.

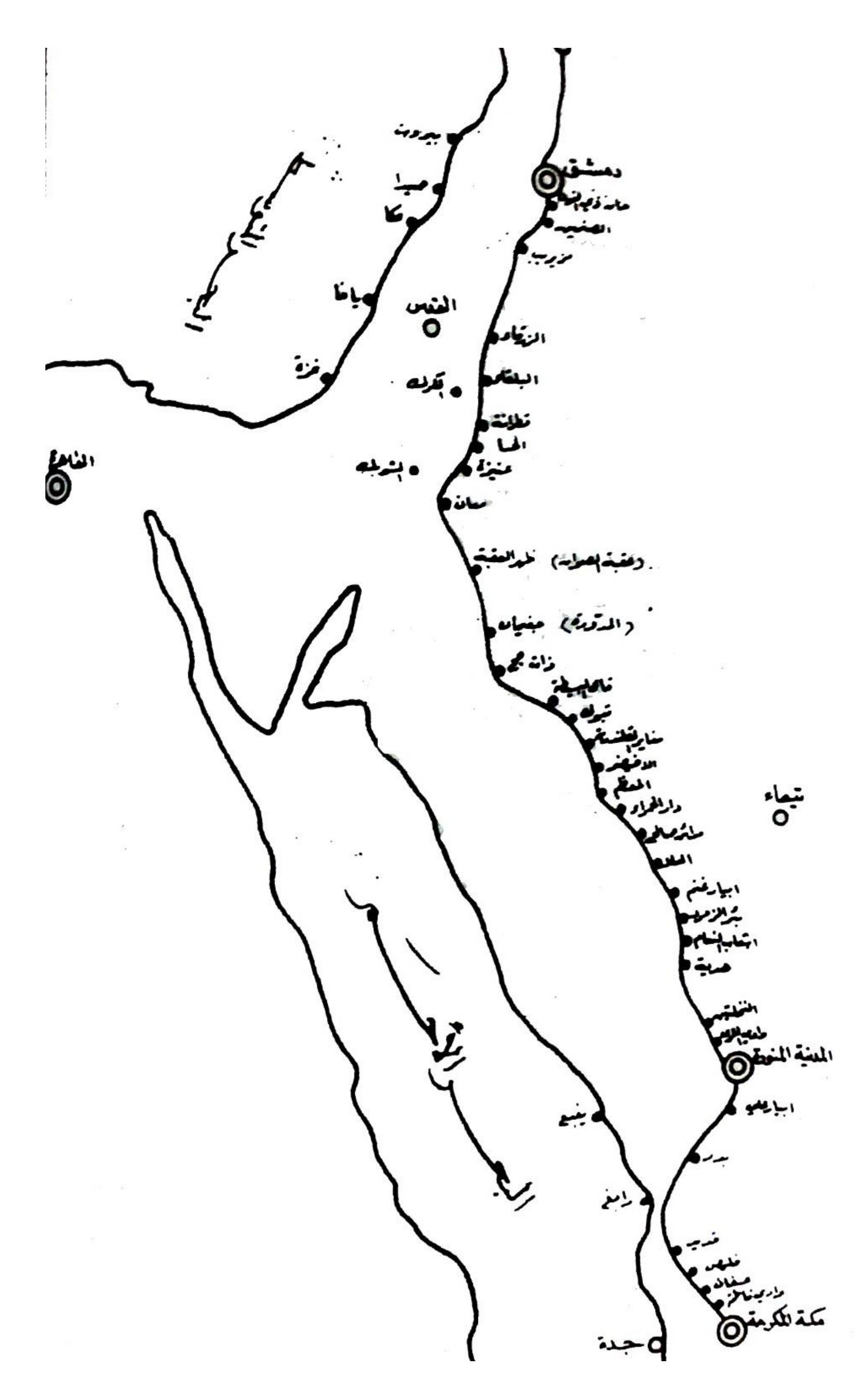


المخطط [1-20]: الدولة العثمانية في أوج اتساعها.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص137.

---

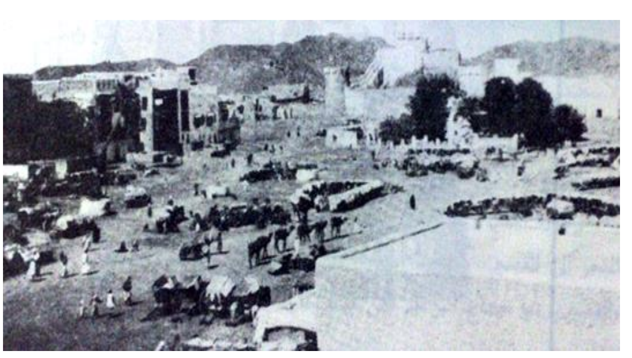
[1]-بكر، سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص (169-170).
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 172.



المخطط [1-21]: طريق الحج الشامي في العصرين المملوكي والعثماني.

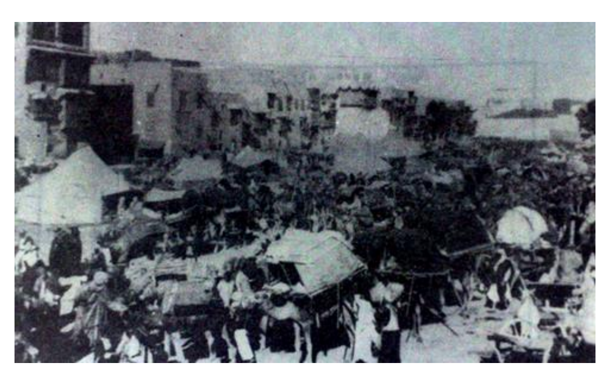
المصدر: غبان، علي، بحوث في التاريخ والآثار.

غير أنه بُدأ في مستهل القرن العشرين بتطوير جديد لطرق الحاج الشامي، كان ذلك بمد خط الحجاز بين دمشق والمدينة المنورة، وكان هذا الخط تطويراً للدرب يهدف إلى راحة الحجاج، وتسهيلاً لأداء الفريضة، وبلغ طوله 1302 كم، تقطعها القطارات في أربعة أيام. ولاشك أن المهندسين الذين قاموا بدراسة ميدانية لمحطات خط الحجاز الحديدي تتبعوا مسار طريق قوافل الحاج الشامي لهذا جاءت محطاته مطابقة لمنازل درب الحاج الشامي كما ذكرها كل من الموسوي والزياني وأن اختلفت في بعض المواضع نتيجة ظروف فنية أو اقتصادية أو عمرانية أو عقبات. فعلى سبيل المثال يسير الخط من دمشق إلى الكسوة مع درب الحاج، ويفترق بعد الكسوة عن درب الحاج الشامي فدرب القوافل يسير بعدها إلى خان دنون وصنمين، والمزيريب، كمنازل للدرب ذكرها الموسوي والزياني، ويعود بعدها الخط الحجازي فيتجه مع الدرب في درعا والمفرق والزرقاء ثم يختلفان بعدها فالخط الحديدي يسير إلى عمان ودرب قوافل الحاج يسير إلى البلقاء. ثم يجتمعان في خان الزبيب ويظل الخط الحديدي يساير درب قوافل الحاج في أغلب محطاته حتى المدينة المنورة (الصورة [1-7]) فمن خان الزبيب حتى المدينة المنورة تتفق مسيرة الخط الحديدي مع مسيرة الدرب[1].



الصورة [1-6]: حي المناخة بالمدينة المنورة سنة 1909م، وقد خصصت المنطقة كمحطة للقوافل.

المصدر: بكر، سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص 213.



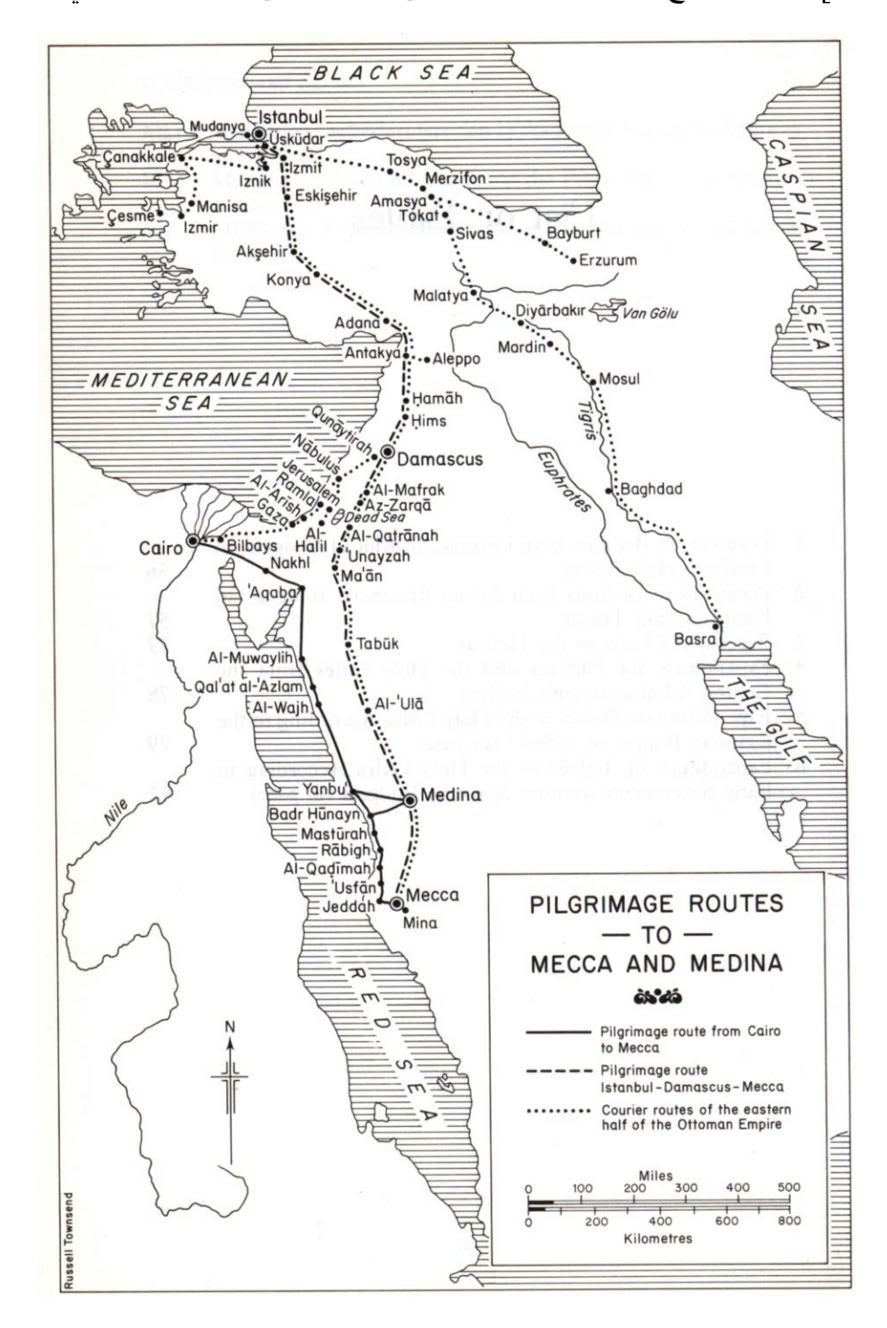
الصورة [1-7]: قافلة الحجاج بحي المناخة في المدينة المنورة.

المصدر: بكر سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص 213.

[1]-بكر سيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ص (173-174).

2-3 - مسار الحج الإسلامي في الفترة العثمانية (البعد المكاني):

يبين المخطط [1-22] مسار الحجاج بدءا من أسطنبول وحتى الوصول إلى مكة المكرمة، في الفترة العثمانية.



المخطط [1-22]: مسار الحج بدءاً من اسطنبول وصولاً للأراضي المقدسة.

المصدر: Faroqhi Suraiya, Pilgrims and Sultans, I.B.Tauris&Co Ltd, London, New York. ,1994. P1.

1-2-3- انطلاق القافلة من استانبول:

يغص مركز الوثائق التاريخية بدمشق بالعديد من الوثائق في سجل دمشق وحلب والتي تضم الأوامر (الفرمانات) السلطانية بشأن أموال الصر، وحمايتها من العابثين والمعتدين وإيصالها إلى أصحابها...، ومن ذلك الأمر السلطاني لعام (1181) هـ الموجه إلى جميع المسؤولين في الدولة، للاهتمام بقافلة الصرّ مع الحجاج إلى الديار المقدسة، وجاء فيه: "بدأ من اسكدار ووصولاً إلى الشام الشريفة مروراً ببرالأناضول..."[1]، (الشكل [1- 2]) .

الشكل [1-2]: وثيقة عثمانية تشرح أخبار الصر.

المصدر: مركز الوثائق التاريخية بدمشق، سجل حلب. الوثيقة (206) لسنة 1182هـ.

فبدءاً من شهر رجب تشمل الحركة جميع أنحاء اسطنبول، لأن موعد إرسال المحمل النبوي الشريف إلى مكة المكرمة قد اقترب، ولأنه يحمل كسوة الكعبة الجديدة، ولأنه يحمل الصرة السلطانية التي تحتوي على هدايا. ففي قصر طوب قابي يستقبل موكب المحمل إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، يدخل السلطان إلى صالة الديوان ويأتي أغوت الحرم بأكياس ممتلئة بسجلات الصرة السلطانية ليتم تسليمها إلى أمين الصرة.

[1]-مركز الوثائق التاريخية بدمشق، سجل حلب. الوثيقة (206) لسنة 1182هـ .

ويخرج الجميع إلى ساحة القصر الكبيرة حيث يكون الموكب جاهزاً للإنطلاق، وهو يتألف من مئات الجمال المحملة بالهدايا ومئات من الفرسان المدججين بالسلاح، وعلى رأسهم جمل المحمل وتبدأ الحركة ويبدأ صوت رخيم بتلاوة القرآن، ويخرج الموكب من حديقة القصر متجها إلى المرفأ، حتى مياه البوسفور حيث يتابع الموكب مسيره بالمراكب الشراعية مبتعداً عن الضفة الأوربية مقترباً من منطقة اسكدار في الضفة المقابلة ...[1] الصورة [1-8].



الصورة [1-8]: موكب المحمل في قصر طوب قابي في اسطنبول.

المصدر: صواش، نوازد، مجلة حراء، ص 29.

ثم ييمم الموكب وجهه شطر ديار الشام مجتازاً أراضي الأناضول مدينة تلو الأخرى وكلما مر على مدينة انضم إليه المزمعون على الحج وأخيراً يصل الموكب إلى الشام شريف...[2].

أخبرنا الزياني تفاصيل رحلته في الحج إلى بيت الله الحرام ذاكراً المدن التي مر بها في الأراضي التركية بقوله: " وأول منزل نزلناه من الاسكدار، قرية يقال لها قرطل، على أربع ساعات، ومنها لقرية قبره، على خمس ساعات، ومنها على ساعتين لخليج سقاية الديل، الخليج خارج من البحر الشامي، قطعناه في الزوارق وسرنا ساعة إلى قرية يقال لها جارسك كولي، ومنها دخلنا في جبال ووادي عبرناه نحو الاثنا عشر مرة يقال لها (قاوركدي) وبالعربي قرية الكفار، وبها نصارى تحت الذمة على خمس ساعات، ومنها لقرية يقال لها خان الوزير، وهذا الخان كان بناه الوزير سنان باشا رحمه الله وهو فندق كبير كأنه مدينة، بقصد أن ينزله الحجاج في زمن الشتاء، فسميت به القرية، وبها مسجد جامع للخطبة، ومنها لمدينة يقال لها السكوت، على سبع ساعات وهي مدينة كبيرة بها أحد عشر مسجداً للخطبة، أقمنا بها وهي للبادية أميل، وبخارجها حمام على عين حارة، وبها صهريج يغتسل به الناس ماؤه في غاية الحرارة، ومنها مسيرنا ليلاً تسع ساعات إلى قرية يقال لها (سيدي الغازي) ومنها ثمان ساعات لقرية يقال لها (بياض كولي)، معناه المدشر الأبيض، ومنها ثمان ساعات لقرية يقال لها (بلودم)، ومنها مررنا بأرض فيها شعاب تجتمع بها المياه في زمن المطر في غابة من الارز ثم ثمان ساعات، ونزلنا على اثنى عشر ساعة على مدينة يقال لها (بآق شهر)، ومررنا قبلها بأرض كثيرة المياه والأشجار والزهار يقال لها (سقلى)، ومنه تسع ساعات على قرية القين، ومنها سافرنا ليلاً وعلى تسع ساعات نزلنا قرية (اللاذن)،...".

---

[1]-صواش نوزاد، مجلة حراء، ص ص (26-27).
[2]-المرجع السابق ذكره، ص ص (26-27).

وتابع لنا الزياني وصف رحلته معدداً المدن والقرى التي بها وهي: (ننيه، أسمل وهي قرية خالية، ومن ثم إلى قربناز وبها خان كبير ينزله الحاج يتسع الآلاف منهم، ومن ثم إلى أركلة (الشام الصغير)، ومن ثم إلى وادي قشلة وبه خان عظيم يسع الآلاف لنزول الحاج وق المطر، يسمى هذا الخان (الرقشلة)، ومن ثم إلى عقبة يقال لها (الصندقلي)، ومن ثم إلى شفرخان، ومنه إلى جبل أوابل، ومنه إلى الشاقط، ومنه إلى آذنة التي تحوي على تسع خطب على حافة النهر المسمى جيجون وهي محل إقامة الحاج، ومن ثمّ إلى قريتي مصيص، ومنهما إلى محل يقال له قرطغراو الذي يحتوي على قلعة وخان لنزول الحجاج فيه مدة يومين، ومن ثم غلى قرية الاسكندرية (الاسكندرونة) على ساحل البحر الشامي ، ومنها لقرية بيلا ، ومن ثمّ إلى مدينة انطاكية العظمى، إلى الزنبن التي تقع على وادي العاصي،..."[1].

3-2-2- مسار الحج في أراضي الشام:

بعد أن يصل الموكب بحمله العزيز ومرافقيه الأوفياء إلى (الشام الشريف)، وهو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على أراضي الشام[2]. ويدخلون أراضي الشام من حلب أولاً وصولاً إلى الديار الشريفة.

أ – قافلة الحج في حلب:

إن طريق حجاج استانبول والأناضول وماوراء الامبراطورية العثمانية وشرق العالم العربي، هو بحق حلب، وكانوا يصلون إليها فرادى أو جماعات، وينطلقون منها، بهذا الشكل إلى دمشق مركز التجمع الرئيسي. فإذا جاءوا جماعات كبيرة فإن تجمعهم يكون في حي (الحاضر) خارج أسوار المدينة القديمة بالقرب من باب أنطاكية (المخطط [1-23] يبين موقع باب انطاكية بالنسبة لمدينة حلب القديمة). وقد دمر المغول الحي أكثر من مرة وقام بدلاً عنه حي الكلاسة الحالي. أما الأفراد والجماعات الصغيرة فتجمع كثير من المسافرين هو في خانات المدينة داخلها أو خارجها كأي جماعات عابرة. وفي حال مجيء الحجاج جماعات كبيرة، يعين والي حلب أو من ينوب عنه أميراً للحج يحمل معه الصرة الواردة إلى استانبول [3].

وقد كان حجاج مدينة حلب ينطلقون من كل فج عميق، ويتوجهون إلى مدينة دمشق، الصورة [1-9]، ويشيعهم والي حلب وكبار القوم من العلماء والأئمة وأصحاب الحرف وغيرهم لمسافة عدة أميال، ويرافق الكثير من الحجاج نساؤهم وأقاربهم إلى مسافة بعيدة، وتنطلق من منطقة جسر الحج، وإنما سمي بذلك لتجمع الحجاج فيه، ومنه إلى خان العسل، ثم إلى قرية خانطومان، ثم التوجه إلى دمشق. ويودع الأهل والأصدقاء القافلة بالأناشيد والأغاني الدينية [4].

ولم يكن وداع الحجيج مقتصراً على منطقة (خان العسل) وإنما امتد للعديد من مناطق (حلب) أشار إليها القاضي (سعد زغلول الكواكبي) رئيس محكمة الاستئناف سابقاً بـ (حلب)عن هذه المناطق قائلاً: «وجدت بين أوراق جدي العلامة (عبد الرحمن الكواكبي) رسالة من جده بعثها إليه من (مكة) يقول فيها سوف أكون في (حلب) ولا أرضى أن يكون الاستقبال أقل من منطقة "السبيل" وهذه العبارة تعني بأن استقبال وفود الحجيج كانت في تلك المنطقة وهذه الرسالة تعود لمئتي سنة قبل الآن...» [5] .

---

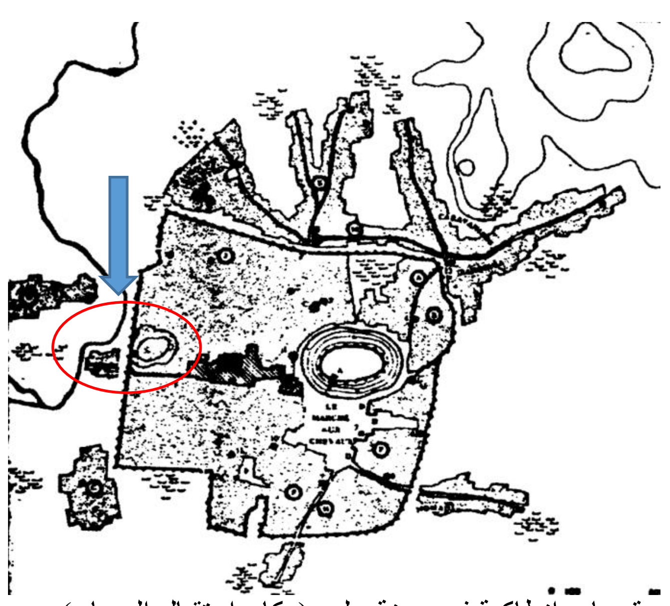
[1] -الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، ص ص (175-178).

[2]-صواش نوزاد، مجلة حراء، ص 27.

[3]-الدكتور، حريتاني، محمود، 2011.

[4]-الجماهير، يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، قافلة الحج الحلبي من سنة إلى ستة أشهر.

[5]-قدسي، فراس. (2010، 20نوفمبر). طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010.



المخطط [1-23]: موقع باب انطاكية في مدينة حلب (مكان استقبال الحجاج).

المصدر: سوفاجيه.


الصورة [1-9]: قافلة الحج الحلبي.

الصورة [1-9]: قافلة الحج الحلبي.

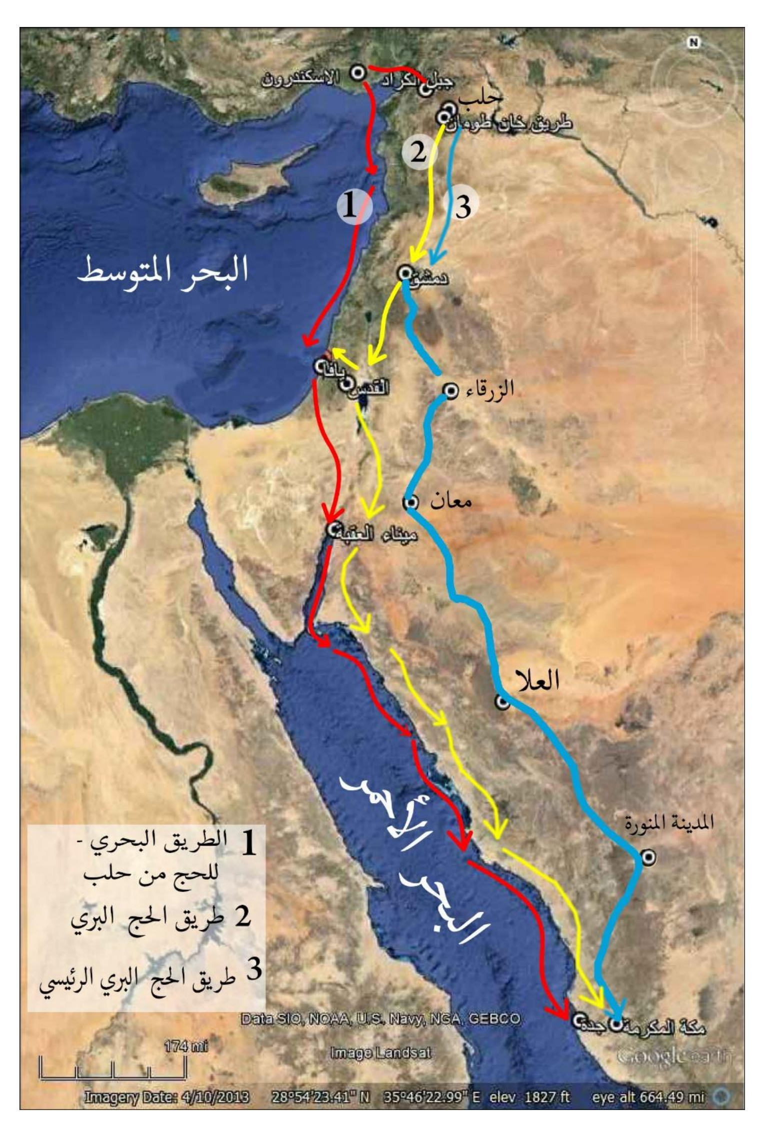
المصدر: قدسي، طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أُسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010

بعض الحجاج في الشمال السوري ينطلقون بحرا إلى مكة وآخرون يسلكون طريقا برياً غير الطريق الرئيسي:

- فمنهم من ينطلقون من حلب إلى الإسكندرون ومنها بحراً إلى جدّة ثم إلى مكة والمدينة [1].
- البعض الآخر يسلك الطريق البري باتجاه فلسطين، المخطط [1-24] يبين طرق الحج من مدينة حلب باتجاه مك المكرمة.

[1]-الدكتور، حريتاني، محمود، 2011.

حيث قال القاضي (سعد زغلول الكواكبي) يقول في ذلك: «وفي أيام الحكم العثماني كان يقول لي أبي إن مسيرة حجاج البيت بدأت من جبل الكراد ومنها كانوا ينطلقون إلى خليج اسكندرون)ليعبروا البحر المتوسط إلى ميناء العقبة ومنها إلى البحر الأحمر ويدخلون أراضي المملكة السعودية وعند الوصول كان الفقراء يقولون للحاج-هلالا ياحاج- وهذه هي اسم العملة المتداولة لديهم، وكان هناك طريق ثان بمنطقة "خان طومان" وهو طريق بري لقافلة الحج حيث كانوا يذهبون منه إلى دمشق ويعبرون فلسطين و القدس ويافا ومن ثم يتابعون فيدخلون مدينة جدة، وكل هذه الرحلة تتم من خلال ركوب الجمل حيث كانت هناك جمال مخصصة لحمل الماء والطعام وهذا الكلام يعود إلى أيام حكم العثمانيين بالمنطقة العربية...» [1].



المخطط [1-24]: طريق الحج البرية والبحرية التي سلكها الحجاج انطلاقاً من حلب.

المصدر: الباحثة.

[1]-قدسي، فراس. 2010، 20نوفمبر. طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010.

ب ـ قافلة الحج في مدينة حماة:

عندما كانت حماة مملكة أيام الأيوبيين كان لها محمل خاص للحج (قافلة حموية خاصة) يقودها أمير الحج، وأحيانا ملك حماة وصاحبها، ولكن أيام العثمانيين أصبحت قافلة الحج الحموية من ضمن قافلة بلاد الشام. وكان للمحمل الحموي (القافلة الحموية) ميزة خاصة حيث خُصص لها مهمة سقاية الحجاج في عرفة مجاناً، وعرف شخص اسمه (العكّام) كان يقود الدواب المحملة بالماء[1].

تعد مدينة حماة من أهم محطات قوافل الحج أيام زمان، حيث كانت تعبرها كافة الحجاج من الأناضول وبلاد الشام الشمالية والساحلية، وكان موسم الحج بالنسبة للحمويين من أكبر المواسم الاقتصادية، حيث كان معظم الحجاج يتبضعون من مدينة حماة، وكانوا يشترون مستلزمات الحج من ((الازار والرداء)) والهدايا الجميلة وغيرها.

وفي حماة يتجمع الحجاج في مكان واحد استعداداً للرحيل فيخرج الناس لوداعهم. فإذا قضوا حجهم سبقهم حاملوا الرسائل (الكتّاب) ولهؤلاء يوم مشهود حين يصلون المدينة بالبشائر، فإذا وصل الحجاج هبت المدينة لاستقبالهم عند باب البلد بالعراضات والطبول[2]. وعادةً ما يكون هذا المكان هو نفس المكان الذي ينطلق منه الحجاج[3]، المخطط [1-25] يبين موقع باب البلد. وتظهر الصور [1-10/11/12]قافلة الحج في مدينة حماة، بعض الحجاج الذين يستريحون بجانب نهر العاصي فيها.



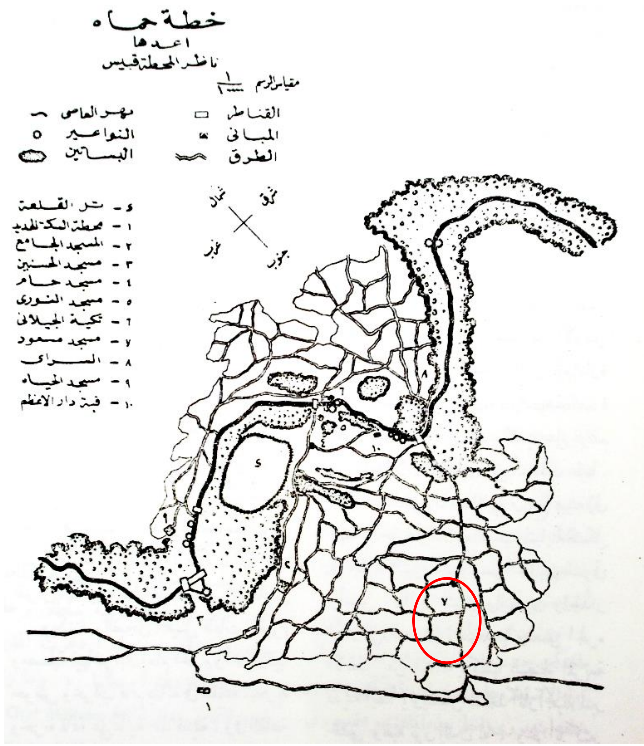
الصورة [1-10]: قافلة الحج في مدينة حماة.

المصدر: الدندشلي، أحمد، موسوعة مدينة حماة الشاملة، ص 230.

1 ـ الأصفر، عبد الرزاق، مجتمع مدينة حماة بين الأمس واليوم، ص 68.

2-المرجع السابق ذكره ، ص 68.

3-الكيلاني، راشد، حماة تاريخ وحضارة، ص333.



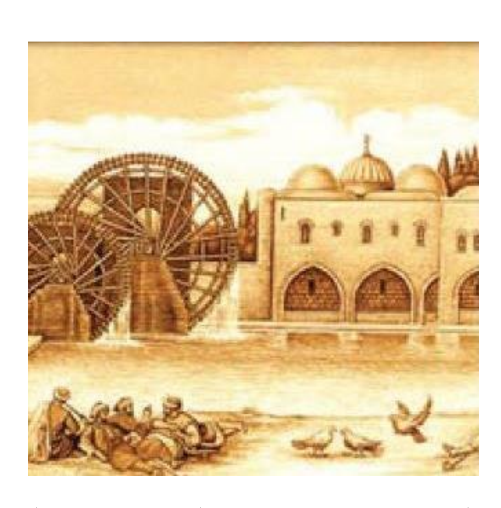
المخطط [1-25]: موقع باب البلد بالنسبة لمدينة حماة القديمة.

المصدر: حماة، في دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثامن)، ص 72.



الصورة [1-11]: بعض الحجاج بجانب العاصي في مدينة حماة.

المصدر: الدندشلي، أحمد، موسوعة مدينة حماة الشاملة، ص 231.



الصورة [1-12]: بعض الحجاج بجانب العاصي في مدينة حماة.

المصدر: الدندشلي، أحمد، موسوعة مدينة حماة الشاملة، ص 231.

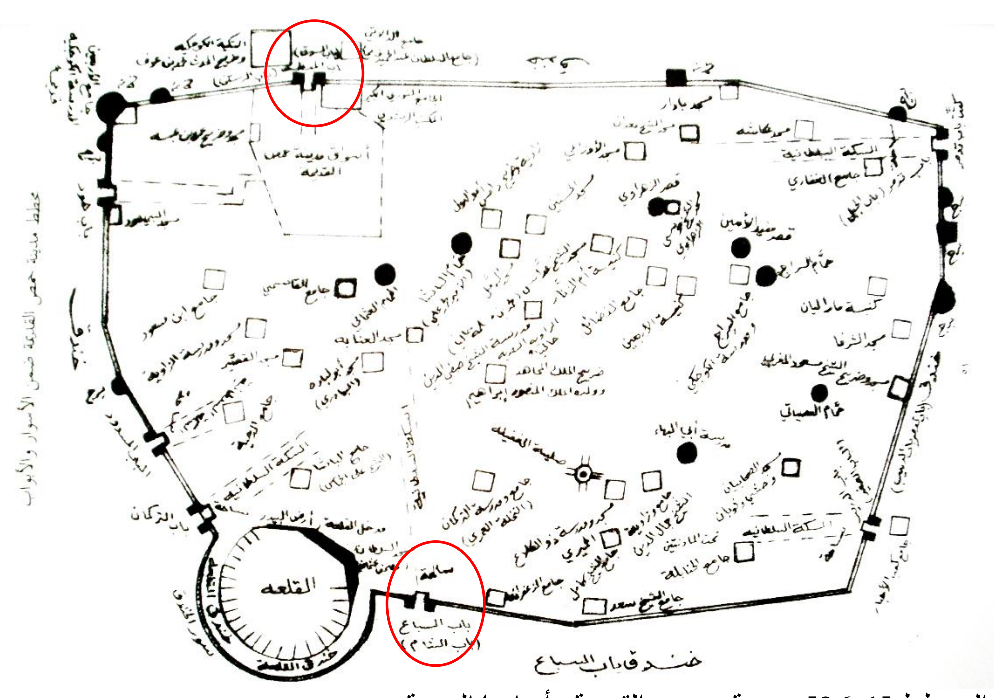
ج ـ قافلة الحج في مدينة حمص:

تصل قافلة الحج لمدينة حمص عند باب السوق في مدينة حمص في الطريق ذاته المؤدي إلى حماة وحلب والمدن الشمالية، وسيترد الحديث عنه في الفصل الثاني، ويبدو في المخطط [1-26]، وتظهر في الصورة [1-13] طريق حماة. وتنطلق قافلة الحج باتجاه دمشق، ويكون ذلك عند باب مدينة حمص المؤدي إلى الشام وهوباب السباع، وسيرد الحديث عنه في الفصل الثاني.



الصورة [1-13]: جامع خالد بن الوليد وإلى الغرب طلعة طريق حماة. عام 1957.

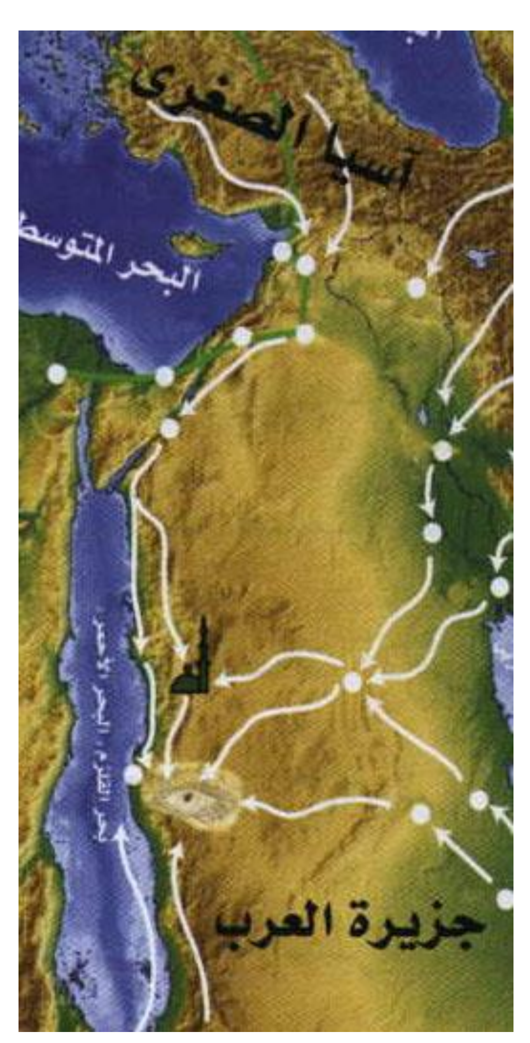
المصدر: الموصلي، محمد ماجد، الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها، ص 236. عن غلاف مجلة الإذاعة.



المخطط [1-26]: مدينة حمص القديمة وأبوابها السبعة.

المصدر: آغا، محمد غازي، مدينة حمص وأوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص51.

د- قافلة الحج في دمشق:



إن طريق الحجاج بين شمال سورية وجنوبها هو الطريق التجاري العادي، لذلك فبعد أن تغادر قافلة الحج الحلبي أراضي حلب، تنطلق نحو حماة فحمص وصولاً إلى دمشق مركز التجمع الرئيسي، الصورة [1-14] تبين قوافل الحجاج المجتمعين في دمشق. ويبين المخطط [1-27] مسارات قوافل حجاج آسيا ومرورها بدمشق باتجاه الديار المقدسة.

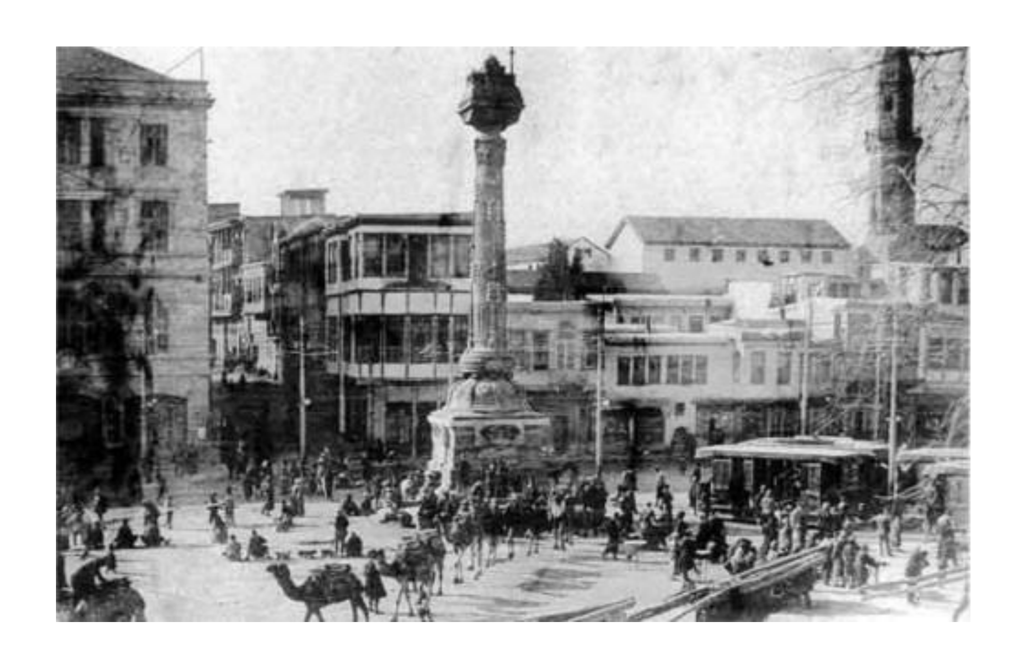
ففي الأسبوع الأخير من شعبان يبدأ توارد الحجاج البعيدين إلى دمشق، تمتلئ المدينة شيئاً فشيئاً بالحجاج طوال شهر رمضان، وفي منتصف هذا الشهر-أوالأسبوع الثالث منه-يصل ركب (الصرة أميني) وهو يبدأ عادة رحلة من القسطنطينية في أحد أيام الأسبوع الأخير من رجب [1].

وقد شملت القافلة الشامية أعداداً كبيرة من الحجاج، كانوا يفدون إلى دمشق في موسم الحج، من المناطق الشمالية والشرقية من داخل الدولة العثمانية وخارجها. وعرف أولئك الحجاج بحسب المناطق التي كانوا يفدون منها، وكان منهم جماعات الروم والحلبين والعجم، فضلاً عن حجاج دمشق، وقد التحق بكل طائفة من هؤلاء جماعات أخرى من خارج الحدود. وكان أكثر هذه الجماعات عدداً من الروم، لأن كلمة (روم) أطلقت على حجيج ماوراء طوروس والفرات. ولم يمر وفد الحج الرومي في الغالب بمدينة حلب، فهو لم يندمج مع الحج الحلبي، أما الحج (وفود الحجيج) العجمي، فكان يأتي إلى دمشق أما عبر حلب، أو مباشرة عبر بغداد والطريق الصحراوي برفقة التجارة للإفادة من الحماية المتوافرة للحجيج [2]، وتظهر الصور [1-15/16] قافة الحج في دمشق.

المخطط [1-27]: مسارات قوافل حجاج آسيا نحو الديار المقدسة.

المصدر: الباحثة.

[1]-الحلاق، أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية، ص ص (67-69).
[2]-كيال منير، محمل الحج الشامي، ص 48.



الصورة [1-14]: اجتماع قوافل الحج بدمشق.

المصدر: قدسي، فراس. (20،2010 نوفمبر). طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أُسترجعت بتاريخ 15شباط، 2010.



الصورة [1-15]: موكب الحج.

المصدر: صواش، نوازد، مجلة حراء، ص 28 .



الصورة [1-16]: موكب الحج.

المصدر: صواش، نوازد، مجلة حراء، ص 28 .

4- الطقوس والمراسم المترافقة مع الاستعداد للحج في المدن المار بها هذا الطريق (تجهيز الصرة، موكب الزيت والشموع، المحمل، الصنجق ...):

4-1-في تركيا:

أخبرنا الزياني المراسم والطقوس؛ التي كانت تتم في الدولة التركية للاستعداد للسفر من أجل الحج باتجاه الدار المقدسة في رحلته التي بدأها من تونس إلى إسطنبول...بقوله: "في اليوم العشرين يقطع الحجاج خليج الأسطنبول لتلك العدوة، وتضرب الخيام خارج مدينة الاسكدار في بسيط من الارض ، حيث أنّ لأهل هذه المملكة اعتناء عظيم بأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، فتسرج منهم المساجد كلها والمؤاذن والأسواق في كل ليلة من لياليها ويخرجون الصدقات للفقراء والمساكين والغرباء وتبيت الأسواق عامرة موقدة والسكك كذلك موقودة، وكل أهل الدور يوقدون على أبواب بيوتهم، فلا ترى المدينة إلا كالنجوم".

وتابع الزياني وصف المراسم والطقوس التي كانت تتم في أثناء رحيل القافلة بقوله: "وفي اليوم الثاني والعشرين، وهو يوم الجمعة أمرنا أمين الصرة بالخروج بعد صلاتها، ولما صلى خرجت الصرة أمامه في موكب عظيم، ومعه الوزير والأمراء وأهل المناصب كلها وأعيان الناس وعامتهم بطبول ومزامير وطرنبطات والخمسة والخمسين والهندقة فلا تسمع إلا أصواتها بكل ناحية ، ونزلوا بالاسكدار وبات الناس كلهم به، وفي الصباح قطعنا الخليج بالزوارق، وكان سفرنا من اسطنبول في الثاني والعشرين من رجب سنة ثمانية ومائتين وألف"[1].

4-2- في مدينة حلب:

4-2-1- الاستعداد للسفر:

إن للقوافل أميراً يسمى (أمير الحج) وكان حجيج أهالي (حلب)، يجتمعون ويشكلون قافلة مؤلفة من الكبار والصغار، وتلتقي القافلة مع القافلة الشامية أثناء رحيلهم من حلب إلى دمشق، والذي كان ينوي الرحيل إلى الحج كان يعلم أنه سوف يغيب ولمدة ستة أشهر عن موطنه ما يوجب عليه أن يأخذ احتياجاته لتلك الرحلة الطويلة، فكان يستعد لها قبل عشرة أيام من سفره ليودع أهله وأصحابه ويطلب منهم السماح ويطلبون منه الدعاء بالخير والبركة لهم[2].

كان الاستعداد لتأدية مناسك الحج، يتم قبل عدة أشهر؛ لتحضير الطعام والشراب، وكان الحجاج يتزودون بالأطعمة من دكاكين حجيج (أي الدكاكين التي كان يتبضع منها الحجاج)، ومنهم من يأتي من خارج المدينة؛ من البدو والريف وأهل العراق وإيران، ويتمركزون عند الجامع الكبير للاستراحة، والاستعداد للسفر براً مشياً على الإقدام، وكل مؤنتهم الطحين والبرغل (فقد كانوا يسفون الطحين) مع جرعة من الماء عند جوعهم. وكانت هذه الرحلة تبدأ قبل ستة أشهر، والبعض كان يسافر قبل ثلاثة أشهر، على الجمال والحمير والبغال، والبعض من الميسورين على البواخر، وفي القرن التاسع عشر على متون القطارات عندما كان خط الحجاز الحديدي يعمل قبل وقوفه[3].

---

[1] --الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، ص ص (173-174).

[2]-قدسي، فراس. (2010، 20 نوفمبر). طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010.

[3]-د.ن. (2011، 17 نوفمبر). قافلة الحج الحلبي من سنة إلى ستة أشهر. الجماهير: يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.

وكان الذهاب إلى الديار المقدسة محفوفاً بالمخاطر ومكابدة الأهوال؛ فكان الحجاج يسيرون بشكل قوافل، تتعرض أحياناً للسلب والنهب والغزو من قبل قطاع الطرق والقراصنة والغارات، عدا شح المياه وقد تضطر كما ورد في كتاب (تاريخ حلب الطبيعي) عندما تضطرها المشاحنات والاقتتال إلى تغيير طريقها المعتاد، لتفادي الوقوع وسط القبائل المتنازعة، إذ تتوقف سلامة القافلة على الاتفاق الودي بين القبائل، ولهذا يقولون: "الذاهب مفقود والعائد مولود"[1].

4-2-2- لباس الحجاج ومتاع الرحلة:

الألبسة التي كان يرتديها حجاج بيت الله أثناء الرحيل بيّنها (ميري) بالقول: «كان لباسهم (القمباز) وهو من القطن إضافة (للصاية) و(الشالة) التي توضع على (القمباز) وعلى رأسهم (العرقية البيضاء)، وكان للطعام عند الحلبيين نكهة خاصة حيث كانوا يأخذون معهم (البرغل) و (الرز) و(السمن) و(الزيت) استعدادا لتلك الرحلة الطويلة وهذه العادة إما من باب التوفير أو الخشية من عدم توافر الطعام الذي يرغبون به، ولبعض الحجيج طقوس معينة حيث كانوا يأخذون معهم كفنهم- لباس الميت- لكي يغسلونه بماء (زمزم) فإن ماتوا في "الحج" كان كفنهم جاهزاً وإن عادوا بالسلامة كان "الكفن" مباركاً ومطهراً.. تلك عادات بعض الحجيج في تلك الفترة[2] .

وكانوا يتزودون كذلك بالكعك المعروف بالشرك، وهو من الطحين الخاص، يعجن مع المحلب والمستكا وماء الزهر، ومن أنواع الكعك ما يعرف بالخلاخيل وهو كعك ممزوج باليانسون وحب البركة ومنه أنواع بالسمسم كالمبروم، وكل ذلك قد استخدم لتموين قافلة الحاج الشامي[3].

4-2-3- عودة قافلة الحج الحلبي:

أشار (عادل ميري) حول هذا بالقول: "حينما يقولون أهالي الحجيج- جاي الحجّاج- يعني أن هناك تجمعاً لاستقبال الحجاج الوافدين وأن هناك قافلة قادمة سوف تجتمع عند أسوار- مداخل- (حلب)، فكانت نقطة التلاقي الأولى في الغالب بمنطقة (خان العسل) حيث يجتمع الأهل والأصدقاء هناك لكي يسلّموا على الحاج ويرحبوا به، حيث يظهر الحاج وقد ارتدى قمبازاً أبيض وعلى رأسه قماشة بيضاء ويقال له "حجاً مبروراً وسعيا مشكورا"، من هذه النقطة وبرفقة الأهل والأصحاب يذهبون إلى بيت الحاج وعند الوصول تبدأ مراسم الاستقبال من خلال السيف والترس وقبل الدخول كان بعض الحجاج يعمدون إلى ذبح الأضاحي بحيث تقام الأفراح والأناشيد بالعودة إلى دياره، ليتم بعدها تناول الطعام من قبل جميع المشاركين بالتهنئة وكانت تحتوي المائدة على مختلف أصنفة الأطعمة... وتمتد هذه الولائم لمدة ثلاثة أيام على التوالي، ليقوم الحاج بعدها بتقديم هداياه لضيوفه وتحتوي على ثلاث قطع من السبحة، والتمر، وماء زمزم، وأحياناً كانت توزع أيضاً سجادة صلاة، ثم يجلس الحاج مع زائريه ليحدثهم عما رآه أو سمع به وما طقوس الحج وما شعر به طوال فترة الحجيج»[4].

---

[1]-د.ن. (2011 ،17نوفمبر). قافلة الحج الحلبي من سنة إلى ستة أشهر. الجماهير: يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.

[2]-قدسي، فراس. (2010، 20 نوفمبر). طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أُسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010.

[3]-د.ن. (2011، 17 نوفمبر). قافلة الحج الحلبي من سنة إلى ستة أشهر. الجماهير: يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.

[4]-قدسي، فراس. (2010، 20 نوفمبر). طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أُسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010.

4-3- في مدينة حماة:

فقد ذكر المكناسي في رحلته للحج عام 1786م ذلك بقوله : ولما حططنا الرحال بظاهرها ((يقصد حماة)) خرج أهل المدينة بجميع الأشياء للبيع والفواكه الموجودة في الوقت ولا سيما المشمش الحموي منسوب إليها فإنه في الغاية صادق الحلاوة، وكذا الأردية والإزار التي يحرم بها الناس فيها فمن هذه المدينة تشرى، فاشترينا منها كما فعل الناس .

كما كان قادة القوافل فيها يحملون في كثير من الأحيان على قطعانهم من الإبل والبغال أحمال الحجاج وأحمل أمير الحج. وكان ذلك من اختصاص عرب السخانة ، وكان متسلم حماة يتعاقد من شيخ عرب السخانة المقيم بحماة على استجار مجموعة من الإبل ليحمل عليها أحمال مؤونة الحج من حماة إلى مزيريب ثم مكة فعرفات وبالعكس.

كما كان امير لواء حماة هو الذي يقود هذه القافلة حتى يضعها تحت اشراف أمير الحج الشامي، وعند العودة من الحج مروراً بحماة ، كانت حماة تستعد لاستقبال الحجاج حيث كان الحجاج يحطون الرحال بها ويقموا في خاناتها ويغتسلون بحماماتها ويشترون المؤن والهدايا وغير ذلك.كانت وما زالت حماة من أهم المدن الشامية على مر التاريخ والأزمان تأسرك باسمها وحميمية أهلها ، حماها الله من كل شر وسوء[1].

4-4- في مدينة دمشق:

4-4-1- الدورة:

يتأهب الباشا للخروج للحج قبل حلول موسمه بنحو ثلاثة أشهر، ويبدأ هذا التأهب بالخروج (للدورة)، وهي جولة تفتيشية يقوم بها الباشا وبعض جنده في جهات نابلس وعجلون.

وقد جرت العادة أن يخرج الباشا للدورة في أواخر رجب أو أوائل شعبان ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال، وقد يتقدم خروجه للدورة عن هذا الموعد فيخرج في أواخر جمادى الثانية أو في أوائل رجب. وقد يتأخر إلى أوائل رمضان وعليه أن يعود مسرعاً إلى دمشق، لأن العادة جرت أن يخرج الحاج وركب المحمل في منتصف شوال[2]، (المحمل في الصورة [1-17]).



الصورة [1-17]: محمل الحج.

المصدر: صواش، نوازد، مجلة حراء، ص 28 .

[1] - الدندشلي، أحمد، موسوعة مدينة حماة الشاملة، ص ص (229-233).
[2]-الحلاق، أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية، ص ص (66-67).

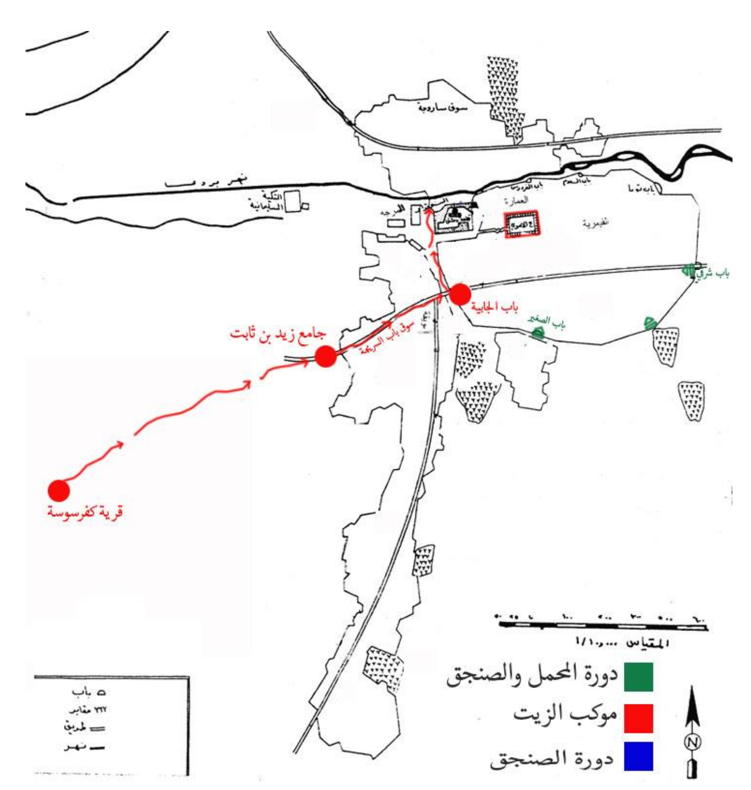
2-4-4-أيام الاحتفال بعائدات قافلة الحج الشامي:

أولاً– يوم الزيت:

وهو الموكب الذي يتوجه بالوالي أو رئيس البلاد إلى الجامع الأموي لأداء صلاة العيد...فيخرج الناس من دمشق وبخاصة الأحياء القريبة من الجامع الأموي ومن ريف دمشق للفرجة والسلام.

أما في اليوم الثاني من العيد، فتبدأ مراسم الاحتفالات بمدينة دمشق، لانطلاق قافلة الحج الشامي بيوم الزيت الذي كان يرسل كل سنة إلى الحرمين الشريفين، وهو مرتّب على قرية كفرسوسة (المخطط [1-31] يبين موقع قرية كفرسوسة بالنسبة لدمشق القديمة) التي اتصلت اليوم بعمران مدينة دمشق، وتقع غربي مدينة دمشق للقبلة. فيجلب ذلك الزيت في أوعية خاصة وتوضع في صناديق من خشب محمولة على ظهور الإبل المزركشة، وتمشي في مقدمة تلك الجمال المرافع (الدربكات) والطبول المزركشة أيضاً.

فإذا وصل الموكب إلى مدخل في باب السريجة من جهة الغرب بالقرب من مقام الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري، يتجه الموكب إلى سوق حيّ باب السريجة، يتقدمه صنجق أخضر بشراشيب حمراء داكنة، مكتوب عليه بعض العبارات الدينية وخلفه المرافع والطبول، ثم يتابع الموكب سيره إلى باب الجابية، ثم إلى سوق الدرويشية فإلى تجاه المشيرية (السراي) حتى يأتون إلى مركز (الكلار) المخصوص بأدوات وعوائد الحج في منطقة السنجقدار، [1] المخطط [1- 28].



المخطط [1-28]: خط سير موكب الزيت.

المصدر: الباحثة.

---

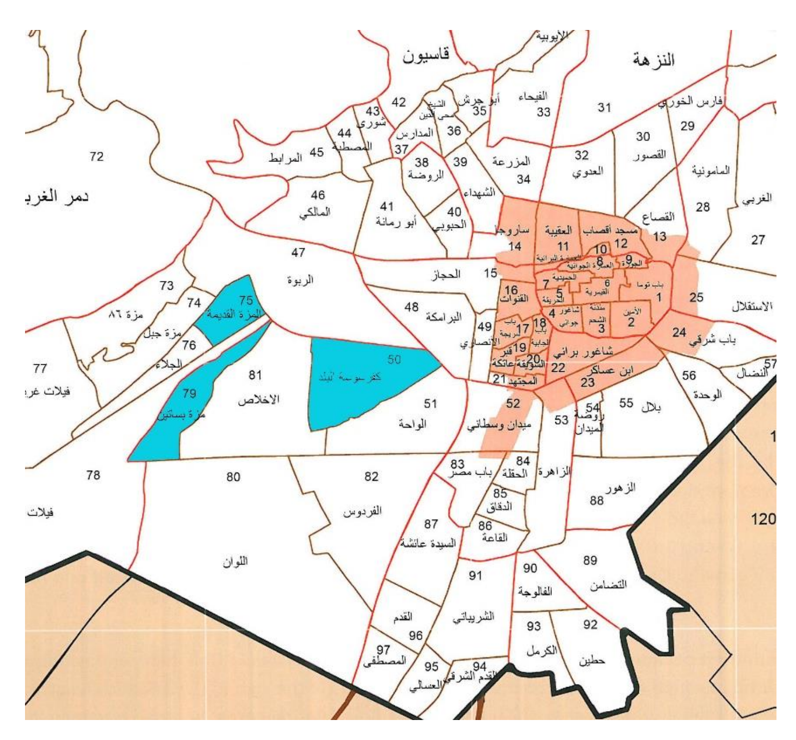
[1]-كيال منير، محمل الحج الشامي، ص ص (107-108).

ثانياً – يوم الشمع وماء الورد والملبس:

ويكون اليوم الثالث من عيد الفطر للاحتفال بيوم الشمع، شمع الحرمين الشريفين الذي كان يرسل من دمشق كل عام على أن يسكب في دار أحد الوجهاء ويحفظ ذلك الشمع في الكلار.

كما يحتفل في ذلك اليوم بحمل ماء الورد، وكان مفروضاً على قرية المزة، وقد أشار إلى شهرة المزّة بالورد شيخ الربوة،(المخطط [1-29] يبين وقع المزة بالنسبة لدمشق القديمة)، وقال: إن ماء ورد المزّة كان يصدر بوفرة إلى الحجاز و العراق والهند. لما كان للمزة من صحة الهواء وصفاء الماء... وطيب الثمار، وكثرة الزهور والورد، واستخراج الماء من الزهر، فلا يكون لرائحته نظير فهو ألذّ من المسك طوال مدة الإزهار.

كما يحمل في هذا اليوم الملبس والسكاكر اللذان يهديان إلى الحرمين الشريفين، ويكون ذلك السلطانية، وهي تصدح بألحانها، وخلفها المؤذنون والأشراف من آل البيت النبوي والذاوات (الوجهاء) والعامّة. وموائد البخور بين الركب وعن يمينه وعن يساره حتى وصولها إلى مركز الكلار [1].



المخطط [1-29]: موقع موقع قرية كفرسوسة والمزة بالنسبة لمدينة دمشق القديمة.

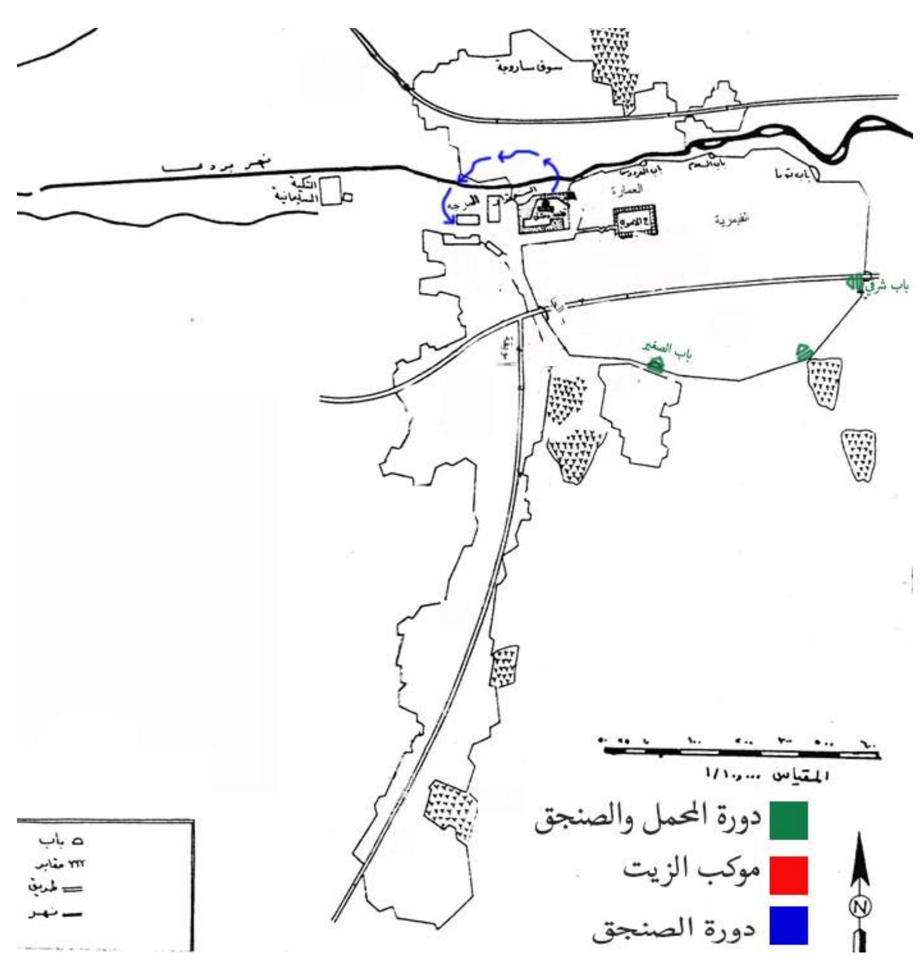
المصدر: أطلس مدينة دمشق، مشروع تحديث الإدارة البلدية بالتعاون مع مديرية دمشق القديمة، 2009، ص 9.

[1]-كيّال، منير، محمل الحج الشامي، ص 109.

ثالثاً- يوم دورة الصنجق:

الصنجق: هو علم النبي (ص)، وقد انتقل الصنجق إلى الأمويين ثم إلى العباسيين، ومن ثم إلى الفاطميين بالقاهرة. وأعيد إلى دمشق على يد السلطان سليم الأول، بعد القضاء على دولة المماليك. ونقل إلى استانبول بواسطة الصدر الأعظم سنان باشا ووضع تحت حماية (كزلار أغاسي) في غرفة خاصة من الباب العالي أطلق عليها اسم: (خرقة شريف أودة سي)، ولم يسمح إلا لقلّة بلمسه. ومن ثم أصبح الاحتفال بيوم الصنجق بالسنجق السلطاني تقليداً.

ويكون موكب يوم الصنجق في اليوم الرابع من شهر شوال، حيث يحتفل بخروج الصنجق من القلعة ويحمله جمل يمسك به موظف خاص، فيخرجون الصنجق بعد صلاة الظهر من باب القلعة المعروف بباب البوابيجية، إلى سوق السروجية، ثم إلى المشيرية (السراي) فيستقبله والي دمشق أو من في حكمه. ومن ثم يوضع الصنجق في المشيرية إلى يوم خروج القافلة إلى الديار المقدسة بالحجاز[1]، المخطط [1-30] يبين دورة الصنجق.



المخطط [1-30]: دورة الصنجق.

المصدر: الباحثة .

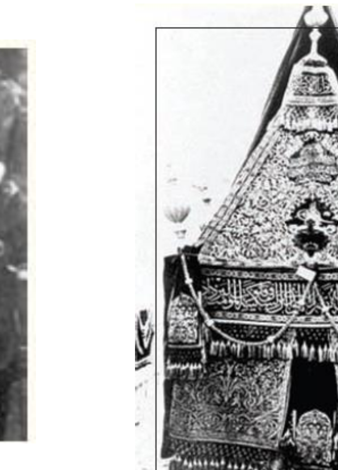
[1]-كيّال، منير، محمل الحج الشامي، ص ص (110-111).

رابعاً - موكب دورة المحمل والصنجق بدمشق:

قال ابن طولون الصالحي في مفاكهة الخلان، أنهم قاموا في صبيحة ليلة النصف من شهر رمضان سنة (924) هـ وداروا بالمحمل دورة دمشق (الصورة [1-18])، ومعه خيول ملبّسة وهجن مكوّرة وجمال مرحّلة درجاته مدرّعة. وسنة (924) هـ هي السنة التي تلت زوال المماليك وانتقال السلطة إلى العثمانيين، وكانت هذه الدورة على الهيئة التي كانت زمن المماليك الشراكسة، غير أنه مكتوب عليهما (المحمل والصنجق) اسم سلطان الروم (الأتراك) الملك المظّفر سليم خان ابن عثمان... وقد جلس النائب جان بردي الغزالي في الشبّاك الكبير، من شبابيك حرم جامع يلبغا، المطلّ على تحت القلعة، وجيء بجمل المحمل إلى قدّامة، فبرك على ركبتيه. ثم نهض كأنّه يقبّل الأرض له...[1])

أما ماذكره ابن كنان، وما أثبته الشيخ دهمان في ملحق أعلام الورى عن هذا الموكب فجاء فيه: " تم تدبير الموكب لأجل الحج وهي الدورة التي تصير في اليوم الثامن من شهر شوال، تدوير المحمل والصنجق بعساكر الشام ودولتها حتى أولاد الشربجية الصغار. وذلك حول سور مدينة دمشق من جهة الجنوب والشرق والشمال .فتجتمع تلك العساكر من طلوع الفجر، فيخرج من باب السرايا، السكمانية والأرناؤوطية واليتتشرية والسباهية (لخيالية)ورئيسها يسمى صوباشي والزعماء وعسكر القلعة وأغواتهم وأكابر الدولة، وقاضي المحمل متعمم، وباش دفتر دار وآغة القلعة متعمم، وكاتب الينتشرية بعمامة، (الصورة [1-19] تظهر محمل الحج.

ثم يخرج أمير الركب مستعينا على هذا الجمع الكثيف. فيخرج من طريق السنانية، إلى مرقص السودان (يعرف اليوم بشارع البدوي) إلى طريق الشاغور، فباب كيسان إلى باب شرقي، ثم إلى الشيخ أرسلان الدمشقي، فعلى برج الروس والسادات، فالعمار والآبارين... ويمرون بالسروجية ثم من الحدرة إلى قدّام السرايا، ثم يدخل الأمير والمحمل والصنجق الشريف والريش قدّامة، فيسجلوا على الأبواب (الباب الظاهري) إشارة إلى عظمة الباب وضخامته بالسرايا، وتقدم لهم الضيافة من سائر الألوان...ثم يطوى المحمل، وتوضع جميع حليّه في صناديق مختومة إلى يوم طلوع موكب الحج الشريف إلى الحجاز [2]. المخطط [1-31] يبين دورة المحمل والصنجق.



الصورة [1-18]: محمل الحج.

المصدر: صواش، نوزاد، مجلة حراء، ص27.

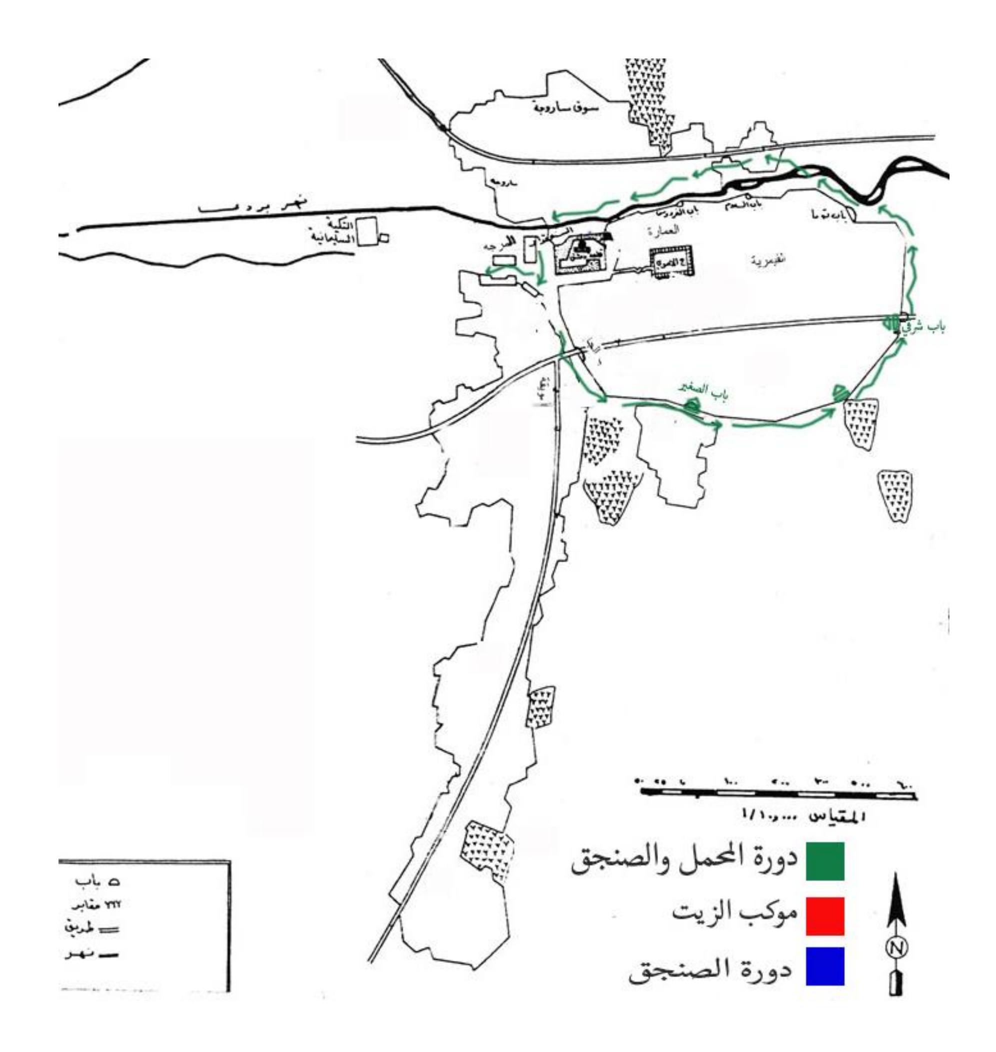


الصورة [1-19]: محمل الحج .

المصدر: صواش، نوزاد، مجلة حراء، ص28 .

[1]-ابن طولون، شمي الدين، مفاكهة الخلان ج2، ص 86.

[2]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص ص (111-113).



المخطط [31-1]: مسار دورة المحمل والصنجق بدمشق.

المصدر: الباحثة.

3-4-4 - موكب خروج المحمل والصنجق إلى الحجاز (قافلة الحج):

إذا ما انتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب المحمل قد تمت، فيخرج أمير الحج من سراي الحكم بقرب القلعة على رأس المحمل بين 15 و17 شوال ويتخذ طريق الميدان مجازاً ثم الميدان الفوقاني إلى باب الله في طريق تمتد نحو ثلاثة كيلو مترات، متجهاً إلى قرية المزيريب، وهي إحدى قرى حوران وتبعد نحو مائة كيلو متر جنوبي دمشق.

وبعد خروج موكب الحج ببضعة أيام، من يومين إلى خمسة تخرج قافلة الحج الشامي من نفس الطريق، ويتلوها الحج الحلبي ومعهم حجاج العجم، أو قد يأتون في قافلة خاصة بهم، ويتجه الجميع إلى قرية المزيريب نقطة التجمع النهائي، ويقضون بها بضعة أيام (من 4 إلى 7أيام) ريثما يعدون أنفسهم للرحلة الشاقة إلى بلد الله الحرام، تظهر الصورة [1-20] المحمل الشريف بانتظار التحرك لأرض الحجاز.

إذا ما انتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب المحمل قد تمت، فيخرج أمير الحج من سراي الحكم بقرب القلعة على رأس المحمل بين 15 و17 شوال ويتخذ طريق الميدان مجازاً ثم الميدان الفوقاني إلى باب الله في طريق تمتد نحو ثلاثة كيلو مترات، متجهاً إلى قرية المزيريب، وهي إحدى قرى حوران وتبعد نحو مائة كيلو متر جنوبي دمشق. [1].



الصورة [1-20]: المحمل الشريف بانتظار التحرك لأرض الحجاز.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.

أ ـ مسار الحج في دمشق (من السراي وحتى العسالي):

وصف لنا ابن طولون الصالحاني في مفاكهة الخلان مسار قافلة الحج في يومياته فقال: "كان يوم طلوع الركب يوماً مشهوداً في دمشق، ويكون بين اليوم الخامس والسادس عشر من شهر شوال. ويخرج فيه موكب الحج مع المحمل والصنجق بطرازهما الموشّى البديع المزركش بالقصب المذهب، باحتفال مهيب من باب المشيرية (السرايا،الصورة [1-21])، فيخرج هذا الموكب من باب المشيرية (السراي) الواقع في مبتدأ سوق الدرويشية، الممتدّ من تجاه باب القلعة إلى تجاه باب الجابية، ولم يزل يسير الهوينا الهوينا، إلى باب مصر المعروف ب (بوابة الله) كونه يؤدي إلى مكة المكرمة. وكان سوق الدرويشية، سوقاً عامراً بالحوانيت المختلفة الصفات، والجوامع والحمامات والمقاهي، وتلك المقاهي تستديم في استقبال الناس من الفجر إلى منتصف الليل، ونظراً إلى اتساع عرضه فقد كان مغروس بطرفيه أشجار، وكان به تخوت كراسي لأجل جلوس القاصدين بطرفيه. ويوم مرور الركب بسوق الدرويشية والأسواق المتصلة به، وهي سوق سنان باشا (السنانية) وسوق النّحاتين وسوق الغنم وسوق محلة السويقة وسوق باب المصلى وسوق الميدان التحتاني والوسطاني والفوقاني إلى بابالله تكون جميعها مزدحمة بالأهالي"[2].

---

[1]-الحلاق، أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية، ص ص (67-69).
[2]-ابن طولون، شمي الدين، مفاكهة الخلان ج2، ص 86.

ولدى وصول الموكب إلى مصطبة سعد الدين الجباوي حيث ضريح الشيخ الجباوي (الصورة [1-22])، مؤسس الطريقة السعدية... يتوقف الركب، ويخرج من المقام أحد أحفاد الشيخ الجباوي فيتقدم من الجمل حامل المحمل، والجمل الذي يحمل الصنجق ويلقم كل منهما لقمة كبيرة كالكرة مصنوعة من معجون اللوز والجوز والفستق الحلبي مع السكر، فيتلقفاها بشراهة ويلوكاها، والفتات تتساقط من شدقيهما، والناس يتزاحمون ويتسابقون حولهما، يلملمون تلك الفتات المتساقطة، ثم يتهادنونها للبركة على زعمهم[1].

ويتم تسليم المحمل إلى أمير الركب في قبة الحاج، وقبّة الحاج كما يذكر الشيخ محمد أحمد دهمان كانت مكان قبة سابقة لها في عهد المماليك، ويقال لها قبة يلبغا التي كانت تصل إليها مواكب المماليك القادمة من مصر، فيتخذونها للاستجمام والراحة من وعثاء السفر والتأهب لدخول دمشق بالأبهة اللازمة. وهي لاتزال على مقربة من حي القدم بدمشق. وقد أنشأ فيها الوزير أحمد باشا مسجداً مكان قبة يلبغا وجعل فيها تكيّة [2].وتظهر الصور [1-26/25/24/23] طريق الحج والقافلة في تلك الفترة.



الصورة [1-21]: محمل الحج الشامي أمام السراي.

المصدر: ايبش، أحمد، دفاتر شامية عتيقة، ص 177.



الصورة [1-22]: الزاوية السعدية.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 114.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 117



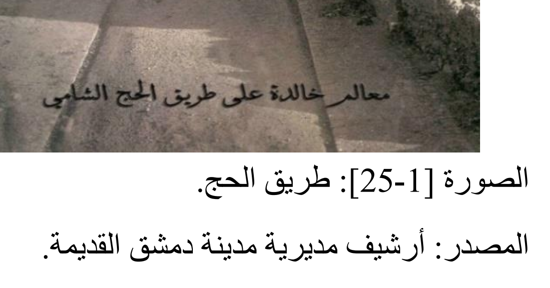
الصورة [1-23]: طريق الحج ويظهر بالصورة تربة باب الصغير وجامع الصابونية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.



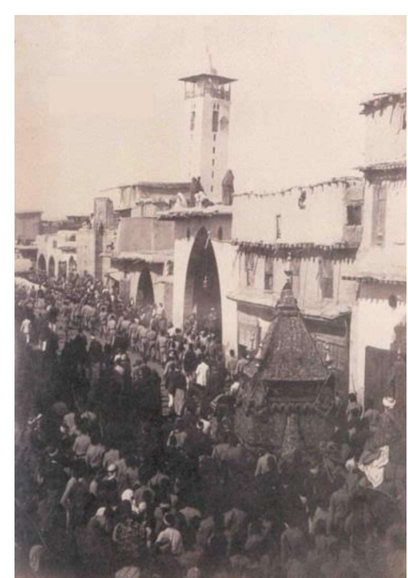
الصورة [1-24]: محمل الحج في الميدان.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.



الصورة [1-25]: طريق الحج.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.



الصورة [1-26]: طريق الحج أثناء مروره بالميدان.

المصدر: صواش نوازد، مجلة حراء، ص28

وآخر مركز لتجمع قافلة الحج الشامي بدمشق هو **العسالي**، وهو محل به نهر من الماء العذب [1]، وقد بنى فيه أحمد باشا كوشك جامع حجر القدم سنة (1405) هـ للشيخ احمد بن علي العسالي، شيخ الطريقة الخلوتية، وكان في شرقي هذا الجامع مصطبة كبيرة يعلوها قبة لها محراب يصلي فيها الحجاج عند ذهابهم الى بيت الله الحرام، وعند غيابهم الى دمشق... وعليها وقف عدة قرى من ضواحي بعلبك وصيدا.

ويمكث الحجاج في العسالي يوماً أو بعض يوم، ثم يسيرون جماعات الى مزيريب مركزالتجمع النهائي لقافلة الحج الشامي، كما ان عدداً من أقرباء الحجاج ومن الباعة يرافقون الحجاج إلى مزيريب...وهم يمرون في طريقهم هذا بالباردة ثم الدلي ويصلون الكسوة [2].

ب- مسار الحج خارج دمشق وباتجاه الأراضي المقدسة:

الكسوة:

وهي أولى المحطات بعد مغادرة القدم، وهي على بعد (19) كم من دمشق وفيها يبيت الحجاج. وسميت بهذا الاسم لأنه كان يجري فيها تسليم كسوة المحمل إلى الكعبة ويلاقي الناس بالكسوة ذويهم من الحاجين [3].

خان ذو النون (دنون):

به نهرٌ جارٍ، وفيه رسم خان قديم وبه أعين ماء [4]، ينسب إلى علي بن ذي النون الأسعدي ثم الدمشقي. وقد صحّف الاسم دنون وهو على مسافة (24) كم، جنوبي دمشق على الطريق الذاهب إلى درعا ويعود إلى سنة (778)هـ وهو على شكل مربع طول ضلعه ستون متراً. وهو مزوّد بأبراج مستديرة في زواياه الأربع: ووبداخله صحن تحيط به أروقة مسقوفة بالأقباء، وتمر به قناة ماء متفرعة على نهر الأعوج. وبداخل الأروقة غرف توفر الراحة للمسافرين فيتركون رواحلهم في الصحن (الباحة) ويقضون ليلتهم في تلك الغرف ويطبخ فيها شوربا بالسلق لجميع الحجاج. ويلاقي الناس في هذا الخان أيضاً ذويهم من الحاجين، وينادون عليهم بأعلى أصواتهم [5].

الصنمين:

بها مسجد بني كله بالحجارة المتلاحقة حتى سقفه من الحجر، وبابه كذلك. وبه منبر قائم. وحوله أبنية قائمة على الداثر والمعمر مبنية بالحجر المنحوت، وآثارها تعود إلى أيام الرومان. وفيها بركة محفورة في الصخر تتجمع فيها المياه. وبعد الصنمين يتوجه الحجيج إلى الشيخ مسكين فطفس فالكتيبّة وفيها نبعة ماء يصل ماؤها إلى بركة مربعة. والتي تبعد عن دمشق (72) كم. ومن ثم يتوجه الحجاج إلى المزيريب [6].

[1]-الحنبلي، عبد القادر، الدرر الفرائد المنظمة، ص 1288.
[2]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص ص117-118 .
[3]-المرجع السابق ذكره.
[4]-الحنبلي، عبد القادر، الدرر الفرائد المنظمة، ص 1288.
[5]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 118-119 .
[6]-المرجع السابق ذكره، ص 119 .

المزيريب:

منزل يتجمع فيه حجاج الركب الشامي، فإليها ترد جموع الحجيج القادمة من باقي ولايات وألوية الشام من المتأخرين عن مسيرة الركب في الموكب الرسمي المغادر لمدينة دمشق.

وتقام في المزيريب في هذه الفترة الأسواق العامرة، بما يحتاج الركب. مما يتجر به للبيع والشراء من سائر الاصناف، كما يأتي العربان من تلك الديرة لشراء حاجياتهم. وعند المزيريب بحيرة (بجة) ماء ينتهي ماؤها إلى جسر المجامع، فيما يقال، وأصله من عين تنبع من شمال القلعة التي أقامها السلطان سليم سنة (1525) م بنحو نصف ميل. وقال الشاعر في بحيرة المزيريب:

لقد قابلنا بالعجائب بحرة مكمّلة الأوصاف بالطول والعرض

كان الذي يرنو إليها بطرفه يرى نفسه فوق السما وهو بالأرض

أما القلعة فتشمل عدة غرف علوية وسفلية، وفي وسطها صدرة مسجد للصلاة وكانت عامرة البناء. يقيم الحجاج في مزيريب إلى أواخر شهر شوال من (8 –15) يوماً فيدركهم من تأخر من الحجاج عن الركب، كما يدركهم حجاج المناطق والأصقاع الأخرى، وكما ذكرنا ...وخلال ذلك تكون الترتيبات النهائية للقافلة قد تمت، وانتظم الجند المرافقون لأمير الحاج.

فإذا أزفت ساعة الرحيل ونادى النادي بالانطلاق والأمر بالمسير، تقرع الطبول ويكبر الناس ويهللون ويهزجون:

وصلنا المزيريب وكتبنا المكاتـــــــــــــــــــــيب

وفي قلبي لهيب لك يا نبيـــــــــــــــــــــــــنا

وتهب الجمال هبّة واحدة، ويأخذ العكامون بزمامها ويأخذ المهاترة بزمام الخيول، وتطوى الخيام وتلف البسط، وتشد الأحمال، ويسير الركب على بركة الله .وينفض الجمع من المزيريب، ويعود (المزيرباتية) إلى دمشق في أواخر شهر شوال. والمزيرباتية هم الذين خرجوا لتوديع الحجاج حتى المزيريب أو التجار الذين عقدوا بها أسواق البيع والشراء (الصورة [1-27]).

وحال الانطلاق يعود المزيرباتية من التجار الذين أقاموا أسواقاً كبيرة لبيع الحجاج والبدو، (الصورة [1-27])، ومنهم من خرج لتوديع الحجاج...ويعود هؤلاء الحجاج إلى دمشق فيطمئن ذوي الحجاج بأنهم في خير حال. وقبل أن يدرك الركب أراضي الأردن، يمر بعدد من المواقع حتى يصل درعا المعروفة بأذرعات .[1]



الصورة [1-27]: استراحة الحجاج في المزيريب.

المصدر: الحلاق، أحمدالبديري، ص65.

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص (119-121).

درعا (أذرعات):

وهي مدينة كانت بلدة صغيرة جميلة ذات قسمين، قسم جديد على محطة السكة الحديدية. وقسم قديم ينأى عنه قليلاً. وأذرعات قديمة تعود إلى ماقبل الإسلام[1]. وهكذا يغادر طريق الحج الأراضي السورية ويدخل الأراضي الأردنية ويعبرها مدينة تلوى آخر حتى يصل إلى مكة المكرمة.

4-4-4- عودة القافلة:

كان أمير الركب يجهز مسبقاً إلى دمشق (كتب الوفد) التي كانت تسبق الركب بحوالي أسبوع أو نحوه، فكانت تصل في العشر الثالثة من شهر محرم وفي أوائل العصر العثماني ظهرت وظيفة جديدة في وظيفة (المبشر بسلامة الحجاج) الذي كان يتقاضى على بشارته مالاً كثيراً. وكان المحمل يدخل دمشق بين أواخر محرم وأوائل صفر، وتنتهي بدخوله رحلة العذاب والمغفرة [2].

5- مقارنة بين أهم المسارات السياحية في سورية (مسار الحج الإسلامي-مسار الحج المسيحي):

5-1- الحج المسيحي:

يعود أصل الحج إلى السفر إلى الأراضي المقدّسة من قبل أشخاص رغبوا في التعرّف بأنفسهم إلى الأماكن التي تصوّرها الكتابات. ومن هنا، ساروا على خطى المسيح، إذ يعتبر تقليد حياته وتصرّفاته إلى أكبر حد ممكن أحد أهداف الحياة المسيحيّة، غير أنّ التقديس سرعان ما اندمج مع الفضول والمغالاة. على مدى قرون، شكّلت القدس وجهة مميزة بالنسبة إلى البيزنطيّين على الرغم من الصعوبات التي أنشأتها السيادة العربيّة وفي بعض الأحيان اللاتينيّة على المدينة المقدّسة. وسرعان ما توسّع الحجّ ليضمّ أماكن أخرى مهمّة مذكورة في الكتاب المقدّس، على مثال جبل سيناء ويقبع على سفحه دير القدّيسة كاثرين.

يشير ما وصلنا من أدلة على أوائل زيارات الحج إلى أنها كانت طويلة وأن فلسطين كانت مقصدها الأساسي إن لم يكن الوحيد. والغاية منها كانت زيارة الأماكن التي عاش أو مر فيها المسيح. ومثالنا على ذلك حج هيلانة أم الملك قسطنطين سنة 327 على إثر ما دُعي بصلح الكنيسة. كما أن رواية رحلة إيثيريا التي زارت الأراضي المقدسة بين سنتي 381 و384 تسمح لنا بالتعرف على دروب الحجاج والمزارات التي ترددوا عليها والمناسك التي قضوها في إطار الطقوس والشعائر المحلية.

---

[1]-المرجع السابق ذكره، ص (107-121).
[2]-الحنبلي، عبد القادر، الدرر الفرائد المنظمة، ص 1288.

2-5-أهمية سورية بالنسبة للحج المسيحي:

لسورية أهمية كبيرة في تاريخ المسيحية، فمدينة دمشق هي مقر عدد من الكنائس والبطريركيات المسيحية أبرزها بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس وبطريركية السريان الأرثوذكس وبطريركية الملكيين الكاثوليك وغيرهم، وقامت بها الكثير من كنائس الشرق من شرقها إلى غربها. تعتبر مدينة حلب ثاني مدينة في الشرق الأوسط بعد بيروت من حيث عدد المسيحيين، إلى جانب انتشار عدد كبير من الأماكن المقدسة المسيحية فيها والمهمة في تاريخ المسيحية. تذكر الأناجيل أن يسوع قد قام بزيارة مناطق في الجنوب السوري ومن المعلوم أنه في قيصرية فيلبس والتي تدعى اليوم بانياس الشام قد أعلن أن بطرس سيكون رأس الرسل، وكانت دمشق قاعدة انطلاق القديس بولس في رحلاته التبشيرية وهو واحد من رسل المسيحية ووكذلك لا تزال آثار كنيسة حنانيا الأقدم ماثلة لحقبة هامة من التاريخ المسيحي.تعتبر كنيسة أم الزنار في حمص من أقدم كنائس العالم وترقى لفترة مبكرة من القرن الأول،وكنائس واديرة كثيرة منتشرة على امتداد الأرض السورية أما أنطاكية فقد لعبت النصيب البارز في حياة المسيحيين الأولى، وقد خرج من سورية عدد كبير من القديسين إلى جانب كون عدد كبير من آباء الكنيسة هم من السوريين .كذلك هناك العديد من المقدسات المسيحية المهمة مثل صيدنايا ومعلولا وصدد ودير سمعان وسرجيلا وعشرات القرى التاريخية المسيحية التي كانت مراكز القديسين في عصر المسيحية الأولى[1].

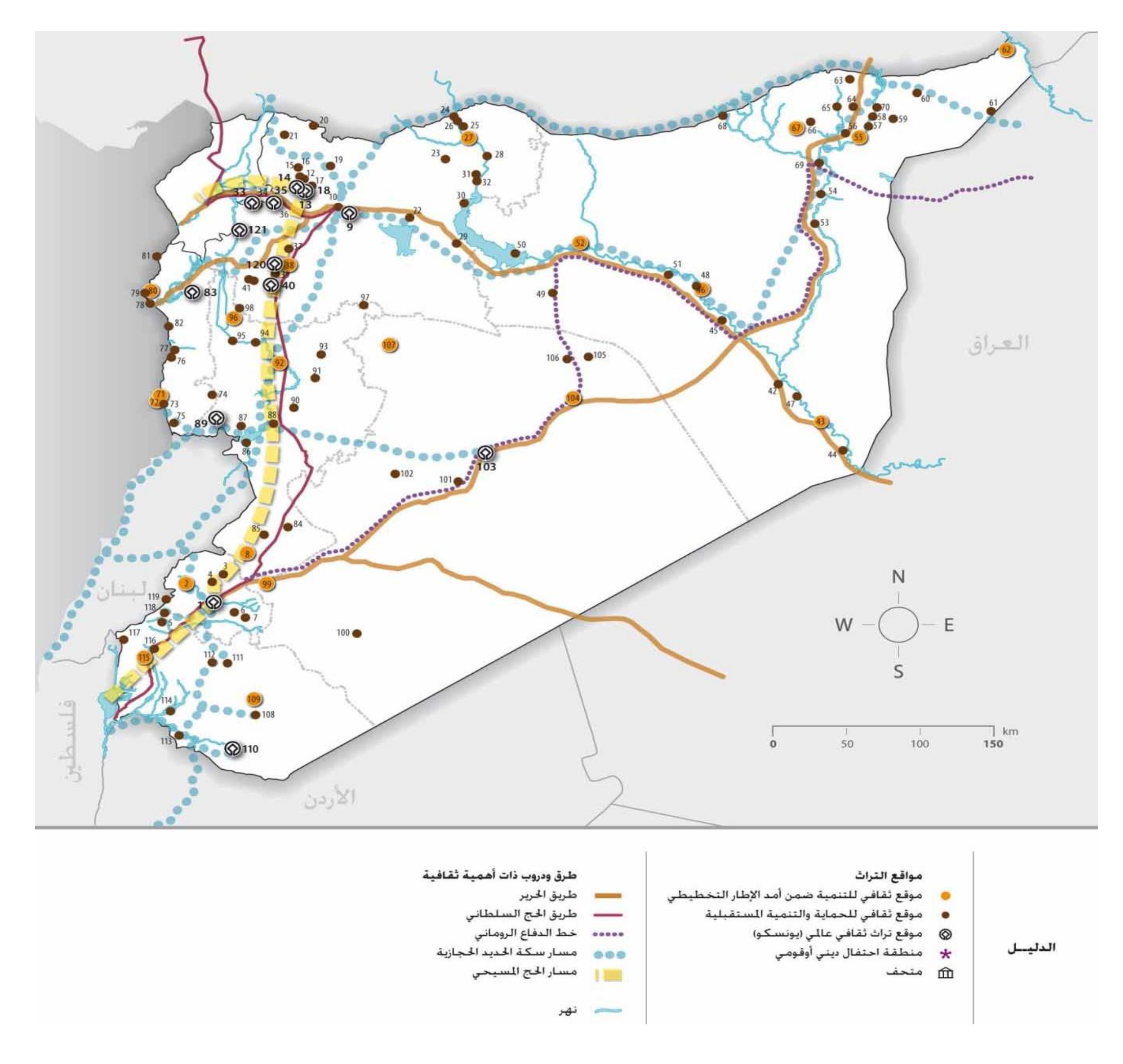
3-5- مقارنة بين الحج المسيحي والإسلامي في سورية:

	الحج الإسلامي	الحج المسيحي
الغرض منه	هو الركن الخامس من الإسلام.	الحج وهو السفر إلى مكان مقدّس بهدف العبادة والتوبة وشفاء النفس والجسد.
وجوبه	هو واجب على كل مسلم استطاع إليه سبيلا.	لا يعتبر الحجّ أبداً واجباً.
جهته	بلد الله الحرام (مكة المكرمة).	فلسطين كانت المقصد الأساسي إن لم يكن الوحيد. فهناك أماكن أخرى مهمّة مذكورة في الكتاب المقدّس، على مثال جبل سيناء ويقبع على سفحه دير القدّيسة كاثرين.
أنواعه	يوجد للحج انواع بطريقة تأدية مراسم الحج ذاته، ولكن ليس له أنواع من حيث مكان تأدية الحج.	هناك الحج الكبير والذي تطلّب من الحاج شهورًا لا بل أعوامًا من الترحال مع ما رافق ذلك من خطر عدم العودة، والحج الصغير بمعنى زيارة قبر أحد القديسين أو مزار للسيدة العذراء قريبًا من مكان الإقامة سعيًا للشفاء من الأمراض أو الوفاء بالنذور من جهة.
أهمية سورية بالنسبة للحج	كان لسورية أهمية من حيث موقعها بالنسبة لمسار الحج قديماً، فهي كانت مركز استقبال حجاج الشمال.	لسورية أهمية كبيرة في تاريخ المسيحية، ففيها مقر لعدد من الكنائس والبطريركيات، وقد خرج من سورية عدد كبير من القديسين.

الجدول [1-1]: مقارنة بين الحج الإسلامي والمسيحي في سورية.المصدر: الباحثة.

[1] -ويكبيديا الموسوعة الحرة.

وهكذا فإن كلاً من مساري الحج المسيحي والاسلامي يعد أهمية ، ولسورية أهمية بالنسبة لكلا المسارين فهما من المسارات السياحية الهامة اليوم في سورية واللذين يظهرا في المخطط [1-32].



المخطط [1-32]: طريقي الحج الإسلامي والمسيحي وكافة المسارات ذات الأهمية الثقافية في سورية.

المصدر: هيئة التخطيط الإقليمي، الإطار الوطني، الخارطة الأثرية الثقافية والطبيعية للجمهورية العربية السورية، عرقاوي، عبير.

الخاتمة:

أن الحج لديار الله هو حدث سنوي مميز ومقدس وله طقوس قديمة في بلاد الشام؛ باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، ورافق أداء هذه العبادة تطور طرق الحج التي كان يعبرها الحجاج لوصول إلى مكة المكرمة والتي كانت في غالبيتها طرق للتجارة وللقوافل، وقد انعكس ذلك على البنية العمرانية والمعمارية الي بقيت آثارا تشهد بذلك الحدث السنوي وتشكل الذاكره الحية هذا الحدث الديني الهام، وبالتالي فإن تحديد هذا الطريق والمناطق التي كان يمر فيها الحجاج في سورية هو خطوة هامة لتفعيل هذا الطريق كأحد المسارات السياحية في سورية .

الباب العملي

الفصل الثاني: مسار الحج الإسلامي في سورية.

الفصل الثالث: المباني التاريخية الإسلامية المخدمة لطريق الحج.

الفصل الرابع:

- **الجزء الأول:** أثر طريق الحج على البنية العمرانية والمعمارية.
- **الجزء الثاني:** تأثر طريق الحج بتطور وسائل النقل (طريق سكة حديد الحجاز).

مقدمة:

سيعرض البحث في هذا الفصل، مسار الانطلاق لبيت الله الحرام الذي سلكه الحجاج في سورية؛ ومناطق العبور فيها وذلك للوصول إلى الديار المقدسة، والتصنيف التاريخي والتوثيق لهذا للمسار داخل الأراضي السورية، وذلك بدءاً من باب انطاكية في حلب، حيث ينضم الحجاج الأتراك لحجاج سورية، مع ملاحظة أنه في كلاً من حلب وحماة وحمص ودرعا لم يكن هناك مسار واضح لتحرك الحجاج داخل المدينة أثناء انطلاقهم في خط مسيرهم، ذلك الأمر الذي تم في مدينه دمشق، إلا أنه تم توثيق المباني المهمة التي كان لهاعلاقة مباشرة بالحجيج وتحركاتهم، وذلك بالاعتماد على المنهج التحليلي التاريخي، وتم الاعتماد على المنهج التحليلي –الاستقرائي لتحليل الوضع الراهن للتراث العمراني على طول المحور في دمشق المدينة التي كان يقضي بها الحجاج عدة أشهر قبل الانطلاق لبلد الله الحرام، وذلك لاستقراء الركائز الأساسية لاستراتيجية التطوير المناسبة وإعادة إحياء المحور إلى الذاكرة بما يتناسب مع الوضع الراهن حيث أن عدداً كبيراً من هذه المنشآت العمرانية قد قام محله أبنية أخرى في فترات زمنية لاحقة أو حتى تأثر بالتغير الوظيفي لهذه المباني.

1- مسار الحج الإسلامي في سورية:

رأينا أنّ الجذور التاريخية لمحور الحج تعود إلى طريق الحرير والدور الذي تؤديه الطرق البرية التجارية المهمة.

1-1- مفهوم محور الحج الإسلامي:

يعرف **المحور نظرياً**: بأنه فراغ خطي

ويعرف **محور الحج عمرانياً**: بأنه امتداد لتوسع خطي عبر حيز مكان ما، يصل بين نقطتين مكانيتين (تجمعين عمرانيين أو ميتروبوليتان وتجمع عمراني) مكوناً الشريان الرئيسي لتغذية وصل هذه التجمعات. وكونه الطريق الذي سلكه الحجاج المسلمين للوصول إلى مكة المكرمة، ولإداء فريضة الحج فهو محوراً للحج الإسلامي.

2-1- أهمية محور الحج الإسلامي:

تكمن أهمية محور الحج الإسلامي في سورية (حلب–حماة–حمص–دمشق–درعا)؛ والذي يشكل بالإضافة لكونه محوراً للحج الإسلامي إلى الديار المقدسة ومحوراً ثقافياً[1]؛ ممر تنموي عالي، وحسب الموقع الجغرافي فهو ممر تنموي خارجي، ووفقاً لأهميته فهو ممر تنمية وطنية وتأتي أهميته من النقاط التالية:

1- عدد المراكز العمرانية التي يقوم بربطها-دولياً ووطنياً-وأهمية هذ المراكز:
2- تعدد أقطاب ومراكز النمو عليه.
3- التنويع الاقتصادي عليه ومكونات النمو الاقتصادي التي يمتلكها.
4- جزء من محور تنموي دولي هام له وزنه التجاري والاقتصادي، إذ إنه من الطرق الدولية الهامة التي تربط المشرق العربي ضمن اتفاق الدول العربية للنقل في منظمة الأسكوا والمسمى بالطريق (M45)
5- موقعه الاستراتيجي الجغرافي المميز: فهو من الطرق البرية المهمة جداً؛ حيث يتصل مع الدولة الجارة تركيا، بالإضافة لكونه شريان حيوي ومرفق اقتصادي مهم للجمهورية العربية السورية، وبالتالي فإن الاهتمام به سيساهم في تنشيط الحركة التجارية والسياحية وغيرها بين سورية وتركيا وأوروبا من جهة أخرى من خلال العبور بالترانزيت على هذا الطريق.
6- أهميته التاريخية كممر للقوافل في العهد الروماني والعثماني[2].

[1]-رافق، عبد الكريم، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص 5.
[2]-المصري، عماد، و السقا، هبة، محور التنمية الرئيسي في سورية (دمشق–حلب) وامتدادهما، ص ص (13-14).

لذلك يجب وضع سياسات تأهيل لهذا المحور للتأكيد على دوره التاريخي والثقافي كمسار للحج الأسلامي ودوره كمحور تنموي، ضمن مفهوم الأولوية: (عروض المحور المرورية، رفع كفاءته المرورية، وسلامته والبنية التحتية منه، والإشارات الدلالية والمرورية، وعدم وجود حوادث).

1-3- الأهمية التاريخية لمحور الحج الإسلامي :

تشمل الأهمية التاريخية لمحور الحج في الآتي:

- دوره العمراني المهم في المدن المار منها؛ حيث ساهم بتطوير وازدهار تلك المدن بسبب تنشيط حركتها التجارية، وتوجيه نموها وفقاً لفروع هذا الطريق التجارية [1].
- كونه من الطرق التجارية المهمة التي أنشئت وازدهرت في عهد الرومانيين؛ أقيم لربط حمص مع باقي المدن وفق المسار التالي: منكا – حلب – كلكيدا – أرَّا – كبارياس – حماة – الرستن – حمص[2] -امتداده إلى دمشق (مسار الطريق السرياني سكيتوبوليس) [3].
- أطلق عليه في العهد العثماني اسم (طريق السلطانية)؛ ويقوم بربط الأناضول بحلب ودمشق مروراً بحماة وحمص ودرعا [4]. وأحدث ثورة اقتصادية للمدن المار منها وخصوصاً في موسم الحج، ويعتبر الممر الوحيد الأقصر الذي يربط الأناضول بالأراضي المقدسة[5]. وازدادت أهميته في أواخر عهد العثمانيين نظراً لأهمية التجارة عبر البلاد وتحول اتجاهها نحو أوروبا، وموقعه الذي يرتبط مع طريق طرابلس والموانئ، وكونه منفذ للاتصال مع الصحراء في الشرق[6].

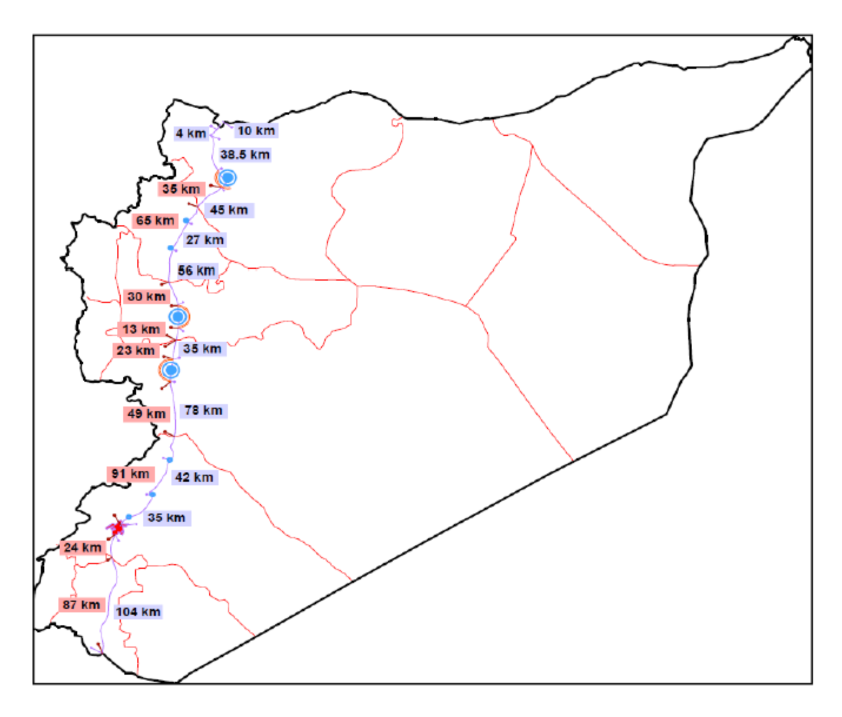
1-4- أهمية المدن التي تقع على محور الحج الإسلامي:

- **مدينة حلب:** ذات موقع ممتاز كعقدة مواصلات ونواة تجارية بين القارات الثلاثة في العالم القديم؛ وهذ جعلها مركزاً تجارياً استراتيجياً بارزاً عن غيره، وهي نقطة استقبال حجاج اسطنبول والأناضول وماوراء الامبراطورية العثمانية وشرقي العالم العربي.
- **مدينة حماة:** من المدن المهمة في التاريخ ومنطقة سياحية مهمة على المستوى الوطني.
- **مدينة حمص:** تأتي في المرتبة الثالثة بعدد سكانها بعد مدينتي دمشق وحلب، فهي ملتقى لعدد كبير من النشاطات السياحية والثقافية، وهدف سياحي وترويجي، وعقدة مواصلات مهمة على المستوى الوطني، وأكبر المحافظات السورية مساحة.
- **مدينة دمشق:** العاصمة الإدارية للدولة، وأقدم عاصمة ومدينة في الحضاة الإنسانية، احتلت مكانة مرموقة في مجال العلم والثقافة والسياسة والفنون والأدب في مختلف مراحلها.
- **محافظة ريف دمشق:** ذات موقع مميز وتشكل بهذا الموقع صلة الوصل بين محافظات القطر الجنوبية (درعا، القنيطرة، السويداء...) وحلقة الوصل بين الأقطار العربية المجاورة، وتعد منطقة سياحية مهمة [7].
- **محافظة درعا**: من المدن الهامة في التاريخ، وهي المنفذ البري باتجاه أراضي الحجاز.

ويظهر المخطط [2-1] محور الحج الأسلامي مع الأطوال المتعلقة بالمحور.

---

[1]-حسين عبد الحميد، ميادة، الجغرافية التاريخية لمنطقة حمص، ص 89.
[2]-عز الدين، عبد الحميد، مدينة حمص في العهد الروماني، ص 85.
[3]-الخلوصي، محمد ماجد، الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها، ص 121
[4]-نجيب العمر، عمر، تاريخ حمص، ص (م 48، م 47، م 18).
[5]-رافق، عبد الكريم، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص 5
[6]-دويز، د، العثمانيون في سورية تاريخ من العدالة والجور، ص 15.
[7]-المصري، عماد، و السقا، هبة، محور التنمية الرئيسي في سورية (دمشق – حلب) وامتدادهما، ص 13.



المخطط [2-1]: محور الحج الأسلامي مع الأطوال المتعلقة بالمحور.

المصدر: المصري، عماد، والسقا، هبة، محور التنمية الرئيسي في سورية (دمشق-حلب) وامتدادهما.

2-أبعاد وقيم محور الحج :

تكمن أهمية هذا المحور بما يحمله من قيم عديدة.

2-1-البعد الديني:

يتمثل البعد الديني في مايحمله هذا المحور من قيمة دينية، فالعابرين على هذا المحور هم حجاج بيت الله الحرام؛ والذين يأتون من بلاد الأناضول وماوراء الامبراطورية العثمانية وشرقي العالم العربي، حيث يتجمع هؤلاء الحجاج في دمشق، ويتجهوا هؤلاء الحجاج نحو الجنوب، فيعبروا الميدان ثم القدم ثم المزيريب ومنها إلى -الديار المقدسة؛ وذلك في طقوس ومراسم معينة، وقد كان يُقام مثل هذه الطقوس قي القاهرة؛ والتي يحمل محور الحج المصري فيها نفس القيمة الدينية، فهي كانت مركز تجمع الحجاج القادمين من إفريقية. وهذه من أهم القيم المميزة لمحور الحج الإسلامي.

2-2-البعد الاقتصادي والتجاري :

تتجلى هذه القيمة؛ من خلال الحركة التجارية التي ترافقت مع موسم أداء فريضة الحج من خلال تبادل البضائع والسلع التجارية من مختلف أنحاء العالم وبذلك يتم أعظم مبادلات تجارية واقتصادية في التاريخ. حين تكونت الامبراطورية العثمانية افتتح سوق تجاري هائل للمدن التي يضعها موقعها الجغرافي في وضع مؤاتٍ على الطرقات الكبرى للمواصلات الدولية.

وهذا هو حال المدن الكبرى في مصر وسورية، الواقعة على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا، والتي كانت تؤدي تقليدياً دورمراكز إعادة توزيع منتجات الغرب (المواد المصنعة ولاسيما النسيج) والشرق (التوابل والأقمشة)،حيث أدى ذلك إلى اتساع البنية التحتية التجارية (نمو الأحياء المركزية حيث كانت تتجمع الأسواق والخانات)؛ ومن حيث الاتساع الواضح للمنطقة المدينية (تقدم بنسبة 50% في دمشق وحلب). بالإضافة إلى الأسواق التي نشأت لخدمة هذا المحور وعابريه (سوق السنانية، سوق الطويل-الصورة [2-3]-وسوق الجمال...)

بالإضافة إلى تجارة الحبوب من حوران إلى الميدان مما أدى إلى تسمية هذا المحور بالطريق التجاري أو طريق التبادلات التجارية أو بالمحور الاقتصادي.

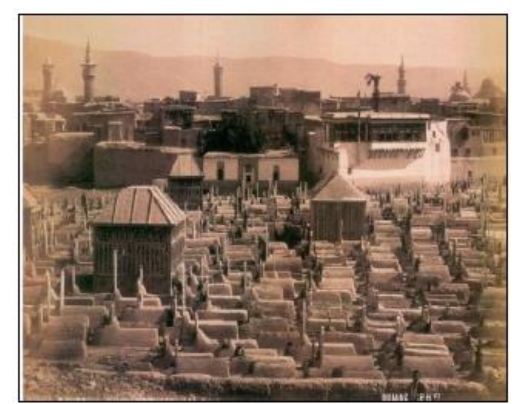
2-3- القيمة التاريخية :

تتمثل أهمية المحور من الناحية التاريخية كونه يعود في جذوره إلى التاريخ القديم بالإضافة لكونه يمر من أهم المدن التاريخية كمدينة دمشق؛ المدينة التاريخية العريقة، فضلاً عن أن محور الحج ومنشآته؛ هو نتيجة تراكم عدة حضارات؛ تعود في أصولها إلى العهد المملوكي، وإلى عصور إسلامية أخرى فيما بعد.

2-4 القيمة الثقافية:

تظهر هذه القيمة من خلال الأبنية الثقافية والدينية والجوامع والمدراس والتكايا والزوايا المنتشرة على طول محور الحج في دمشق. وهذه قيمة جيدة تظهر بشكل واضح في مدينة دمشق.

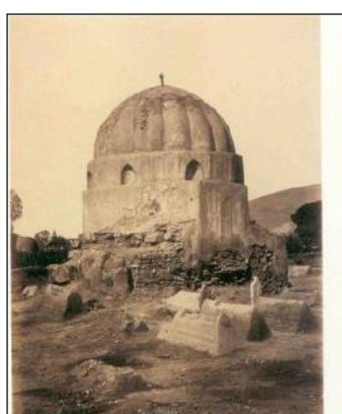
كما وأن أهمية تلك القيمة تزيد؛ في وجود مقبرة باب الصغير-الصور [2-1] و[2-2]-والتي تضم مدافن لآل البيت وبعض الصحابة (الصورة [2-3])، حيث تعتبر ثاني أهم مقبرة في العالم الإسلامي بعد مقبرة البقيع، ويبين المخطط [2-2] والصورة [2-6] موقع مقبرة البقيع بالنسبة للمسجد النبوي، وتظهر الصور [2-4] و [2-5] مقبرة البقيع وبعض مقامات الصحابة قبل هدم القباب التي أنشئت في عهد المماليك والعثمانيين.



الصورة [2-1]: مدافن آل البيت عام 1880م في مقبرة باب الصغير.
المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 211.



الصورة [2-2]: مدافن آل البيت في مقبرة الصغير
المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة



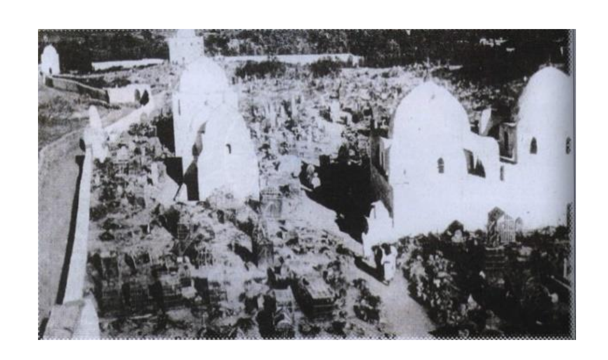

الصورة [2-3]: مقامات الصحابة والأولياء في مقبرة باب الصغير – مدافن آل البيت.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.



الصورة [2-4]: البقيع قبل هدم القباب التي كانت مقامة على قبور آل البيت وبعض الصحابة.

المصدر: المغلوث، سامي، 2010، ص 273.



الصورة [2-5]: جانب من البقيع وتظهر فيه بعض القباب التي كانت على قبور الصحابة.

المصدر: المغلوث، سامي، 2010، ص 273.

المخطط[2-2]: موقع مقبرة البقيع بالنسـبة للمسـجد النبوي.

المصدر: google earth–بتصرف الباحثة.



الصـــورة [2-6]: موقع البقيع بالنســـبة للممســـجد النبوي.

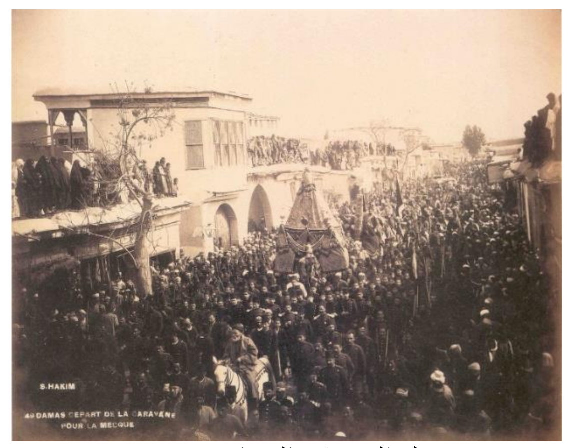
المصدر: المغلوث، سامي، 2010، ص 274.

2-5-القيمة الاجتماعية:

وتبرز هذه القيمة من خلال النشاطات الاجتماعية، التي كانت تتم عبر المحور في المدن بسببه، ويشمل ذلك النشاطات والمهن التقليدية المربوطة باستخدامات المجتمع المحلي لها في حياته اليومية، بالإضافة إلى الحركة التجارية عبر هذا المحور.

2-6-قيمة الهوية :

وتتعلق هذه القيمة بهوية المكان، بما يضمه هذا المحورمن معالم ومواقع كان يجري فيها طقوس معينة دينية وروحية ورمزية ذات قيمة عالية تشكل ذاكرة للمكان يجب المحافظة عليها وإعادتها إلى الذاكرة الحالية، وتبين الصورة [2-7] محمل الحج وهو يسير باتجاه الأراضي المقدسة.



الصورة [2-7]: محمل الحج في الميدان.
المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة

2-7- القيمة الاقتصادية :

ويتجلى ذلك بما تحتويه المدينة والمحور من أسواق تجارية (وتخصصية هامة (سوق الجمال، وسوق المحايرية...)، وذلك نظراً لكون هذا المحور قد ساهم في التطور الاقتصادي وفي افتتاح خط سكة الحديد الحجازي. وبالإضافة إلى مايحتويه هذا المحور من مباني أثرية هامة ممكن أن تشكل عائد ومصدر مالي وسياحي كبير يمكن استغلاله.

2-8-القيمة التعليمية:

فهو يعتبر مصدراً للعديد من الباحثين من مختلف الاختصاصات، بمايقع عليه من مباني أثرية مختلفة الطراز، ونقوش وكتابات للحجاج أثناء مسيرتهم تلك -الصورة [2-8]- والتي تشكل بمجملها موضوعاً للباحثين والدارسين في المجالات المختلفة.



الصورة [2-8]: النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي.

المصدر: الكلابي، حياة عبد الله، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي، ص 37.

2-9-قيمة الندرة :

فهو محور استثنائي لم تنقطع الحياة عنه، إذ مازال الكثير من أسواقه ومبانيه قائمة حتى الآن. وإن غاب عن الذاكرة الدور الذي كان يؤديه هذا المحور للناس فيما يتعلق بأدء فريضة الحج.

2-10- القيمة العلمية :

تتميز بخصوصية عالمية من حيث التطور العمراني، وتقنيات البناء والتنفيذ للمباني الواقعة على هذا المحور، وكذلك للمباني التي شيدت لخدمة الحجاج، مثل التكية السليمانية وتكية العسالي وغيرها من المباني، بالإضافة إلى الفعاليات والأسواق التي أنشئت لخدمه الحجيج؛ والتي تشكل بمخزونها التاريخي والأثري والثقافي مادة للدارسين من مختلف الاختصاصات.

2-11- القيمة العالمية الإستثنائية لمحور الحج :

تم اعتماد 10معايير لتسجيل أي موقع ضمن لائحة التراث العالمي، وبناءاً على أهمية محور الحج وعلى قيمه العالمية الاستثنائية في سورية فإنه لابد أن يتم ضمه إلى لائحة التراث العالمي لتحقيقه عدة معايير:

- تحفة رائعة من خلال المناطق العمرانية التي نمت بنتيجة محور الحج، ومن خلال الأبنية التاريخية الأثرية التي بنيت من أجل هذا المحور وخدمته ؛ والتي لاتقع على المحور، (كالتكية السليمانية التي لازالت قائمة حتى الآن (الصورة [2-9] بالإضافة إلى المباني التاريخية الأثرية التي تقع على هذا المحور، والتي تشكل بمجملها مع المحور إرثاً تاريخياً وثقافياً. ويضم الملحق رقم [1] تقريراً عن دراسة ضم طريق الحج المصري إلى لائحة التراث العالمي.



الصورة [2-9]: التكية السليمانية في دمشق.

المصدر: الداهية، بلال، أرشيف الدولة العثمانية.

- شاهد منفرد أو استثنائي على عبادة كانت تؤدى عن طريق طقوس ومراسيم معينة في دمشق (تظهر الصورة [2-10] محمل الحج) ويسلك من خلاله الحجاج هذا الطريق، وكان نظيره في القاهرة.



الصورة [2-10]: محمل الحج.

المصدر: صواش نوزاد، مجلة حراء، ص (26-27).

- ارتباط مباشر أو ملموس بأحداث أو تقاليد حية أو بأفكار أو معتقدات وبأعمال فنية أو أدبية ذي أهمية عالمية واضحة: وذلك من خلال ما يحمل هذا الطريق من مباني معمارية هامة ومن نقوش أثرية التي كان يكتبها الحجاج أثناء رحلتهم إلى الديار المقدسة، وتظهر في الصورة [2-11].



الصورة [2-11]: النقوش الكتابية على طريق الحج.

المصدر: الكلابي، حياة عبد الله، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي، ص 39.

12-2-الإستخدام المستدام :

يعد محور الحج محوراً حيوياً ومتكاملاً، وإن ما قام على هذا المحور من مباني وفعاليات (تكايا، وزوايا، وخانات، وأسواق)؛ تسحر الألباب وتجذب أنظار السياح، ويمكن الاستفادة من هذا المحور وإعادته إلى الذاكرة، ليكون بذلك ذا استخداماً مستداماً ثقافياً واقتصادياً من خلال ماقام على هذا المحور من أسواق وفعاليات أخرى، وخصوصاً أن العديد من فعاليات المحور لايزال قيد الاستخدام ولايزال نابضاً بالحياة.

3-عملية التوثيق والتصنيف التاريخي للمسار:

1-3-أهمية مدينة دمشق بالنسبة لمحور الحج :

دمشق أقـدم عاصـمة ومدينــة في الحضـارة الإنسانية، احتلت مكانة مرموقة في مجال العلم والثقافة والسياسية والفنون والأدب في مختلف مراحلها. ولدمشق شهرة تاريخية كبيرة فيما يتعلق بالحج، لأنها كانت ملتقى قوافل الحجاج من العرب والفرس والأتراك، وكانت في أهميتها هذه لاتقل عن أهمية القاهرة نفسها، إذ في حين كانت القاهرة مركزاً لقوافل الحجاج الآتية من إفريقيا، كانت دمشق مركزاً لتلك الآتية من آسيا والبلقان. ولم يقتصر الأمر على الموقع فحسب، بل تعداه إلى المركز التاريخي والديني الذي كانت تتبوأه دمشق حتى أواخر عصر المماليك، والذي كان يجذب الحجاج للإقامة فيها بعض الوقت، وزيارة مقدساتها وأضرحتها الكثيرة. لذلك كانت قافلة الحج الشامي هي الشغل الشاغل لمؤرخي تلك الفترة، بحيث لا تكاد تمضي سنة دون الإشارة إلى خروج القافلة وعودتها، والأحداث التي شهدتها في الطريق[1].

كانت دمشق أثناء حكم العثمانيين تنعم بأهمية خاصة جداً على اعتبارها (باباً للكعبة)، وكانت الطريق المؤدية من الشام إلى المدينة المنورة فمكة المكرمة هي الأقصر مسافة والأكثر سلوكاً من سائر البلاد المؤدية إلى الحجاز من جميع الأقطار الإسلامية الشاسعة [2].

لقد أتاح وجود الامبراطورية العثمانية الواسعة، تنقلاً مريحاً نسبياً للأفراد، وكان من نتائج ذلك ازدهار الحج الذي كانت له آثار نافعة للبلدين اللذين توجد فيهما نقاط تجمع القوافل البرية وانطلاقها، وهما مصر وسورية. فالسلاطين العثمانيون، وهم الزعماء الأعلون للإسلام السني جعلوا مهمتهم العليا تسهيل الحج وتنظيمه في قوافل، وزودا طرق الحج بخانات، وجسور، وأماكن للسقاية، وحصون وكل مايلزم لخدمة هؤلاء الحجيج[3].

ففي القاهرة، كانت يجتمع سنوياً 30000 إلى 40000 حاج، وفي دمشق من 20000 إلى 30000 حاج، الشكل [2-1]. وهذه القوافل الضخمة كانت تفيد أيضاً في نقل تجارة يصعب تقدير حجمها الحقيقي، و كان آلاف الحجاج الذين يمرون بحلب، ودمشق، والقاهرة، يحتاجون للتزود بما يحتاجون إليه في سفرهم الذي قد يدوم ثلاثة أشهر، من شراء الحيوانات الركوب، وتجهيزات لإقامة الخيام، ومؤن، وهكذا كان مرورهم في هذه المدن يخلق نشاطاً عارماً يسهم إسهاماً كبيراً في ازدهارها، كما كانت بالسنبة إلى مكة. فقد كتب القنصل مايية (Maillet)

حوالي 1700 يقول: "هذه المدينة هي أغنى معرض في العالم، لأنه في هذه الفترة القليلة من الوقت، يباع ويشترى فيها مايصل إلى عدة ملايين من بضائع الهند... إضافة إلى البن، والمر، والبخور، والمنتجات الأخرى "[4].

---

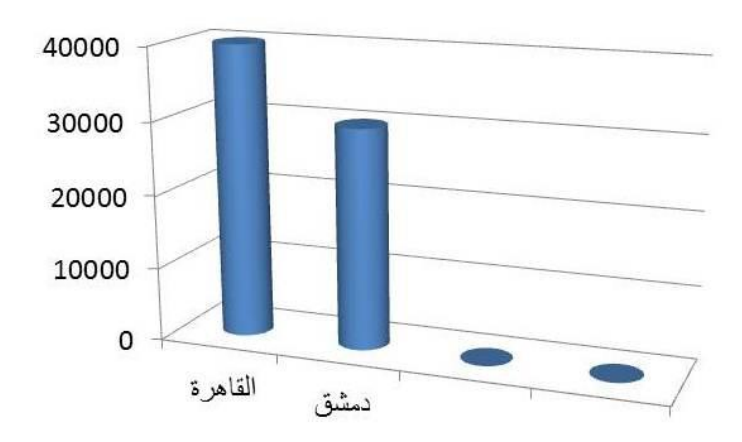
[1] - الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص 47.

[2]-ايبش، أحمد، دفاتر شامية عتيقة، ص 197.

[3] -سوفاجيه، دمشق الشام، ص111.

[4]-المدينة العربية حلب، ص (188 -189).

وكل ذلك كان من شأنه أن يؤدي إلى تطور دمشق في العهد العثماني الذي دام أربعة قرون كاملة من نهاية القرن السادس عشر حتى بداية القرن العشرين (1516م -1918م)، حيث تطورت العمارة والفن السوري وفقاً لذوق الدولة الخلافة العثمانية، و أعيد بناء دمشق وأصبحت عاصمة لمنطقة هامة ومركزا رئيسياً تلتقي طرق القوافل. حتى أن دمشق في تلك الفترة سميت بإعجاب: (شام – جنات ماشام) أي (دمشق مليء بعبق الجنة)، حيث أن موقع دمشق الجغرافي وأهمية هذه المدينة هو الذي عزز فكرة الأخذ والعطاء، فقد عبرت القوافل التجارية في دمشق إلى حلب شمال سورية، كما عبرت دمشق قوافل الحجاج مما ساعد على ازدهار المدينة[1].



الشكل [2 -1]: مخطط يوضح متوسط أعداد الحجاج المجتمعة في كل من دمشق والقاهرة في الفترة العثمانية.

المصدر: الباحثة.

2-3-مراحل تطور النسيج العمراني لمدينة دمشق خلال تطورها التاريخي والعمراني :

1-2-3-أهم أسباب تطور مدينة دمشق خارج الأسوار :

1- حاجة المدينة للنمو والتوسع كأي كائن حي ينمو ويكبر.

2- وجود محور الحج. فقد ذكرت بريجيت مارينو[2] في كتابها حي الميدان في العصر العثماني بأن دور الطريق البري كان حاسماً في دمشق، بحيث أن توس حي الميدان في العصر العثماني ارتبط ارتباطاً ثيقاً بهذا الطريق الذي تسلكه قافلة الحج إلى مكة.

3– وجود محور الصالحية.

4- وجود العديد من الأسواق على طول محورالحج والتي تخدم المنطقة.

5- المباني الأثرية التاريخية الهامة والموجودة على طول هذا المحور.

وقد كانت التوسعات تبتعد عن المناطق الخضراء والزراعية لذلك توجهت نحو محورين وحيدين فقط (شمال-جنوب). ويورد الملحق رقم [2] لمحة تاريخية عن مدينة دمشق وتطورها حسب أهم العهود والفترات التي مرت عليها.

[1] - سوفاجيه، دمشق الشام، ص111.

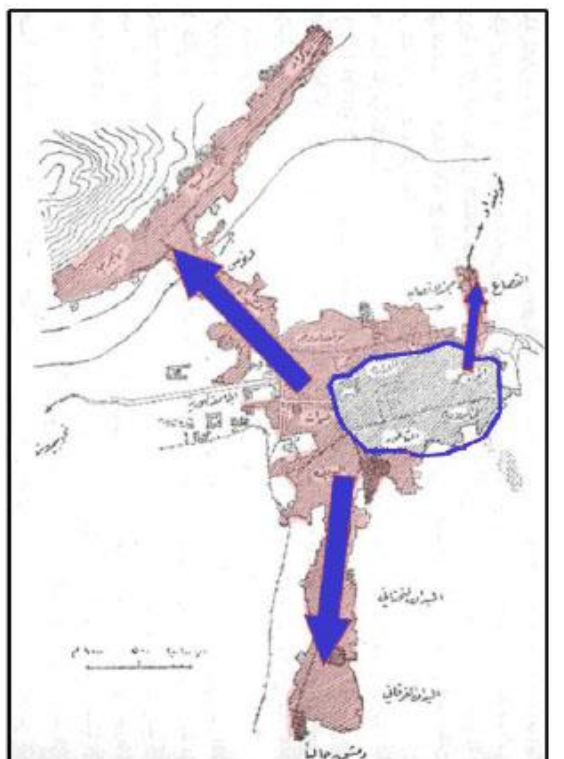
[2] - بريجيت مارينو باحثة فرنسية، ومؤلفة كتاب حي الميدان في العصر العثماني.

3-2-2-تطور مدينة دمشق خارج الأسوار:

بدأت دمشق تتطور خارج أسوارها في منتصف القرن السادس عشر الميلادي في المنطقة قرب قلعة دمشق وباب السلام وفي منطقة الصالحية (على سفح جبل قاسيون)، وقد شكل هذا التطور أول امتداد عمراني لمدينة دمشق خارج أسوارها، وكان التوسع الأول باتجاه شمال-جنوب حيث كانت كل هذه التوسعات تتجنب الامتداد نحو الأراضي الزراعية (الغوطة) وحتى ما قبل انتهاء الاحتلال الفرنسي، وكان لطريق الحج دور رئيس في توسع هذه الأحياء نحو الجنوب بشكل أكبر. ومن ثم تتجنب هذه التوسعات الامتداد نحو الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية باتجاه الغوطة واتخذت اتجاه (الشمال-الجنوب) ويبين المخطط [2-3] التوسع الخطي الأول لمدينة دمشق خارج أسوارها باتجاه الشمال والجنوب[1].

إنّ من الأحياء الأثرية القديمة التي نمت خارج الأسوار، والتي أصبحت أحياء تاريخية هي حي العمارة، وحي العقيبة شمال السور، وسوق ساروجة، والسويقة. وعلى سفح قاسيون بدأ منذ منتصف القرن السادس الهجري بإعمار جبل قاسيون، وإقامة حي مستقل عن دمشق دُعي بالصالحية، والتي تتوضع على امتداد نهر يزيد، وفي المنطقة الجنوبية حي الميدان الذي تشكل على ضفتي طريق الحج[2]، ولكل من هذه الأحياء خصائص عمرانية ومعمارية واجتماعية واقتصادية، تمثل مخزوناً ثقافياً وحضارياً مهماً من خلال تراكم الثروة الإسانية في كل منها عبر العصور .

وتوضح المخططات [2-5/6/7/8] تطور مدينة دمشـــق خارج أســـوارها عبر العهود والفترات الزمنية التي مرت عليها.



المخطط [2-3]: التوسع الخطي الأول لمدينة دمشق خارج أسوارها.

المصدر: الباحثة.

أ- دمشق في العهد العباسي :

نشأت في هذا العهد بعض الضواحي كضاحية العقيبية في الشمال، وهي تصغير العقبة، وسميت كذلك لوقوعها على المنحدر الذي يحد وادي النهر من ناحية الشمال، وضاحية الشاغور في الجنوب، وقصر حجّاج في الجنوب الغربي، على مسافة من المدينة، وقد دعي كذلك نسبة إلى منزل أحد الأمراء الأمويين، وقد نشأت هذه الضواحي بداهة دون أن يكون لها تصميم يوجه تطورها، فأخذت المنازل تتابع على عمق قليل طوال الطرقات الواصلة إلى أبواب السور المحصّن[3].

[1] - سوفاجيه، جان، دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور لقديمة حتى عهد الانتداب، ص 74

[2] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، ص ص (32-33).

[3]-سوفاجيه، جان، دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور لقديمة حتى عهد الانتداب، ص 74

ب-دمشق في عهد الأتابك والأيوبيون :

من المنشآت التي ظهرت في هذا العصر، الميدانين اللذين كان ينزل فيهما السلطان وقادته وجيوشه، بطريقة منظمة فيلعبون الكرة والصولجان، فيروضون جيادهم، ويترنمون بدورهم، بانتظار ساعة القتال. وكان أحد الميدانين، هو الميدان الأخضر، ويمتد غربي المدينة، على مرج فسيح قرب النهر، طوله نحو 500 م، وعرضه 150 م، وفي أطرافه معالم تشير إلى الأهداف، وحوله إطار من الشجر في الغالب. أما الميدان الآخر، وهو أصغر من الأول، فكان يقع جنوب المدينة ممتداً على أرض حصباء، يدعى " ميدان الحصى ". ولم يكن الميدانين مختصين بالألعاب، بل كان ينزل فيهما من تضيق المدينة عن إيوائهم من الناس، مثل مواكب الأمراء والوفود والجيوش والقوافل المهمة أحيانا، وهما فوق ذلك، من أماكن النزهة، يقصدها الناس لمشاهدة ألعاب الفرسان.

أما في المدينة نفسها، فقد اتسعت الأسواق فتجاوزت منطقة الجادة القديمة متجهة نحو الجامع الأكبر حيث يجتمع في تلك المنطقة المركزية أكثر السكان أسبوعياً إن لم نقل يومياً، فيسهلون المعاملات التجارية. وكان من فضل هذا الازهار الاقتصادي، أن الضواحي، أخذت تتسع بدورها، وقد بلغ من اتساعها أن اثنتين منها، وهما العقيبة والشاغور، اضطرتا إلى بناء مسجد جامع في كل منهما [1].

ج-دمشق في عهد المماليك :

نشأت ضاحيتان جديدتان خصتا بالسكن، وقد نشأت الأولى منهما في الجنوب الغربي على الطريق الآخذة نحو عكا وصور ومصر، ودعيت (السويقة)، وفعلت نشأت ضاحيتان جديدتان خصتا بالسكن، وقد نشأت الأولى منهما في الجنوب الغربي على الطريق الآخذة نحو عكا وصور ومصر، ودعيت (السويقة)، وفعلت بالكثير من الخانات الضرورية لنزول القوافل، أما الضاحية الثانية فاسمها (سويقة صاروجا)، ونشأت في شمالي المدينة على طريق الصالحية وبيروت قريبة على سوق الخيل ، ويبدأ من تحت القلعة إلى شمالها وشرق المرجة، إلى جوار سوق علي باشا الشهير، ويجتمع فيه المهتمون بالخيل والحمير)، واختصت على الغالب بسكن الضباط والجنود[2].

د-دمشق في عهد العثمانيين :

إن أهم توسع لدمشق في العهد العثماني فضلاً عن الصالحية؛ هو قيام **ضاحية الميدان** في العهد العثماني والتي كان لمحور الحج الأثر البارز في نشوئها وتطورها، فعلى الطريق المؤدية إلى الحجاز وإلى أراضي حوران الخصبة تتابعت مستودعات القمح دون انقطاع بين المشاهد المبنية من عصر المماليك، فألفت ضاحية يبلغ طولها ثلاثة كيلو مترات، نمت وطغت على قرية صغيرة تدعى القبيبات، أي القباب الصغيرة،التي كان يسكنها زراع الأراضي المجاورة، ودعيت تلك الضاحية (الميدان) باسم ميدان الحصى القديم وهو قريب منها، ورعي طرفها الجنوبي باب الله وهو المكان الذي يترك فيه الحجاج مدينة دمشق متوجهين إلى بيت الله الحرام.

كان سكان تلك الضاحية، فكلهم من باعة القمح والفلاحين والبدو ومن إليهم، وكان من الطبيعي أن تقام سوق الجمال على مقربة من هذه الضاحية ذات الاختصاص، كما أن سوق الخيل، وقد فقدت أهميتها أخذت تتراجع أمام تقدم الأسواق التجارية التي كانت تحيط بها. وهكذا يفسر قيام ضاحية (الميدان) على مساحة ما يقارب 2كم^2، في جنوب المدينة، بأهمية الحج، وتجارة القمح مع شمال حوران. وسيتم دراسة منطقة الميدان في الفصل الرابع مفصلاً.

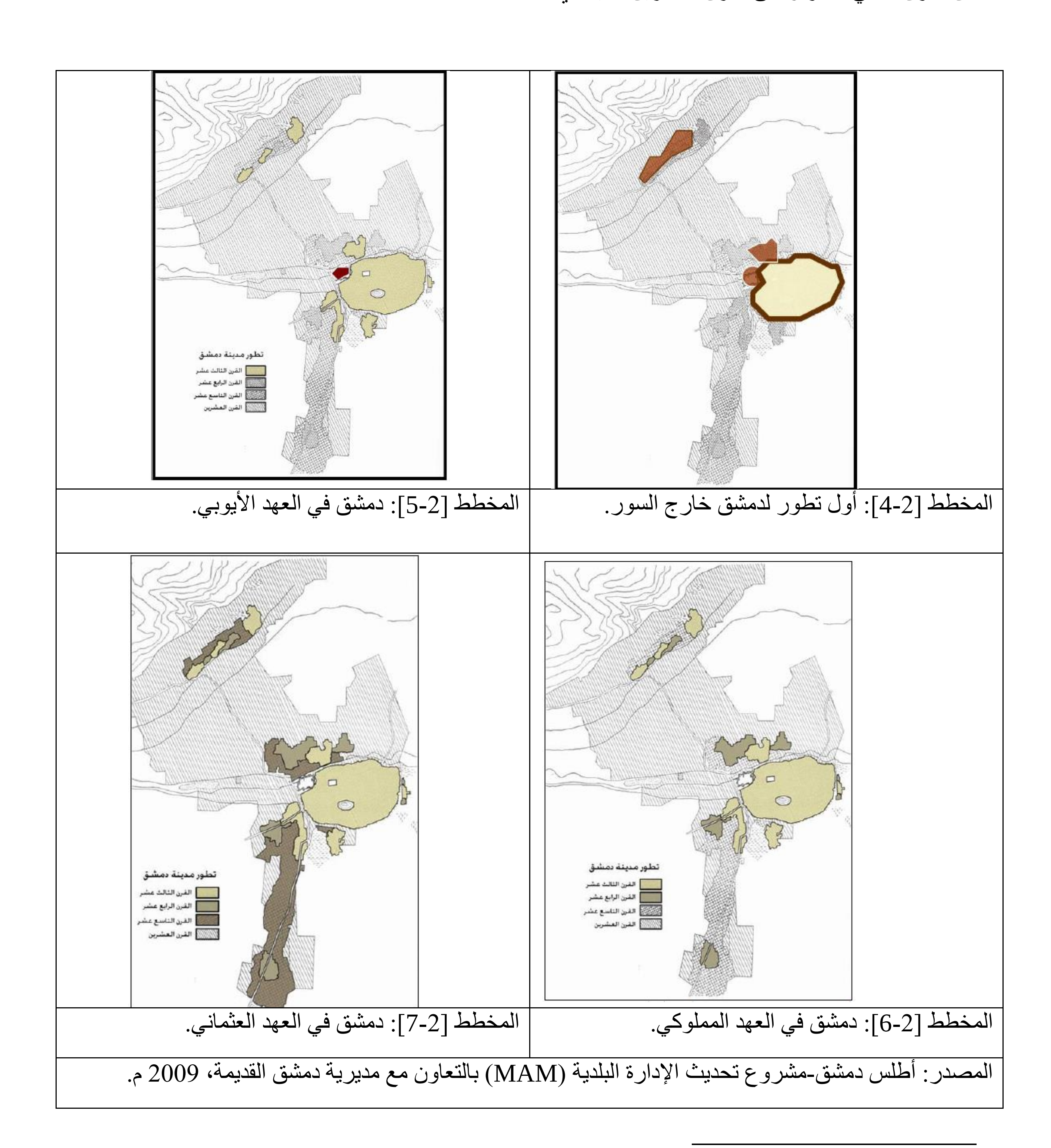
---

[1]سوفاجية، جان، دمشق الشام لمحة تارخية منذ العصور لقديمة حتى عهد الانتداب، ص ص (75 – 83).

[2]-سوفاجية، جان، دمشق الشام لمحة تارخية منذ العصور لقديمة حتى عهد الانتداب، ص ص (87 – 95).

أما باقي الضواحي كسويقة صاروجا والعقبة والسويقة، فقد اتسعت كذلك بتأثير تلك الحركة العامة، كما اتسعت الصالحية بفضل وصول وافدين جديدين من الأكراد. ولكل من هذه الأحياء خصائص عمرانية ومعمارية واجتماعية واقتصادية تمثل مخزونا ثقافيا وحضاريا مهما من خلال تراكم الثروة الإنسانية في كل منها عبر العصور[1].

ويبدو من مخططات تطور مدينة دمشق خارج الأسوار أن الظهور الواضح والمكتمل لمحور الحج قد امتد من القرن الثاني عشر وحتى القرن العشرين الميلادي.



المخطط [2-4]: أول تطور لدمشق خارج السور.

المخطط [2-5]: دمشق في العهد الأيوبي.

المخطط [2-6]: دمشق في العهد المملوكي.

المخطط [2-7]: دمشق في العهد العثماني.

المصدر: أطلس دمشق-مشروع تحديث الإدارة البلدية (MAM) بالتعاون مع مديرية دمشق القديمة، 2009 م.

[1]-سوفاجية، جان، دمشق الشام لمحة تارخية منذ العصور لقديمة حتى عهد الانتداب، ص ص (87 – 95).

3-3-تطور النسيج العمراني لمدينة حلب خلال تطورها التاريخي :

في حلب توقف توسع المدينة نحو الغرب بسبب نهر قويق (المدينة العربية حلب)

3-3-1-أهم أسباب تطور مدينة حلب :

ولقد ازدهرت حلب ازدهاراً كبيراً في القرن السادس عشر، ورافق ذلك نشاطاً معمارياً متميزاً وذلك يعود إلىالأسباب التالية:

1- حلب في منطقة واسعة تمتد من اسكندرون وعنتاب إلى بيره جيك، ويمتد نفوذها إلى ملاطية ومرعش وخربوط في أواسط الأناضول.
2- يسكنها مزيج من المتكلمين بالعربية والتركية.
3- محطة دائمة على طريق الحج ،وتحمع للحجاج القادمين من الأناضول والبلقان.
4- مركز استراتيجي للتجمعات العسكرية أيام الحملات الكبرى، وأهمها حملة السلطان سليمان 1543 في طريقه إلى احتلال بغداد وحملة مراد الرابع 1638...
5- مفتاح المناطق العربية من الإمبراطورية العثمانية.
6- اهتمام السلاطين بها، إدارياً وعمرانياً...
7- توسطها للطرق التجارية بين المناطق العربية والتركية ومابين النهرين وبين شواطئ المتوسط وآسية، وهذا مجال واسع يمتد من الدانوب حتى المحيط الهادي ومن بلاد فارس حتى المغرب: نظام إداي واحد، وعملة واحدة، واقتصاد تبادلي وخاصة صناعة النسيج. [1]

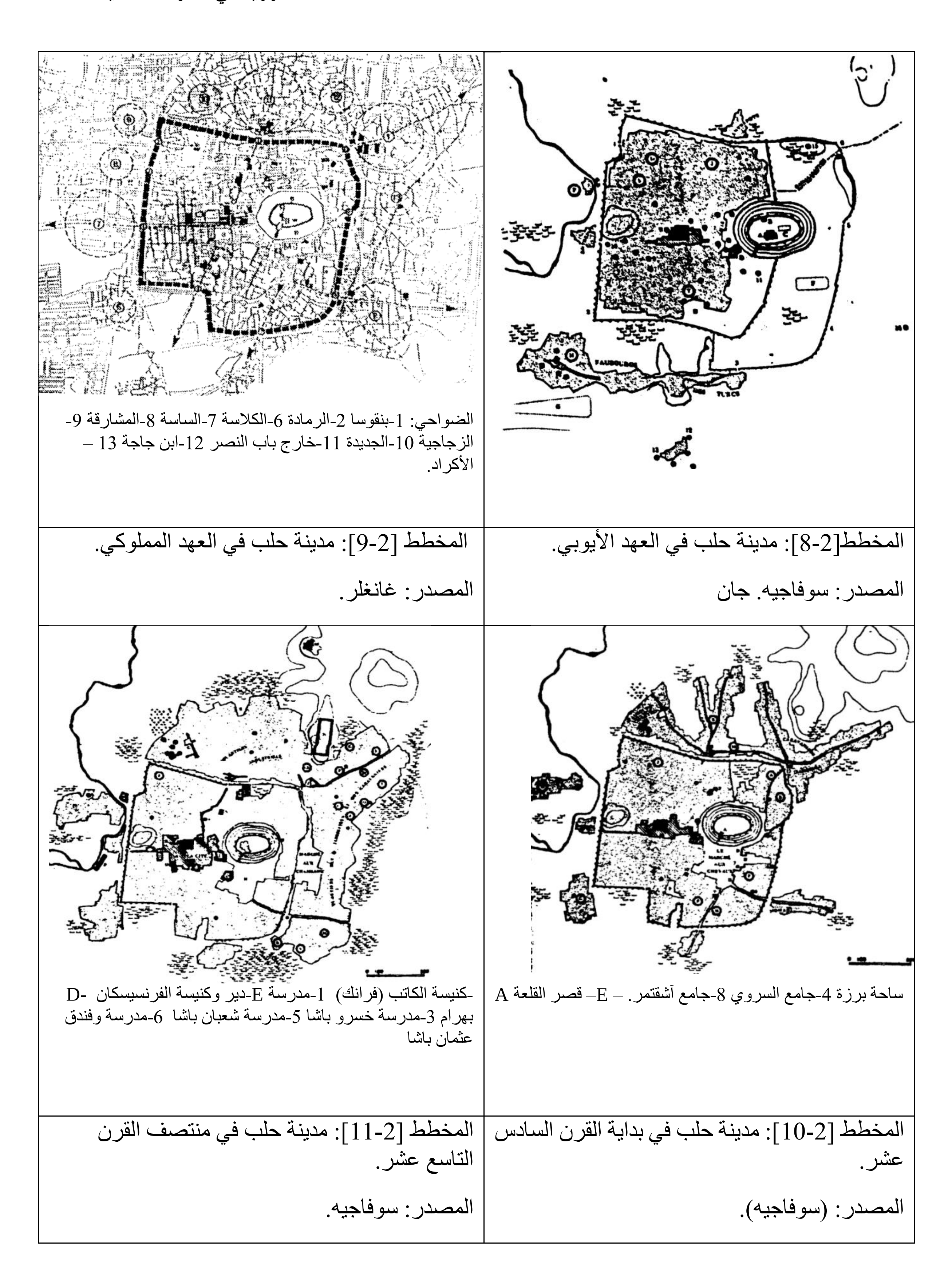
3-3-2-تطور مدينة حلب خارج الأسوار:

- **مدينة حلب في العهد العثماني:**

جنت حلب وشمال سورية أيضاً، ميزات اقتصادية كبرى من الاحتلال العثماني الذي وسع منطقة نفوذ حكام القسطنطينية حتى حدود القوقاز وفارس. فبعد أن كانت حلب مدينة حدودية أيام المماليك، أصبحت في القرن السادس عشر مركز منطقة واسعة تمر بها الطريق الكبرى للمواصلات الدولية، ونقطة الانتقال الاضطراري للبضائع الفاخرة الآتية من الخليج الفارسي والهند، تلك البضائع التي كان بلاط إسطنبول يمثل سوقها المفضل. وتوضح المخططات [2-11/10/9/8] تطور مدينة حلب عبر العهود والفترات الزمنية التي مرت عليها.

فقد تنشط العمران وازداد في في أنحاء المدينة وبشكل خاص إلى الجنوب من الشارع المستقيم الممتد من باب أنطاكية شرقاً وإلى سوق الزرب والقلعة غرباً [2].أصبحت مدينة حلب في العهد العثماني تمتد بطول حوالي 800 متر على **طرفي الشارع الكبير الذي يصل الباب الغربي للمدينة (باب أنطاكية) بالقلعة**، مركز السلطة السياسية والعسكرية. وعلى طول هذا المحور، تنتشر شبكة الأسواق بطول 250 متراً وعرض 40 متراً بانتظام تام. وفي هذا القطاع يتركز أساس الفعاليات الاقتصادية للمدينة (18 خاناً من أصل 45). ويقع الجامع الكبير كالعادة في قلب (المدينة). يورد الملحق رقم [3] التطور التاريخي لمدينة حلب حسب العهود والفترات التاريخية التي مرت عليها.

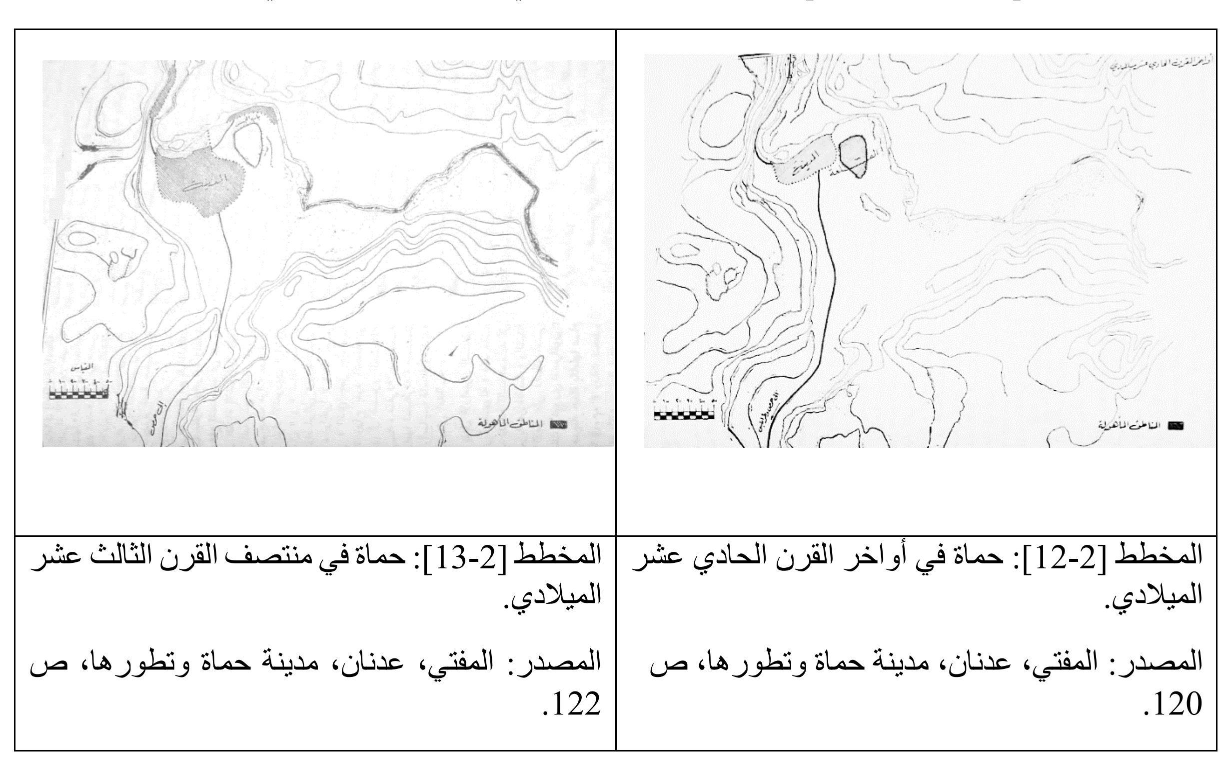
[1]-حريتاني، محمود، حلب والسلطنة العثمانية، ص 5.
[2] -حجار، عبد الله، إضاءات حلبية تاريخ ومعالم تراث، ص ص (28-29).



	الضواحي: 1-بنقوسا 2-الرمادة 6-الكلاسة 7-الساسة 8-المشارقة 9-الزجاجية 10-الجديدة 11-خارج باب النصر 12-ابن جاجة 13 – الأكراد.
المخطط[2-8]: مدينة حلب في العهد الأيوبي. المصدر: سوفاجيه. جان	المخطط [2-9]: مدينة حلب في العهد المملوكي. المصدر: غانغلر.
ساحة برزة 4-جامع السروي 8-جامع آشقتمر. – E– قصر القلعة A	-كنيسة الكاتب (فرانك) 1-مدرسة E-دير وكنيسة الفرنسيسكان -D بهرام 3-مدرسة خسرو باشا 5-مدرسة شعبان باشا 6-مدرسة وفندق عثمان باشا
المخطط [2-10]: مدينة حلب في بداية القرن السادس عشر. المصدر: (سوفاجيه).	المخطط [2-11]: مدينة حلب في منتصف القرن التاسع عشر. المصدر: سوفاجيه.

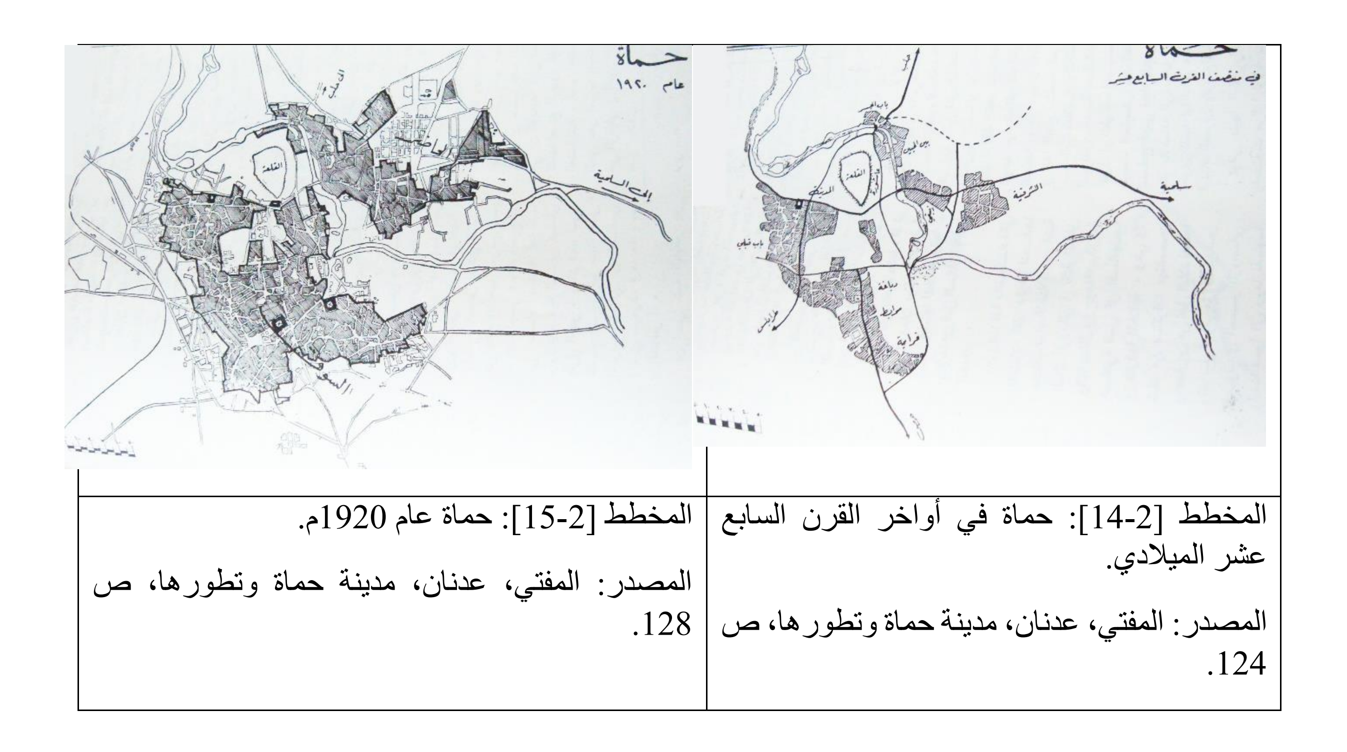
4-3- تطور النسيج العمراني لمدينة حماة خلال تطورها التاريخي:

وجدت مدينة حماة منذ العصر الحجري الحديث في الألف الخامس قبل الميلاد، وتتالت عليها عصور مختلفة من الازدهار والانحطاط، وتأثر مخطط حماة بمجرى نهر العاصي[1]، ومن أهم العوامل التي ساعدت على توسع المدينة هو التوصل لابتكار النواعير في العصرالروماني. بقيت الجهة الشرقية لنهر العاصي لمدة طويلة غير مأهولة، كما أن طريق دمشق-حمص-حلب كان يسير بمحاذاة النهر من الجهة الغربية وذلك حتى موقع شيرز؛ التي تقع على بعد (25) كم شمال غربي حماة حيث يقطع النهر هناك بواسطة جسر ذي عقود حجرية. وقد أدى تزايد السكان وازدياد الهجرة إلى حماة، وازدياد ونمو التجارة، كل ذلك أدى إلى توسع البلدة. وخاصة نحو الجنوب ومن الجهة الغربية للنهر المعروف حالياً باسم السوق. وفي مطلع القرن السادس عشر حيث اقتضت أسباب عسكرية ودفاعية مختلفة تحويل طريق دمشق- حلب وجعل هذا الطريق يقطع النهر شمالي حماة وذلك لاختصا ر الطريق وسهولة ربط المدن ببعضها دفاعياً ومرور الجيوش وغيرها. وأصبح المدخل المؤدي للمدينة من هذه الناحية يعرف باسم (باب الجسر) قد أصبح حياً من أحياء المينة كما نما وازدادت فيه المساكن على طرفي النهر. وكان ذلك نواة للقسم الثاني من حماة على الطرف الشرقي من العاصي والذي عرف باسم الحاضر؛ والذي يشبه حي الميدان في دمشق وحي بانقوسا في حلب وغيرهما من المدن، وذلك من حيث تكونه وتطوره ووظيفته التي يقوم بها في التبادل التجاري. وفي القرن السابع عشر نشأ حي الزمبقي، وتلا ذلك أن اتصلت الأحياء ببعضها بواسطة أحياء جديدة، وتبين المخططات [2-15/14/13/12] تطور مدينة حماة العمراني عبر تطورها التاريخي[2].



المخطط [2-12]: حماة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. المصدر: المفتي، عدنان، مدينة حماة وتطورها، ص 120.	المخطط [2-13]: حماة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي. المصدر: المفتي، عدنان، مدينة حماة وتطورها، ص 122.

[1] - مغربل، فاروق، العمران القديم والحديث في حماة،ص ص 20.
[2] - المفتي، عدنان، تاريخ مدينة حماة وتطورها منذ بنى الإنسان أول حضارة على ضفاف العاصي، ص ص (116-130).



المخطط [2-14]: حماة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي. المصدر: المفتي، عدنان، مدينة حماة وتطورها، ص 124.	المخطط [2-15]: حماة عام 1920م. المصدر: المفتي، عدنان، مدينة حماة وتطورها، ص 128.

5-3- تطور النسيج العمراني لمدينة حمص خلال تطورها العمراني:

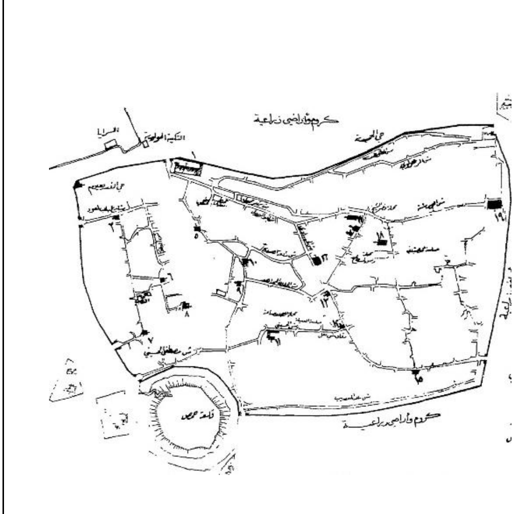
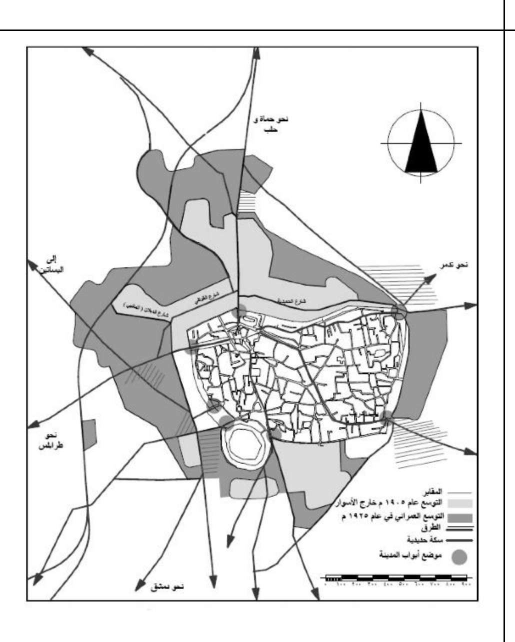
تطورت مدينة حمص بنتيجة موقعها الجغرافي المهم، فهي عقدة طرق مواصلات برية ترتبط مع بقية المحافظات الأخرى، لكونها على مفترق الطرق الدولية والمحلية؛ وقد أثر ذلك في تطورها خلال الأزمان المتلاحقة؛ فازدهرت لكونها مدينة تجارية، فهي محطة لعبور الترانزيت للقوافل التجارية في عهد الرومانيين والعثمانيين[1]؛ وقد انعكس هذا على التطور العمراني للمدينة على امتداد هذا الشرايين الطرقية التجارية المهمة[2].

تقع مدينة حمص القديمة ضمن الأسوار التي أعطى امتداد مسارها شكلاً يقترب قليلاً من المستطيل المشوه في استقامة أضلاعه، والمدينة القديمة المحصورة ضمن الأسوار هي مدينة حمص الأسلامية[3]، تتالى على حكم مدينة حمص العديد من الحكام في العهد العثماني، وطبعت مدينة حمص المدينة الإسلامية بطابع عثماني[4]. يضم الملحق رقم [4] أبواب مدينة حمص القديمة.

وقد بقيت مدينة حمص داخل أسوارها حتى أواخر عهد الخلافة العثمانية[5]،ومن الملاحظ أنّ اهتمام الدولة العثمانية في شؤون الإنشاء والإعمار وإقامة الأبنية العامة في مدينة حمص كان قليلاً جداً، ولم يضيفوا إلى عمرانها ومعالمها البارزة مايستحق الذكر، وكان يقع تحت مسؤوليتهم معالم المدينة القديمة التي ورثوها ممن قبلهم وغالبها أبنية مملوكية إن كانت هي الأخرى قليلة[6]. وتظهر المخططات [2-16/17/18/19] التطور العمراني لمدينة حمص. وكان التوسع العمراني في مدينة حمص عبر تطورها التاريخي يكمن بنتيجة عدد من العوامل الاقتصادية والجغرافية والتجارية؛ كالامتداد من الأسواق التجارية المهمة التي تقوم بربط المدينة مع غيرها، كطريق حمص-طرابلس، وحمص-حماة، وحمص-دمشق، وقد شكلت الأسواق الحديثة امتداداً للأسواق القديمة، ومركزا للمدينة. الحديثة.

---

1 - عبد المجيد، ميادة، الجغرافية التاريخية لمينة حمص، ص124.
2 - عز الدين، عبد الحميد، مدينة حمص في العهد الروماني، ص ص (85-101).
3 - الموصلي، محمد، تاريخ مدينة حمص وآثارها، ص62.
4 - آغا، محمد غازي، مدينة حمص وأوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص 57-59.
5 - العمر، عمر نجيب،
6 -آغا، محمد غازي، مدينة حمص وأوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص 57-59.

	4)- مدينة حمص، وما يحيط بها في عام 1800م(المصدر: محمد غازي حسين أغا،005 5؛ ونعيم سليم الزهراوي، 2006 م، ص.18: بتصرف الباحثين)
المخطط[2-16]: مخطط مدينة حمص القديمة أواخر القرن التاسع عشر. المصدر: السباعي، محمود، والزهراوي، نعيم، حمص دراسة وثائقية، ص 37.	المخطط[2-17]: مخطط مدينة حمص وما يحيط بها عام 1800م. المصدر: الزهراي، نعيم، العمارة الابلقية الأثرية والتراثية بحمص، ص 18.
	
المخطط [2-18]: مدينة حمص في عام 1905م. المصدر: الزهراي، نعيم، العمارة الابلقية الأثرية والتراثية بحمص، ص 18.	المخطط [2-19]: مدينة حمص في عام 1925م. المصدر: الزهراي، نعيم، العمارة الابلقية الأثرية والتراثية بحمص، ص 18.

6-3- التطور العمراني لمدينة درعا خلال تطورها التاريخي:

مدينة درعا:

مدينة "درعا" هي مركز محافظة درعا في سورية. تقع المدينة على بعد 100 كم إلى الجنوب من العاصمة السورية دمشق. وأصل الاسم "درعا" كنعاني وورد ذكره في الكتابات الفرعونية والتوراة. وتتميز درعا بغناها بالآثار الرومانية والاسلامية وبقلعتها ومدرجها الروماني وكنائسها ومساجدها وأسواقها وحماماتها. ودرعا هي مركز زراعي هام. تم استصلاح عشرات آلاف الدونمات في جوارها وربطت مساحات واسعة من أراضيها بشبكات الري. ومن محاصيلها الزراعية الزيتون وزيته والثمار والحمضيات والقمح الحوراني الذي تشتهر به المنطقة وهو من أجود أنواع القمح في العالم[1]. وتعد من أقدم المدن العربية، تقع في جنوب البلاد بالقرب من الحدود الأردنية. كانت عاصمة إقليم حوران الذي يمتد من جنوب سورية إلى شمال الأردن، ويضم مدناً مثل درعا وإربد وعجلون.

تعتبر درعا مدينة ريفية تضم عدد من القرى وهناك طريق قديم يربط المدينة بدمشق العاصمة يمر بمعظم القرى الريفية؛ وهو ذاته الطريق الذي سلكته قوافل الحجاج في طريقها للديار المقدسة. وكل ما فيها من مناطق وأماكن تراثية تعكس العصور التي مرت بها خلال الحروب والغزوات التي تعود إلى آلاف السنين. وخـلال العصور الوسطى كانت تتبع لدمشق.

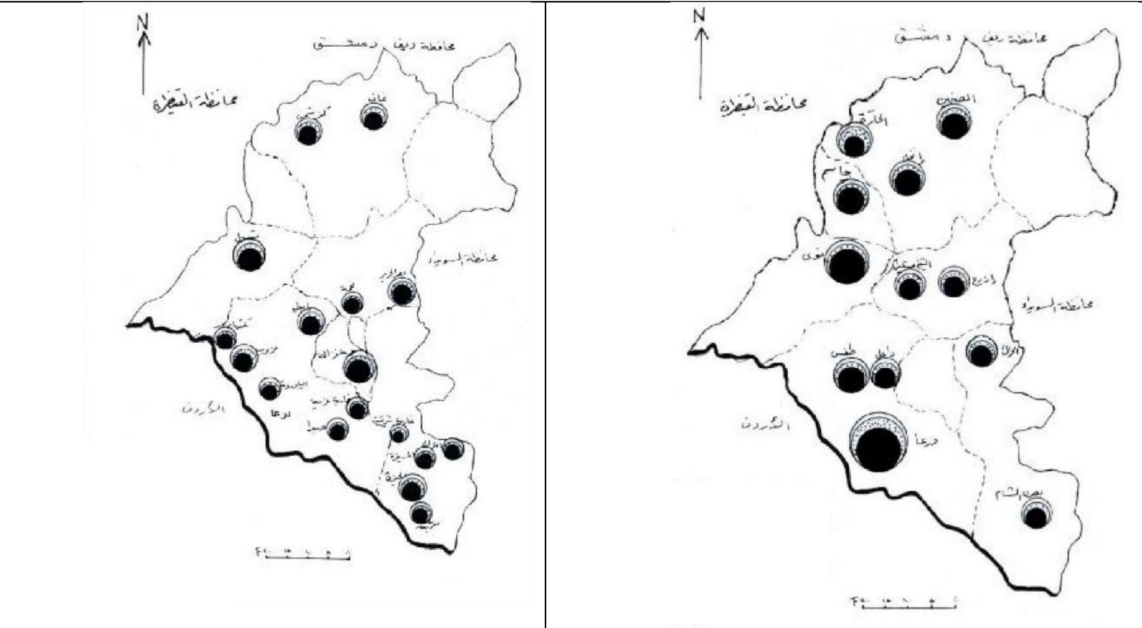
وعندما قسمت المنطقة فيما بعد إلى ولايات أصبحت درعــا مركزًا لولاية ســهل حوران ويطلق عليها اسم البثينة وبصرى مركزًا لولاية جبل حوران وعجلون مركزاً لولاية عجلون ونــوى ومركزاً للجيدور وإزرع مركزا لإزرع وكانت درعــا تتصل بطرق رئيسية مع جميع المناطق إذ كانت طريق البريد بين دمشق والقاهرة ماراً بالكسوة وغباغب والصنمين وطفس ودرعا واربد حتى غزة. وتظهر المططات [2-22/21/20] المدن والبلديات التي تضمها محافظة درعا وتظهر شبكة النظام الحضري فيها في عام 1900.

ويأتي المماليك بعد الأيوبين فتصبح درعـا وحوران تحت حكمهم حتى مجيء الأتراك في 1516م وفي هذه الأثناء تعاني البلاد عامة من عوامل الجمود حتى مطلع القرن العشرين حيث أقيم الخط الحديدي الحجازي وبعث الحياة من جديد في جميع المحطات الواقعة في طريقه وفي مقدمتها درعا[2].

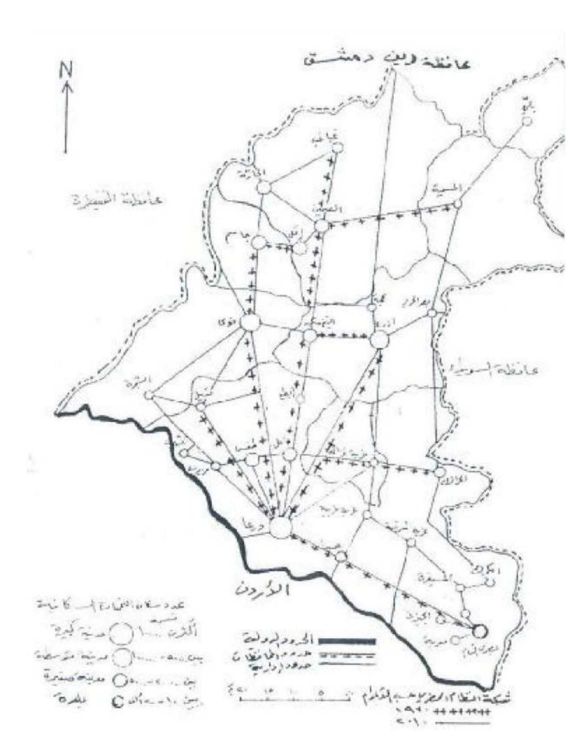
---

[1] - منصور، جوني، الخط الحديدي الحجازي/تاريخ وتطور قطار درعا، ص ص (197-199).

[2] - ويكبيديا الوسوعة الحرة.



المخطط [2-20]: التوزع الجغرافي للمراكز الحضرية في محافظة درعاعام 1900. المصدر: الربداوي، قاسم، التزايد السكاني والتنمية الحضرية في محافظة درعا، ص 722.	المخطط [2-21]: التوزع الجغرافي للبلدات في محافظة درعا عام 1900. المصدر: الربداوي، قاسم، التزايد السكاني والتنمية الحضرية في محافظة درعا، ص 724.



المخطط [2-22]: شبكة النظام الحضري في محافظة درعا عام 1900م.

المصدر: الربداوي، قاسم، التزايد السكاني والتنمية الحضرية في محافظة درعا، ص 744.

3-5-توثيق مسار الحج في سورية:

تسير قافلة الحج في الأراضي السورية، وتمر بمدنها الواحدة تلو الأخرى، وتقضي في ذلك عد أشهر وفي كل مدينة ينضم لقافلة الحج أهالي المدينة المزمعون على الحج، وتعد الأبواب التالية في كل من المدن (حلب-حماة-حمص-دمشق) نقاط انطلاق للقافلة في هذه المدن.

3-5-1- في حلب:

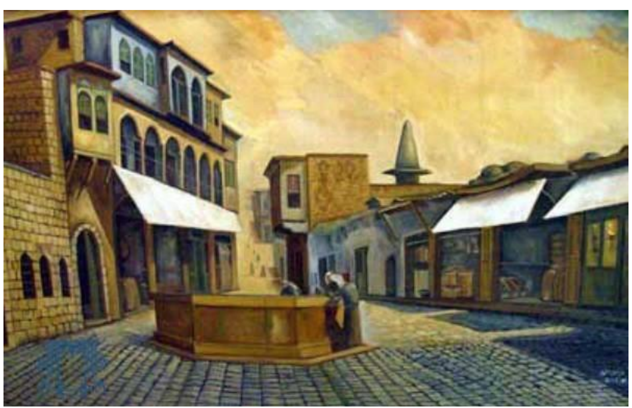
- **باب أنطاكية:**

يرد إلى عهد السلطان الظاهر غازي بن صلاح الدين، سنة (832 هـ)، وهذا الباب هو أرقى أبواب حلب من حيث الفن المعماري، وهو مؤلف من برجين كلاهما يبرر في زوايا منبسطة، وبداخل كل منهما قبو سامق، وفي البرج الأيمن مدخل ضيق وبربخانة وثمة طريق مغطى بين البرجين؛ وزودت جدر المدخل بالكوات والطاقات المحصنة لتيسير الدفاع عنه، وكانت أمام المداخل أبواب ذات مصاريع وأبواب تفتح وتغلق. [1]

3-5-2-في حماة:

- **باب البلد**

باب البلد هو واحد من ابواب حماة الـ12 وأحد أهم مداخل المدينة القديمة،يقع في جنوب سوق الطويل في الطريق المؤدية إلى ساحة الشهداء قرب جامع الملكي. وكان آخر الأبواب المتبقية حيث زالت معالمه في عام 1960م. وقد تم تسمية الحي الذي يقع فيه باب البلد على اسم الباب الواقع فيه. وتظهر الصورة [2-12] ساحة باب البلد.



الصورة[2-12]: ساحة باب البلد عام 1920م.

المصدر: الدندشلي، زياد، موسوعة مدينة حماة 195.

---

[1]-دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، ص37

3-5-3-في حمص:

- **باب السوق:**

يطلق عليه كذلك باب المدينة أو باب الرستن: يقع في وسط السور الشمالي تقريباً، يقع في وسط السور الشمالي تقريباً، وإلى الغرب من الجمع النوري الكبير، ويتجه نحو الشمال وهو الباب الوحيد في السور الشمالي للمدينة الذي يؤدي إلى مدينة حماة وحلب والمدن الشمالية ومقر دار الخلافة العثمانية (استنبول). وأتت تسميته بذلك لانه يؤدي إلى أسواق المدينة كافة، ويعتبر المنفذ التجاري الأول في المدينة نظراً لقربه من أسواقها، وموضعه في وسط شارع باب السوق، ويتقدمه إلى الشمال ساحة باب السوق قديماً ساحة الشهداء حالياً، أزيل هذا الباب بعد التوسع والإمتداد العمراني الذي شهدته المدينة بعد سنة (1286هـ/1869م)؛ حيث أزيل هذا الباب في سنة 1920م. وهو الباب الذي دخل منه جيش الفاتحين المسلمين بقيادة المرقال هشام بن عتبة بن أبي وقاص[1].

- **باب السباع**

تخرج قافلة الحج من باب السباع الذي يقع في الجانب الجنوبي الشرقي من القلعة مباشرةً ويتَّجه نحو الجنوب، ومن موقع باب السباع يبدأ سور المدية الجنوبي من جهة الغرب وهو الباب الذي يؤدي إلى دمشق الشام وحسيا، وهو المنفذ التجاري للمدينة، وهو الباب الذي عناه الواقدي بباب الشام ودخل منه جيش الفاتحين المسلمين بقيادة ييد بن أبي سفيان، وهو الباب الذي يجاور القلعة ومدخلها الرئيسي، وقد أزالت البلدية هذا الباب عند توسيع الطريق المؤدي إلى ظاهر المدينة، وبقي من آثاره عدة صخور كلسية كبيرة في الجهة الغربية من السور المحاذي للباب[2]، ويظهر الشكل [2-2] رنك (شعار) السبعين المتقابلين (البَبَر) الذي كان يوجد في باب السباع.وهو صنف من السباع اتخذه الملك الظاهر بيبرس رمزاً له.




الشكل [2-2]: رنك (شعار) السبعين المتقابلين (البَبَر) الذي كان يوجد في باب السباع.

المصدر: آغا، محمد غازي، مدينة حمص وأوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص 51.

3-5-4- في دمشق (محورباب الجابية) :

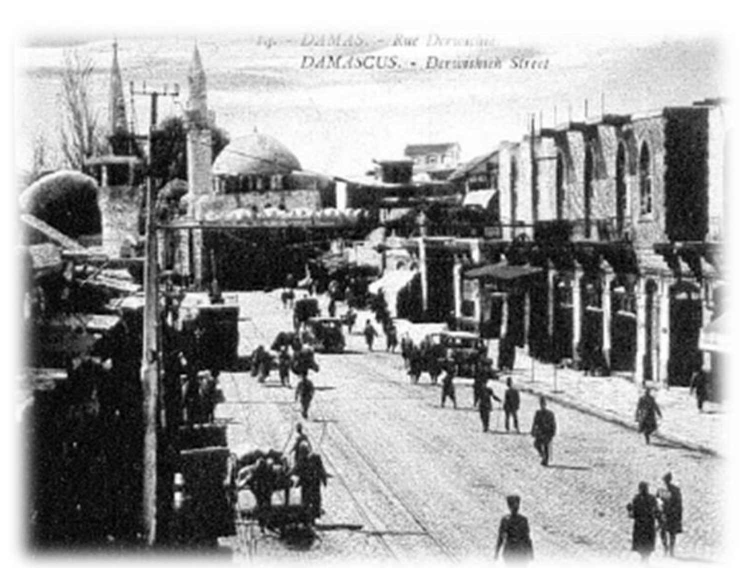
ويطلق على محور الحج محور بالدرويشية الصورة [2-13]، وحالياً يعرف بمحور باب الجابية يشار إليه باللون الأحمر في المخطط [2-23]، ومن أهم المعالم الأثرية الموجودة عل محور الحج باب الجابية.

[1]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص 45.
[2]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص ص (40-41).



المخطط [2-23]: محور الحج موقع باب الجابية بالنسبة له.

المصدر: Google –Earth-بتصرف الباحثة.



الصورة [2-13]: محور شارع الدرويشية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.

- **أولاً: باب الجابية :**

هو أحد الأبواب القديمة لدمشق (الصورة [2-14])، وهو بابها الغربي، هذا الباب بناه الرومان في زمن يقارب بناء الباب الشرقي كما نرجح حوالي أواخر القرن الثاني الميلادي، وكان يتناظر في موقعه مع الباب الشرقي على طرفي الشارع المستقيم، وكان له ثلاث بوابات: الوسطى كبيرة وعلى جانبيها بوابتان صغيرتان الصورة [2-15].

ويوم الفتح العربي لدمشق عام (14هـــ) دخل من هذا الباب صلحا القائد أبو عبيدة بن الجراح، وفي عام 132 هـــ هدمه العباسيون عندما خربوا دمشق وسورها، وأعاد بناءه مع السور نور الدين عام 560 هـــ ثم جدد زمن الملك الأيوبي الناصر داوود بن عيسى. وتسميته تنسب إلى قرية الجابية الموجودة في القسم الجنوبي لمحور الحج. وذلك لأن الخارج من دمشق إليها يخرج من هذا الباب لكونه مما يليها، وقيل ايضاً نسبة إلى جباة الضرائب في تلك المنطقة [1].ويظهر المخطط [2-24] موقع باب الجابية بالنسبة لمحور الحج، والصورة [2-/17/16] باب الجابية ومأذنة المدرسة السيبائية عام 1933م، والشكل [2-3] واجهة باب الجابية.



الصورة [2-14]: باب الجابية. الصورة [2-15]: باب الجابية بفتحاته الثلاث.

المصدر: أطلس دمشق، 2009 م، ص 61. المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.

ويوضح الجدول [2-1] أصل باب الجابية والعهود التي مرت عليه :

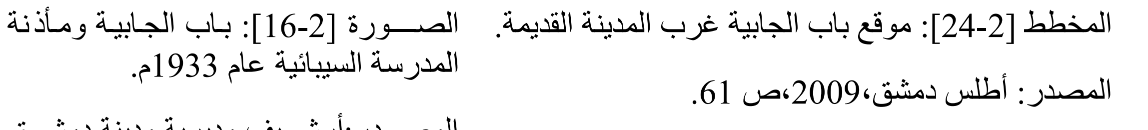
الفترة الكلاسيكية (الهلنستية / الرومانية)	مبني	فترة العهود الإسلامية (٦٣٢ م – ٦٦١م)	مستعمل
الفترة الأموية (٦٦١م – ٧٥٠م).	مستعمل	الفترة العباسية (٧٥٠م – ١٢٥٨م).	مستعمل
الفترة الزنكية (١١٢٧م – ١٢٢٢م).	تعديلات هامة	الفترة الأيوبية (١١٧١م – ١٢٥٠م).	تجديد
الفترة المملوكية (١٢٥٠م – ١٥١٧م).	ترميم	الفترة العثمانية (١٢٨١م – ١٩١٦م).	مستعمل
القرن العشرين	ترميم		

الجدول [2-1]: أهم التغيرات التي طرأت على باب الجابية عبر العصور.

المصدر :المصدر: أطلس دمشق،2009،ص 60.

[1]-لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد مافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم / 10796 /.





المخطط [2-24]: موقع باب الجابية غرب المدينة القديمة.

المصدر: أطلس دمشق،2009،ص 61.

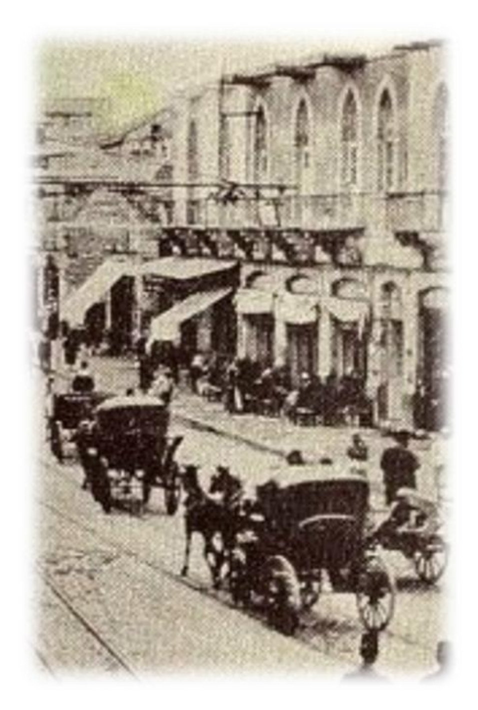
الصــــورة [2-16]: بـاب الجـابيـة ومـأذنـة المدرسة السيبائية عام 1933م.

المصـــدر:أرشـــيف مديرية مدينة دمشـــق القديمة.



الشكل [2-3]: واجهة باب الجابية.

المصدر: أطلس دمشق،2009،ص 61.



الصورة [2-17]: باب الجابية عام 1930م.

المصدر:أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.

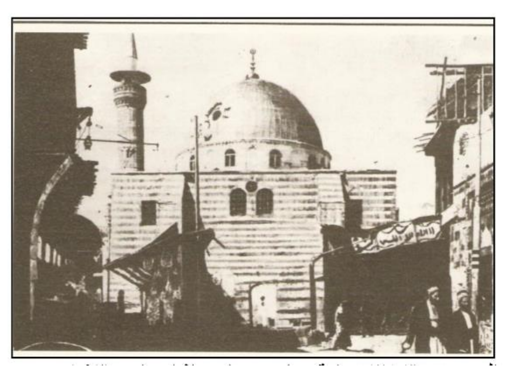
- **ثانياً: أهم المعالم الأثرية على طول محور الحج في دمشق :**

قامت على طرفي محور الحج العديد من لأوابد الأثرية وبقي منها مابقي واندثر منها ما اندثر بسبب القصف الفرنسي (الصورة [2-18] و [2-19])، ومما اندثر منها العديد من الخانات على المحور والمبني في العد المملوكي والتي لم يتبق منها أي أثر اليوم، ومما بقي منها: (دار القرآن الافريدونية – جامع الصابونية – الولي الشيباني). ويوضح الجدول [2-2] والمخطط [2-25]أهم المعالم التي وجدت على طريق الحج، والجدول [2-3] أهم المعالم الموجودة على طول محور الحج ولمحة تاريخية عن هذه المعالم بالإضافة إلى الوصف المعماري لكلاً منها.



الصورة [2-18]: جامع الصابونية – حي الميدان.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة مشق القديمة.



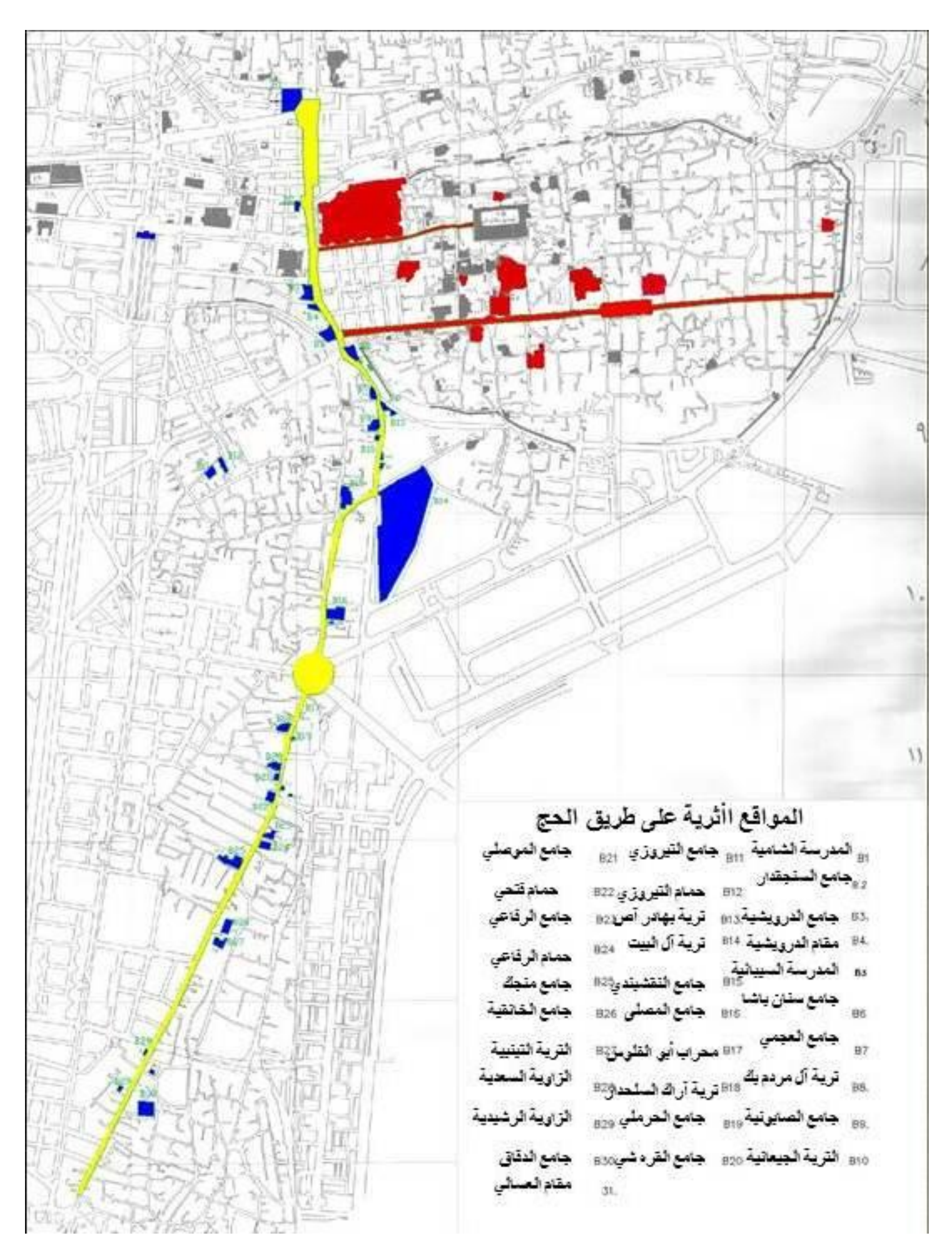
الصورة [2-19]: قبة جامع سنان باشا عام 1935 م وهي مقذوفة من قبل المدفعية الفرنسية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة مشق القديمة.

اسم الموقع	
المدرسة الشامية	جامع محراب أبو الفلوس
جامع السنجقدار	تربة آراق السلحدار وجامع سيدي صهيب
جامع الدرويشية	حمام فتحي
مقام الدرويشية	جامع الموصلي
المدرسة السيبائية	جامع القره شي
جامع السنانية	جامع الرفاعي
محور باب الجابية	حمام الرفاعي
برج نور الدين الزنكي	جامع منجك
جامع العجمي	مسجد الخانقية
تربة آل مردم بك	التربة التينبية
تربة بهادر آص	الزاوية السعدية
جامع الصابونية	الزاوية الرشيدية
جامع النقشبندي	جامع الدقاق
جامع باب مصلى	
المواقع الأثرية المتفرعة على طريق الحج	
مقام العسالي	
جامع التيروزي	
حمام التيروزي	
تربة آل البيت	
بيت البعلبكي	

الجدول [2-2]: المواقع الأثرية على طريق الحج.

المصدر: لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم/10796/ تاريخ 2006/10/8م-تاريخ تسليم التقرير (1428هـ -2007م).



المخطط [2-25]: أهم المعالم الموجودة على طول محور الحج.

المصدر: الباحثة.

المعلم	لمحة تاريخية	الوصف المعماري	موقع المعلم	الصورة
المدرسة الشامية	أنشأتها ست الشام بنت أيوب أخت صلاح الدين الأيوبي سنة 582 هـ. ودفنت فيها سنة 616هـ وقبرها الشمالي من القبور الثلاثة وفيه دفن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ابن عم ست الشام زوجها الثاني الذي توفي سنة 581هـ في حمص ونقلته ست الشام إليها. والقبر القبلي أخوها الملك المعظم نور انشاه الذي توفي سنة 576 هـ ونقل إليها سنة 582 هـ [1].	كغالبية المنشآت الأيوبية، ليس فب هذا البناء من العناصر التزينية أو الزخرفية ما يلفت النظر، في أعلى بابها الشمالي ساكف حجري يحتوي على بقايا شريط متآكل هلنستي أو روماني، شبكي الزخارف، ويعتقد أنه نُقل من مشيدة في دمشق تعود لأحد العصرين المذكورين[2].	المخطط [2-26]: موقع المدرسة الشامية. المصدر: الباحثة.	الصورة [2-20]: المدرسة الشامية. المصدر: بعدسة الباحثة.
جامع السنجقدار	مملوكي من العهد 947 هـ بناه أرغون شاه من مشيدات العهد المملوكي ويعرف أيضا بجامع أرغون شاه نسبة لمنشئه نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري المتوفي قتلاً بظروف غامضة سنة (750 هـ 1349 م) والمدفون في هذا الجامع الذي أقيم على أنقاض مسجد أقدم كان يعرف بجامع الحشر والحدر، ويوجد فيه ثلاثة قبور واحد منهم لأرغون شاه ثم قبر رابع لإحدى النساء الصالحات. أن الجامع مؤرخ بسنة 1236 ه وكان سوق النحاسين ينطلق يوما من هذا المكان باتجاه الجنوب. [3]	أقيم مبنى الجامع بالمداميك الحجرية البلقاء، وجددت بعض أقسامه في حقب مختلفة. تتمع واجهته الشرقية ببوابة مرتفعة معقودة بالمقرنصات الغنية بالدلآيات وفوقها طاسة مظلّية عريضة، وفي أسفل المقرنصات حشوة مربعة مضفورة الزخاف في مركزها قمرية واسعة، وتحت الحشوة شرط مزرّر يمتد فوق مدماك مزرر. ترتفع فوق الأضرحة قبة ملساء مدببة، وتعلو الطرف الجنوبي للجامع مئذنة مجددة على طراز عمارة المآذن الشامية بتأثير مملوكي غني.[4]	المخطط [2-27]: موقع جامع السنجقدار. المصدر: الباحثة	الصورة [2-21]: جامع السنجقدار. المصدر: بعدسة الباحثة.

---

[1]-الشهابي، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 369.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص ص (369 – 370)
[3]-المرجع السابق ذكره، 559
[4]-المرجع السابق ذكره، ص ص 559 – 560

جامع الدرويشية	بناه درويش باشا والي دمشق والذي كلن وزيرا أعظم في عاصمة السلطنة العثمانية. وقد وصف بالبطل الشجاع وعاشت دمشق في أيامه غاية الاطمئنان.دفن بتربته التي عمرها إلى جنوب جامعه.[1]	الجامع عبارة عن كتلة مستطيلة الشكل تتضمن جامع صغير ومدفن، واجهته الشمالية يلاصقها رواق مطل على باحة، وفي جانب الباحة الشرقية يوجد مئذنة حجرية مدورة الشكل. والجامع عبارة عن فراغ فيه أربعة أعمدة تحمل ثلاث أقواس بحيث يقسم فراغ الجامع الى قسمين رئيسيين.[2]	المخطط [2-28]: موقع جامع الدرويشية. المصدر: الباحثة	الصورة [2-23]: جامع الدرويشية. المصدر: بعدسة الباحثة.
جامع سنان باشا (السنانية)	بدء بعمارته في أوائل سنة 995هـ وكان موضعه مسجد يقال له مسجد البصل فجدده سنان باشا وجعله جامعا عظيما وحضر تأسيسه جماعة من العلماء والمؤذنين وولى على عمارتها الأمير محمد بن منجك وضم إليه اثنين ثم خرج من دمشق.[3]	للجامع جبهة حجرية فيها باب ذو مقرنصات وقطع قيشاني بديعة. ويتألف الجامع من حرم تعلوه قبة ضخمة وإلى جانبيه شرفتان. ويحوي صحن الجامع الكبير بحرة كبيرة، ويوجد ضمن الصحن غرفة للتدريس وموضأ ومدخل وغرفة المؤذن. وللجامع مدخلان، مدخل رئيسي من جامع السنانية ومدخل ثانوي من بداية السوق.[4]	المخطط [2-29]: موقع جامع السنانية المصدر: الباحثة.	الصورة [2-23]: جامع سنان باشا. المصدر: بعدسة الباحثة.

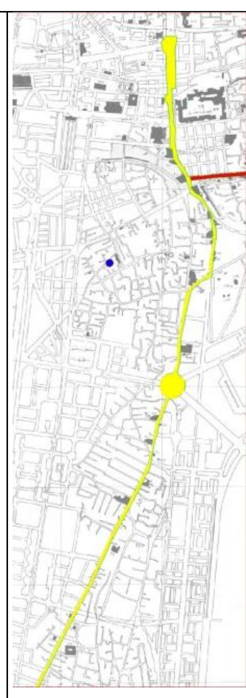
[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 216
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 216.
[3]-المرجع السابق ذكره، ص 227.
[4]-المرجع السابق ذكره، ص 227.

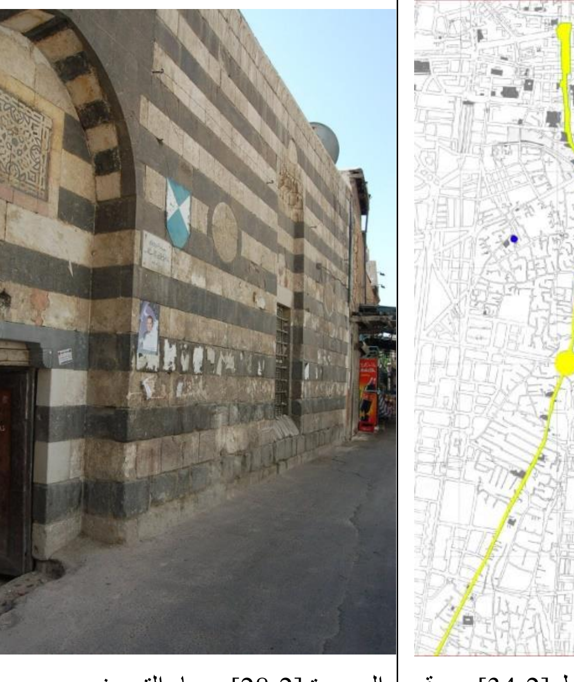
مكتب سنان باشا	هو مكتب هندسي للمهندس المعماري سنان باشا، بناه الوزير سنان باشا في العام 999 هـ.00	المكتب عبارة عن غرفة واحدة ذات قبة، ويطل المكتب على الشارع بواسطة ثلاث نوافذ وباب هو باب الدخول الوحيد.	المخطط [2-30]: مكتب سنان باشا. المصدر: الباحثة	صورة [2-24]: مكتب سنان باشا. المصدر: بعدسة الباحثة.
جامع العجمي /دار القرآن الأفريدونية	مشيدة مملوكية في سوق السنانية عند بداية الطريق الاخذ من باب الجابية الى الميدان التحتاني قبالة التربة المردمية ،أنشاها التاجر الكبير شمس الدين أفريدون العجمي المتوفى في العهد المملوكي سنة (749 هـ / 1348 م) ودفن فيها، وتعرف التربة ايضاً بمسجد العجمي وبجوار بوابتها لوحة مؤرخة لمديرية الاثار تحمل النص التالي: التربة الافريدونية، بناها العجمي التاجر سنة 749 هـ، رغم ان الاسم التاريخي للتربة هو دار القرآن الافريدونية.[1]	يعتبر الجامع نموذجاً مستمداً من مخطط المدارس ذات الإيونات الأربعة التي انتشرت في الباحة حديثة السقف، ويتألف الجامع من مدخل يليه رواق ثم أربعة أركان تؤلف بمجموعها قاعة الصلاة، وسقف الجامع خشبي يتوسطه بشكل متعامد مع المدخل جملون خشبي ينتهي بفتحات مثلثية.[2]	المخطط [2-31]: جامع العجمي. المصدر: الباحثة	الصورة [2-25]: جامع العجمي. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص 461.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 461-462.

تربة آل مردم بك	من مشيدات العهد العثماني وتسمى /تربة مصطفى لالا جعفر باشا / والي دمشق سنة (982 هـ/1574 م).والتربة هي بناء حجري في أجزاءها السفلية قائمة على زاوية بين مفرقين السويقة والبدوي. والتربة مبلطة بالموزاييك الحديث. وتضم أربعة قبور من الداخل، وتحيط بالتربة فسحة فيها مجموعة من القبور الحديثة نسبياً تعود لآل مردم بك.[1]	للتربة واجهة حجرية، يتم الدخول إليها من خلال مدخل حجري مستطيل في جهتها الشمالية ركب عليه باب خشبي قديم بدرفتين، ويتخلل بدن التربة سبع نوافذ حجرية مستطيلة مشبكة بالمعدن، ويعلو البدن من الداخل ستة عشرة نافذة قوسية مصمتة، ومن ثم تأتي طاسة التربة (القبة) الملساء. أرضية التربة مبلطة بالبلاط الموزاييك الحديث، تضم أربعة قبور من الداخل، تحيط بالتربة حديقة (فسحة) فيها مجموعة من القبور الحديثة نسبيا تعود لآل وأتباع مردم بك وصف الواجهة: واجهة حجرية متناوبة الألوان (أسود وأبيض) يتخللها مدخل حجري بالجهة الشرقية من الواجهة يعلوها ساكف حجري أبيض أملس بسيط، ومن ثم يأتي فوقه قوس حجري يضم لوحة حجرية منقوشة وعلى يمين الواجهة سبيل ماء قوسي حجري، تنتهي الواجهة من الأعلى بكورنيش (إفريز) حجري.[2]	 المخطط [2-32]: موقع تربة آل مردم بك. المصدر: الباحثة	الصورة [2-26]: تربة آل مردم بك. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص 119.
[2]-المرجع السابق ذكره.

جامع التوريزي	من مشيدات العهد المملوكي وهو مسجد عظيم جدا ببنائه وزخارفه وقاشيانه وجبهته الحجرية العالية الجميلة المتقنة. للجامع صحن واسع مفروش بالحجارة المتقنة. فيه أروقة حسنة وقبلية عالية الأركان حسنة الزخارف والمحراب والمنبر من أروع التحف الفنية والجامع على العموم محافظ على بنائه الأول وجماله. أما مأذنته التي يفصل بينها وبين الجامع الشارع /زقاق / فهي فائقة الحسن والزخرفة. وأغنى ما في الجامع غرفة ضريح الواقف فإن قاشانيها جد ثمين. وإلى جانب الجامع الحمام التي بناها الواقف. وأمام الجامع والحمام سبيل يرجع إلى عهد الواقف أيضا. ويعرف الجامع على ألسنة الناس التيروزي وهو خطأ لفظي شائع صوابه التوريزي.[1]	للجامع بهو صغير متداخل مع الحرم من خلال قوس علوي حجري ضخم، هذا البهو يتوسطه بحرة مربعة صغيرة وهو مغطى بسقف خشبي. يأخذ الحرم شكل مستطيل يتخلله جدران قوسية قاطعة عددها /2/ ويضم كل جدار ثلاث أقواس حجرية علوية قائمة على أعمدة حجرية مربعة في الوسط، سقف الحرم في الوسط يأخذ شكل جملوني تكتسيه الجوائز الخشبية من الداخل أما الأطراف الجانبية لسقف الحرم فهي تأخذ شكل سقف مستو تتخلله جوائز خشبية للحرم محراب حجري جميل وبديع قائم على أعمدة اسطوانية رخامية يتوسط الواجهة الجنوبية الداخلية للحرم، تنتهي هذه الواجهة من الأعلى بتسع نوافذ حجرية مستطيلة، جدران الحرم الداخلية حتى السقف مبنية بالحجارة القديمة في الزاوية الشمالية الغربية تقع التربة التي تأخذ شكل مربع يعلوها طاسة (قبة) قائمة على رقبتين، تضم التربة قبرين مستطيلي الشكل أرضية التربة حجرية قديمة، في الجهة الغربية للحرم يقع الموضأ الذي يتم الدخول إليه من باب حجري قديم يقع في الواجهة الداخلية صحن الجامع يقع في الجهة الغربية للحرم والتي توجد فيه بحرة قديمة مربعة الشكل ومحراب في الواجهة الجنوبية الداخلية للصحن.[2]	 المخطط [2-33]: موقع جامع التوريزي. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-27]: جامع التوريزي. المصدر: بعدسة الباحثة.

حمام التوريزي	ورد في (الدارس) للنعيمي الدمشقي انه في سنة 848 فتح حمام الأمير غرز الدين خليل التوريزي شرقي مدرسته وهو حمام كبير حسن، واجر كل يوم بأكثر من أربعين درهما وقد اعتبرت المديرية العامة للآثار والمتاحف هذا الحمام في جملة الحمامات الأثرية المسجلة تحت رقم س1/1 ووضعت على بابه لافتة رخامية كتب عليها حمام التيروزي 848 هـ بناه الأمير خليل التيروزي.[3]	للحمام واجهة حجرية متناوبة الألوان يتخللها واجهة قوسية علوية غائرة نحو الداخل، في الأسفل المدخل الحجري المستطيل الشكل الذي ركب عليه باب خشبي قديم بردفة واحدة، يتخلل هذه الواجهة حشوة دائرية (صماء) رنك ذات تشكيلات نباتية، تنتهي الواجهة من الأعلى بكورنيش من المحاريب أما الواجهة الشرقية الخارجية للحمام فهي عبارة عن واجهة حجرية جزء منها متآكل، يتم الدخول من الباب الخارجي إلى القسم البراني الذي يتوسطه بحرة قديمة مثمنة الشكل، يعلو البراني طاسة ضخمة (قبة) قائمة على رقبة مكونة من ستة عشر ضلعا الرقبة تقوم على أربعة أقواس حجرية ضخمة في الجدران الأربعة للبراني يأخذ الوسطاني شكل مستطيل (2.5 × 6) م2 تقريبا وسقفه يتخلله قمريات، الوسطاني الثاني الذي يأخذ شكل مثمن أرضته قديمة يحيط به أربعة مقصورات وله قبة كروية يتخللها قمريات للإنارة منه ندخل للقسم الداخلي (الجواني) الذي يحيط به أربع مقصورات بعد ذلك لقسم الجواني (بيت النار) [4].	مخطط [2-34]: موقع حمام التوريزي. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-28]: حمام التوريزي . المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 204.
[2]-الشهابي؛ قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص ص (533-537).
[3]النعيمي، الدمشقي، الدراس في تاريخ المدارس ج2، ص 187.
[4]-المرجع السابق ذكره، ص 187.

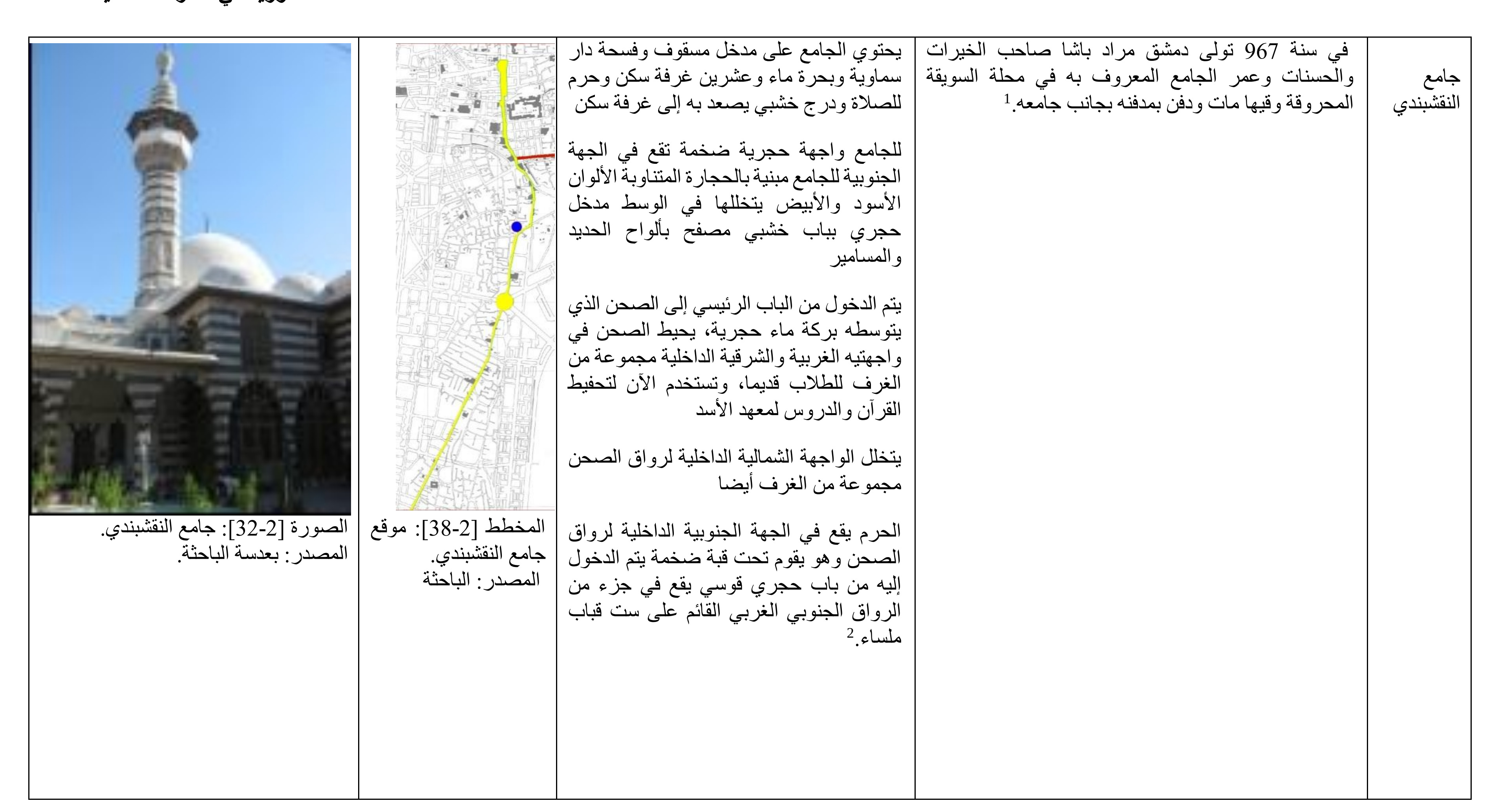
مــدفــن آل دركل	هو مدفن ذو طراز من الفترة العثمانية يعود لحوالي 500 سنة ماضية، موقعه مهم حيث أنه يقع بمحاذاة أكبر المقابر الدمشقية القديمة. ويعود هذا المدفن لعائلة دركل ويفتح في أوقات محددة للزيارة، فيه باب صغير على الجهة اليمينية هي مدخل لمدفن آل القضماني.1	يتميز هذا المدفن بعدم وجود قبة، وواجهته الحجرية فيها تناوب للمداميك الحجرية السوداء والبيضاء. المدخل هو قوس بعمق متر فيه باب معدني وفي الطرف الأيمن يوجد رنك دائري، ويحيط الدائرة مستطيل من الزخارف بالالوان الابيض والاسود والأحمر. [1]	المخطط [2-35]: موقع مدفن آل دركل المصدر: الباحثة	الصورة [2-29]: مدفن آل دركل. المصدر: بعدسة الباحثة
تربة الشيخ حسن الجباوي	تربة الشيخ حسن هي بيت أحد الصالحين الدمشقيين. ويبلغ عمر التربة حوالي خمسة قرون ونصف،وهي الآن تربة وبيت لأحفاد الشيخ حسن. تتميز التربة بنفس الوقت بقبتيها ومحافظتها على حالة إنشائية جيدة. واليوم يستخدم بناء التربة كمنزل يسكنه عائلتين.[2]	تتميز التربة بواجهة حجرية، يتم الدخول إليها من خلال مدخل حجري مستطيل يعلوه مقرنصات، وفي جهتها الشمالية يتخلل التربة أربع نوافذ حجرية مستطيلة، ويعلو البدن من الداخل عشرة نوافذ قوسية مصمتة، ومن ثم تأتي قبتين للتربة موزعة على يمين ويسار المدخل.[3]	المخطط [2-36]: موقع تربة الشيخ حسن. المصدر: الباحثة	الصورة [2-30]: تربة الشيخ حسن. المصدر: بعدسة الباحثة

[1]-المرجع السابق ذكره، ص 220.
[2]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 237.
[3]-المرجع السابق ذكره، ص 237 -239.

مدفن الجباوي	واحد من المدافن العثمانية، والذي يعود تاريخ بناؤه إلى خمسة قرون مضت حيث أنشئ كمدفن لعائلة الجباوي دون غيرها من العوائل الدمشقية، ويشرف عليها الشيخ ابراهيم سعد الدين الجباوي. يفتح المدفن للزيارة مرتين أسبوعيا وكذلك أيام العيدين [1].	تتميز واجهة التربة الحجرية بالعديد من الفتحات، ويوجد مداخلة بيتونية في الطابق الثاني، بالإضافة إلى مئذنة خشبية بسيطة قريبة بشكلها إلى المآذن العثمانية.[2]	المخطط [2-37]: موقع مدفن الجباوي. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-31]: مدفن الجباوي. المصدر: بعدسة الباحثة

[1]-المرجع السابق ذكره، ص 237

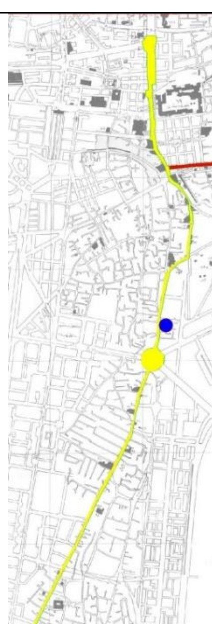
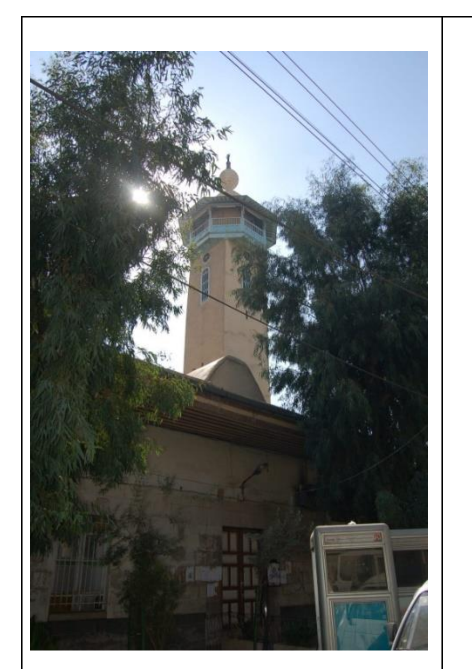
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 237.



جامع النقشبندي	في سنة 967 تولى دمشق مراد باشا صاحب الخيرات والحسنات وعمر الجامع المعروف به في محلة السويقة المحروقة وقيها مات ودفن بمدفنه بجانب جامعه.[1]	يحتوي الجامع على مدخل مسقوف وفسحة دار سماوية وبحرة ماء وعشرين غرفة سكن وحرم للصلاة ودرج خشبي يصعد به إلى غرفة سكن للجامع واجهة حجرية ضخمة تقع في الجهة الجنوبية للجامع مبنية بالحجارة المتناوبة الألوان الأسود والأبيض يتخللها في الوسط مدخل حجري بباب خشبي مصفح بألواح الحديد والمسامير يتم الدخول من الباب الرئيسي إلى الصحن الذي يتوسطه بركة ماء حجرية، يحيط الصحن في واجهتيه الغربية والشرقية الداخلية مجموعة من الغرف للطلاب قديما، وتستخدم الآن لتحفيظ القرآن والدروس لمعهد الأسد يتخلل الواجهة الشمالية الداخلية لرواق الصحن مجموعة من الغرف أيضا الحرم يقع في الجهة الجنوبية الداخلية لرواق الصحن وهو يقوم تحت قبة ضخمة يتم الدخول إليه من باب حجري قوسي يقع في جزء من الرواق الجنوبي الغربي القائم على ست قباب ملساء.[2]	المخطط [2-38]: موقع جامع النقشبندي. المصدر: الباحثة	الصورة [2-32]: جامع النقشبندي. المصدر: بعدسة الباحثة.

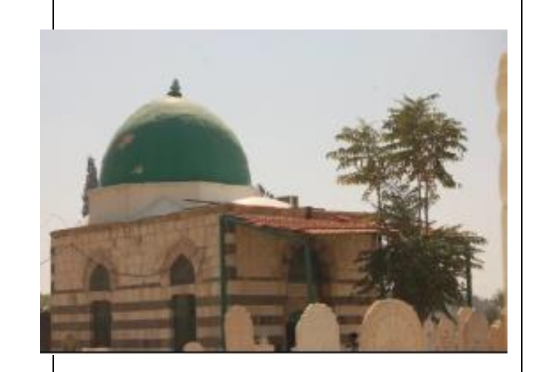
[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 250

[2]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 585.

جامع باب المصلى	يقع في الميدان الوسطاني، قال ابن شداد أنشأه الملك العادل سيف الدين أبو بكرابن أيوب بتولي الصاحب صفي الدين بن شكر في شهور سنة 606 هـ ولم يتهيأ له وقف وقال ابن كثير: قال أبو شامة في سابع شوال شرع بعمارة المصلى وبنى له أربع جدر مشرفة وجعل له أبواب صونا لمكانة من الميتات ونزول القوافل وجعل في قبليته محراب من الحجارة ومنبر من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة في سنة 613 وعمل في قبته رواقان وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب راتب وإمام راتب ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه وذلك على يدي الوزير ابن شكر.[1]	ان هذا الجامع هو أعظم جوامع الميدان له جبهة حجرية ضخمة ولكنها مشوهة بالدهان فيها سقاية،ومن الباب يدخل إلى صحن عظيم جدا مربع مفروش بالحجارة البيض والسود والحمر فيه بركة اثني عشرية ورواق جنوبي يقوم على خمس قناطر مجصصة وفيه محراب فوقه حجرة سوداء تزعم العامة أنها من الكعبة الشريفة وتحت هذا الرواق باب غربي يؤدي إلى الحرم الصيفي العظيم الذي سقفه من خشب وتحته 19 ركيزة ولهذا الحرم محرابان حجريان أحدهما كبير ضخم غريب من نوعه ولعله المحراب الأول الذي بناه ابن شكر والثاني محراب عادي وهو إلى جانب المنبر الخشبي القديم المشوه بالدهان. وللحرم خمسة عشر شباكا ضخما تطل على حديقة واسعة جدا. وفي الجهة الشمالية من الصحن حرم آخر يصلى فيه شتاء وله ستة شبابيك إلى الصحن وفي الجهة الشرقية من الصحن رواق ضخم فيه متوضأ من ماء الفيجة [2]	 المخطط [2-39]: موقع جامع المصلى. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-33]: جامع باب المصلى. المصدر: بعدسة الباحثة.

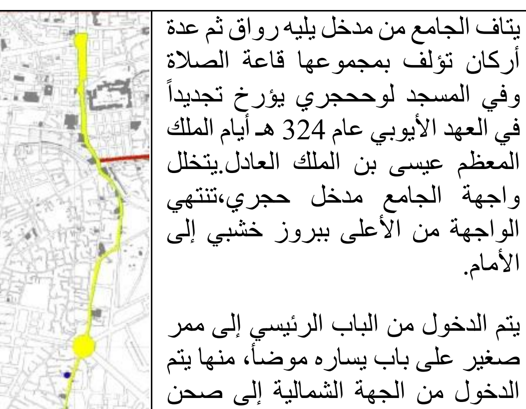
[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 195.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 195.

تربة بهادرآر ص	تربة الأمير الكبير سيف الدين بهادر آص المنصوري،كان من كبار أمراء دمشق، لا يتقدمه أحد، وكان رأس ميمنة الشام. توفي بدمشق سنة 730 هـ / 1329 م، ودفن في تربته خارج باب الجابية. ولا تزال أقسام من تربته قائمة حتى الآن.	عبارة عن تربة مربعة الشكل تضم قبور داخلها لها واجهة حجرية بالجهة الشرقية (بدون رقبة أو سقف) وتشكل واجهتها الشرقية منشرة.	المخطط [2-40]: موقع تربة بهادر آرص. المصدر: الباحثة.	الصورة [2-34]: تربة بهادرآرص. المصدر: بعدسة الباحثة.

مقبرة آل البيت	تعتبر مقبرة باب الصغير إحدى المقابر الهامة في تاريخ مدينة دمشق ولا تزال إلى اليوم تستخدم لدفن عامة الناس وتضم عدد كبير من عظماء التاريخ بينهم الصحابة والخلفاء والقاضاة والعلماء، ومن ينتمي إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تدعى في أيام الرحالة ابن جبير مقبرة الشهداء وقبر آخر يزار منسوب إلى السيدة فاطمة بنت الحسين ولكنه يخص فاطمة أخرى كتب اسمها على التابوت الحجري هكذا: (فاطمة بنت أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت سنة 439 هـ) وقبر ثالث منسوب إلى السيدة زينب. وفي جانب آخر من المقبرة نجد قبرا منسوبا للسيدة أم حبيبة أخت معاوية وإحدى زوجات الرسول .	ومن القبور المشهورة التي ما تزال معروفة إلى اليوم،قبر معاوية ابن سفيان مؤسس الدولة الأموية وقبر بلال الحبشي مؤذن الرسول، والصحابي أبي الدرداء وزوجه وقبر منسوب إلى السيدة سكينة بنت الحسين، وعليه تابوت خشبي ثمين من الناحية الأثرية والفنية ونذكر من قبور العلماء والقضاة المشهورين المؤرخ ابن عساكر المتوفي سنة 1175/571.	 المخطط [2-41]: موقع تربة آل البيت. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-35]: مقبرة آل البيت. المصدر: بعدسة الباحثة.

محراب أبو الفلوس	من العهد الفاطمي يحتوي على ضريحين / للشيخ الدميري والشيخ أحمد سمارة / بالإضافة إلى ضوَيح ابو الفلوس. [1]	زاوية تحتوي على مدخل مسقوف وعلى ساحة سماوية فيها بئر ماء ودرج خشبي يؤدي إلى غرفة صغيرة ومأذنة. على يمين ويسار المدخل الرئيسي غرفتين كل واحدة تضم قبر البناء له قبة حجرية مكونة من الحجر البازلتي الأسود على ارتفاع 10 صفوف من المداميك الحجرية يتخللها باب حجري مستطيل بباب خشبي بدرفة واحدة.يقوم سقف الحرم الخشبي (جوائز خشبية) على قوسين حجريين علويين طليـا باللون الأسود، في الزاوية الجنوبية الغربية من الحرم باب خشبي بردفة واحدة يودي إلى غرفة فيها الضريحين / للشيخ الدميري والشيخ أحمد سمارة الجزء الآخر من محراب جامع أبو الفلوس، يقع إلى الجهة الجنوبية المطلة على الشارع وهي عبارة عن واجهة حجرية مبنية بالمداميك السوداء البازلتية على ارتفاع /8/ مداميك حجرية المئذنة. في أعلى الواجهة مئذنة مخروطية سداسية الشكل اسمنتية. [2]	المخطط [2-42]: موقع محراب أبو الفلوس. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-36]: جامع محراب أبو الفلوس. المصدر: بعدسة الباحثة. المشكلة

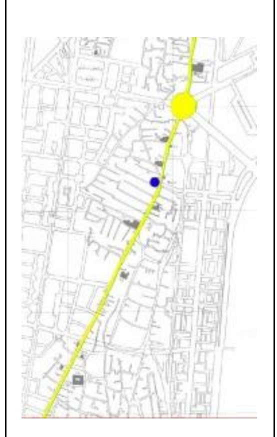
[1]-لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم / 10796 / تاريخ 8/ 10 / 2006 م – تاريخ تسليم التقرير (1328 هـ-2007 م).
[2]-المرجع السابق ذكره.

مقام سيدي صهيب	تنسب التسمية إلى الصحابي صهيب بن سنان الرومي، أحد السباقين الأربعة إلى الاسلام، المتوفى في المدينة المنورة عام 38 هـ، والذي يعتقد بأنه مدفون في ضريح بمسجد في هذه المحلة يعرف باسم (جامع سيدي صهيب) ي مسجد لوح حجري يؤرخ تجديدا في العهد الأيوبي عام 624 هـ أيام الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وإلى الشرق من هذا الجامع تربة ومسجد آراق السلحدار نائب السلطنة بصفد من العهد المملوكي. والمسجد مشيد عام 750 هـ.هذا وصار جامع سيدي صهيب ومسجد آراق السلحدار كتلة واحدة تسميها العامة سيدي صهيب والاسم الشائع لهذه المحلة على ألسنة الناس اليوم (الصحابة). [1]	يتاف الجامع من مدخل يليه رواق ثم عدة أركان تؤلف بمجموعها قاعة الصلاة وفي المسجد لوححجري يؤرخ تجديداً في العهد الأيوبي عام 324 هـ أيام الملك المعظم عيسى بن الملك العادل.يتخلل واجهة الجامع مدخل حجري،تنتهي الواجهة من الأعلى ببروز خشبي إلى الأمام. يتم الدخول من الباب الرئيسي إلى ممر صغير على باب يساره موضأ، منها يتم الدخول من الجهة الشمالية إلى صحن الجامع الذي يأخذ شكل مستطيل،يحده من الشمال الجدار الخارجي القديم البديع لضريح آراق السلحدار، ينفتح الصحن إلى الحرم في الواجهة الجنوبية الداخلية للحرم محراب بسيط، في الواجهة الشرقية الداخلية يقع المنبر الخشبي. يتم من خلال الصحن الدخول إلى مصلى يقع في الجهة الغربية من الصحن. مقابل المدخل الرئيسي للحرم يقع مدخل مقام سيدنا صهيب الرومي، تنتهي التربة من الأعلى بطاقة (قبة) يتخلل الطاسة من داخل ثمان فتحات صغيرة (قمريات). [2]	 المخطط [2-43]: موقع جامع سيدي صهيب. المصدر: الباحثة	الصورة [2-37] : جامع سيدي صهيب. المصدر: بعدسة الباحثة.

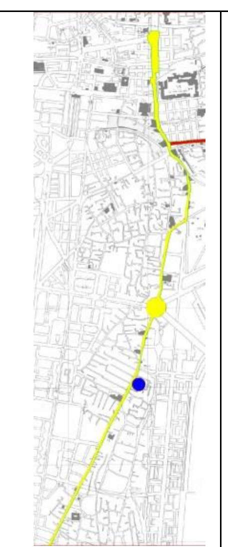
[1]-الشهابي، قتيبة، معالم دمشق التاريخية، ص 205.
[2]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص 123.

جامع القره شي	يقع في الميدان الوسطاني. [1]	غرفة صغيرة لها ثلاثة حيطان من حجر أسود وأبيض متقنة ولها محراب حسن. وأمامها متوضأ من ماء الفيجة. [2]	المخطط [2-44] : موقع جامع القره شي المصدر: الباحثة	الصورة [2-38]: جامع القره شي. المصدر: بعدسة الباحثة.
جامع الموصلي	جامع على محور الحج (غير مسجل أثريا) ولكنه ضمن الشريحة الأثرية (شريحة الميدان)، يقع في الميدان الفوقاني، والذي أنشأه أفراد أسرة الشيباني الموصلي الصوفية. [3]	هو مسجد صغير له صيفي بسيط. [4]	المخطط [2-45]: موقع جامع الموصلي. المصدر: الباحثة	الصورة [2-39]: جامع الموصلي. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 245.
[2]-الرجع السابق ذكره، ص 245.
[3]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 256.
[4]-المرجع السابق ذكره، ص 256.

حمام فتحي	معمر حمام فتحي هو نفس معمر جامع فتحي والذي يقع في حي القيمرية داخل السور، ويقع في حي الميدان الوسطاني، وهو من الحمامات الدمشقية الحديثة العهد (في القرن الثامن عشر الميلادي). وقد اعتبرته المديرية العامة للآثار والمتاحف نموذجاً للآثار العثمانية وسجلته برقم (21). جدده عام 1361 هـ السيدان شفيق ومحمود ولدي عارف آغا النوري.[1]	للحمام مدخل يشبه مداخل الجوامع ذات المقرنصات. ويتألف الحمام من قاعة في وسطها بحرة ولها أربعة أركان، وتعلو القاعة قبة ضخمة. كما يتألف الحمام أيضاً من الوسطاني والجواني والبراني وكل منها مزين بزخارف بديعة بالإضافة لوجود القمرات في الأعلى تسمح بدخول الضوء بألوان مختلفة.[2]	 المخطط [2-46]: موقع حمام فتحي. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-40]: تربة آل مردم بك. المصدر: بعدسة الباحثة.

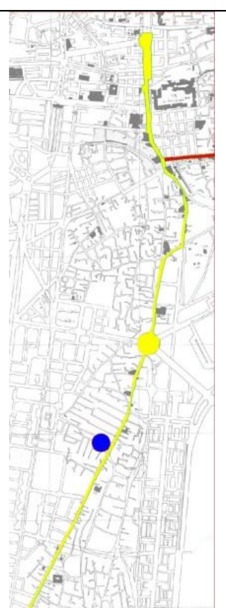
[1]-لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم / 10796 / تاريخ 8/ 10 / 2006 م – تاريخ تسليم التقرير (1328 هـ-2007 م).
[2]-المرجع السابق ذكره

جامع الرفاعي	أمر ببناء هذا الجامع تاج الوزراء العظام صاحب الفخامة محمد تاج الدين أفندي الحسيني رئيس الحكومة السورية المعظم في سنة 1353 هـ. [1]	للجامع واجهة حجرية بسيطة يتخللها مدخل حجري، يتم الدخول من الباب الرئيسي إلى بهو مستطيل ومن ثم يلي ذلك مدخل حجري (من الحجر الأسود البازلتي) مستطيل الشكل قديم يعلوه قوس حجرية شبه مدببة تستمر مع السقف مسافة /2م/ لتشكل سقف سريري يتم الوصول من خلاله إلى صحن الجامع المستطيل الشكل. الجزء الجنوبي من الصحن مسقوف وقائم على قوسين حجريين يستندان في الوسط على عامود اسطواني حجري وفي الواجهة الجنوبية الداخلية للصحن محراب قوسي حجري، يقع مدخل الحرم في الواجهة الشرقية الداخلية للصحن حيث فيه يتم الدخول إلى الحرم الذي يأخذ شكل مستطيل، أما السقف فهو مستوي قائم على عامودين اسطوانيين في الوسط. للجامع مئذنة حجرية قديمة مثمنة الشكل يعلوها شرفة المؤذن ومظلة شرفة المؤذن ومن ثم مخروط هرمي مكون من ثمانية أضلاع. [2]	 مخطط [2-47]: موقع جامع الرفاعي. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-41]: جامع الرفاعي. المصدر: بعدسة الباحثة.

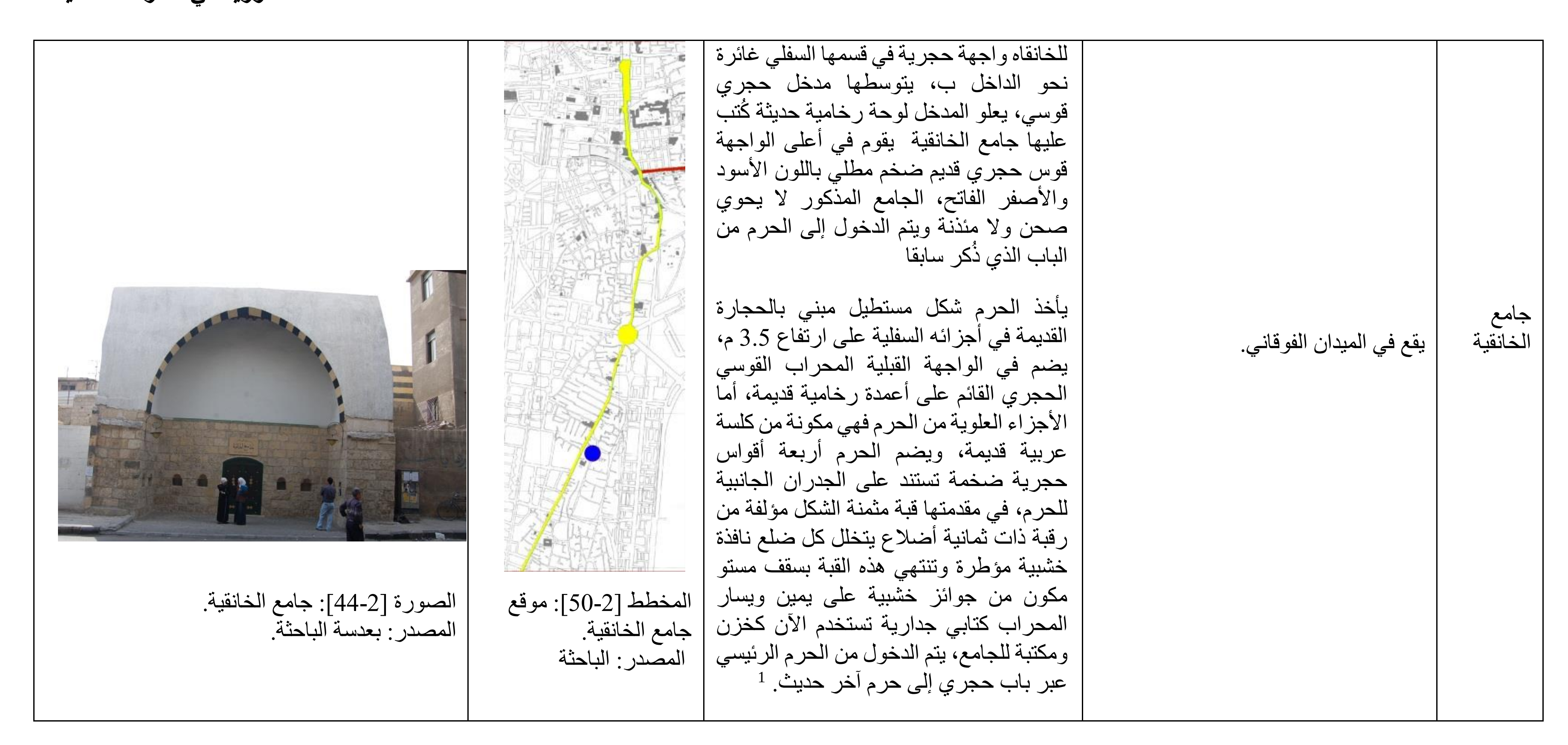
[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 218.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 256.

حمام الرفاعي	يقع في حي الميدان الوسطاني وهو من الحمامات المسجلة لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف لكونها أثرية وسجلته برقم (س-437) لأنه يعود إلى القرن العاشر الهجري وعده ايكوشار من حمامات القرن السادس عشر الميلادي كما أشار إلى ذكره المنجد يشكل البراني باحة مسقوفة حديثة البناء ومرد ذلك أن البراني قذف بالقنابل الفرنسية وأحرق أثناء الثورة السورية الكبرى عام 1925 ثم جدده رضا العابد[1]	حمام بناؤه من حجر ولبن وخشب يحتوي على فسحة سماوية ضمنها بحرة ماء وفسحة مسقوفة ثانية (براني) ضمنها بحرة ماء ومرحاض و فسحة أخرى مسقوفة ثالثة (جواني) بها ستة غرف وعشرة أجران للماء وموقد وحاصل، سقف الحمام بيتوني تتوسطه قبة مثمنة الشكل بدون طاسة ذات سقف مستوي، يتخلل هذه الأضلاع الثمانية ثمان نوافذ قوسية حديدية، جدران هذه الرقبة والسقف تضم زخارف متنوعة من العجمي الأقسام القديمة في الحمام هي الوسطاني والجواني، من البراني يتم الدخول إلى الوسطاني عبر باب من الألمنيوم بدرفة واحدة حيث المدخل ثم يلي ذلك قسم الوسطاني الأول فقسم الوسطاني الثاني فالجواني أرضية القسمين المذكورين أرضية قديمة من الحجر البازلتي الأسود والمزي، أما أرضية القسم الجواني فهي مكسية بالرخام. ويضم الحمام ثلاثة عشر جرن حجري قديم جميل أسقف الجواني والوسطاني مكونة من قبب وقبوات سريرية يتخللها قماري زجاجية (للإنارة)	 المخطط [2-48]: موقع حمام الرفاعي. المصدر: الباحثة.	 الصورة [2-42]: حمام الرفاعي. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم / 10796 / تاريخ 8/ 10 / 2006 م – تاريخ تسليم التقرير (1328 هـ-2007 م).

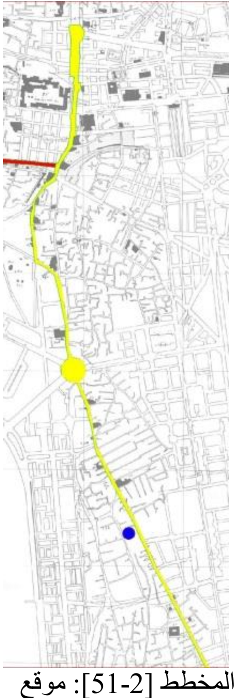
جامع منجك	قال النعيمي على جامع ابن منجك عند جسر الفجل و آخر ميدان الحصا أسسه الأمير العوني الغياثي الهمامي الصارمي ابراهيم بن سيف الدين منجك اليوسفي الناصري وأخوه الأمير فرج وقد مر أنه دفن بتربته ظاهر باب الجابية قبلي تربة أفريدون العجمي وغربي تربة بهادر آص وأخوه الثاني الأمير ركن الدين عمر. [1]	للجامع واجهة حجرية قديمة أما الأقسام العلوية منها فهي حديثة بنيت مع التوسعة الضخمة والكبيرة لجامع منجك، خلف هذه الواجهة حرم الجامع القديم، لكن تم تجديده من خلال الاكساءات التي تمت عليه مثل تلبيس المحراب بالرخام واللوحات التزيينية الرخامية والأشرطة التزيينية العجمية والكورنيشات الخشبية المكونة من مقرنصات خشبية ذات ألوان وزخرفة عجمية. أما السقف فهو بيتوني حديث من الحرم المذكور يتم الدخول إلى الجزء الغربي من الجامع وهو القسم الكبير الذي تم بناؤه بتوسعة الجامع صحن الجامع حديث بكافة أجزائه وواجهاته وأرضياته حيث تم اكساء الواجهات الأربعة بالرخام فوق العناصر القديمة يتخلل الصحن بحرة مربعة قديمة، أما المئذنة القديمة فتقع في الجهة الشمالية من الصحن خلف الرواق الشمالي، في الرواق الشمالي والشرقي مجموعة من الغرف لطلاب العلم[2].	 المخطط [2-49]: موقع جامع منجك. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-43]: تربة آل مردم بك. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 255.
[2]-المرجع السابق ذكره.



جامع الخانقية	يقع في الميدان الفوقاني.	للخانقاه واجهة حجرية في قسمها السفلي غائرة نحو الداخل ب، يتوسطها مدخل حجري قوسي، يعلو المدخل لوحة رخامية حديثة كُتب عليها جامع الخانقية يقوم في أعلى الواجهة قوس حجري قديم ضخم مطلي باللون الأسود والأصفر الفاتح، الجامع المذكور لا يحوي صحن ولا مئذنة ويتم الدخول إلى الحرم من الباب الذي ذُكر سابقا يأخذ الحرم شكل مستطيل مبني بالحجارة القديمة في أجزائه السفلية على ارتفاع 3.5 م، يضم في الواجهة القبلية المحراب القوسي الحجري القائم على أعمدة رخامية قديمة، أما الأجزاء العلوية من الحرم فهي مكونة من كلسة عربية قديمة، ويضم الحرم أربعة أقواس حجرية ضخمة تستند على الجدران الجانبية للحرم، في مقدمتها قبة مثمنة الشكل مؤلفة من رقبة ذات ثمانية أضلاع يتخلل كل ضلع نافذة خشبية مؤطرة وتنتهي هذه القبة بسقف مستو مكون من جوائز خشبية على يمين ويسار المحراب كتابي جدارية تستخدم الآن كخزن ومكتبة للجامع، يتم الدخول من الحرم الرئيسي عبر باب حجري إلى حرم آخر حديث. [1]	المخطط [2-50]: موقع جامع الخانقية. المصدر: الباحثة	الصورة [2-44]: جامع الخانقية. المصدر: بعدسة الباحثة.

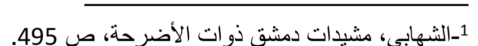
[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 211.

تربة التينبية	الميدان الفوقاني – هو تربة الأمير تينبك الحسني الظاهري سيف الدين تنم (802 هـ) ولا يجزم الأستاذ SAUVAGET بما جزمنا به هنا بل يقول (إنها قبة الضريح يشبك (أوتينبك) وما جزمنا به هو الصواب فقد قرأناه على جبهتها صريحا لا موضع للشك فيه. ثم أن اسم الجامع الحالي يشهد لما ذهبنا به. وهي تربة بتربة شبيهة بتربة الشيخ حسن، فيها قبتان على جانبي الباب وواجهة جميلة، وتقع في محلة الميدان الوسطاني. أنشأها نائب السلطنة تنم الحسني ويسمى أيضا تنبك الظاهري. دفن بها سنة 1399/802 ودفن فيها أيضا سنة 815 هـ نائب السلطنة الأمير تغري بردى والد مؤلف كتاب النجوم الزاهرة[1].	له جبهة بأربعة شبابيك ذات مقرنصات حسنة وبينها الباب البديع الذي يدخل منه إلى بهو صغير فوقه قبة حجرية حسنة الصنع جدا قائمة على أربعة أقواس وإلى جانبها قبتان أعظم منها فالجنوبية هي قبة المسجد وفيها محراب حجري بديع الزخرفة ولكنه مشوه بالدهان. والشمالية (ولعلها كانت قبة الضريح – هي غرفة ليس فيها شيء وإنما يتخذها الامام مقرا له[2].	 المخطط [2-51]: موقع التربة التينية. المصدر: الباحثة.	الصورة [2-45]: التربة التينبية. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 144-145.

[2]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد. ص 402.

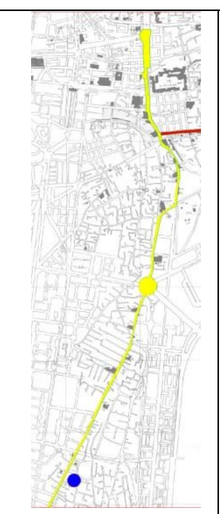
الزاوية السعدية	يعود تاريخ انشاء الزاوية السعدية إلى العصر العثماني وهي منسوبة إلى الشيخ حسن بن محمد بن سعد الدين الجباوي المتوفي سنة 1508 م وحسب روايات كبار العمر في المنطقة كانت الزاوية السعدية مركزا للشيخ حسن بن محمد بن سعد الدين ومكانا لإقامة الذكر فيها. والزاوية السعدية على طريق قوافل الحج فكانت تقصدها القوافل وتتوقف للاستراحة فيها ويقوم الشيخ حسن بن محمد بن سعد الدين الجباوي بالدعاء لهم ومباركتهم، وحسب الروايات ان بيت البيطار المتهدم حاليا كان مضافة تابعة للزاوية السعدية تستضيف بها القوافل الآنفة الذكر والزاوية السعدية حاليا تستخدم مكانا للذكر وكجامع[1].	يتميز هذا البناء بقبته الكبرى والصغرى اللتين تغطيان الفراغ الداخلي،يلاحظ تناوب الحجر الكلسي الأبيض والحجر البازلتي الأسود واستعمالهما لتزيين الواجهة عن طريق تشكيلات هندسية. يمكن تقسيم الواجهة الرئيسية إلى قسمين : الجزء اليساري للواجهة يتخلله ثلاث نوافذ أبعاد 100×120 سم وهذه النوافذ الثلاث هي النوافذ الوحيدة للبناء. الجزء اليميني للواجهة المتهدم (كان سابقا حسب الروايات مضافة تابعة للزاوية السعدية) وفي منصف الواجهة نلاحظ قوسين حجريين متراجعين ينتهيان بباب للممر المغطى المؤدي إلى المصطبة والحارة وهذا الممر المغطى عبارة عن تصالب قبوات فوق القوسان هناك نافذة لغرفة يقطنها آل المهايني كانت تابعة في وقت مضى للزاوية السعدية. عند دخولنا إلى المصطبة يطالعنا على الجدار الغربي درج يؤدي إلى السقيفة العلوية وعلى الجدار الشرقي وعند التقائه مع الجدار الشمالي ببحرة ماء محدثة البناء وعند التقائنا إلى الفراغ الواسع وفي الجدار الجنوبي نلاحظ المحراب يتوسط الجدار وهناك كتبيتان على جانبي المحراب والفراغ بين الكتبية وحتى الجدار مكسو ومزين بالقاشاني بالنسبة للقبتان فنلاحظ أن رقبتي القبتين لها نوافذ تتناوب بين مسدودة ومفتوحة ويبلغ ارتفاع الرقبة 182 سم وارتفاع القبة الكبيرة 4 م أما القبة الصغيرة فارتفاعها 2م.[2]	المخطط [2-52]: موقع الزاوية السعدية. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-46]: الزاوية السعدية. المصدر: بعدسة الباحثة.



[1]-الشهابي، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 495.
[2]-المرجع السابق ذكره، ص ص 495 – 499.

الزاوية الرشيدية	تعتبر من أهم المباني المملوكية في مدينة دمشق وتعرف باسم الزاوية الرشيدية ومسجد الشيخ حماد الذي كان مقرا للطريقة الرشيدية الصوفية بدمشق وأول من أشار إليها باسم المدرسة الرشيدية كان فولتسينجر وقد زارها مع بدايات القرن السابق وقال عنها (... ويبدو أن القبة الشمالية تضم قبرا في داخلها) لكنه لم يحدد من هو صاحب هذا القبر.... ثم تلاه سوفاجيه في تسميتها بالمدرسة وذكر أنها تربة مجهولة ربما كانت لنائب السلطنة بدمشق (أشقتمر)، كما نسبها البعض إلى نائب السلطنة بدمشق، الأمير (منكلي بغا)، أو إلى نائب السلطنة الأمير (أقتمر)الذي ولي دمشق سنة 768 هـ /1366 م وذهب البعض بنسبتها إلى الأمير تنكز وستبقى مجهولة طالما لم يكشف ن الكتابات المؤرخة لها في واجهتها التي تحجبها المشيدات المقامة أمامها. [1]	هي بناء مرتفع تتوسطه بوابة معقودة بمقرنصات تشوه أعلاها ودسرت طاستها أو صدفتها تحت مبنى محدث على جانبيه قبتان ملساوتان تستند كل منهما إلى رقبة وحيدة الطبقة ذات اثني عشر ضلعا تتناوب فيها ست نوافذ صماء مقوسنة، وست نوافذ مفتوحة مقوسنة وفي البوابة حشوة مربعة هندسية تزخرفها خطوط ودوائر متداخلة يتوسطها شعار (رنك) بصورة كأس، وتزين هذه الحشوة قطع من الفخار الأزرق وفي وسط الواجهة بوابة حجرية على طرفيها مصطبتين،ركب عليها باب خشبي قديم بدرفتين يعلوه ساكف حجري ويعلوه شريط من الحجارة (المداميك) المزررة ندخل من البوابة الرئيسية للتربة إلى ممر بحجم الغرفة مستطيلة وعلى يمينها مدخل التربة وهي في الجهة الشمالية والتربة من الداخل مربعة الشكل تقريبا القسم الثاني وهو القسم الواقع في الجهة الجنوبية يدخل إليه عن طريق بوابة مستطيلة تنتهي من الداخل بقوس في صدر الواجهة القبلية (الجنوبية) الداخلية صورة للملكة خاتون كما يقال، على طرفها نافذتين قوسيتين صمائتين (مغلقتين).في الطابق العلوي غرفتين تقعان في الجهة الجنوبية ويقعان ضمن طاسة القبة من الداخل وتنتهي طاسة التربة في ذروتها بإطار دائري عليه كتابات قرآنية. [2]	المخطط [2-53]: موقع الزاوية الرشيدية. المصدر: الباحثة	 الصورة [2-47]: الزاوية الرشيدية. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص 165.
[2]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة، ص ص (165 – 167).

جامع الدقاق	في الميدان الفوقاني – هو مسجد كريم الدين بن الكريم بن المعلم هبة الدين وكيل الخاص السلطاني بالبلاد جميعها قدم دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات الذي يقال له جامع كريم الدين.. وشرع ببناء جامعه بعد سفره وفي سنة 718 في شعبان تكامل بناء الجامع الذي أنشأه كريم الدين وحضر فيه القضاة والأعيان وخطب فيه شمس الدين محمد بن عبد الواحد الحراني الحنبلي قدم دمشق وهو من الصالحين الكبار.[1]	هو مسـجد جامع عظيم له ثلاثة أبواب بابان غربيان يؤديان إلى الطريق العام وثالث يؤدي إلى ساحة الحمام وله صحن عظيم جدا مفروش بالحجارة السود والبيض. وفي جهاته الشرقية والغربية والشمالية ثلاثة أروقة ضخمة وفوق الرواق الشمالي تقع المنارة المربعة الجميلة. وفي الجهة الجنوبية باب ضخم يكتنفه بابان أصفران يؤديان إلى القبلية. أما القبلية فعظيمة جدا مستطيلة الشكل لها سقف خشبي مسنم يرجع إلى عهد بنائه الأول وفيها ثلاثة محاريب قديمة ولكنها مشوهة بالدهان وقد كتب على أوسطها أنه جدد سنة 1296. والمنبر خشبي جميل الصنعة ولكنه مشوه بالدهان أيضا ووراءه موقف الخطيب لوحة حجرية قديمة كتب عليها بخط ثلثي حسن آية الكرسي، ولعل هذه اللوحة ترجع إلى عهد البناء الأول أيضا.[2]	 المخطط [2-54]: موقع جامع الدقاق. المصدر: الباحثة	الصورة [2-48]: جامع الدقاق. المصدر: بعدسة الباحثة.

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 217

[2]-المرجع السابق ذكره، ص 217.

تكية العسالي	من المساجد العثمانية يعود تاريخه إلى 1045 هـ ويقع في منطقة القدم ينسب الاسم إلى الشيخ أحمد بن علي الحريري شيخ الخلوتية الصوفية المتوفى بدمشق سنة 1048 هـ، والمدفون في الجامع المعروف باسمه هناك (جامع العسالي) ونسبة اسم العسالي أنه كان من قرية حرير ونزل في قرية (عسال) فأقام بها وعُرف بهذا الاسم وقد دفن وتوفي بالمسجد والجامع بناه والي الشام العثماني كوجك أحمد باشا عام 1045 هـ لأجل الشيخ أحمد المتصوف المذكور، ثم دفن هذا الباشا إلى جوار الشيخ بعد مقتله. وعند ضريحي الشيخ والباشا يوجد في المسجد المذكور ستة أضرحة أخرى[1].	الجامع كان يضم تكية وسبيلا وكان المتولي عليه مفتي دمشق وكان له سكن في الجهة الشمالية. [2]	المخطط [2-55]: موقع تكية العسالي المصدر: الباحثة.	الصورة [2-49]: مقام العسالي. المصدر: بعدسة الباحثة.

الجدول [2-3]: أهم المعالم الموجودة على طول محور الحج والوصف المعماري لها.

المصدر: لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصببان – رقم / 10796 / تاريخ / 8/ 10 / 2006 م – تاريخ تسليم التقرير (1428 هـ2007 م).

[1]-الشهابي، قتيبة، معالم دمشق التاريخية، ص 146 -
[2]-المرجع السابق ذكره، ص 146.

4- الشرائح والمواقع المسجلة أثريا داخل وخارج السور في مدينة دمشق والتي تقع على محور الحج:

1-4– قرارات تسجيل شرائح مناطق الحماية خارج السور :

استناداً إلى قانون الآثار 1963م: (وحسب هذا القانون تخضع جميع المباني بعمر 200سنة أو أكثر إلى التسجيل الأثري). وبالرغم من أن الحكومة تدعم الحفاظ على المباني القديمة من خلال ما نص عليه القانون، إلا أنه لا يتم تقديم دعم مالي أو توجيه لذلك حتى الآن[1].

- **مناطق الحماية المسجلة أثرياً على محور الحج وفي محيطه القريب :**

اتبعت مؤخراً سياسة جديدة لحماية النسيج العمراني التاريخي خارج سور مدينة دمشق القديمة وذلك من خلال تسجيل أجزء منه في عداد الشرائح الأثرية بدءاً من سبعينيات القرن العشرين بهدف حمايتها من الزوال، وقد تم بالتالي تسجيل جزء من النسيج العمراني التاريخي لحي القنوات على مرحلتين بموجب قرار وزير الثقافة رقم: /145/. أ تاريخ 22 تشرين ثاني 1988 م و / 159 /. بتاريخ 15 آذار 2004م، كما أصبح لزاماً على المصور التنظيمي العام لمدينة دمشق والموضوع قيد الدراسة تحديد تلك المناطق المسجلة كمناطق حماية.

2-4-تحديد مناطق الحماية التاريخية في المدينة القديمة :

1-2-4-منطقة التنمية والحماية التاريخية – الأوابد ومنطقة الحماية التاريخية :

أعدّت مديرية الآثار مسودة قرار رقم 37 لضبط المناطق التاريخية. حيث تعتبر المناطق الموضحة باللون الأخضر على المخطط المحفوظ لدى مديرية الآثار والمتاحف منطقة حماية مدينة دمشق القاديمة وتخضع للاشتراطات التالية:

المادة 1: الشرائح والعقارات المسجلة أثرياً: (باللون الأخضر) ويطبق عليها من حيث أعمال الترميم نظام ضابطة البناء الخاص بمدينة دمشق القديمة. وسيتم إصدار نظام ضابطة بناء خاص لمنطقة الحماية لاحقاً.

المادة 2: العقارات المميزة: وهي عقارات لها أهميتها حسب قيمتها التاريخية أو مفرداتها المعمارية، حيث سيتم تحديدها ودراستها من قبل لجنة حماية دمشق القديمة، ويسمح فيها ببعض التعديلات المناسبة حسب شروط محددة.

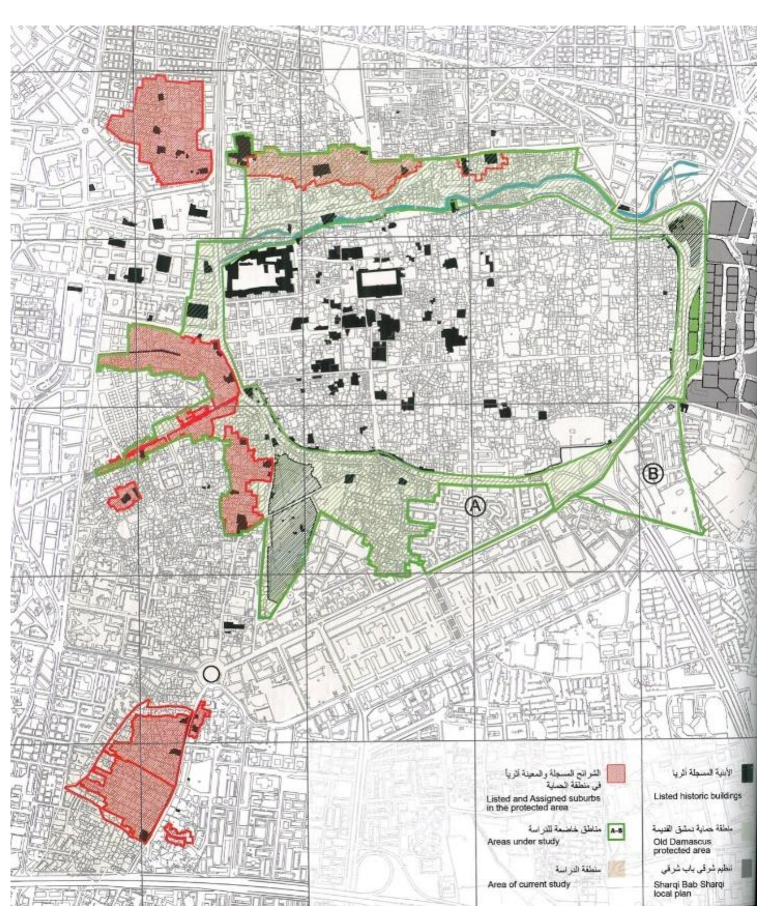
المادة 3: عقارات النسيج العام ضمن منطقة الحماية: ويسمح ضمن هذه المنطقة بتنفيذ كافة المشاريع الخدمية الضرورية والمسطحات الخضراء التي تكرس الحفاظ على الآثار المسجلة والمباني المميزة ويزيد بإظهارها بالشكل المناسب. وفي الأبنية الجديدة المسموحإنشائها في منطقة الحماية يجب الحفاظ على الشكل التقليدي لهذه المباني وبما لا يتجاوز ارتفاع ثلاثة طوابق، وعلى أن تمثل السلطة الأثرية والثقافية بكافة الدراسات المقترحة بهذا الشأن والتأكيد على عدم قيام أية مشاريع مضرة بالبيئة ضمن هذه المنطقة.

[1]-التقرير الأول للوكالة اليابانية للتعاون التقني (الجايكا-jICA)، ص 8.

المادة 4: المنطقتان (A و B): اللاصقتان لمنطقة لحماية والقربيتان من سور المدينة المدينة القديمة بالجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية والتي تتداخل بهما مناطق تنظيمية وتخطيطية، وستتم دراستهما عند إعادة التنظيم بمشاركة السلطات الأثرية والثقافية بما يتناسب مع تأمين شروط الحماية الملائمة للمنطقة الأثرية.

المادة 5: نهر بردى: يشكل مجرى نهر بردى والذي يقع ضمن الجزء الشمالي لمنطقة الحماية جزء من المحيط الطبيعي لمدينة دمشق القديمة، إضافةً لكونه من العوامل الهامة التي ساهمت في نشوء المدينة، مما يتوجب معه الحفاظ عليه وحمايته.

المادة 6 :المخطط التنظيمي: يعتبر المخطط التنظيمي المحفوظ لدى مديرية المباني والوثائق التاريخية جزءاً من لا يتجزأ من هذا القرار [1]. ويوضح المخطط [2-56] منطقة حماية مدينة دمشق القديمة باللون الأخضر حسب نتائج عمل لجنة القرار الوزاري رقم / 528/ آ – 2009 م:



المخطط [2-56]: منطقة حماية مدينة دمشق القديمة باللون الأخضر حسب نتائج عمل لجنة القرار الوزاري رقم/ 528/ أ -2009م.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، مشروع MAM بالتعاون مع مديرية مدينة دمشق القديمة، 2009، ص 101.

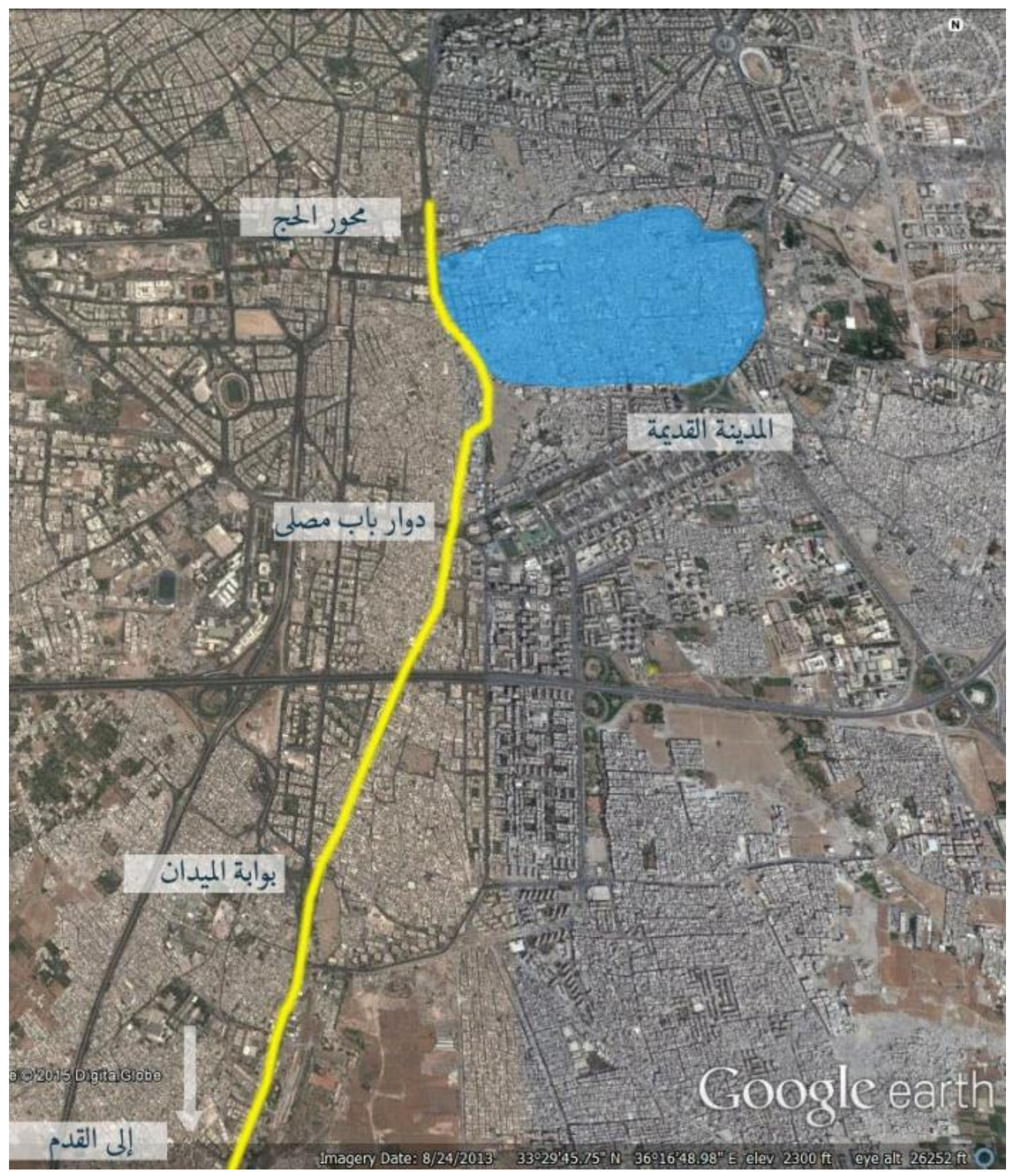
---

[1]-مشروع التخطيط والتنمية العمرانية في إقليم دمشق الكبرى في الجمهورية العربية السورية، الوكالة اليابانية للتعاون التقني (الجايكا – JICA)، الفصل الثالث، تقدم العمل للمشروع النموذجي، الفصل الثالث، تقدم العمل للمشروع النموذجي في منطقة جنوب القنوات، 2007 م، ص 15-17.

5- الدراسة التحليلية للوضع الراهن لمحور الحج مع محيطه المجاور:

يسلط البحث الضوء على محور الحج الاسلامي ابتداءاً من السنجقدار وحتى نهاية منطقة الميدان في بوابة الله، ولم نتمكن من مسح كامل المحور والوصول به حتى مغادرة دمشق عند تكية العسالي. المخطط]2-57[.

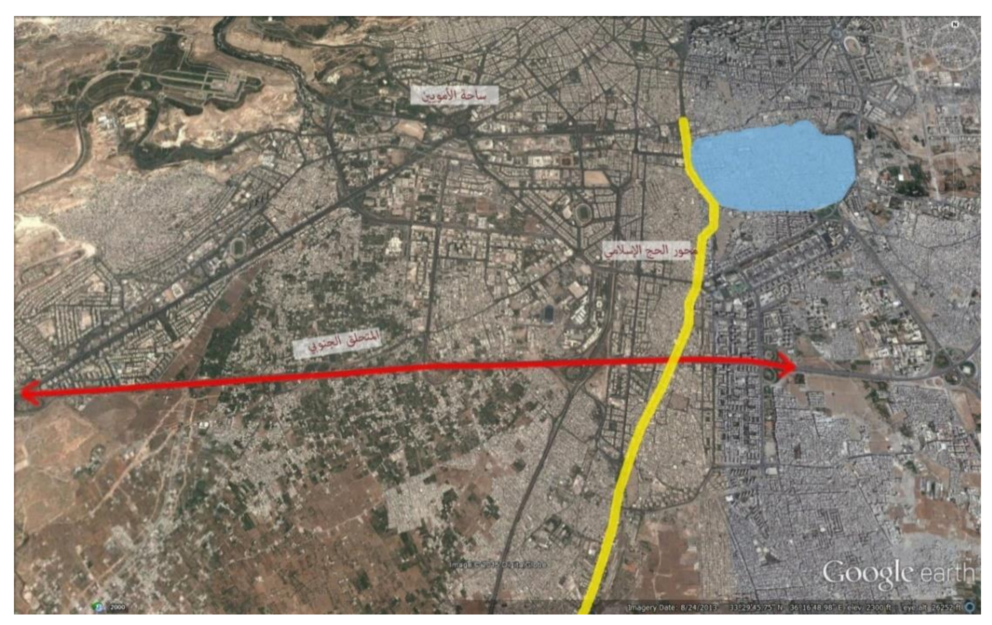
1-5-موقع محور الحج وأهميته بالنسبة لمدينة دمشق :



المخطط [2-57]: موقع محور الحج بالنسبة لمدينة دمشق القديمة.

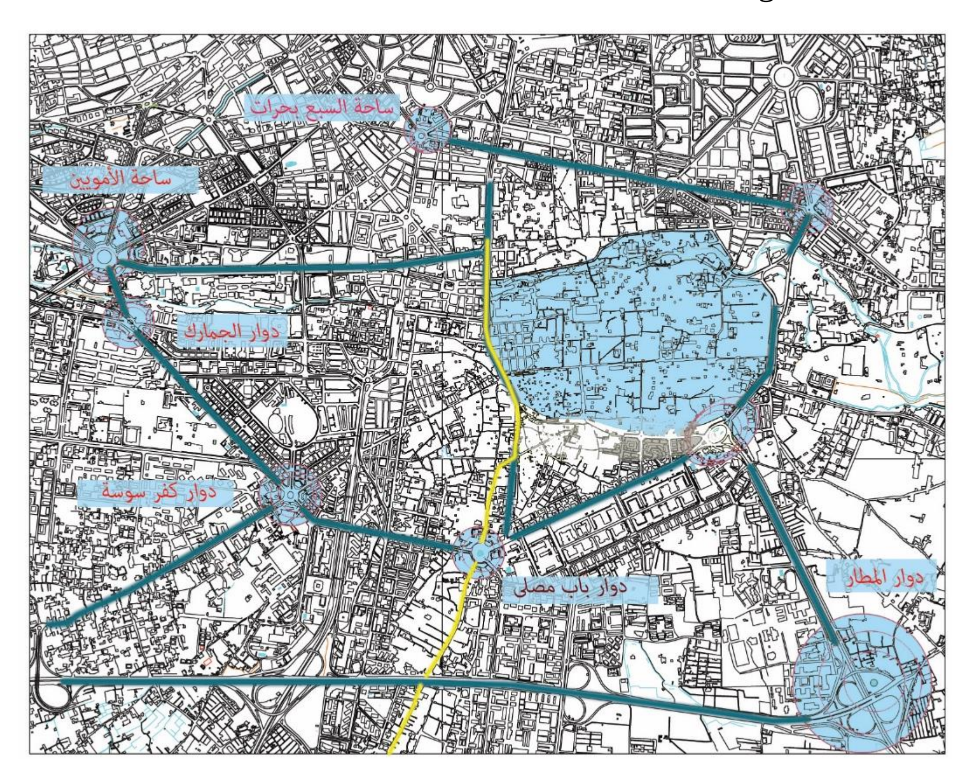
المصدر: Google –earth-بتصرف الباحثة.

تبين كلاً من المخططات [2-59/58] مدى أهمية محور الحج كونه يشكل محور شمالي جنوبي في قلب مدينة دمشق.



المخطط [2-58]: موقع محور الحج بالنسبة لمدينة دمشق الكبرى.

المصدر: Google –earth-بتصرف الباحثة.



المخطط [2-59]: الربط الطرقي لمحور الحج مع أهم ساحات مدينة دمشق. المصدر: الباحثة.

2-5 –تاريخ وتطور نشوء محور الحج ومحيطه العمراني:

سيتم التعرف في هذا الجزء على بداية نشوء الطرق والمحاور العمرانية من لحظة تكونها خارج أسوار المدينة القديمة بدءاً من أولى مناطق توسع محور الحج باتجاه حوران في منطقة القنوات. فبدأ محور باب الجابية ومحور باب سريجة بالتشكل نتيجة تطور محور الحج من داخل السور إلى خارجه كرد فعل طبيعي لنمو المدينة وتوسعها العمراني.

تعود الجذور المعمارية الأولى المعروفة لمحور الحج إلى العصور الوسطى، حيث أخذ بالتطور بشكل ملحوظ كونه طريق يؤدي إلى حوران بالإضافة إلى السمة الأهم وهي كونه طريقاً للقوافل للحج إلى مكة المكرمة وذلك بدءاً من شارع الدرويشية-الذي تم إنشاؤه في القرن السادس عشر-والذي كان يدعى طريق الحج أو الطريق الأعظمي [1]

تطور النسيج العمراني لمحور الحج ومحيطه المجاور:

أظهرت رفوعات عام 1997 و 1998 م في منطقة القنوات بالإضافة إلى المخطط الكادسترائي عام 1930م نسيج تاريخي غني، وتظهر فيه التجمعات العمرانية بالمظهر السكني الكامل تقريباً لدمشق القديمة. وتتطور هذه الطرق (فما عدا بعض الطرق المنحنية) باتجاهين رئيسيين متعامدين تقريباً كما تظهر دراسة التقسيم العقاري. ويظهر المخطط الكادسترائي عام 1930 م نظام طرقات شبكي بطريقة تسلسل هرمية. فعلى المستوى الأعلى، يوجد طرق نقل رئيسية وكبيرة مثل طريق أو محور قصر الحجاج، طريق الميدان، طريق باب سريجة يتبعها شارع التيروزي، وهو جزء من محور متجه نحو حدائق الغوطة الغربية.

أما على المستوى المتوسط، فنلاحظ التقاء الطرق الرئيسية للأحياء وهي الطرق الرئيسية السكنية المتميزة والصغيرة. وفي مركز كل واحد من هذه الطرق تتجمع الأوابد الدينية والفعاليات التجارية والخدمات ومراكز الأحياء. ويجتاز زقاق المغاربة حي السويقة من الغرب إلى الشرق، وفي وسطها يتصل شارع التيروزي مع طريق الميدان. أما على المستوى الإقليمي فيؤمن الاتصال بين باب الصغير وحدائق الغوطة الغربية عبر مقبرة باب الصغير وجامع مراد باشا.

توّلد النظام الطرقي الأول أساساً مع بداية تشكيل الطرق الخارجية الرئيسية والقادمة من خارج الحي، وانتهت هذه الطرق بأزقة صغيرة ومسدودة، مما ولّد نسيج بانتشار شجري (عضوي) أو مجموعة من الطرق المنحنية. ويتميز هذا النسيج العمراني بالكثافة خلف نمو خطي ناتج عن الطرق الرئيسية. ويبدأ هذا النمط من النسيج الطرقي من باب سريجة وحتى شارع التيروزي والذي تبدأ منه سلسلة جديدة من الانتشارات الشجرية. المخطط [2-60] يبين تطور النسيج العمراني المتصل بمحور الحج من جهة الغرب في منطقة قصر الحجاج وباتجاه الميدان.

يبين المخطط [2-61] التطور العمراني لطرقات حي القنوات ويلاحظ أن بداية الحي كانت مع بداية تكون طرقات وأزقة منطقة قصر الحجاج ومحور الحج. ويلحظ في البنية العمرانية للنسيج تكون الطرقات الرئيسي (محور الحج، محور السويقة، محور قصر الحجاج)[2].

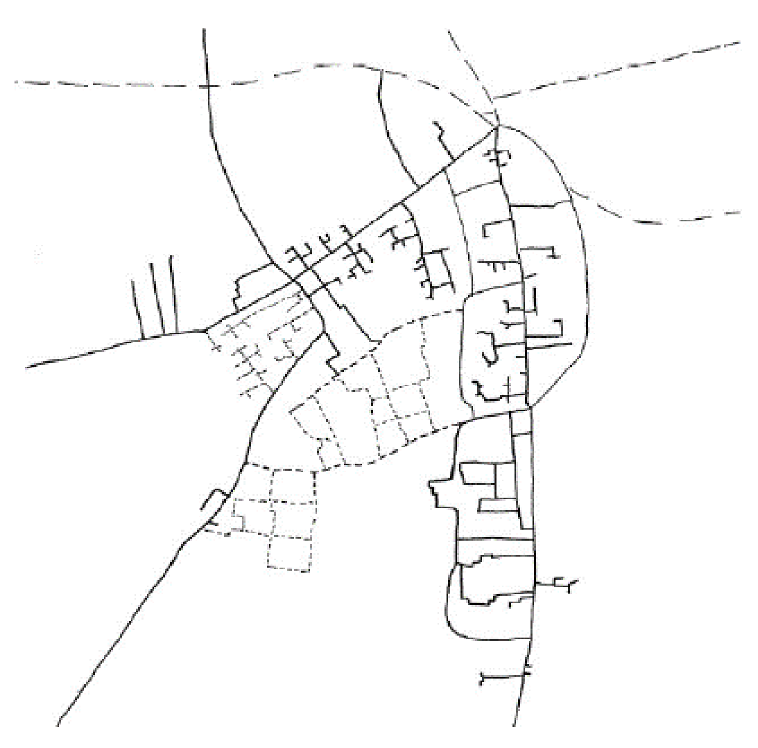
[1]-درويش، عائشة، إعادة تأهيل شريحة عمرانية تاريخية في حي القنوات، ص 6.

[2]-les Faubourgs de Damas ،Atlas contemporain des faubourgs anciens ،Formes ،espaces et prespectives Yeves roujon & Luc VILAN 2010 ،Institut francais due Poche ،Orient ،Damas ،Syire ،Chapitre VI ،Suwaiqa ،p7



المخطط [2-60]: البنية العمرانية للنسيج العمراني لحي القنوات.

المصدر: Atlas contemporain des faubourgs anciens ،les Fauboürgs de Damas، Institut ،espaces et prespectives Yeves roujon & Luc VILAN 2010 ،Formes francais due Poche ،Orient ،Damas، Syire ،Chapitre VI ،Suwaiqa ،p6.



المخطط [2-61]: محاور حي القنوات للبنية العمرانية للنسيج.

المصدر: Atlas contemporain des faubourgs anciens ،les Fauboürgs de Damas، Institut ،espaces et prespectives Yeves roujon & Luc VILAN 2010 ،Formes francais due Poche ،Orient ،Damas، Syire ،Chapitre VI ،Suwaiqa ،p7.

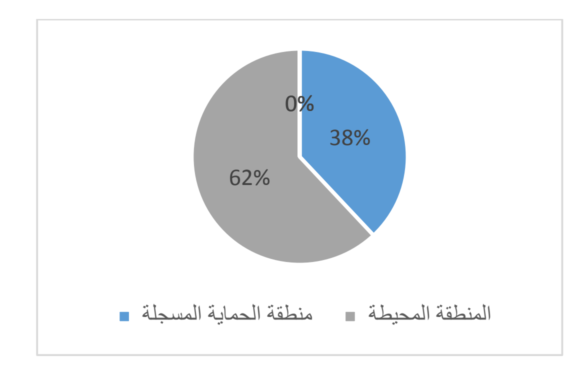
5-3-الدراسة التحليلية للوضع الراهن لمحور الحج ومحيطه المجاور :

عاصرت المنطقة الشمالية من محور الحج سلسلة من الضوابط العمرانية والمعمارية المختلفة والتي انعكست من خلال تطور بنية النسيج التقليدي ذو النظام العضوي لتظهر في مناطق من المحور أبنية حديثة أستغنت تدريجياً عن الباحة السماوية مقابل انفتاح أكبر على الفراغ العام ووصولاً إلى المباني الطابقية التي فقدت الطابع المحلي في فراغاتها الداخلية وواجهاتها الخارجية وقد أصبحت الشوارع أعرض من ذي قبل، كما اخترق بعضها النسيج العمراني التقليدي قبل أن تتم حمايته بالتسجيل الأثري الذي وضع حدا للتدخلات العشوائية بشكل نسبي.

5-3-1-التحليل على المستوى العمراني :

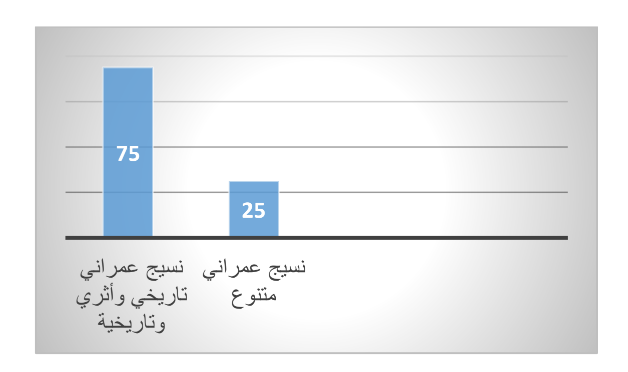
تهتم الدراسة التحليلية على المستوى العمراني برصد الخصائص العمرانية الأصلية للمحور المدروس وتقييم التحولات التي طرأت عليه، كما تعنى باستقراء النزعة المستقبلية لهذه التحولات والتعرف على المشاكل الموجودة في الموقع وذلك بهدف رسم خطة مستقبلية للتنمية والحفاظ على الخصائص الأصلية للمنطقة موضو البحث، بالإضافة إلى وضع معايير إعادة الإحياء فيما يتناسب مع الوضع الراهن للمنطقة.

تحتوي منطقة محور الحج على شرائح مسجلة أثرياً كما ذكر القرار [73 أ] ومناطق محيطة بهاالمخطط [2-62]، ويبين الشكل [2-4] نسبة منطقة الحماية المسجلة إلى باقي المناطق على امتداد المحور.وقد أظهرت الدراسات والزيارات غنى المحور بالنسيج التاريخي والأثري الشكل [2-5].



الشكل [2-4]: نسبة منطقة الحماية المسجلة إلى المنطقة المحيطة بها على امتداد المحور.

المصدر: الباحثة.



الشكل [2-5]: نسبة نوع النسيج العمراني وقيمته التاريخية.

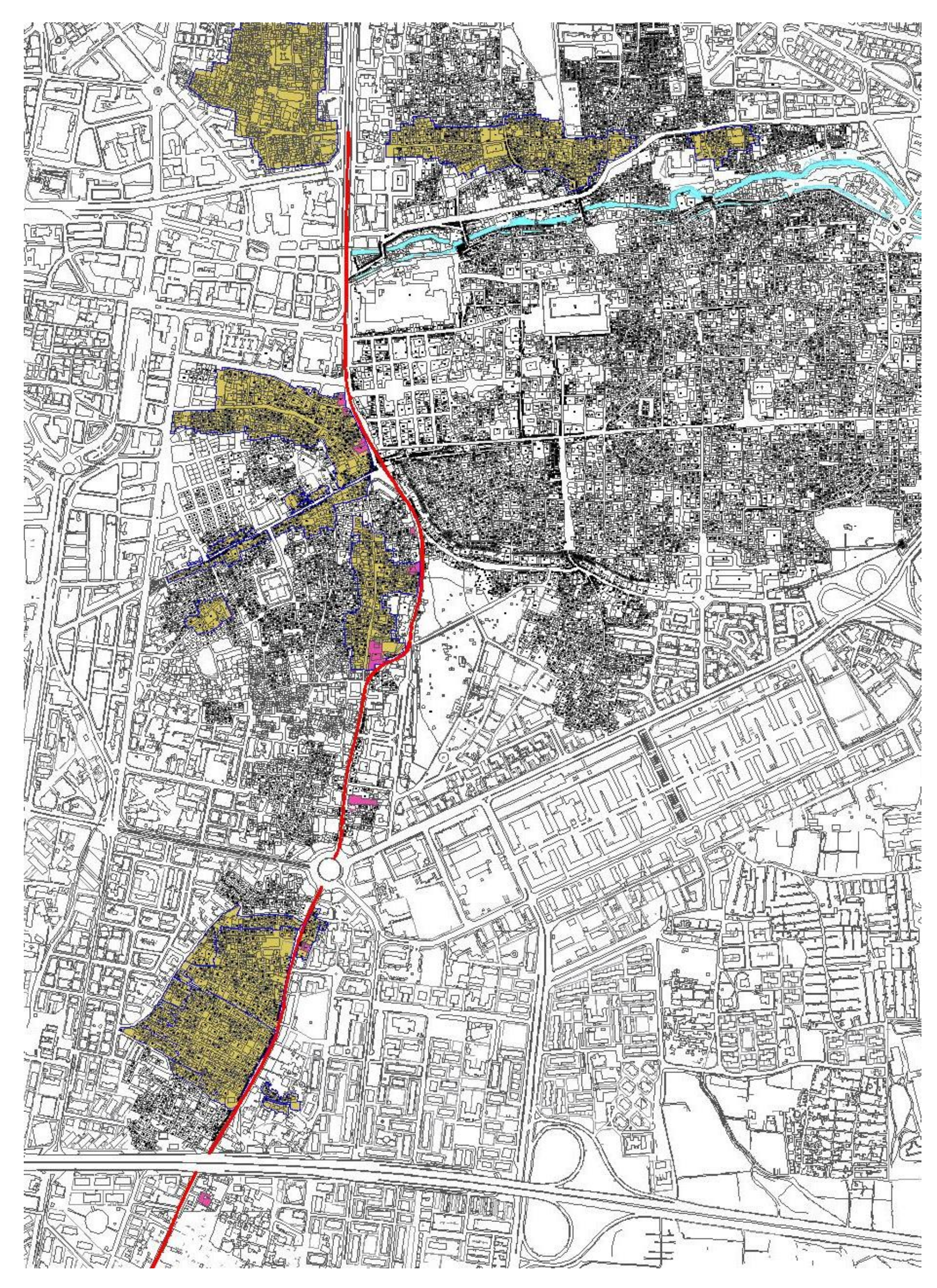
المصدر: الباحثة.

ويبين الجدول [2-4] المباني التاريخية التي تقع على محور الحج والمسجلة أثرياً.

الأبنية المسجلة أثرياً على محور الحج			
اسم البناء	المنطقة العقارية	اسم البناء	المنطقة العقارية
المدرسة الشامية البرانية		جامع المصلى	باب مصلى 102
جامع تنكز		تربة آراق السلحدار / مسج صهيب	باب مصلى 414 -415
التربة الجيعانية		محراب أبي الفلوس	ميدان موصللي 308
جامع درويش باشا	قنوات 521	حمام فتحي	ميدان موصللي 21
ضريح درويش باشا	قنوات 532	مقام الحرملي	ميدان موصللي 298
جامع سنان		مسجد أبي الفلوس	
مكتب سنان باشا		تربة الشيخ حسن	
جامع السنجقدار		حمام الرفاعي	
حمام التيروزي	قبر عاتكة 1	جامع منجك	
جامع النقشبندي	سويقة 102	التربة التينبية	
جامع العجمي	قنوات 41	الزاوية السعدية	
جامع التيروزي	قبر عاتكة 5	جامع الدقاق	
تربة مردم بك (مصطفى لالا باشا)	شاغور براني 233	جامع العسالي	

الجدول [2-4]: المباني التاريخية التي تقع على محور الحج والمسجلة أثرياً.

المصدر: الباحثة.



المخطط [2-62]: الشرائح المسجلة أثريا والتي تقع على محور الحج.

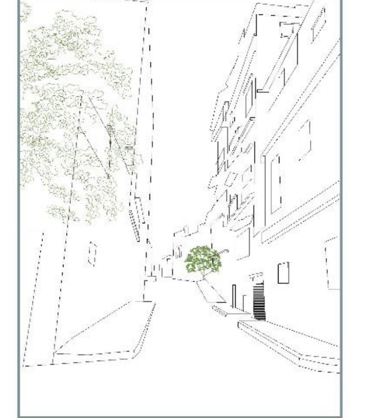
الصدر: الباحثة.

ويعرض الملحق رقم [5] الوضع الراهن للمحور المدروس (محور الحج الإسلامي) والنسب الخاصة به بالنسبة لكلٍ من:

- واقع استعمالات الأراضي في المحور ومحيطه العمراني.
- نوع النسيج العمراني بين الحديث والقديم ومحيطه العمراني.
- الحالة الفيزيائية للمحور ومحيطه العمراني.
- نسب ارتفاعات المحور ومحيطه العمراني.
- الواقع المروري في محور الحج.
- الواقع البيئي والمشاكل العمرانية في محورالحج ومحيطه العمراني.

2-3-5-التحليل على المستوى المعماري :

تخضع الأبنية التاريخية على محور الحج الإسلامي لقانون الآثار السوري الذي ينص على حمايتها كما في قانون الآثار الفرنسي، فيحظر إتلافها أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها أوإسناد أي بناء جديد إليها أو وضع الإعلانات والملصقات عليها، كما يحظر نقلها أو ترميمها أو تجديدها أو تغييرها أو استعمال أنقاضها بدون ترخيص من السلطات الأثرية [1]. إلا أن ما يحدث بالرغم من وود هذا الإطار القانوني أن عدداً من هذه المباني لم يخل من المداخلات الحديثة المسيئة لقيمة المبنى الأثرية مما يخل بتنفيذ مضمون قانون الآثار، كما أن أجزاء هامة يتم زوالها تدريجياً نتيجة الهجر الطويل دون تدخل من السلطات الأثرية[2]. ويظهر الشكل [2-7] لقطة منظورية لإحدى الحارات المؤدية لمحور الحج.



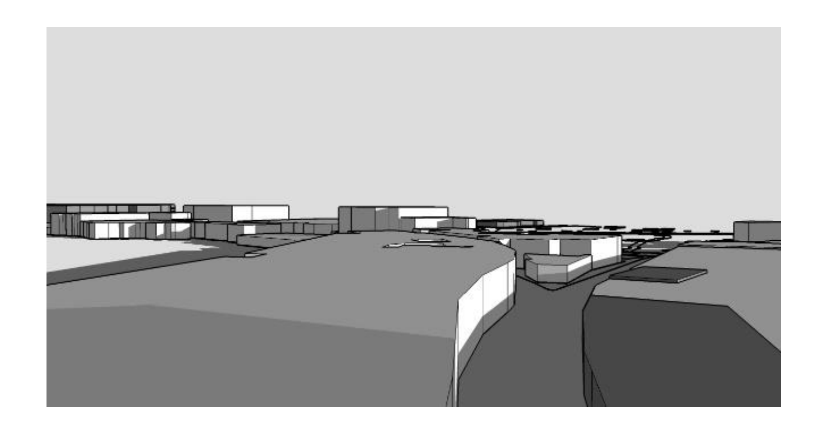
الشكل [2-7]: لقطة منظورية لإحدى الحارات المؤدية لمحور الحج.

المصدر: الباحثة

وقد شكلت واجهات المحاور والأبنية في نواح كثيرة تراكبات معمارية ذات قيمة جمالية عالية إلا أنها تعرضت للتشويه في بعض أجزائها بسبب العناصر التيتم تثبيتها عليها من لوحات إعلانية وبروزات أدت إلى تشوهات بصرية. وتبين الأشكال [2- 9] و[2-10] واجهات لأجزاء من المحور مع عرض للجوانب السلبية والإيجابية في هذه الوجهات. وتبين الأشكال [2- 8 / 11 / 12] بنية النسيج العمراني الحديث والقديم في محور الحج. وتقدم لأشكال [2-/13/ 14] تحليلات مختلفة للنسيج العمراني في محور الحج.

---

[1]-عن قانون الآثار السوري لعام 1963 م، المواد 7، 23، 24، 25.
[2]-عن قانون الآثار السوري لعام 1963 م، المادة 22.

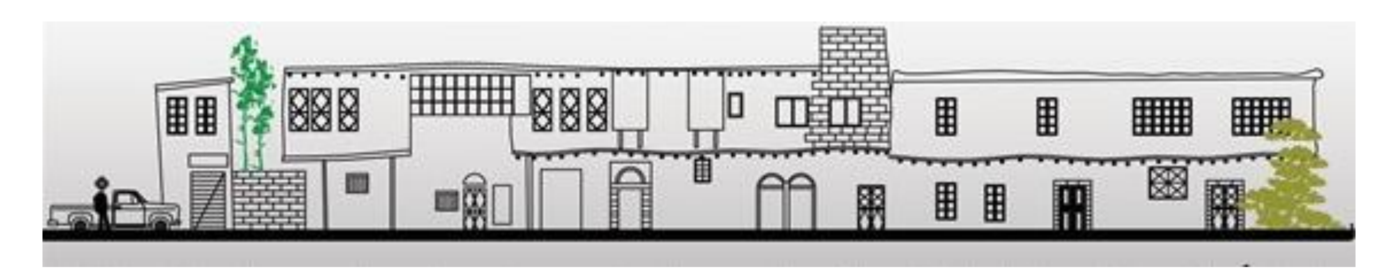


الشكل [2-8]: لقطة منظورية لمحور الحج.

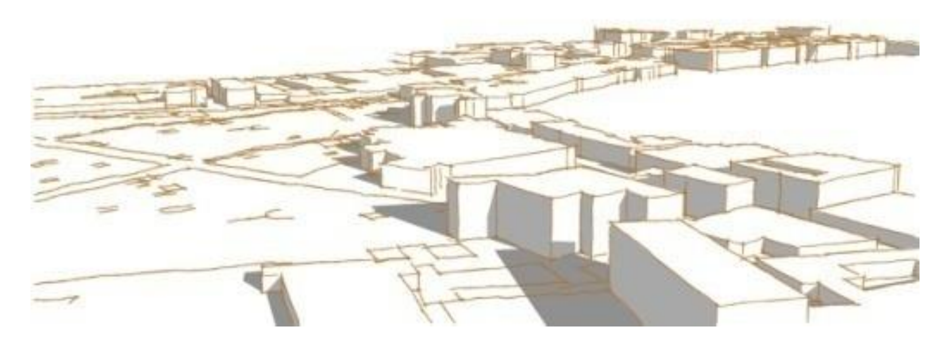
المصدر: الباحثة.



الشكل [2-9]: جزء من واجهات محور الحج وتبدو فيها تداخل الابنية الحديثة مع القديمة والفروق بعدد الارتفاعات.
المصدر: الباحثة.

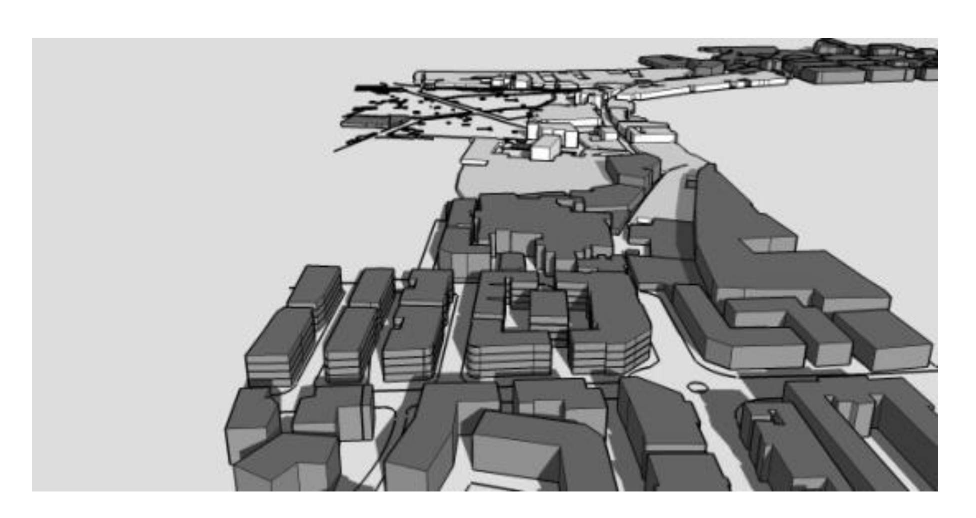


الشكل [2-10]: جزء من واجهات محور الحج وتبدو فيها تداخل الابنية الحديثة مع القديمة والفروق بعدد الارنفاعات.المصدر: الباحثة.



الشكل [2-11]: النسيج العمراني القديم في محور الحج.

المصدر: الباحثة.



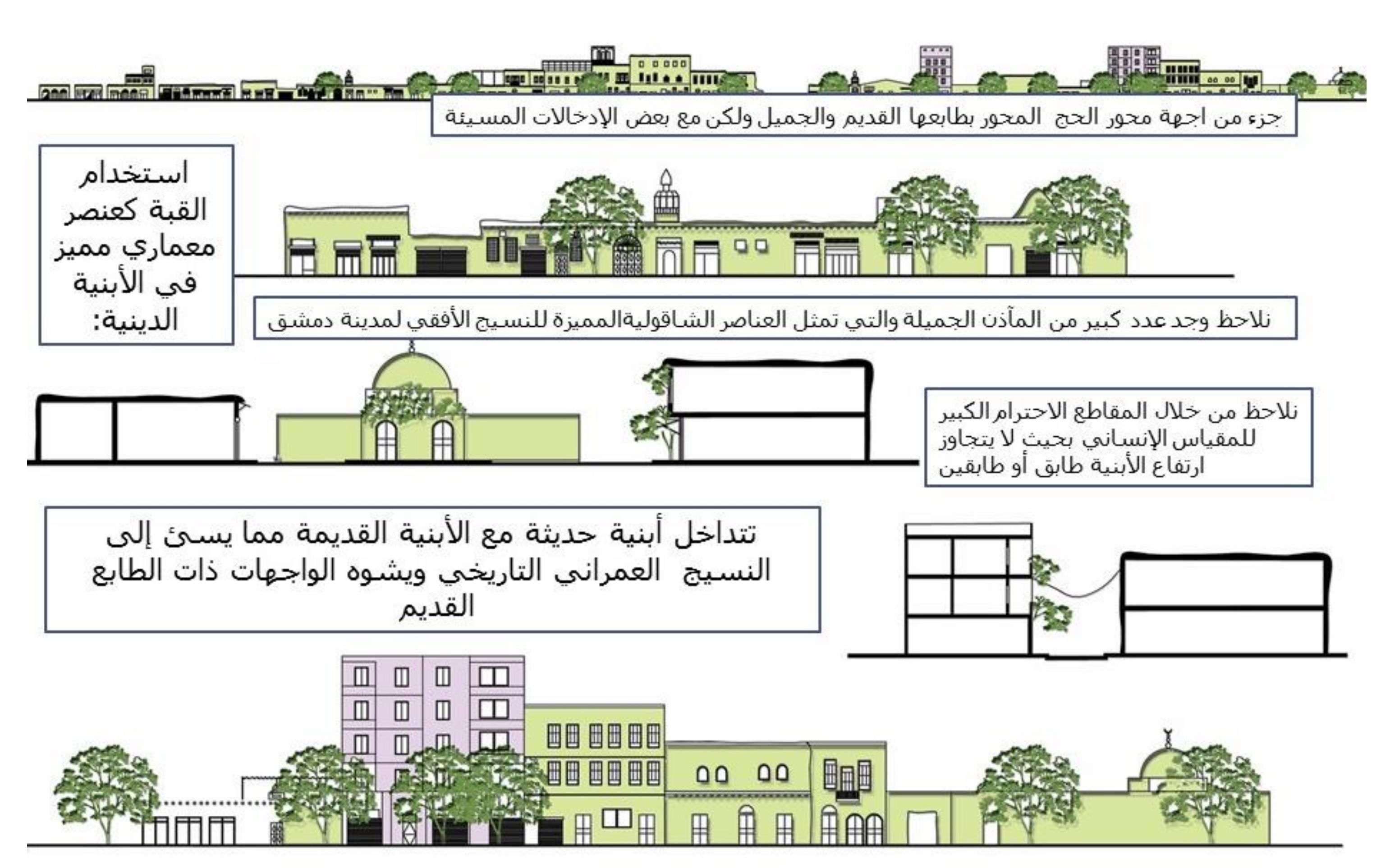
الشكل [2-12]: النسيج العمراني الحديث في محور الحج.

المصدر: الباحثة.



الشكل [2- 13]: تحليلات لواجهات ومقاطع في محور الحج.

المصدر: الباحثة.



الشكل [2-14]: تحليلات لواجهات ومقاطع في محور الحج.

المصدر: الباحثة.

الخاتمة:

وهكذا نجد أن محور الحج لا يمثل فقط قيمة تاريخية وأنما يحتوي على عناصر تمثل ثروة ثقافية للمحور ولزائريه، فيجب الاهتمام به وتحديده ضمن مسارات السياحة الثقافية في المينة القديمة. حيث أنّ الوضع الحالي لمحور الحج في سورية بشكل عام وفي دمشق بشكل خاص لايتناسب مع القيمة التاريخية والأثرية والثقافية لهذا المحور الحج، ويحتاج المحور للتعريف به وإعادته إلى الذاكرة وحمايته – وذلك بسبب العديد من الاسباب، ومنها الإشكاليات التي يعاني منها المحور في سورية ككل، وكجزء من كامل هذا المحور في دمشق، وذلك حال معظم، وذلك في طور إعداد الدراست الشاملة لهذه المحاورة والاستفادة منها كمسارات سياحية.

الفصل الثالث

المباني التاريخية الإسلامية المخدمة لطريق الحج

مقدمة:

تمتلك سورية تراثاً معمارياً يعتبر ذاكرة معبرة عن تاريخها وعن الأحداث التي مرت بها. وهناك العديد من المباني التي ظهرت في الفتره العثمانية؛ والتي ارتبطت بعبادة الحج. وستتم دراسة أهم المباني التاريخية الإسلامية التي كانت تخدم حجاج بيت الله الذين كانوا يقضون شهوراً للوصول إلى غايتهم السامية، (خانات، تكايا)، وسيتضمن هذا الجزؤء من البحث دراسة مفصلة وتحليلاً معمارياً لتكايا محور الحج الإسلامي في مدينة دمشق نظراً لاتصالها المباشر بخدمة حجاج بيت الله الحرام، بالإضافة إلى التكية السليمية وذلك من أجل شمولية كافة التكايا مدينة دمشق بالبحث، فضلاً عن المقارنة المعمارية فيما بينها. وصولاً استنباط أسس ومفاهيم تصميم مباني طرق الحج الخدمية وطرزها السائدة في الفترة المحددة للبحث. وبهذا يتم تحديد محور الحج الإسلامي في سورية ومبانيه الخدمية، ليكون ذلك خطوة على طريق تفعيل هذا المحور كمسار سياحي وربط هذا المحور مع مبانيه التاريخية الهامة ذات القيم المتعددة.

1- المباني التاريخية:

1-1- أهمية الحفاظ على التراث العمراني:

يعتبر التراث الحضاري المعماري وغيره على اختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر للأمم واعتزاز لها، ودليلاً على عراقتها وأصالتها، أي أنه معبّر عن الهوية الوطنية، وصلة وصل بين الماضي والحاضر، ومن المؤسف أن يكون ذلك التراث حتى وقت قريب مضى عرضةً للضياع والهدم، وبالتالي الاندثار والإهمال الذي تسبب في تلفها وخرابها، أوأن يكون عرضةً للتسرّب إلى الخارج.

لذلك أخذت تؤسس المؤسسات الخاصة التي تعتني بها وتصونها وترممها، كما أخذت ترصد الميزانيات المناسبة في حدود الإمكانيات المتاحة؛ للإنفاق منها على الترميم، والصيانة، والتأهيل، وشق الطرق، وتوفير الخدمات وغيرها. كما صدرت التشريعات التي تضمن حماية تلك الأوابد وعُقدت الاتفاقيات الدولية للمساعدة في صيانة وحماية المعالم التاريخية والتراثية [1].

إن الاهتمام العالمي بالتراث وحمايته، وما يرتبط به، قاد إلى إقامة مؤسسات وطنية ودولية لتتولى الاهتمام به وحمايته، وبالتالي رعايته، خاصةً بعد الحرب العالمية الأولى، ومن ثم بعد الحرب العالمية الثانية، حيث قامت منظمة هيئة الأمم المتحدة، والمنظمات المتخصصة المتفرعة عنها؛ مثل منظمة اليونسكو، التي قامت بالمساعدة على إحداث هيئات تساعد على حماية المباني التاريخية والمواقع الأثرية، كالمجلس الدولي للمباني والمواقع الأثرية (ICOMOS)، والمجلس الدولي للمتاحف الدولي (ICOM)، المركز الدولي لحماية الممتلكات الثقافية وترميمها (الايكروم)1 CCROMبروما. بالإضافة إلى العديد من الاتفاقيات، كاتفاقية لاهاي الدولية التي عقدت عام 1954م من أجل حماية الممتلكات الثقافية في حالة وقوع نزاع مسلّح، كما تأسست مؤتمرات دولية لمناقشة قضايا الآثار على مختلف تخصصاتها مثل مؤتمرات الآثار الكلاسيكية ومؤتمرات الآثار الإسلامية وغيرها.

فالأثر ليس مجرد حجر، بل تاريخ وعراقة وثقافة وتراث مادي ولا مادي، لا بد أن نبتكر أساليب جديدة في إحيائه وترغيب الآخرين في صونه والحفاظ عليه، ومن هنا لا بد لنا من التعريف بالتسجيل وأهميته في الحفاظ على تراثنا، وكذلك لابد من الحفاظ على الضوابط الناظمة لذلك.

---

[1]-أمين، أمير صالح، نحو رؤية لعمليات الحفاظ على التراث لتدعيم هوية المجتمعات الإسلامية في عصر العولمة، ص 282.

ولابد من زيادة الشعور بالمسؤلية اتجاه هذه المباني التاريخية بشكل عام وبمباني طريق الحج الخدمية بشكل خاص، وذلك في طور الحفاظ عليهم وتسجيلهم على لائحة التراث العالمي، وتكمن أهمية التسجيل على لائحة التراث العالمي بأنها أداة لحماية التراث الثقافي، إضافة إلى فائدتين مباشرتين مهمتين للتسجيل: تأمين التمويل من قبل اليونسكو عبر صندوق التمويل الدولي world fund heritage والدعم التقني من قبل خبراء (ICOMOS).

2-1-الأبنية التاريخية الجديرة بالتسجيل على لائحة التراث

البنايات الجديرة بالتأهل للسجل الوطني للتراث، هي تلك التي تتضمن كل عناصرها الإنشائية الأساسيّة. أجزاء البنايات، مثل التصاميم الداخلية، الواجهات، أو الأجنحة الإضافية، والتي لو كانت مستقلّة عن باقي البناية الأصلية لن تكون جديرة بالتأهل للسجل. ينبغي اعتبار المبنى كاملاً، وتعريف معالم تميزه الهامة[1]. ومنه نرى بأن تكايا دمشق والتي سيتم دراستها في هذا الفصل جديرة بأن تسجل على لائحة التراث العالمي...

3-1-التعريف بالمبنى التاريخي والمبنى الأثري:

الكثير من الناس يخلط بين مفهومي المبنى الأثري والمبني التاريخي، وهما لا يبتعد كل منهما عن الآخر.

1-3-1-تعريف المباني التاريخية :

- **تعريف المبنى أو البناء:** هو ما يشمل موقعًا للبناء، مثل منزل، مسجد، كنيسة، فندق، حظيرة، أو أبنية مماثلة صنعت خصيصاً كمأوى لأيّ شكل من النشاط الإنساني . إن خسر المبنى أيّ من عناصره الإنشائية الأساسيّة، عادة ما يعتبر" أطلال "ويصنّف كموقع مفتوح فقط.
- **التاريخي:** يشير إلى ماكان موجوداً في الماضي، كما يشير التاريخي إلى أي شيء يعتني بالتاريخ أو بأي دراسة للماضي (رواية تاريخية، اكتشافات تاريخية)[2].
- **الملكية التاريخية:** هي عبارة عن بناء، هيكل، جسم، موقع، منطقة، مؤهلة لأن تكون مدرجة في السجل الوطني للأبنية التاريخية وذلك نظراً لأهميتها التاريخية[3].
- وعليه **تُعرف المباني التاريخية:**

أنها المباني التي تشكل في مجموعها التراث المعماري لمنطقة ما، وتحمل قيماً تاريخية (Historical Values)، اكتسبتها إما من خلال تميزها المعماري والجمالي وعمرها الطويل أو ارتباطها بأحداث مهمة. تلك الأحداث قد تكون دينية، اقتصادية، اجتماعية، وسياسية. قد تتسع دائرة تصنيف المباني التاريخية لتشمل كل مبنى تجاوز عمره الخمسين عاماً كما في القانون الإيطالي[4]. يُعرف برنارد فيلدن[5] المبنى التاريخي في كتابه (conservation of historic building):

---

[1]-موقع التراث العالمي، http://www.unesco.org/ar/home/whc/.

[2]-The American Heritage
http://www.thefreedictionary.com/historical

[3]-Preserving America ,s Heritage. (2011). Sustainability and Historic Federal Buildings. USA. from http://www.nps.gov./history/nr/

[4]-عتمة، محمد علام إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين، ص 14.

[5]-Sir Bernard Feilden:(11 September 1919 – 14 November 2008) was a conservation architect whose work encompassed cathedrals, the great wall of china and the taj mahal.

أي مبنى عاش أكثر من 100 عام أو اكثر، طالما أنه ذو قيمة وتتمثل هذه القيمة في أهمية الحدث المرتبط بإنشاء المبنى. إضافة إلى أنه ذلك المبنى الذي يعطي الإحساس بالروعة لما يظهر من القيم الجمالية والتاريخية والسياسية [1]. حيث ينص قانون الأثار السوري على أن يكون عمر البناء أكثر من 200 سنة ليصبح ذو صفة تاريخية.

عرف ميثاق البندقية الذي صادق عليه المجتمعون في المؤتمر الثاني للمهندسين المعماريين والفنيين المختصين بالمعالم التاريخية في البندقية في 25 أيار عام 1964، المعلم التاريخي المنصوص عليه في المادة الأولى من الميثاق كما يلي:

يتضمن مفهوم المعلم التاريخي الهيكل المعماري المنعزل، والموقع الحضري أو الريفي الذي يحمل طابعاً لحضارة خاصة أو لتطوير بليغ أو لحدث تاريخي وهو لا يعني الأعمال الكبرى فقط، بل أيضاً الأعمال البسيطة التي اكتسبت بتقادم الزمن هوية ثقافية. ولم يعد ذلك مقتصراً على المعالم الأثرية الدينية والقصور فقط كما كان في السابق. من هذا المنطلق أصبحت تصنف المباني التاريخية التي يجب الحفاظ عليها من حيث الأهمية إلى قسمين رئيسيين:

1. النصب التذكارية (Monuments): وهي المباني المهمة والمرتبطة بقيمة اجتماعية إنسانية على مستوى عالمي أو إقليمياً وطائفي أو ديني. ويكون الحفاظ عليها بإرجاعها إلى حالتها الأصلية، ينطبق هذا عادةً على الأثار والمباني المعمارية المميزة، مثل قبة الصخرة في القدس ومدرج الكولسيوم في روما.
2. المباني التوثيقية (Documents): وهي بمثابة توثيق لمراحل تاريخية معينة، وتكون بشكل عام أقل أهمية من المباني السابقة لأنه يتوفر منها أكثر من مبنى واحد وتتواجد عادةً في المراكز التاريخية المدن والقرى[2].

فيما يلي ذكر فوائد إعادة تأهيل المباني التاريخية:

1- فوائد اجتماعية:

يحافظ الناس والمدن على هويتهم وعلى أواصرهم الاجتماعية، وفي نفس الوقت يواكبون العصر.

2- فوائد ثقافية:

يحافظ على الفن والعمارة والآثار، وهذه الفائدة قد تكون بالغة الأهمية عند الحديث عن تنازع على الأرض، فيسعى كل طرف من المتنازعين لإثبات أنه على حق بالرجوع الى الأدلة المادية التاريخية.

3- فوائد اقتصادية:

يعتبر إعادة استخدام المبنى القائم أوفر اقتصاديا من الهدم وإعادة البناء وما يرافقها من تكاليف لإزالة الأنقاض، وإنشاء خدمات صحية جديدة، واستهلاك للطاقة ومواد البناء.

4- فوائد بيئية:

تُعتبر المباني القديمة أكثر مواءمةً للبيئة، فالمواد التقليدية التي كانت تُبنى منها كالطين والجير والحجر والشيد الطبيعي، هي مواد طبيعية لا تسبب الأذى للبيئة ولا يتسبب تحضيرها التلوث، عدا عن كون البيئة الداخلية فيها اكثر ملاءمةً لحاجات الإنسان منها في الأبنية الخرسانية لما تقوم به العناصر الانشائية والفتحات التقليدية من عزل حراري وصوتي على عكس المباني الحديثة التي تفتقرإلى كل ذلك.

[1]-محجوب، ياسر عثمان، محاضرة بعنوان تقييم أداء المباني.
[2]-عتمة، محمد علام إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين، ص 21.

1-3-2-المبني الأثري:

إنّه العمل المعماري الذي يكتشف فيه دليل لحضارة معينة أو تطور مهم أو حدث تاريخي معين، ولا ينطبق هذا التعريف على العمل المعماري الواحد بل يشمل الموقع الحضري أو الريفي وليس فقط الأعمال العظيمة بل أيضاً البسيطة ويشمل الحدائق التاريخية والإسلامية والمساكن العادية التي يقيم فيها المسلمون في القرى والمدن [1].

- **تعريف البناء التراثي في قوانين الآثار في دول العالم:**

البناء الذي مر عليه فترة زمنية تحددها كل دولة وله قيمة تاريخية أو ثقافية أو فنية أو أدبية أو دينية أو سياسية أو كلها أو بعضها مجتمعة أو أي مبنى ترى الدولة أنّه يجب المحافظة عليه خارج الفترة الزمنية المحددة في قوانينها. وقد تم اعتماده بشكل أساسي في البحث، وعليه تمت دراسة التكايا التي تنطوي تحت هذا المسمى[2].

1-3-3-المواثيق الدولية التي صدرت لصيانة وحماية الآثار:

ظهرت بعض الوثائق والمؤتمرات بعد الحرب العالمية الثانية تنادي بحماية وحفظ الآثار، ويمكن إيرادها كالآتي:

- المؤتمر الخامس لتاريخ العمارة، بيروجيا – إيطاليا، عام 1948.
- مؤتمر ميلانو، إيطاليا، عام 1957.
- ميثاق البندقية، عام 1964.
- الإتفاقية الدولية لحماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي، باريس عام 1972.
- إعلان أمستردام، عام 1975.
- وثيقة الحفاظ على الحدائق التاريخية، فلورنسا– إيطاليا، عام 1981.
- ميثاق بورا، عام 1981.
- وثيقة أبيلتون، كندا، عام 1983.
- ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن و المناطق التاريخية عام 1987.
- وثيقة الحفاظ على الأماكن ذات التميز والقيمة الحضارية، أستراليا، 1988.
- وثيقة الحماية و الحفاظ على الآثار والتراث، لوزان – سويسرا، 1989.
- الميثاق الدولي لإدارة التراث الأثري،عام 1990.
- ميثاق نيوزيلندا، عام 1992.
- ميثاق نارا للأصالة، اليابان 1994.
- وثيقة الحفاظ على المباني والمواقع التاريخية، المملكة المتحدة، عام 1995.
- وثيقة دبي للحفاظ والصيانة على المباني والمناطق التاريخية، عام 2004.

تضمنت كل من هذه المواثيق مجموعة من المواد والتعريفات التي تنادي بحفظ وصيانة الآثار بالإضافة إلى مجموعة من التوجيهات المهمة لمجموعة العاملين في مجال الصيانة، وإطاراً أساسياً للممارسة في مجال الحماية وتحسين البيئة التاريخية [3].

---

[1]) -ميثاق لاهور، الباكستان عام 1980.
[2]-عتمة، محمد علام إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين، ص 21.
[3]) -موقع اليونسكو: www.unesco.org

وبعد الاضطلاع على هذه المواثيق الدولية ودراستها، تبين إنّه يتوجب تطويرها بالشكل الأمثل الذي يتناسب مع القيمة التاريخية للمباني الاثرية. ويتضمن الملحق رقم [6] أساليب التعامل مع المباني التاريخية، والحفاظ عليها من منظور الاستدامة.

2-تعريف المباني التاريخية المخدمة لطريق الحج الإسلامي :

هي تلك المباني التاريخية الإسلامية التي كانت يستخدمها الحجاج أما للإقامة أو لتأدية المراسم التي تسبق الذهاب للحج، والاستعداد له، من (خانات، وتكايا...) أو حتى في طريق الذهاب والإياب من الحج، ومنها ما تم بناءه بشكل مخصوص لخدمة الحجيج، كالتكية السليمانية وتكية العسالي، و...ومنها ما ارتبط بالحج بشكل غير مباشر كالزوايا وغيرها من المباني الخدمية التي كان له دوراً في مسيرة الحجاج، أو في فترة إقامتهم بدمشق، وسوف التعريف في إطار هذا الفصل من البحث بالخانات وبأهم التكايا التي ارتبطت بخمة الحجاج.

2-1-التكيـــــــة:

2-1-1-تعريف التكية (ج. تكايا):

هي الكلمة التركية المسايرة للخانقاه وللزاوية. وكلمة تكية نفسها غامضة الأصل وفيها اجتهادات. فبعضهم يرجعها إلى الفعل العربي "اتكأ" بمعنى استند أو اعتمد، خاصة أن معاني كلمة "تكية" بالتركية تعني الاتكاء أوالاستناد إلى شيء للراحة والاسترخاء. ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف[1].

2-1-2-وظيفة التكية:

الواقع أن التكية أخذت تؤدي الوظيفة نفسها التي كانت تقوم بها الخنقاوات، أي أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة، كما أنها قامت خلال العصر العثماني بدور آخر وهو تطبيب المرضى وعلاجهم وهو الدور الذي كانت تقوم به البيمارستانات في العصر الأيوبي والمملوكي، إلا أنه مع بداية العصر العثماني أهمل أمر البيمارستانات وأضيفت مهمتها إلى التكايا [2].

تطورت دور التكايا بعد ذلك، وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين المهاجرين من الدولة الأم والنازحين إلى الولايات الغنية مثل مصروالشام، ولهذا صحَّ إطلاق لفظ "التكية"، ومعناها مكان يسكنه الدراويش) - وهم طائفة من الصوفية العثمانية مثل المولوية والنقشبندية-والأغراب وغالبا ممن ليس لهم مورد الكسب. وقد وقفت على التكية الأوقاف وصرفت لها الرواتب الشهرية؛ ولذا سمي محل إقامة الدراويش والتنابلة تكية؛ لأن أهلها متكئون أي معتمدون في أرزاقهم على مرتباتهم في التكية، واستمر سلاطين آل عثمان وأمراء المماليك وكبار المصريين في الإنفاق على تلك المباني وعلى سكانها3. وفي دمشق أقيمت بعض التكايا وارتبطت وظيفتها بعبادة الحج مثل التكية السليمانية والعسالي و... حيث كان الهدف من هذه المباني خدمة وإقامة الحجاج الذين يقضون في دمشق شهوراً قبل الانطلاق للحج، وسنورد في هذا الفصل تفصيلاً عن تكايا دمشق.

---

[1]-ويكيبيديا الموسوعة الحرة

[2]-المرجع السابق ذكره.

[3]-ويكيبيديا الموسوعة الحرة

2-1-3-عمارة التكايا:

يختلف التصميم المعماري من تكية إلى أخرى وذلك حسب استخداماتها والطريقة المتبعة فيها. وقد بنيت التكايا غالباً على شكل مجمعات. ويرى غالب أن التكية تتألف من عدة أجنحة اثنين لابد منهما: الأول هو المسجد المستقل البناء المنفصل عملياً عن الجناح الثاني المتمثل بالمجمع السكني المتكامل المترافق. وعناصر أخرى قد تلحق بالتكية وتحتل غرفاً أو قاعات مستقلة وهي الضريح أو ترب بعض الأولياء والأمراء أو المدرسة المعدة لاستقبال الأولاد وتدريسهم، أو المكتبة العامة، أو غير ذلك من الأبنية العامة، والتكية تطور لشكل المدرسة معماريا ووظيفياً وربما هي مزيج من المدرسة والخانكاه وشبيهة بالزاوية المغربية ولكن كما سنرى لاحقاً هناك تكايا عديدة لم تتمتع بالصفات السابقة الذكر.

ومن خلال الاضطلاع ودراسة تكايا دمشق، وجدنا بأن أسقفها عبارة عن قباب متفاوتة الحجم؛ فحجرة الدرس تُغطَّى بقبة كبيرة، وحجرات سكن الدراويش لها قباب أقل ارتفاعا من حجرة الدرس أي مستوى وسط، وتكون قباب الظلات أقل في الارتفاع من قباب حجرات سكن الدراويش، ووجدنا بأن معظم التكايا تتألف من الأقسام التالية:

- قاعة داخلية واسعة تسمى الصحن.
- السمعخانة وهي قاعة تستخدم للذكر، والصلاة والرقص الصوفي الدائري.
- غرف للمريدين وهي الغرف الذي ينام بها الدراويش.
- غرفة استقبال لاستقبال العامة.
- قسم الحريم وهومخصص لعائلات الدراويش.
- قاعة طعام جماعية ومطبخ.
- مكتبة، ودورة مياه ومستحم.
-

2-2-الخانات (القيساريات، الوكالات):

2-2-1-تعريف الخان:

كلمة الخان، أصلها فارسي وتعني القصر أو البيت، وكان استعمالها متأخراً، ووجد أقدم استعمال لها عند البلاذري، وهو من القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) لدى وصفه لأحد الثغور الشامية القريبة من أنطاكية " وكانت منازلها كالخانات " ولكن ابن عساكر لم يستعمل كلمة خان.

أما الرحالة ابن جبير فقد استعمل كلمة خان، وأطلقها على محطات القوافل التي نزلها بين دمشق وحمص كخان السلطان، الذي يعرف اليوم بخان العروس، الواقع بالقرب من القطيفة، وسمي بالسلطان نسبة لمنشئه السلطان صلاح الدين، وبالإضافة إلى خان قارة. وقد اسمر إطلاق اسم الخان والقيسارية على المنشآت التجارية ومحطات القوافل لما بعد العهد العثماني[1].

---

[1]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 31-32.

وخان التجار كما يقول "محيط المحيط " منزلهم للتجارة، وخان المسافرين محل نزولهم. وقد دخلت هذه الكلمة إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية منها kan الفرنسية وتعني محط القوافل[1]. كانت خانات العواصم التجارية في الإمبراطورية العثمانية، كالقاهرة وحلب ودمشق، وربما بغداد أيضا مختلفة كل الاختلاف في آفاقها المعمارية وفي مضامينها الفنية. فثمة 60 خاناً في دمشق وحلب، وفخامة بنائها أسطع دليل على عظمة الحركة التجارية التي ولدتها[2].

يعود إنشاء القيساريات، والخانات، والوكلات، في مدينة دمشق إلى عصور إسلامية متقدمة عن فترة الدراسة، وساهم تطورها التاريخي في أن تضطلع بدور موازٍ للأسواق في حركة التجارة اليومية، أو تشغيل تجارة المواسم، التي تُعرض فيها سلع محددة حتى سميت بها.

وتشير الوثائق وكتب التراجم خلال فترة الدراسة، إلى مصطلحي **الخان والقيسارية** بنفس الدلالة[3]، رغم الفرق بين المصطلحين[4]، ويبدو أنها غدت نقاط تجمع اقتصادية نشطة، شهدت مختلف أنواع المبادلات التجارية، وكان لكل منها، وحسبما يستدل من السجل الشرعي، قضاياها الخاصة[5]. ومن الخانات التي تذكرها اليوميات خان الحرمين[6]، وخان الأكراد[7]، وخان الأبارين[8]، وخان الليمون[9].

في حين يعتقد البعض أن كلمة قيسارية مأخوذة من السوق المغلق الذي بناه يوليوس قيصر في أنطاكية في القرن الأول قبل الميلاد ثم عمّمت. وهي أبنية اصغر حجماً من الخانات وتماثلها من حيث شكل البناء وتوزيع الغرف على طبقتين حول الباحة دون أن تحتوي على إصطبلاً للحيوانات، وتضمّ غالباً تجمّع أصحاب المهنة الواحدة [10].

2-2-2-عمارة الخان:

تصميم أقدم الخانات لايختلف عما نعهده في سورية، ففي وسطه ساحة مربعة على الغالب يحيط بها رواق دائر مرتفع على أعمدة، تفتح فيه الحوانيت والإصطبل، وتختص الطبقة العليا بغرف السكن. على أنه منذ القرن الثامن عشر، بل وقد يكون منذ القرن السابع عشر، ظهر بعض التغيير في هذا التصميم العادي، وذلك أن الساحة المركزية أخذت تضيق وتسقف بالقباب فتتحول إلى مستودع تكون فيه البضائع بمأمن من تقلبات الجو، وإن نشأة هذا الطراز الجديد الخاص بدمشق، لدليل على أن الخان أصبح إذ ذاك عنصرا حيّاً فعالاً في المدينة [11].

1-حلاق،عبد الله، حلبيات، ص 69.

2-ريمون، أندريه، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، ص ص (57-59).

3 -تذكر السجلات لفظ الخان والقيسارية دون تفريق بين المفردين، انظر: سجل 112، حجة 74، 15 شوال 1158هـ/ 1740م، ص32. ويرد ذكر قيسارية البنت في الصالحية ثم تعود فتذكر بخان البنت. وانظر: المحبي، خلاصة، ج4، ص356.

4 -حول الفرق بين الخان والقيسارية، انظر: Elisseeff,N art. Khan, E. I2. Vol. 4. p1010-1017. وانظر كذلك في: محمد الأرناؤوط، معطيات عن تاريخ دمشق وبلاد الشام الجنوبية، ط1، دار أبجدية، دمشق، 1995م

5 -سجل 154، حجة 425، 15 شعبان، 1173هـ/ 1759م، ص242. وسجل 134 حجة 72، 14 شوال، 1164هـ/ 1750م، ص37. وسجل 56، حجة 52، 16 شعبان، 1138هـ/ 1725م، ص23. وانظر كذلك في:

Pasccaul. J, Familes et fortunes apanas 450 fogrs Damascains en 1700, Damas 1994. institute francais de dames. P. 878.

6 -البديري، حوادث، ص167، ويقع هذا الخان في محلة باب البريد.

7 -المرجع السابق ذكره، ص146.

8 -ابن كنّان، الحوادث، ص117، ويقع في سوق الابارين. انظر: ابن كنّان، الحوادث، ص156.

9 -المرجع السابق ذكره، ص367، وحسب إشارة ابن كنّان فقد جدد هذا الخان سنة 1139هـ/1726م، من قبل والي دمشق، " فجعله عشرة مسالخ يذبح بها اللحم لا في غيره".

10 -حجار، عبد الله، إضاءات حلبية تاريخ ومعالم وتراث، ص88.

11-سوفاجيه، جان، دمشق الشام، ص 101-102

2-2-3-وظائف الخانات واستخداماته:

كانت الخانات تستخدم بصورة أساسية للإتجار بالبضائع الغالية وللتجارة بالجملة، وفي الوقت نفسه نزلاً للتجار والمسافرين. إنَّ عدد وكثافة الخانات أو الوكالات أو الفنادق أو القيسارات؛ يساعدان على استقراء مدى الشأن الذي وصلت إليه التجارة وتحديد أماكنها في كل بلد [1].

ولم يقتصر دور الخانات في حركة التجارة، فقد أُلحق ببعضها زوايا للفقراء يأوون إليها، واستخدم بعضها لإيواء الغرباء والرواحل، وفي هذه الخانات ما وجد في سوق الخيل، ومنطقة العمارة التي كانت تمتد من باب توما قبلة إلى نهر تورا شمالاً [2]، ولم يقتصر وجود الخانات داخل سور المدينة، بل إنها وجدت في الأرياف وعلى طرق التجارة[3]، ولكن النشاط الأكثر فاعلية كان، حسب ما تشير إليه المصادر، في الخانات التي انتشرت داخل محيط المدينة[4].

2-2-4-وظيفة الخان في العهد العثماني:

كانت وظيفة الخان تشتمل على النواحي المهنية والتجارية والسكنية. وكان بعضها يشغل وظيفة الفندق والسوق بآن واحد، حيث كان الطابق الأرضي تنزل فيه القوافل، ويتسع للبضائع والخيول، بينما كان االطابق العلوي مؤلفا من غرف صغيرة يبيت فيها التجار والمسافرون. تحدث الرحالة الفرنسي (DARVIEUX) حين زار دمشق في عام 1660 فقال: " يوجد في دمشق عدد كبير من الخانات الكبيرة والصغيرة لسكن التجار و المسافرين، المخازن في الطابق الأرضي، وأروقة في الأعلى تؤدي إلى الغرف"[5]. وتميزت الخانات الفترة العثمانية عن الخانت المملوكية بوجود قاعة هامة فوق مدخل الخان الرئيسي مباشرة كانت تخصص لإقامة القناصل أو إحدى الشخصيات المهمة [6].

2-2-5-الأوصاف العامة للخانات في العهد العثماني:

1- أصبحت معظم الخانات ذات فناء مسقوف.
2- لها باب واسع ضمن إيوان، على جانبيه مقعدين من الحجر (مكسلتين)، ويغلق بمصراعين من الخشب المصفح بالحديد، ينفتح في إحداها باب صغير يدعى (خوخة).
3- يلي الباب دهليز مسقوف بعقد، ومزود بمخازن تجارية على جانبيه، ودرج أو اثنين يؤديان إلى الطابق العلوي.
4- يلي الدهليز باحة واسعة، تتوسطها بركة.
5- الباحة مسقوفة غالباً بالقباب.
6- تحيط بالباحة غرف التجار، ويتقدمها أحياناً رواق.
7- في الواجهات الخارجية توجد محلات تجارية مفتوحة على السوق [7].

---

[1]-يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق،، ص80.
[2]-انظر حول حارات دمشق ومنطقة العمارة في: يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق،، ص80.
[3]-المرادي، سلك الدرر، ج4، ص23، 48.
[4]-ريمون، أندريه، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، ص ص (55-59).
[5]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 46-47.
[6] -حجار، عبد الله، إضاءات حلبية تاريخ ومعالم وتراث، ص88.
[7]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 47.

2-3-خانات مدينة حلب:

وتقسم الخانات في مدينة حلب بحسب توضعها إلى:

- **خانات على طريق السفر**: لإيواء المسافرين وبشكل خاص الذاهبين لأداء فريضة الحج، وتتألّف عادة من طبقة واحدة من البناء، ويعود أقدمها إلى الفترة السلجوقية. وأهم هذه الخانات خان العسل؛ الذي يظهر في الصورة [3-1]، وخان طومان، وتمتاز هذه الخانات بباحات واسعة أكثر من الخانات داخل المدينة؛ لأنها معدة لاستقبال القوافل مع إبلها، وتضم مستودعات وأروقة وعنابر وإسطبلات ...
- **خانات على سور المدينة**: مثل خان السبيل، وهذا الخان يشبه الخانات داخل المدينة من حيث تصميمه، وهو معد لاستقبال القوافل البعيدة الوافدة إلى داخل المدينة القديمة.
- **الخانات داخل المدينة القديمة**: كخان الوزير، والجمرك، وخان إسطنبول وخان الحرير وخان البنادقة و...، وتكون على طبقتين، عليا لإقامة التجار والمسافرين وسفلى لعرض البضائع، قد يستعمل جزء منها كإصطبل لمبيت الجمل والحيوانات [1].



الصورة [3-1]: خان العسل (ماتبقى منه).

المصدر: الحجار، عبد الله، معالم حلب الأثرية، ص 34.

2-4-خانات مدينة حماة:

ازدهر في مدينة حماة بناء الخانات بفضل توسطها للطريق الواصل بين دمشق وحلب ووقوعها على طريق القوافل التجارية وقوافل الحجاج الآتية من شمال سورية.

وتتميز الخانات الأثرية في مدينة حماة بمداخلها المزخرفة بالمقرنصات من الأعلى الواسعة والعالية كي تسهل دخول الجمال والعربات المحملة بالبضائع وقد زالت جميع الخانات المؤرخة بالعهدين الأيوبي والمملوكي ولم يبق إلا الخانات المبنية في العهد العثماني وأهمها **خان رستم باشا** الواقع في محلة المرابط إلى الشرق من خان أسعد باشا العظم في محافظة حماة.؛ يحكى أنّ هذا البناء كان في البداية "تكية" أي بالعهد العثماني، ، وكانت ناعورة "الجسرية" المجاورة للتكية وقفاً لهذه التكية وبعد ذلك تم تحويله إلى نزل لاستراحة المسافرين والحجاج[2].

---

[1] -حجار، عبد الله، إضاءات حلبية تاريخ ومعالم وتراث، ص88.

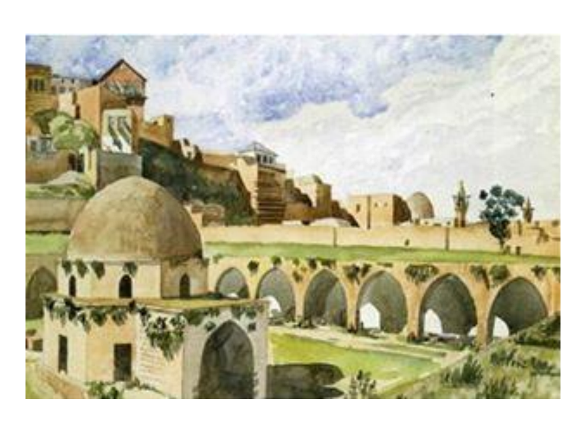
[2] -الدندشلي، أحمد، موسوعة مدينة حماة الشاملة، ص 229.

وتشير المصادر التاريخية إلي أن الخان بُني في عهد الوزير المعماري سنان باشا عام 931 علي نفقة محمد آغا قزلار أحد وجهاء مدينة حماه آنذاك، ليكون محطة هامة لقوافل الحجاج والتجار العثمانيين في طريقهم من القسطنطينية استبنول حالياً إلي مكة المكرمة. ويعتبر من أكبر الخانات الأثرية في سورية، ويمثل استراحة هامة للحجاج القدامي وهم في طريقهم إلي الديار المقدسة، ومتحفاً لأجمل لوحات الفسيفساء في العالم، ويظهر في الصور [3/32].



الصورة [3-2]: خان رستم باشا في حماة.

المصدر: الدندشلي، زياد، موسوعة حماة، ص 225.



الصورة [3-3]: خان رستم باشا في حماة.

المصدر: الدندشلي، زياد، موسوعة حماة، ص 225.

2-5- خانات مدينة حمص:

وتحدث عبدالغني النابلسي[1] عن خان نزل به عند باب مدينة حمص، فإذا به يشبه أن يكون مجمعًا من خانات عدة، ومرافق متنوعة، فقال: "هو خان كبير مشتمل على خانات، فإذا دخلت بابه رأيت صحنًا كبيرًا واسعًا، في أطرافه حجر لأبناء السبيل، وعن يمين الصحن باب كبير، فيه خان فيه أواوين وحجر أيضًا، وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي عليه ناعورة صغيرة[2].

2-6-الخانات في مدينة دمشق :

اشتهرت دمشق في كل العصور بنشاطها التجاري، بسبب موقعها الهام على طريق قوافل التجار والحجاج، واقتضى ذلك إقامة منازل للمسافرين، ومنشآت للنشاط التجاري الذي يشمل بالاستيراد والتصدير وتبادل السلع. وكان النشاط يتمركز إضافة إلى الأسواق العامة في منشآت خاصة تشاد للأغراض التجارية ولنزول القوافل والمسافرين من تجار وحجاج، بعضها يشاد داخل المدن والبعض الآخر في أطرافها وعلى الطرقات العامة. وكان لهذه المنشآت هندسة خاصة ووظائف متشابهة. وكان يطلق على هذه المؤسسات الفانادق والقيساريات والخانات[3]. وفيما يلي إحصاء بالخانات الزائلة والخانات الباقية: وقد ذُكرت هذه الخانات في وثائق المحاكم الشرعية لعام 1756م، في الجدولين[3-2/1].

---

[1] -عبد الغني النابلسي الدمشقي، عالِمًا أديبًا شاعرًا، قصد إستانبول في شأن من شؤونه، فمر ببلاد الشام، وأولَى اللقاء بالعلماء فيها اهتمامًا كبيرًا، لكنه تناول أيضًا وصف ما نزل به أو رآه من منشآت

[2] -رؤوف، عماد، العمارة العثمانية في بلاد الشام من خلال كتب الرحلات العربية.

[3]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 31.

- **خانات العهد العثماني الزائلة من مدينة دمشق:**

	اسم الخان الزائل	موقعه
1	خان مصطفى باشا	خارج باب الفرج، في محلة القيبة
2	خان بمحلة القماحين	خارج دمشق
3	خان بني الناشف	بالقرب من جامع درويش باشا
4	خان بني رمضان	بمحلة الشيخ محي الدين
5	خان الخضيرية	داخل دمشق بمحلة القطانين
6	خان السمرجية	يعرف بخان الحورة
7	خان سيباي	لعله منسوب إلى نائب السلطنة في أواخر العهد المملوكي لكنه مذكور في وثائق عام 1041 هـ / 1631 م.
8	خان لوضع الغلة	داخل باب شرقي
9	خان عبد العظيم	داخل دمشق
10	خان السيد منصور	لعله خان السيد الموجود حالياً قبالة الجاع المعلق خاج السور الشمالي
11	خان الجاموس	
12	خان الثلاج	
13	خان بسوق الحمام	

الجدول [3-1]: جدول بأسماء الخانات الزائلة من العهد العثماني.

المصدر: الباحثة.

- **خانات العهد العثماني الباقية حتى الآن في مدينة دمشق:**

	اسم الخان	المنشأ	موقعه	تاريخ الإنشاء
1	خان الجوخية (خان الخياطين)	والي دمشق أحمد شمسي باشا	سوق الخياطين	960هـ / 1554 م
2	خان الحرير	والي دمشق درويش باشا	سوق الحرير	بين عامي 1571 و 1574 م
3	خان سليمان باشا (خان الحماصنة)	الوالي سليمان باشا العظم	سوق مدحت باشا	1732م
4	خان العمود		سوق البزورية	
5	خان المرادية		محلة باب البريد	1596م
6	خان الجمرك		بجوار خان البريد بمحلة باب البريد	
7	خان قطنا		بين خاني الجمرك والمرادية	
8	خان الزعفرنجية		سوق القلبقجية جنوب خان الجمرك	
9	خان الحرمين (سوق الجواري)		سوق الحرير قبالة خان قطنا	
10	خان الزيت		في الجانب الشمالي من سوق مدحت باشا	
11	خان التتن		جنوبي الجامع الأموي	
12	خان الصدرانية		بالقرب من قصر العظم	
13	خان القطن		سوق الخضيرية	
14	خان أسعد باشا		في قلب مدينة دمشق	

الجدول [3-2]: جدول بأسماء الخانات الباقية من العهد العثماني.

المصدر: الباحثة.

3-التكايا في العهد العثماني:

ونظراً لأهمية التكايا، واتصالها المباشر فيما يتعلق بخدمة الحجيج، وإقامتهم في مدينة دمشق-مركز التجمع الرئيسي-سوف يتم دراسة تكايا مدينة دمشق بالتفصيل بالإضافة إلى ذكر مبسط لتكايا مدينة حلب نظراً لكثرتها وخوفاً من أن يأخذ البحث منحىً آخر.

أولا: أهم تكايا مدينة حلب في العهد العثماني:

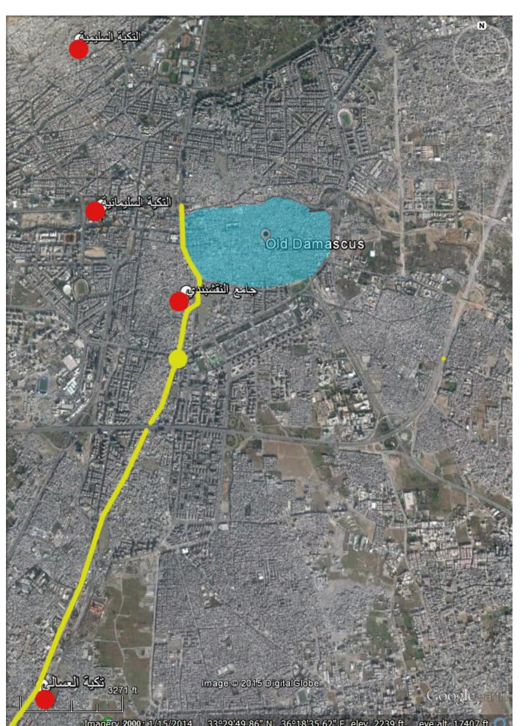
التكايا والزوايا والخانقاهات و...بشكل عام هي مبانٍ خاصة وصغيرة نسبياً، يجتمع فيها أفراد فرقة دينية معينة، مثلاً التكية المولوية لأفراد الدراويش المولوية، والإخلاصية لطريقة دينية خاصة، الشيخ أبو بكر أصبحت لأفراد الدراويش المولوية، وهكذا. .. أما الزوايا فهي عادة في مبنى جامع أو بجواره، وهي صغيرة أيضا لاتستوعب سوى أفراد. ويبين الجدول [3-3] و المخططات [3-1] أهم التكايا في مدينة حلب في العهد العثماني.

المخطط [3-1]: أهم تكايا مدينة حلب. المصدر: الباحثة.

التكية	الموقع	المنشئ – السنة	الطريقة	الوصف المعماري
الخسروية	السفاحية	خسرو باشا 951-هـ/ 1544م.	_	أول مجمع بني في الفترة العلمانية ويضم جامعا ومدرسة وتكية ومدفنا ومطبخا.
المولوية المولاخانة	العينين خارج باب الفرج	ميرزا فولاد وميرزا علوان. في أوائل القرن 10هـ / 16م.	المولوية	تضم ميدانا وسماعخانة وتربةومدفن وتربة ومطبخ ومطعم وغرف للدراويش.
الوفائية	جبل الغزالات	أحمد القاري،أضاف إليها ولاة حلب الكثير بدأ إنشاؤها في القرن 10هـ / 16م.	المولوية (الوفائية)	قبلية، و ميدان كان يكسو جدرانه قاشاني وغرفة ضريح وسبيل ومدفن وتربة وليوان والعديد من الدور
الإخاصية الرفاعية	البياضة اتجاه جامع الصروي	الشيخ إخلاصي الخلوتي 1044هـ/ 1634 م	إخلاصية خلوتية ثم الرفاعية	على النمط العثماني قبلية تضم خلوات خشبية للاعتكاف وميدان وغرف للمتصوفة.
الصيبانية	باب الأحمر أو غلبك	محمد أبو الهدى الصيادي 1295هـ / 1878م.	رفاعية	تضم عدة أجنحة ومسجدا ومدفنا وإيوانا وغرفا وصالات. ..

الجدول [3-3]: التكايا المنشأة في حلب في العهد العثماني. المصدر: الباحثة.

ثانياً: التكايا في مدينة مشق:



المخطط [3-2]: تكايا مدينة دمشق من العهد العثماني.

المصدر: Googleearth– بتصرف الباحثة.

تميزت الفترة العثمانية، بظهور مجمعات كبيرة، تضم أبنية باختصاصات مختلفة (مصلى وحجرات لدراويش والطلاب ومطاعم حول ساحة واسعة مزروعة بالاشجار). والتكية الكبرى (السليمانية) في دمشق هي أكثر هذه الأمثلة شهرة لهذا النوع من المنشآت، شيدت خارج الأسوارفي دمشق أربع تكايا هي: التكية السليمية مقابل جامع محي الدين، تقدِّم الوجبات المجانية للمحتاجين، والتكية السليمانية (ويضم جامعا وتكية ومطبخاً كبيراً ومطعماً ومدرسة)، والتكية المولوية (جامع النقشبندي) مركز الطريقة النقشبندية في دمشق وتضم مسجداً له مئذنة وصحن واسع في وسطه بركة وحوله غرف عديدة لسكن الدراويش، بالإضافة إلى تكية العسالي. وهنا نلاحظ اختلاف الوظيفة التي تنوع الوظيفة التي أنشئت من أجلها التكية، فالتكية المخصصة لأتباع طريقة صوفية في النقشبندية هنا، يختلف معناها عن معنى (العمارة) السابق في الذكرلها، الذي كان يعني المنشأة التي تقدم الوجبات المجانية للمحتاجين، والتي أطلق عليها ابن طولون اسم «التكية»، ما أدى إلى اختلاط معنى هاتين المنشأتين المختلفتين. ويوضح كلاً من_الجدول [3-4] والمخطط [3-2] أهم تكايا مدينة دمشق من العهد العثماني.

اسم المجمع	الموقع	المنشئ	السنة	الوضع الراهن
محي الدين	الصالحية	السلطان سليم الأول	924هـ /1518م	بحالة جيدة
التكية المولوية	السويقة	الوالي مراد باشا	976هـ / 1568م	جامع النقشبندي (بحالة جيدة)
التكية السليمانية		السلطان سليم القانوني	1554 -1566م	بحالة جيدة
العسالي	القدم	أحمد باشا كوجك	1045هـ / 1635م	جامع بحاجة إلى ترميم

الجدول [3-4]: التكايا المنشأة بمدينة دمشق في العهد العثماني.

المصدر: الباحثة.

1-3-مجمع التكية السليمية في الصالحية:

هذه التكية لم يكن لها أيَ دور في مباشر مع الحجيج، وإنما كان هذا العمل العمراني تقدمة لروح الشيخ محي الدين، الذي كان يكن له السلطان احتراماً خاصاً، حيث أنشأها السلطان سليم بعد فتح دمشق مباشرة. وقد ورد في المراجع التاريخية إقامة بعض الحجاج فيها.

وسيتم ضمها للدراسة في البحث لما لها من أهمية في المقارنة واستنباط الأسس والقواعد المشتركة في تصميم التكايا. ويبين المخطط [3-3] موقع التكية السليمية في دمشق، وقد دونت عليها مديرية آثار دمشق، مطعم السلطان سليمان وهذا خطأ. الصورة [3-5]



المخطط [3-3]: موقع التكية السليمية في الصالحية.
المصدر:مديرية آثار مدينة دمشق.

ويوجد بعض الأخطاء الواردة في تسمية التكية السليمية، فالتكية كانت معروفة لدى العامة باسم التكية السليمانية أو مطعم السلطان سليمان، وكذلك لدى علماء الآثار الذين درسوا أبنية دمشق الأثرية كولزنجر الألماني وسوفاجيه الفرنسي وغيرهم[1]. تسمى لدى العامة وعلماء الآثار بالتكية السليمانية أو مطعم السلطان سليمان وفقاً للتالي:

- ورد بعض الخطأ في تسمية التكية السليمية ففي كتاب (ولزنجر)الذي وضعه عن أبنية دمشق مايلي: " ومقابل الجامع يوجد بيت الفقراء الذي بناه السلطان سليمان بن سليم سنة 960 بقبتين عظيمتين، ولكنه احترق سنة 962 ثم أعيد بناؤه أجمل مماكان ".
- وكذلك فعل (سوفاجيه) في كتابه (أبنية دمشق الأثرية) حيث أطلق على البناء اسم Cantine أي مطعم وقال بأنه بني عام 960 هـ / 1552 م من قبل السلطان سليمان حسب مخطط سنان ورمم عام 962هـ/ 1554م بسبب الحريق، وهو البناء الوحيد من هذا الطراز في سورية .

ولكن مايخالف ماوصل إليه هذان العالمان مخالفة تامة فهو ماورد في الكتب التالية :

1- جاء في الكواكب السائرة :" في 22محرم سنة 924 رسم السلطان سليم خان ببناء تكية شمالي هذا الجامع (يعني الجامع السليمي أي جامع الشيخ محي الدين المعروف اليوم ".
2- جاء في القلائد الجوهرية : " وفي يوم الأثنين 20محرم سنة 924 هـ وهو أول شباط وضع منبر الجامع الجديد وقد رسم ببناء تكية شمالي هذا الجامع، وكان هناك مسلخ اللحم وقف البيمارستان القيمري فعوض عنه بخمسة آلاف درهم، وبيت رزق الله الحنبلي فاشتري منه بثلاثة آلاف، وتربة صار القبر بها جانب من مطبخ التكية المذكورة ".
3- وجاء في المروج السندسية : " في سنة 926سابع عشر ذي القعدة أبطل جانبردي الغزالي تكية الخنكار (أي السلطان) وأقفل أبوابها وأخذ مافيها من القمح والسمن والعسل والزيت والطحين والحطب والطاسات وقفل الجامع المذكور (أي الجلمع السليمي) ثم أعاد الجامع وأبقى التكية مقفلة ".
4- ذكر ابن العماد في وفيات سنة 926 : " وفيها توفي تقي الدين باكير الروي ناظر التكية السليمية ".
5- جاء في ترجمة السلطان سليم الفاتح " ومكث في الشام ثلاثة أشهر ونصف وأمر بعمارة قبة على قبر العارف بالله الشيخ محي الدين بن عربي وبنى مأكلاً للطعام ثم سار يريد البلاد المصرية ".

---
[1]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 57.

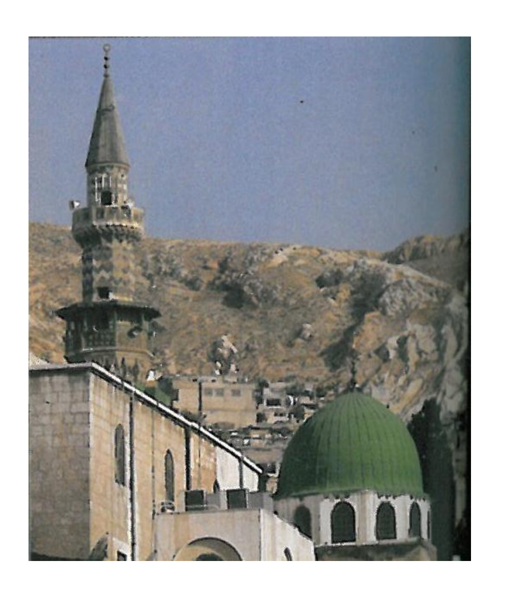
ونستخلص مما سبق من الروايات بأن السلطان سليم الأول دخل إلى مشق فاتحاً سنة 922هـ ثم غادرها إلى مصر للقضاء على دولة المماليك وعاد إليها في 11 رمضان سنة 923 ومكث بها حتى 10 صفر سنة 924 أي مدة أربعة أشهر، أمر خلالها ببناء جامع إلى جانب ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي سمي الجامع السليمي. وفي 20 محرم سنة 924 رسم ببناء تكية شمالي الجامع دعيت بالتكية السليمية وتولى نظارتها تقي الدين باكير الرومي. ولما توفي السلطان سليم سنة 926قام جانبردي الغزالي والي الشام بثورته للانفصال عن الدولة وأقفل التكية وصادر مافيها من مؤن زأدوات الطبخ. ويستنتج من كل ذلك بأن التكية كانت قائمة تؤدي مهمتها قبل تولي السلطان سليمان[1].

3-1-1-لمحة تاريخية:

كانت التكية السليمية أول عمل معماري في دمشق، قام به السلطان سليم الأول في محلّة الصالحية، التي تظهر في الصورة[3-8]، في أعقاب فتح دمشق. حيث أمر سنة 924هـ/ 1518م، بإنشاء تربة على قبر الشيخ محيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638هـ/ 1240م، ومسجد إلى جانبها، الذي يظهر في (الصورة [3-4])، وتكية على الطرف الآخرمن الطريق مخصصة لطبخ الطعام وتوزيعه على الفقراء، وهي بسيطة البناء. شيّد الجامع وفق التقاليد المعمارية المحلية، سوى أن مئذنته أقيمت فوق بوابة المسجد [2].

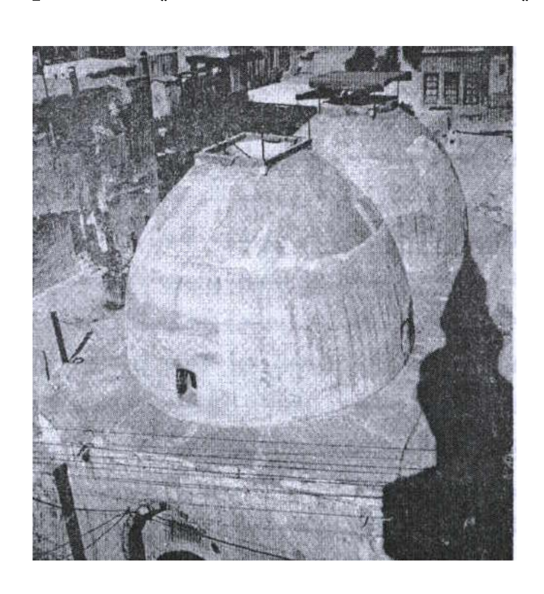
3-1-2-وظيفة التكية:

تعتبر التكية؛ أول بناء عثماني في سورية، بل وأول بناء من هذا النوع. ولقد أنشئت أبنية مشابهة في العصور السابقة، كالربط والزوايا والخانقاه، وخصصت للصوفية والغرباء، وكبعض المدارس التي كان يوزع على طلابها وأساتذتها الأطعمة والألبسة، كالمدرسة العمرية، التي بنيت في عهد السلطان نور الدين بن زنكي. الصورة [3-6].



الصورة [3-4]: جامع الشيخ محي الدين.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، ص 89.

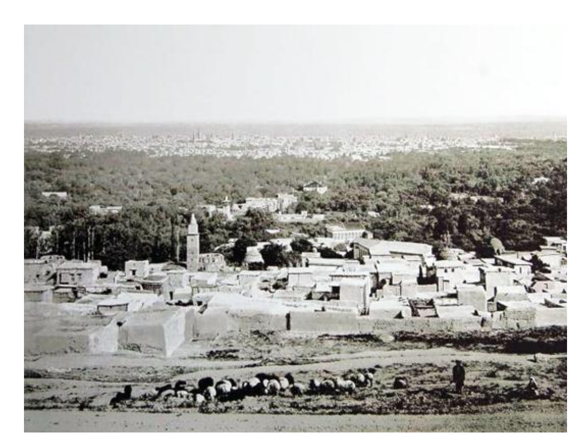


الصورة [3-5]: التكية السليمية – منظر خارجي.

المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 63

[1] -الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 56-59.
[2]-الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، ص 496.

ولكن تمتاز التكية السليمية بأنها مقصورة على الطبخ، وتوزيع الأطعمة على المحتاجين وعلى الحجاج القادمين لزيارتها حتى أن ابن طولون كان يطلق عليها اسم مطبخ أحياناً. والنص التالي يبين لنا الكمية الغذائية التي كانت توزع فيها يومياً، قال ابن طولون: "وإلى جانب هذا المطبخ فرن معد للخبز الذي يُفرق بهذه التكية. وأصل هذا الخبز قنطار طحين غداء وعشاء. ويطبخ ذلك بكرة النهار في شوربة رز وأخرى في قمحية، خلا ليلة الجمعة فيطبخ في رز مفلفل معه رز حلو بعسل".



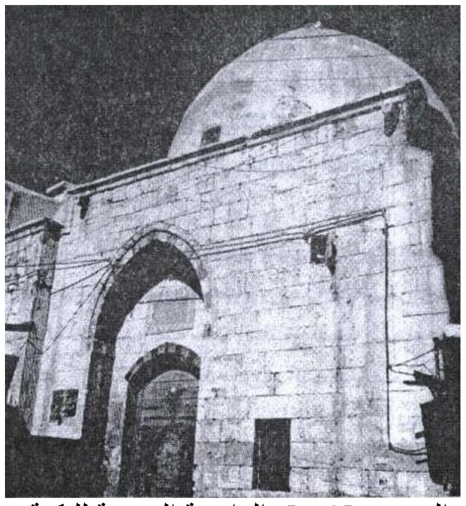
الصورة [3-6]: دمشق وحي الصالحية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.

3-1-3-الوصف المعماري لمجمع التكية السليمية:

- **التكية السليمية:**

من ناحية فن البناء والهندسة، فقد اكتفى سوفاجيه عندما وصف التكية السليمية بقوله إنها البناء الوحيد من هذا الطراز في سورية [1]. وتتألف من تكية مستقلة لطبخ الطعام وتوزيعه على الفقراء، ومن جامع، وتربة على ضريح الشيخ محي الدين).



الصورة [3-7]: الواجهة الرئيسة للتكية.

المصدر: المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 63.

ويقول ابن طولون في وصف التكية، وابن طولون مؤرخ معاصر لها، شهد بناءها خطوة خطوة: "وهي مشتملة على بيت للفقراء يأكلون به، له أربعة شبابيك-تظهر الصورة [3-7] الواجهة الرئيسة للتكية-مطلة على باب الجامع المذكور (يقصد الجامع السليمي)، وبه معزبة مختصة بالنساء، وله بابان شرقي ومنه يدخل الناس وبالقرب منه شباك لمعزبة النساء، وغربي ينفذ إلى المطبخ، وبه ثلاثة حواصل للمؤن. ولهذا المطبخ باب كبير ببوابة يفتح إلى القبلة. وبه حلتان كبرى وصغرى وثالثة لغسل المواعين وعدتها مائتا ماعون من نحاس.

وإلى جانبه القبلي طالع للماء، وهو واصل من ناعورة مجددة لهذه العمارة. ماؤه ينقسم إلى جرن بالتكة وجرن للسبيل على باب المطبخ المذكور، وقسم إلى بحرة وسط الجامع السليمي. وإلى جانب هذا المطبخ الغربي فرن معد للخبز الذي يفرق بهذه التكية "[2]. وتظهر الناعورة في الصور [3-9/8].

[1] -الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 59.
[2] -المرجع السابق ذكره، ص ص (63-64).

- **الوضع الحالي للتكية اليوم:**

1- لم يبق في الواجهة من النوافذ الأربعة سوى واحدة، أما السبيل فلا يزال مستعملاً كدكان والفرن باق مع بعض التجديدات التي طرأت عليه.

2- إن الباب الشرقي لا وجود له، وليس في الناحية الشرقية من البهو اليوم سوى باب لغرفتين إحداهما للمؤن والثانية مهدومة السقف. والباب الغربي الموجود في البهو يؤدي إلى حديقة منزل يقال بأن طاحونة قديمة كانت في هذه الحديقة.

3- لا يوجد من مستودعات المؤن اليوم سوى غرفة في الجهة الشرقية وأخرى في الجهة الشمالية يدخل إليها من المطبخ، وهذا يقع في الجهة الشمالية أيضاً ومايزال على وضعه القديم تبدو فيه حلتا الطبخ وحوض الماء المستعمل للجلي.

ولعل تغييراً طرأ على المخطط بعد حريق التكية عام 962 الذي أشار إليه العالمان (ولزنجر وسوفاجيه) وربما نقلا هذا الخبر عن بدران الذي يقول: " ثم احترقت سنة 962 ثم عمرت فصارت أحسن مما كانت عليه أولاً "[1].

- **جامع الشيخ محي الدين (الجامع السليمي):**

مشيدة كبيرة متقشفة العناصر الزخرفية، صممها المهندس العثماني شهاب الدين بن العطار، استعملت في بنائها أعمدة نقلت من دار السعادة المملوكية، بوابتها مرتفعة تعلوها كتابات مؤرخة، تظهر في الصورة [3-10]، وتقع غرفة الضريح في الجهة الشرقية من الباحة وينزل إليها بعدة درجات وهي قاعة مستطيلة تعلوها قبة ملساء مدببة، وتستند إلى رقبة واحدة مضلعة اثني عشر ضلعاً تفتح فيه اثنتا عشر نافذة [2].

- **وصف المخطط لمجمع التكية :**

يتألف مبنى التكية السليمية من بهو واسع مستطيل أطواله (15,7*8,35)مسقوف بقبتين تقسمانه إلى مربعين متساويين، وهذا البهو يشبه (الصوفا) في الأبنية الحديثة، حيث تنفتح في جدرانه أبواب الغرف والقاعات الخاصة بمستودعات المؤن، ويدخل إلى هذا البهو من الباب الرئيسي في الواجهة الجنوبية، ويتألف الباب من فتحة واسعة ذات قوس مخموس ضمنها فتحة أصغر تعلوها عتبة على شكل قوس مجزوء فارسي، وتناوب الحجارة السوداء والبيضاء المزية في كلا القوسين. وعن شمال الباب نافذة يقع خلفها ضريح قديم احتفظ به عند بناء التكية. وعن يمين الباب سبيل مفتوح في الواجهة ويليه فرن التكية[3]. ويظهر المخطط [3-5] مسقط التكية السليمية.

- **وصف مخطط الجامع:**

يتكون المسقط الأفقي في جامع محيي الدين، الذي يظهر في الصورة [3-11]، من أروقة تدور حول الباحة أكبرها في الجنوب يشكل الحرم وهو صالة مربعة تقريباً مقسمة صفين يضم كل منهما خمس بلاطات وهذا هو الشكل التقليدي لتصميم الجوامع. وقد سقف حديثاً بسقف من البيتون المسلح[4]. ويظهر المخطط [3-4] مسقط الجامع. وتبين الصور[3-13/12] وقبة ضريح الشيخ محي الدين وعناصرها الزخرفية.

[1]- المرجع السابق ذكره، ص 64-65.

[2] -الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الاضرحة، ص 581.

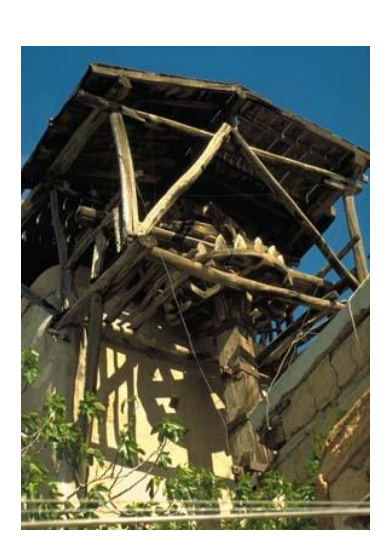
[3] -الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 61.

[4] -الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الاضرحة، ص 581.



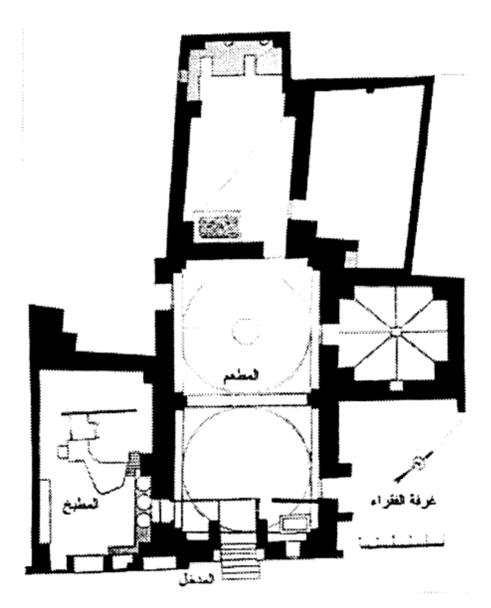
الصورة[3-8]: ناعورة الشيخ محي الدين.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، ص 89.



الصورة[3-9]: ناعورة الشيخ محي الدين.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، ص 89.



المخطط [3-4]: مسقط التكية السليمية.

المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 62.



المخطط [3-5]: مسقط جامع محي الدين.

المصدر: مديرية آثارمدينة دمشق .



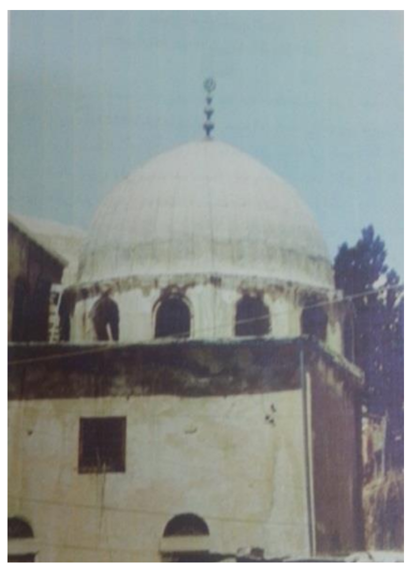
الصـــورة [3-10]: الكتابات المؤرخة فوق بوابة جامع الشيخ محي الدين.

المصدر: الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 583.



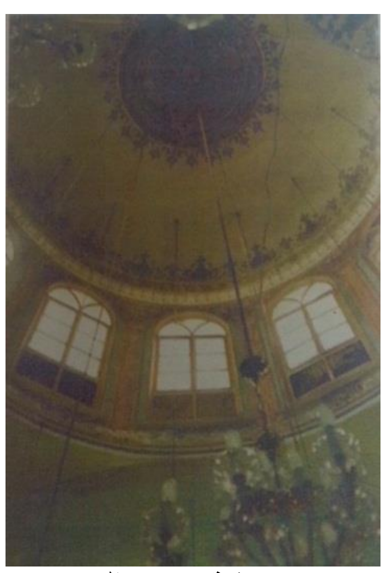
الصورة [3-11]: جامع الشيخ محي الدين.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.



الصورة [3-12]: القبة الملساء لضريح الشيخ محي الدين ورقبتها الواحدة المؤلفة من اثني عشر ضلعاً.

المصدر: الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 583.



الصورة [3-13]: قبة ضريح الشيخ محي الدين وعناصرها الزخرفية ذات التأثير المعماري.

المصدر: الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 583.

3-1-4-التحليل المعماري للتكية:

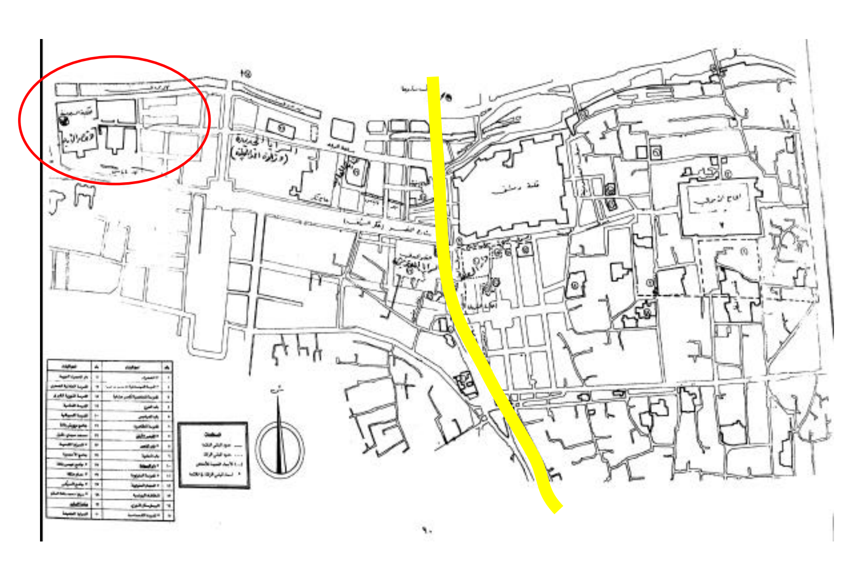
من خلال دراسة التكية نلاحظ القيمة التاريخية والأثرية التي تمتلكها التكية، بالإضافة إلى كونها أول تكية عثمانية، وتتحلى بطرز منفرد، فلا هي تشبه أبنية العهد المملوكي من حيث المخطط ولا تشبه أبنية العهد العثماني كالتكية والمدرسة السليمانيتين في دمشق اللتين بنيتا حسب مخطط المهندس سنان، بالإضافة إلى ماتختص به هذه التكية من تقشف وبساطة ناتجن عن ظروف الفتح.

3-2-التكية السليمانية ومدرستها:

3-2-1-لمحة تاريخية:

مجموعة عمرانية فخمة تتميز بقبابها الكثيرة المنتظمة، تقع في قلب دمشق، وعلى ضفاف بردى وغربي المدينة القديمة وتظهر في الصورة [3-15]. ويبين المخطط [3-6] موقع مجمع التكية السليمانية في مدينة دمشق.

وكانت تسمى هذه المنطقة قبل ذلك بالمرج أو بالمرجة. وكان فيها قصر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس المعروف بالقصر الأبلق. ذكر الغزي في الكواكب السائرة أن السلطان سليم نزل في هذا القصر خلال إقامته في دمشق عام 922هـ / 1516م. ثم هدم القصر المملوكي بعد ذلك في عهد ابنه السلطان سليمان القانوني ليقوم في مكانه مجمع معماري يتألف من عمارتين غربية وشرقية والأولى هي التكية والثانية هي المدرسة [1].



المخطط [3-6]: موقع مجمع التكية السليمانية ومدرستها على مخطط لدمشق.

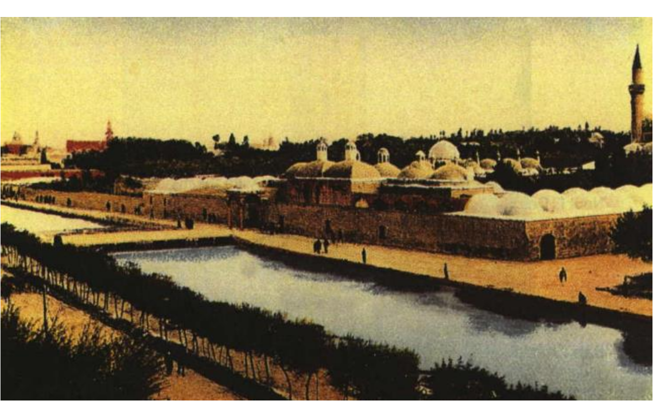
المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث.

---

[1]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 66.

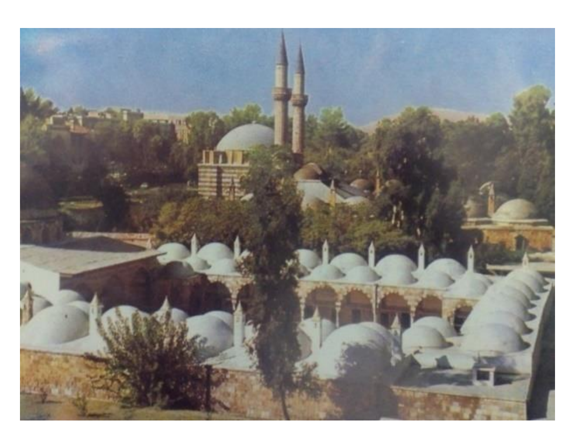
وهما كتلتين معماريتين متشابهتين في التخطيط (الصورة [3-14])، ويصل بينهما سوق مخصص لقوافل الحجاج التي كانت تنزل في الأراضي المجاورة كما تشير التصوص التاريخية. وتتجلى التأثيرات العثمانية في الهندسة والتصميم. بينما تظهر التقاليد المحلية الفنية في العناصر المعمارية والزخرفية [1]. كان المهندس الرئيسي للسليمانية ملا آغا الإيراني الأصل وكان يناوبه من حين لآخر مراقبو بناء من الأتراك [2].

تعتبر التكية والمدرسة السليمانية اللتان أمر ببنائهما في دمشق السلطان سليمان في سنة 1554 و 1566م/ من العمائر ذات الطابع العثماني البحت، وهما صورتان مصغرتان عن العمائر الفخمة التي صممها المهندس العثماني الكبير سنان باشا في اسطنبول[3].



الصورة [3-14]: التكية السليمانية قبل أن يحيط بها البنيان، وتظهر خلف التكية البساتين التي لم يبق منها شيء.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 321.



الصورة [3-15]: التكية السليمانية ومدرستها.

المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 204.

3-2-2-وظيفة التكية ومدرستها:

يقول عبد القادر الريحاوي في كتابه روائع التراث: "...والغاية من التكية تشبه الغاية من الخانقاه الذي انتشر في أيام الأيوبيين والمماليك"[4]. ولكن بعد الرجوع إلى المراجع التاريخية تبين أنه أريد من هذه التكية أن تكون محطة لحجاج مكة من الأتراك ومكانا لإقامة طلبة العلوم الدينية، وبناءاً على ذلك لم يكن الجامع يكفي وحده لتحقيق تلك الغاية ولهذا ضمت المدرسة وغرف النزلاء والمهجع إضافة إلى السوق لخدمة هؤلاء الحجيج. ولم تقتصر التكية على وظيفة الخانقاه فقط.

[1]-الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة العربية الإسلامية، ص 496.

[2]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ص 215.

[3]-ريمون، أندريه، العواصم العربية عمارتهاوعمرانها في الفترة العثمانية، ص ص (111-112)

[4]-الريحاوي، عبدالقادر، روائع التراث، ص 69.

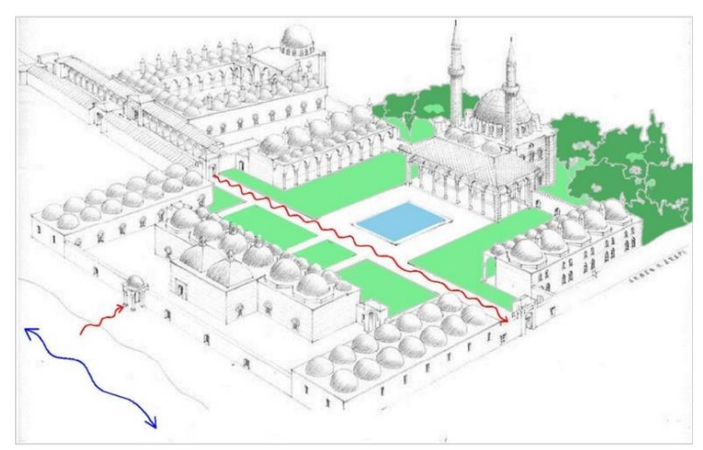
لقد اختيرت أرض المرج المنبسطة مكاناً لإقامة التكية كيما يصبح بالإمكان تصميم مثل ذلك المخطط الواسع والمتناظر، وهذا ما دعا للاستغناء عن فكرة إقامة التكية في مكان مرتفع ومهيمن، وحددت الرغبة في تأمين الإقامة الطبية والاستراحة اللطيفة للحجاج والطلبة إلى العناية الزائدة بهندسة الحدائق في التكية.

وقد قامت البوابتان الرئيستان في المحور الشرقي-الغربي كيما تتفق مع اتجاه طريق الحجيج ومع سير وادي بردى – الصورة [3-16]-حيث المدخل الرئيس للتكية من الباب الشمالي المطل على بردى وأمامه جسر يمتد حتى شارع بيروت [1]. الشكل [3-1].



الصورة [3-16]: التكية مع النهر أمامها.

المصدر: أرشيف مديرية آثار مدينة دمشق



الشكل [3-1]: منظور لمجمع التكية السليمانية وقد عينت عليه المساحات الخضراء ومحاور الحركة الرئيسة بالنسبة للبوابات.

المصدر: الباحثة.

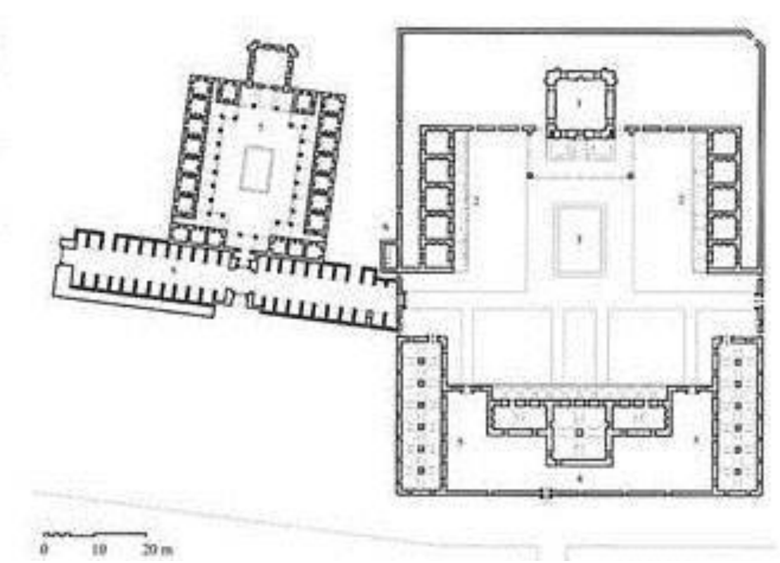
3-2-3-الوصف المعماري:

أولاً: التكية السليمانية:

يوضح المخطط [3-7] مسقط التكية ومدرستها. حيث تشغل التكية مساحة قدرها 86*127م، وهي مسورة بجدران متينة لكنها منخفضة في الزاوية الجنوبية الغربية بسبب ارتفاع سوية الشارع المحاذي لنهر بانياس. ويبعد مبنى الجامع مسافة 11م عن السور الجنوبي.

[1]-كارل، ولتسينجر، وكارل، واتسنجر، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ص 215.

زود سور التكية بثلاثة أبواب رئيسية أحدها في الشمال تتقدمه قبة صغيرة على أعمدة، وتظهر في الشكل [3-2]، والثاني في الشرق والثالث في الغرب، ويترك السور بينه وبين الأبنية حدائق تتوزع في سائر أطراف العمارة[1]. تقسم التكية بواسطة المحور الممتد بين البابين الشرقي والغربي إلى قسمين، جنوبي وشمالي، نجد في القسم الجنوبي صحن سماوي كبير تتوسطه بركة مستطيلة الشكل، وقاعة للصلاة تحتل الجانب القبلي (الصورة [3-17])، وقد جعلت بارزة كلياً، وهي مسقوفة وتحتل الجانب القبلي، وقد جعلت بارزة كلياً، وهي مسقوفة بقبة وحيدة ومزودة بمئذنتين أقيمتا في ركني الجدار الشمالي متساويتان في الارتفاع والشكل. ويتقدم القاعة رواق مزدوج يقوم مقام المصلى الصيفي. ونجد في طرفي الصحن من الشرق والغرب مجموعتين من الغرف المربعة مسقوفة بالقباب التي ترتكز على أعمدة داخلية كانت تستخدم لإقامة الطلبة الغرباء. أبعاد كل منها (3.5*4م =14 متر مربع)[2]، أعدت لسكن نزلاء التكية.. يتقدم هذه الغرف رواق على قناطر. وفي الجهة الشمالية كتلة معمارية تتكون من مطبخ ومستودعات في الوسط وقاعتين كبيرتين للطعام [3].



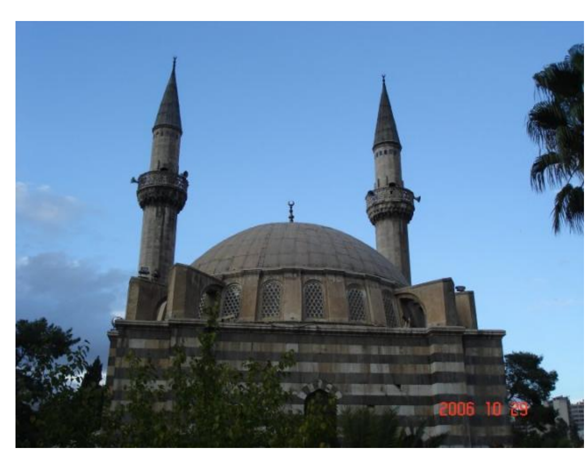
المخطط [3-7]: مخطط التكية والمدرسة السليمانيتان.

المصدر: Necipoglu, Gulru ,**The Age of SINAN Architectural Culture in the Ottoman Empire**, p 223.

1-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 66-67.

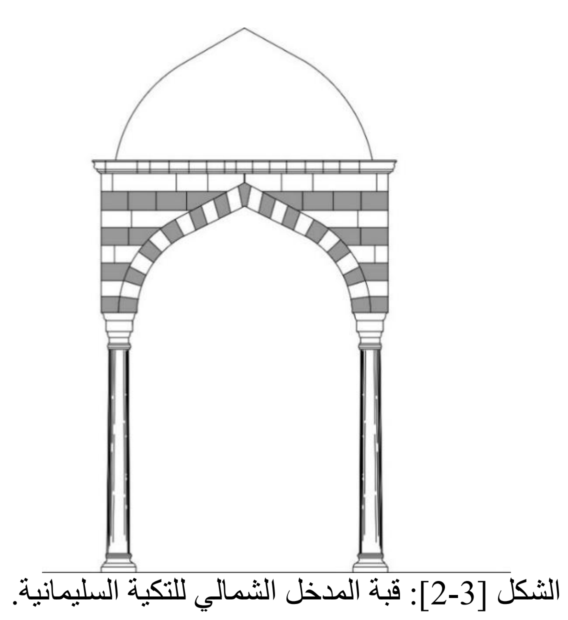
2-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ص 226.

3-الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة العربية الإسلامية، ص 496-497.



الصورة [3-17]: جامع التكية السليمانية.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2006.

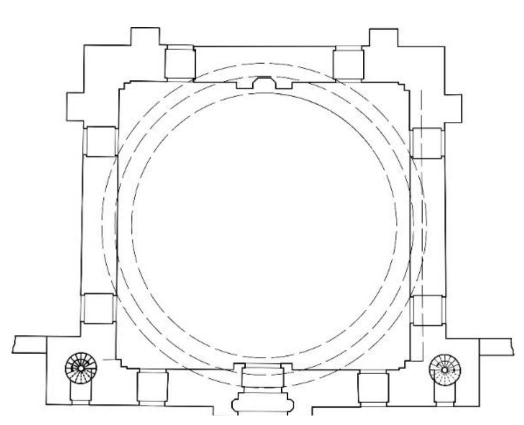


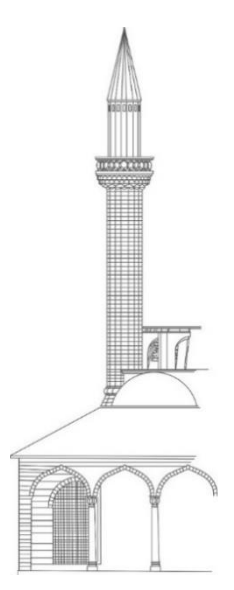
الشكل [3-2]: قبة المدخل الشمالي للتكية السليمانية.

المصدر: الباحثة.

- **تصميم المئذنة:**

أقيمت المآذن على المحور الشرقي– الغربي للجامع. ومع هذا الصدد يذكر عبد الباسط العلموي مايأتي: "ومذنتين شرقية وغربية كأنهما ميلان يؤذن عليهما" (ولتسينجر وآخرون، 1984م)، ونلاحظ تأثير أميال إسطنبول على شكل المآذن في التكية السليمانية[1]. الشكل [3-3].





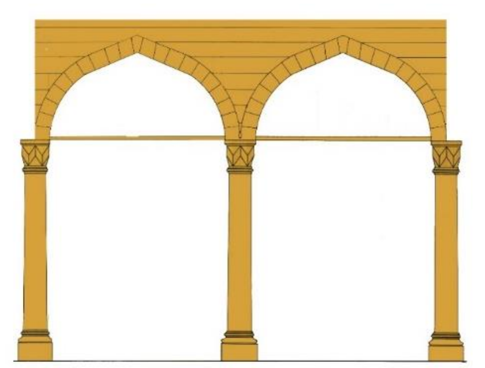
الشكل [3-3]: مسقط ومنظور للمأذنة في التكية السليمانية.
المصدر: الباحثة بالاعتماد على رفع آثار مديرية دمشق

[1]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ص 217-219.

- **الرواق:**

يتقدم الحرم رواق رحب وظليل. إنّ هذا الشكل من الأروقة لم تعرفه إلا العمارة التركية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فهو رواق مزدوج يعتمد على صفين من الأعمدة.

لقد حقق إضافة هذا الرواق-الشكل [3-4]- توسيعاً ملموساً للجامع ومكن من استيعاب المزيد من المصلين خلال الفترة التي يتوافد فيها الحجاج والأتراك إلى دمشق، وسيما وأن وجود المحاريب في ظهر الرواق نفسه يعين على اسخدام الجدار ذاته قبلة للمصلين[1].

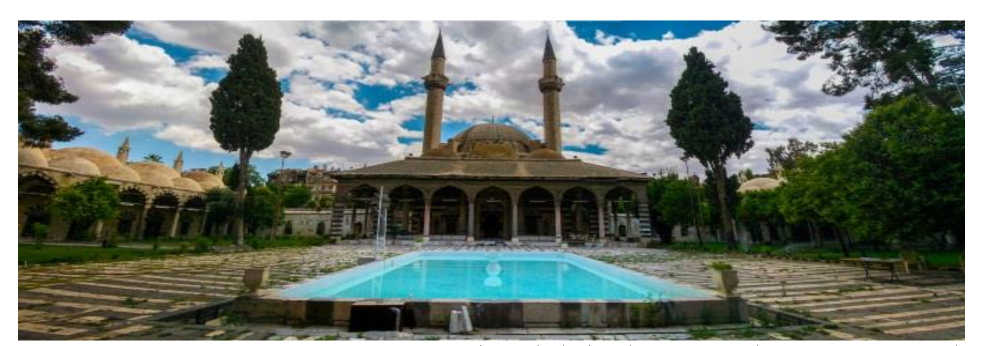


الشكل [3-4]: جزء من واجهة الرواق في التكية السليمانية.

المصدر: الباحثة.

- **الصحن:**

تتلألأ أمام الجامع مرآة مائية لبركة مستطيلة منبسطة ومكسوة بالمرمر ويتدفق الماء في وسطها في قلب نافورة تتخذ شكل الصحن المضلع. يعتبرهذا الشكل من فن الحدائق الفارسية. ويظهر الصحن في الصورة [3-18].



الصورة [3-18]: الصحن في التكية السليمانية.

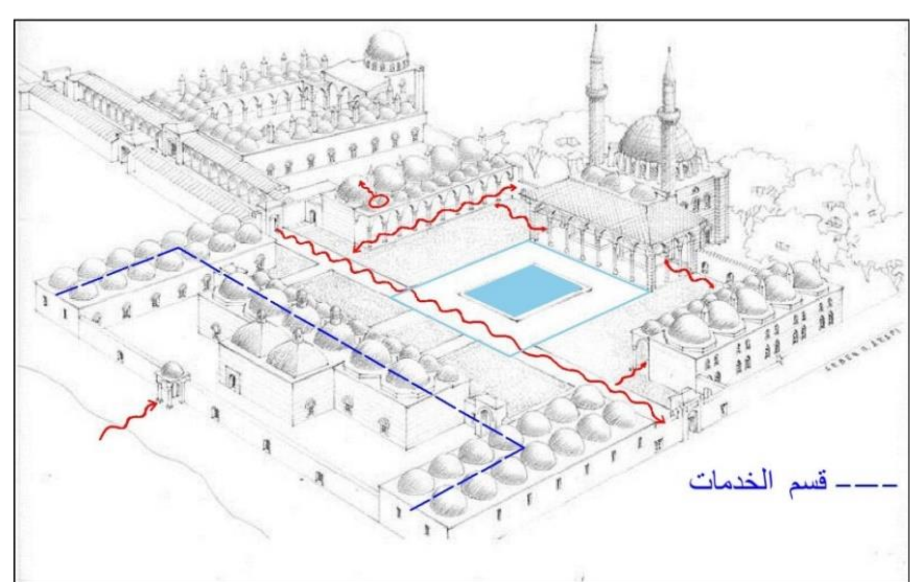
المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.

- **قسم الخدمات**

ترتصف العناصر المعمارية لقسم الخدمات على هيئة حدوه الفرس. يتوسط قسم الخدمات المطبخ الذي تعلوه أربعة قباب تخترق منها فتحات للتهوية. يلتصق بكل جانب من جانبي المطبخ غرفتان مربعتان يعلو كل منهما سقف هرمي مقطوع الرأس، ولقد خصصت هذه الغرف لتكون عنبرا للمؤونة والثانية مخبزا. أما الغرفتان الباقيتان فهما للقيم تتربع في كل جانب من جانبي مجموعة المطبخ قاعة طويلة يخترق وسطها صف من الدعامات التي تقسم القاعة نفسها إلى جناحين تغطي كل منهما قبوة ، الشكل [3-5].

---

[1]-المرجع السابق ذكره، ص 219.



الشكل [3-5]: تحليل لتوضع قسم الخدمات وتوضع الصحن في التكية السليمانية

المصدر: الباحثة.

- **وصف كتلة البناء:**

يلاحظ وجود البساطة في جميع مباني التي تركها المهندس الشهير سنان مع جماليات وطرز متميزة، ونلاحظ وجود عدد كبير من القباب على غرفها مع عشرات المنارات الصغيرة التي تشبه أقلام الرصاص فوق الغرف.

ثمة تباين صارخ بين كتلة الجامع ومئذنتيه، فالمنظور الأفقي يهيمن على البناء وتنتصب القبة الرئيسية فوق رقبة مائلة الجوانب.تتجلى المدرسة المعمارية العثمانية، التي واصلت العمل بمبادئ القسطنطينية البيزنطية، في استخدام الدعامات الساندة (Strebepfeiler) في الخارج، وفي طريقة تزجيج النوافذ وفي التغطية بالرصاص. تستكين قباب الرواق الأمامي في المنظور الأفقي دون أن تتعالى فوق أية رقبة على بقية قباب التكية التي تتربع بدورها بخفة عند حافة الميزاب وتنسجم بالتالي مع الخطوط الأفقية العامة.

ثانياً: المدرسة السليمانية:

المدرسة السليمانية، وتقع إلى الشرق من التكية السليمانية، وتضم مسجداً للصلاة، وبيوتاً للعلم، لتؤدي دور المسجد التعليمي وقف بنائها، وأمامها أروقة يرتادها الدراويش وأبناء السبيل، وتمتدأمامها بحرة للوضوء وقضاء الحاجات الضرورية. إنها مدرسة مستقلة عن التكية ذات مخطط شبيه بمخطط التكية ومنسجم معها في الخطوط العامة[1]، لكنها أصغر حجما وفيها عدد أكبرمن غرف السكن، وقاعة للدراسة هي في نفس الوقت للصلاة لكنها خالية من المآذن. ويمتد السوق أمام المدرسة على صفين متقابلين من الدكاكين ينتهى في الجهة الغربية بباب كبير يصله بالتكية،كما ينتهي من الجهة الشرقية بباب كبير آخر يصله بالمدينة.

[1]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص 69.

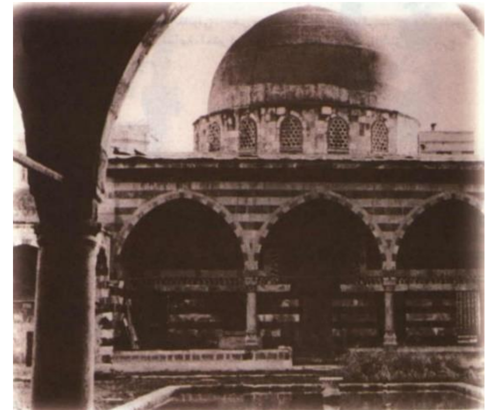
وتظهر التأثيرات العثمانية أيضا في شكل المئذنة، وفي شكل القباب، وفي معظم العقود التي جعلت من النوع الفارسي (أي المرسوم من أربعة مراكز والقسم العلوي مقوس نحو الخارج) كما في قناطر الأروقة وفي العقود التي تعلوالشبابيك (العقد العاتق). وكذلك في المداخن الحجرية التي تبرز بين قباب الغرف المزودة جميعها بالمدافئ.

وهناك عنصر يظهر لأول مرة في عمائر دمشق، ذلك هو إيوان الباب المزود في جانبيه من الداخل بمحرابين صغيرين على طريقة بوابات العمائر السلجوقية في الأناضول التي انتقلت إلى العهد العثماني.

- **الوصف المعماري للمدرسة السليمانية:**

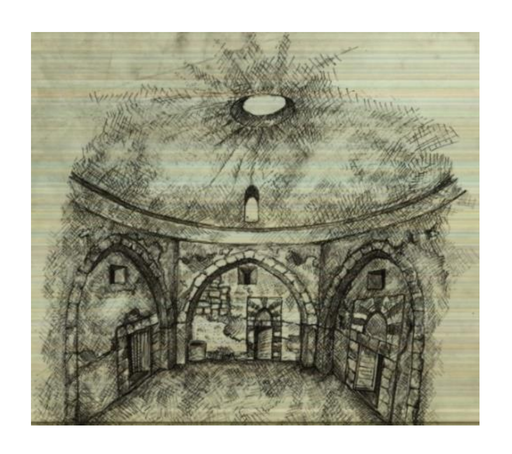
نلاحظ من مسقط المدرسة الوارد آنفاًفي المخطط [3-11]، أنّ المدرسة تتألف من مجموعة من الغرف الصغيرة تقع على جهاتها الأربعة (حيث تكتظ 22 غرفة حول الصحن وتبلغ ابعاد كل غرفة 6*6 =36م^2)، (الشكل [3-7] منظور لإحدى غرف المدسة)، يتقدمها أروقة مفتوحة على الصحن مسقوفة بالقباب المحمولة على قناطر ذات أعمدة صغيرة، في وسط الصحن بحرة مستطيلة. وفي الجهة الجنوبية مسجد صغير بني ليكون مصلى للمدرسة، وهوبناء مرتفع تعلوه قبة كبيرة، الصورة [3-19].

زودت المدرسة السليمانية بممرات ضيقة في زواياها الأربعة كيما يسهل الوصول إلى الغرف الواقعة في النهايات القصوى، كذلك تتقابل تجاويف الموقد في شمال كل غرفة مع تجاويف الكتبية في الجنوب.



الصورة [3-19]: المدرسة السليمانية.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 69.



الشكل [3-7]: منظور لإحدى غرف المدرسة.

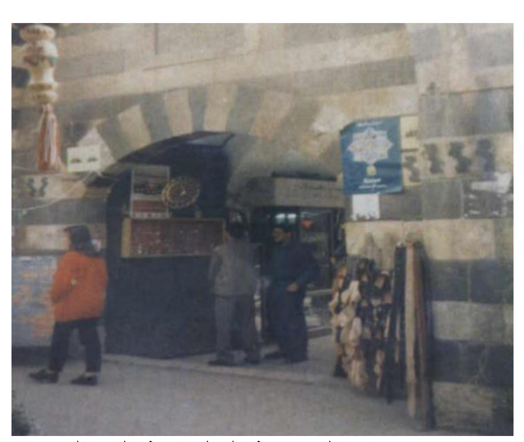
المصدر: أرشيف مديرية آثار مدينة دمشق.

- **الرواق:**

وفي ضوء الاكتظاظ المعماري، لم يعد هنالك مجال لتطبيق النظام الذي تتقابل فيه كل قبتين من قباب الرواق مع قبة واحدة من القباب التي تعلو الغرف فالقباب الـ 22 التي تغطي أروقة الصحن بقيت دون تنسيق مع قباب الغرف البالغ عددها 22 قبة أيضا. إضافة إلى القباب الثلاث اللواتي تغطي كلا من دهليز المدخل والرواق الأمامي للحرم.تقوم في وسط الصحن بركة مماثلة لبركة السليمانية.

- **سوق المدرسة:**

لقد جرى استغلال الطريق الممتد من الشرق إلى الغرب استغلالاً واسعاً، حيث أنه تحول إلى سوق تجارية، ترتصف على جانبيه الحوانيت المعقودة التي تعلوها حجيرات صغيرة (حالياً متهدمة)، وذلك بدأً من الباب الشرقي للسليمانية حتى المدخل الغربي للطريق. حيث يذكر محمد البدري الدمشقي أن عدد الحوانيت يبلغ 21 حانوتاً، ولكن هذا العدد يخص جانباً واحداً من جانبي السوق. ولقد جرى ترميم هذه الحوانيت وتجديدها مع مبنى التكية في السبعينات واستخدمت سوقاً سياحياً للصناعات اليدوية. وكانت هذه الحواني في الأصل لخدمة الحجاج الخيمين في الأرض المجاورة من جهة الشرق التي كانت تعرف ببستان النعنع[1].



الصورة [3-20]: باب المدرسة السليمانية الشمالي.

المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص205

للمدرسة باب رئيسي وهو في منتصف واجهتها الشمالية، الصورة [3-20]، وأربعة أبواب ثانوية في الجهات الأخرى، تبعد المدرسة عن التكية مسافة خمسة عشر متراً تقريبا وليس لها سور، إلا أنه ألصق بواجهتها الشمالية الخارجية دكاكين تؤلف الجناح الجنوبي للسوق الممتد من الشرق إلى الغرب بطول خمسة وثمانين متراً.

3-2-4-المنظورالشاقولي للبناء:

تقوم قبة الجامع فوق رقبة مائلة (الرقبة هنا غير مائلة الجدران بل شاقولية تعرف الأسلوب الشامي في إقامة رقبات القبة وخلافا لرقبة قبة التكية الســـليمانية فهي مائلة باتجاه الأعلى وفق الأســـلوب العثماني)، تتألف من (12) ضـلعاً وتخترقها نافذة (ان زوايا المضـلع هي التي تقع على المحور وليسـت النوافذ). يقترب منظور القبة من شـكل البيضـة. ويفترض هذا الشـكل وجود قضـبان سـميكة في البنية الداخلية ولكنه لايحتم اللجوء إلى الأقواس والدعامات الساندة. تغطي قشرة من الجص سطح القبة الخارجي الذي لم يكن يوما مصفحا بالرصاص.

3-2-5-الأخطاء الواردة في تسمية المدرسة السليمانية :

هناك بعض الخلط والخطأ في تسمية المدرسة السلميانية ففي بعض الكتب وفي وثائق ومنشورات الآثار العامة يرد فيها اسم التكية السليمية أو المدرسة السليمية، إلا أننا يجب أن نفرق ونميز بينهما فالتكية السليمية هي التكية التي بناها السلطان سليم الاول مقابل جامع الشيخ محي الدين في الصالحية.

[1]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية، ص 226-229.

لقد اختلف الناس حول تسمية هذه العمارة وتاريخ بنائها ن فسماها أهل دمشق التكية السليمية وكذلك فعلت الآثار العامة في وثائقها ومنشوراتها، وسماها سوفاجيه المدرسة السليمية وسبقه إلى ذلك مؤرخ دمشقي يدعى محمد بدران أديب الحصني. أما بدران فنسبها إلى سليمان القانوني .

في التاريخ العثماني اثنان من السلاطين باسم سليم، سليم الأول بن بيازيد (أبو سليمان) الذي استولى على بلاد الشام وضمها إلى الامبراطورية العثمانية عام 923 هـ / 1515م وسليم الثاني (ابن سليمان) الذي تولى السلطنة بين عامي 974 – 982 هـ / (1566-1574) م .

1- الروايات التاريخية الحديثة وحدها تسميها بالسليمية (مدرسة أو تكية) مع اختلاف بينها في نسبتها إلى أحد السليمين. فقد نسبها صاحب المنتخبات إلى سليم الأول حيث قال : " المدرسة السليمية أنشأها السلطان سليم خان فاتح البلاد العربية حين قدم دمشق، واقعة في جانب الجامع والتكية السليمانية في المرج الأخضر ".

أما (سوفاجيه) فقد نسبها إلى سليم الثاني "المدرسة السليمية بناها السلطان سليم عام 1566 بإشراف مهندس فارسي". وجاء في مشاهد دمشق الأثرية صفحة 65 :" التكية السليمية بناها السلطان سليم الأول شرقي المرج الأخضر، والتكية السليمانية التي شيدها ابنه سليمان القانوني غربي التكية الأولى ".

2- إن المصادر التاريخية القديمة التي تتحدث عن السلطان سليم الأول وكذلك كتب التراجم تشير إلى انه بني الجامع المعروف حالياً بجامع الشيخ محيي الدين في الصالحية وبنى مقابله تقدم الحيث عنها .
3- لم تذكر هذه النمصادر شيئا عن قيام السلطان سليم الثاني بأي من الأعمال العمرانية في دمشق بالرغم من أنها تتحدث بالتفصيل عن حياته وتذكر أعماله وتاريخ ولادته ويوم جلوسه وأخلاقه وصفاته وفتوحاته ...

علماً أن المؤزخين الذين تحدثوا عنه مؤرخون دمشقيون ومعاصرون، اهتموا كثيراً في تراجمهم بالمنشآت العمرانية والمدارس التي شيدها السلاطين والولاة، ونأتي بمثل على ذلك ما جاء في ترجمة درويش باشا والي دمشق لأيام السلطان سليم الثاني، من أنه عم خلال سني ولايته (979، 982 هـ){جامعه المشهور في باب الجابية، والتربة والسبيل بالقرب منه، وكذلك سوق الجوخ والقهوة وعمر جسراً على نهر بردى وسبيلاً بالقرب من دار السعادة.

4- أشارت كثيراً من الروايات التاريخية إلى أن السلطان سليمان شيد في دمشق تكية ومدرسة .
أ- قال الغزي في الكواكب : " وأمر بتعمير التكية السليمانية بدمشق فعمرت في موضع القصر الأبلق بالوادي الأخضر وعمر إلى جانبها مسجداً وجامعاً ومدرسة عظيمة شرطها للمفتي بدمشق وكان ابتداء عمارة التكية والمسجد عام 962 هـ وكملت هذه العمارة في أوائل عام 967 هـ.
ب- وذكر صاحب الشذرات في وفيات عام 974 هـ " وفيها توفي السلطان سليمان ومن مآثره تكيته ومدرسته العظيمة الشأن الكائنة بمرج دمشق ".
ت- وقال بدران في منادمة الأطلال تحت عنوان التكية السليمانية : في سنة 962 بنى السلطان سليمان خان جامعاً وتكية بالميدان الأخضر المسمى اليوم بالمرجة مكان قصر الملك الظاهر بيبرس فأخذت آلات القصر وجعلت فيه .. قال الشيخ محمود العدوي في ذله على مختصر العلموي : ثم تجددت مدرسة إلى جانب التكية السليمانية برسم التدريس عام 974 من زوائد التكية المشهورة المذكورة فجاءت محكمة البناء حلوة الشمائل انتهى. وهذا كله من آثار السلطان سليمان خان بن سليم خان المتوفي عام 974" .
4 – إذا تصفحنا كتب التراجم لا نجد ذكراً للمدرسة السليمية بينما ترد كثيراً المدرسة السليمانية لدى ترجمة العلماء والمدرسين الذين اشتهروا في دمشق ودرسوا فيها بعد بنائها. مثال ذلك ماجاء في الشذرات، في وفيات عام 974 " وفيها توفي تاج الدين المناوي ... تولى مدرسة السلطان سليمان بدمشق والإفتاء بها ".

وفي عام 978 توفى المولى أحمد بن عبد الله ... ولي تدريس السليمانية بدمشق والإفتاء بها " وفي عام 983 توفى محمد بن عبد العزيز ... كان فقيهاً بدمشق ومدرساً بالسليمانية.وماجاء في الكواكب السائرة في أخبار المئة العاشرة أيضاً :لدى ترجمة محمد المرعشي "العالم الفاضل مدرس السليمانية بدمشق توفى سنة 983 "وفي ترجمة عبد الفاتح أفندي" ورد دمشق فقيهاً ومدرس السليمانية بها".

5 – هناك كتابة صغيرة على عتبة الباب الشرقي الخارجي للسوق الملاصق للمدرسة كتب فيها مايلي : " جدد هذا الباب السلطاني السليماني في زمان السلطان بن السلطان مصطفى خان بن السلطان أحمد خان بنظارة المرحوم موسى بك ".

مما تقدم في هذه الفقرات الست ومن مراجعة الروايات الواردة فيها وتحليلها تم الوصول إلى الحقائق الثابتة الآتية:

الحقيقة الأولى : تؤيد الروايات القديمة جميعها أن السلطان سليمان بنى في دمشق تكية وجامعاً ومدرسة. ولكن قد يقال إن هذا لا يتعارض مع اعتبار المدرسة والتكية والجامع بناءاً واحداً هو التكية السليمانية نفسها. وهذا نتفق مع ما رآه (سوفاجيه) حينما سمى التكية بالمدرسو السليمانية، ليطلق على البناء المجاور لها اسم المدرسة السليمية. إلا أنه يرفض هذا الرأي اعتماداً على ماسيرد من الحقائق والأدلة التالية :

الحقيقة الثانية : المدرسة السليمانية بناء مستقل عن التكية. وهذا مستنتج من رواية الغزي التي أوردت في الفقرة (4) حيث ذكر أن سليمان بنى تكية وجامعاً ومرسة، ثم عاد إلى القول " وكان ابتداء عمارة التكية والمسجد عام 962، وكملت هذه العمارة في أوائل 967 ". وهذا يعني أن المدرسة لم تكن ضمن عمارة التكية، فالعمارة التي بدئ ببنائها عام 962وانتهت عام 967هي التكية والجامع فحسب دون المدرسة، ثم يأتي العدوي الذي أوردنا قوله في رواية بدران في الفقرة (4)، ليؤكد هذه النتيجة بقوله " ثم تجددت مدرسة إلى جانب التكية السليمانية برسم التدريس عام 974 من زوائد التكية ".

الحقيقة الثالثة : المدرسة السليمانية هي ذلك البناء المستقل الواقع إلى الشرق من التكية السليمانية ويؤيد هذه الحقيقة الأدلة الآتية:

1-ورد اسم المدرسة السليمانية كثيراً في كتب التراجم والمصادر القديمة.
2-عدم ذكر المدرسة السليمية مرة واحدة في هذه الكتب.
3-قول بدران : " وهذا كله من آثار السلطان سليمان وقصد بنائي التكية والمدرسة معاً .

4-وجود الكتابة التي أشرنا إليها في الفقرة (6) التي تسمى باب المدرسة " السلطاني السليماني " فمن البديهي أن تكون المدرسة سليمانية أيضاً .

وبهذا نصل بقولنا بأن السلطان سليمان أمر ببناء التكية عام 962 فتم بناؤها عام 967 هـ ثم أمر ببناء مدرسة إلى جوارها للاستفادة ممافضل من أحجار التكية فتم بناؤها عام 974 هـ، وهي السنة التي توفي فيها سليمان وتولى ابنه سليم الثاني، واتخذت اسم المدرسة السليمانية ودرّس فيها العلماء والفقهاء. ولما ابتعد بها العهد عن تاريخ بنائها نسي الناس اسمها الحقيقي، وشاهدوا بناءين متجاورين متشابهين فاعتبروهما تكيتين وسموا أحدهما السليمانية وسموا الآخر خطأ السليمية، وشاعت هذه التسمية الخاطئة وتأثر بها المحدثون من الباحثين والمختصين فنسبها بعضهم دون تدقيق إلى سليم الأول ونسبها البعض الآخر إلى سليم الثاني.

وهكذا لابد أن يعاد النظر في هذه التسمية، حيث أن التكية السليمية موجودة فعلاً، ولكن ليس على ضفاف بردى بل في الصالحية

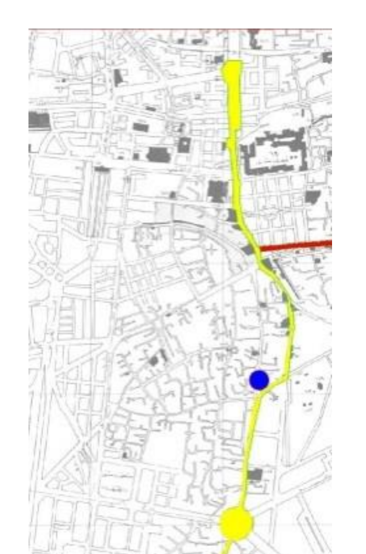
3-2-6-التحليل المعماري لمجمع التكية السليمانية:

من خلال الدراسة والتحليل لمجمع التكية السليمانية، نلاحظ البساطة والجمال فيها، شأنها في ذلك شأن المباني المهندس سنان، فنجد فيها الطراز العثماني، الذي امتزجت فيه الأساليب الزخرفية المحلية، وفقاً للذوق الدمشقي. وبهذا تتجلى القيمة المعمارية، فضلاً عن قيمتها التاريخية الكبيرة، ودورها بالنسبة للحج في الفترة العثمانية.

3-3-التكية المولوية (جامع النقشبندي):

3-3-1-لمحة تاريخية:

اسمه التاريخي جامع مراد باشا أو المرادية نسبة لبانيه مراد باشا، يرجع البناء إلى سنة 981 هـ/1573 م[1]. يعد من مشيدات العهد العثماني في جادة السويقة، على الطريق العام الآخذ إلى حي الميدان التحتاني، أنشأه ودفن فيه الوالي مراد باشا الذي دخل دمشق سنة (976 هـ / 1568م) أيام السلطان سليم الثاني، وتوفي في نفس السنة، وقد تكامل بناء الجامع من بعده سنة (981هـ /1573 م) وتم تجديده وترميمه سنة (1408هـ/1987 م). ويعرف هذا الجامع أيضا باسم جامع المرادية (نسبة لمراد باشا) كما يعرف بجامع النقشبندي (نسبة لكونه مركزاً للطريقة النقشبندية بدمشق)[2]. ويبين المخطط [3-8] موقع جامع النقشبندي.



المخطط [3-8]: موقع جامع النقشبندي على محور الحج.
المصدر: الباحثة .

وقد قال محمد بن جمعة في كتاب (الباشات) والقضاة وفي سنة 967 تولى دمشق مراد باشا صاحب الخيرات والحسنات وعمر الجامع المعروف به في محلة السويقة المحروقة وقيها مات ودفن بمدفنه بجنب جامعه، وللجامع واجهة ضخمة من حجارة سود وبيض وفيها الباب المقرنص وإلى جانبه غرفة الضريح البديعة الزخارف وأمامها السبيل وقد كتب على الباب (الصورة [3-21]).

مراد باشا بنى جامعا	ما مثله قد بنى في البلاد
تقبل الله سبحانه	وسوف يجزيه يوم التناد
وموته قد صح تاريخه	نال بجنة أقصى مراد
رحمه الله تعالى رحمة	واسعة يارب العالمين[3].

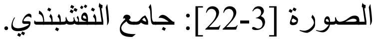
[1]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية، ص 195.
[2]-عبد الهادي، يوسف، ثمار القماصد في ذكر المساجد، ص ص (250) -251).
[3]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 250.



الصورة [3-21]: النص الكتابي المنقوش في جبهة بوابة جامع مراد باشا.

المصدر: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 589.





الصورة [3-22]: جامع النقشبندي.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011م.

والنقشبندية هي إحدى فرق الدراويش مثل الجلواتية والرفاعية، ممن كان لهم وجود في دمشق أيضاً[1]، انتشرت النقشبندية في دمشق في أواخر القرن السابع عشر، على يد جد الأسرة المرادية السيد مراد المرادي الذي أم دمشق بمناسبة الحج، واهتّم بنشر هذه الطريقة في دمشق، وتابع عمله من بعده ابنه السيد محمد المرادي. وأصل هذه الأسرة المرادية من بخارى ولكن الطريقة النقشبندية التي نشروها تنسب إلى الشيخ أحمد الفاروقي الذي أقام في الهند واشتهر بالمجدد، وكان أتباع هذه الطريقة ينزلون في دمشق لينضموا منها إلى قافلة الحج الذاهبة إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وكانوا يفدون جماعات، وربما زاد عددها عن الأربعمائة في بعض المرات، وكان بعضهم يتخلف عن العودة إلى بلاده بعد اداء فريضة الحج. ويستقرون في دمشق، كالشيخ محمد النقشبندي البلخي المتوفي سنة 1132هـ / 1720 م مع جماعته. [2]

3-3-2-وظيفته

بُني ليكون تكية فيها مسجد ومئذنة وصحن واسع محاط بعدد من الغرف، مع قبة وتربة دفن فيها الوالي نفسه، وكان مكان لإقامة الحجاج والدراويش الذين قدموا لدمشق من أجل الحج[3]

3-3-3-الوصف المعماري للجامع

يتألف الجامع من حرم ومئذنة ورواق أمامي (الصورة [3-22])، ويشكل الصحن والغرف المحيطة به والتربة مجموعة معمارية واحدة، لكنها تطل اليوم على شارعين بتركيب معماري مختلف الأساس.إن الجامع رحب الأرجاء، وتعلو الحرم فيه قبة وحيدة.

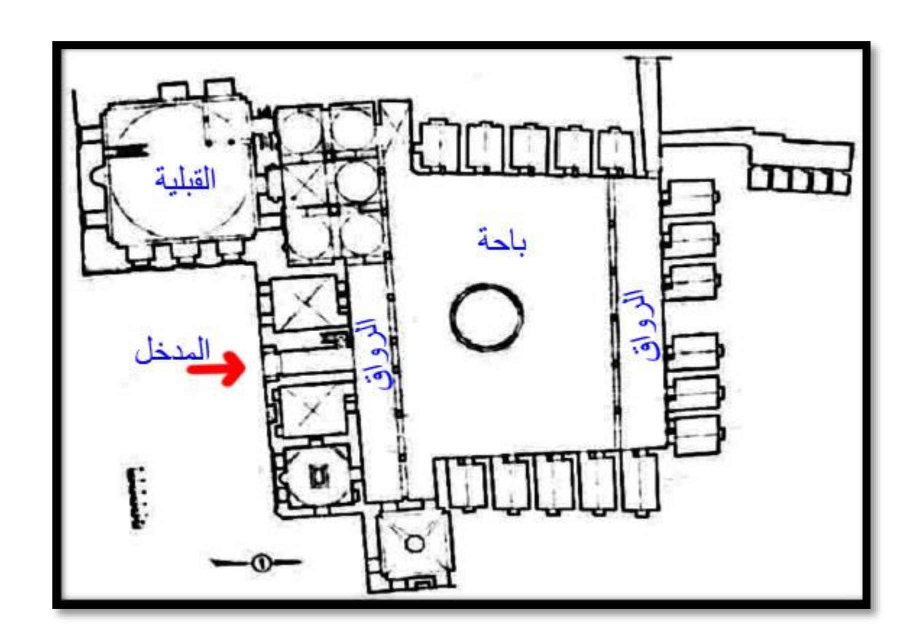
---

[1]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية، ص 195.
[2]-ابن كنّان، محمد، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ص (85-87).
[3]-عدرة، هشام، جريدة الشرق الأوسط.

يتمتع الجدار الخارجي بمداميك متناوبة الألوان، لكنه يتراجع للخلف بعد ثلثي الارتفاع العام له ثم يستمر الجدار نفسه نحو الأعلى دون أي انكسار. تأخذ القبة شكلاً نصف مستدير وهي تجثم على سطح الحرم مباشرة. يتكرر هذا التصميم في قبة التربة، لكن القسم العلوي من جسم التربة يتطور إلى شكل مثمن ويوحي بأنه بديل عن الرقبة [1].

تبلغ المساحة الكلية للجامع تقريباً (1450م ^{2}) بطول 42م وعرض 34 م تقريباً. وقبل الدخول للجامع يستقبلنا سور يميل عن الواجهة الرئيسية للجامع بزاوية قدرها 33 درجة، ويوجد بين السور والجامع باحة يقسمها الممر الرئيسي إلى قسمين وينتهي الممر بالباب الرئيسي للجامع. المخطط [3-9].

مبنى الجامع مشيّد بالمداميك الحجرية البلقاء، في واجهته الجنوبية بوابة مرتفعة معقودة بقوس ثلاثية الحنيات تحتضن في أعلاها نافذة ثلاثية مقوسنة وحشوة كتابية تحتها ساكف حجري مزرر قوسي الانحناء، ويؤطر هذه البوابة شريط حجريمنقوش، أما التربة فهي امتداد معماري لواجهة الجامع بالاتجاه الجنوبي الشرقي وقد شيدت بالمداميك الحجرية البلقاء وفي أعلاها افريز حجري زخرفي وفوقها قبة ملساء مدبّبة تستند إلى رقبة مثمنة الاضلاع مرتفعة جداً (وهي من الحالات النادرة في مدينة دمشق)) تتناوب فيها أربع نوافذ توأم مقوسنة وأربعة أضلاع ملساء السطوح، ويتراجع قسم من الواجهة الجنوبية للتربة نحو الداخل فيؤطره بروز حجري تزيني يحتضن نافذتين منخفضتين محميتين بقضبان الحديد المتصالبة، كما يمتد فوقها شريط زخرفي منقوش. وتزّين جدران التربة من الداخل ألواح ملونة من القاشاني.

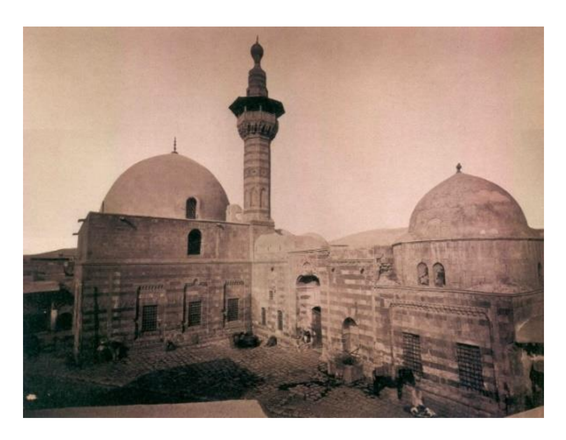


المخطط [3-9]: مسقط الطابق الأرضي لجامع النقشبندي .

المصدر: مديرية الآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق .

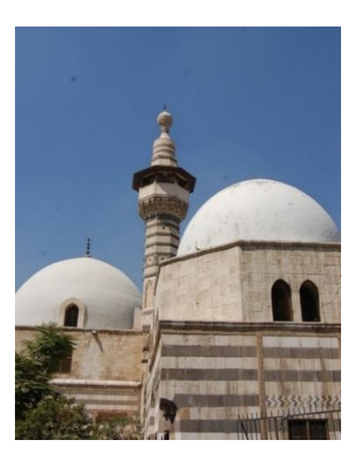
[1]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الإسلامية، ص 195.

للجامع واجهة حجرية ضخمة تقع في الجهة الجنوبية للجامع –تظهر في الصورة [3-24/23]-مبنية بالحجارة المتناوبة الألوان الأسود والأبيض يتخللها في الوسط مدخل حجري قوسي (قوس المدخل ذات مداميك مزررة ركب عليه باب بدرفتين قديمتين) باب خشبي مصفح بألواح الحديد والمسامير[1]. وتظهر الواجهة في الشكل [3-7].



الصورة [3-23]: الواجهة الجنوبية لجامع النقشبندي (في القرن التاسع عشر).

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.



الصورة [3-24]: الواجهة الجنوبية لجامع النقشبندي (في يومنا هذا).

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011م.

يتم الدخول من الباب الرئيسي (الصورة [3-25]) إلى الصحن الذي يتوسطه بركة ماء حجرية وأرضيته مبلطة (مكسية) بالحجر الأسود البازلتي والأحمر الوردي والأصفر، يحيط الصحن في واجهتيه الغربية والشرقية الداخلية مجموعة من الغرف للطلاب قديما، وتستخدم الآن لتحفيظ القرآن والدروس لمعهد الأسد[2]

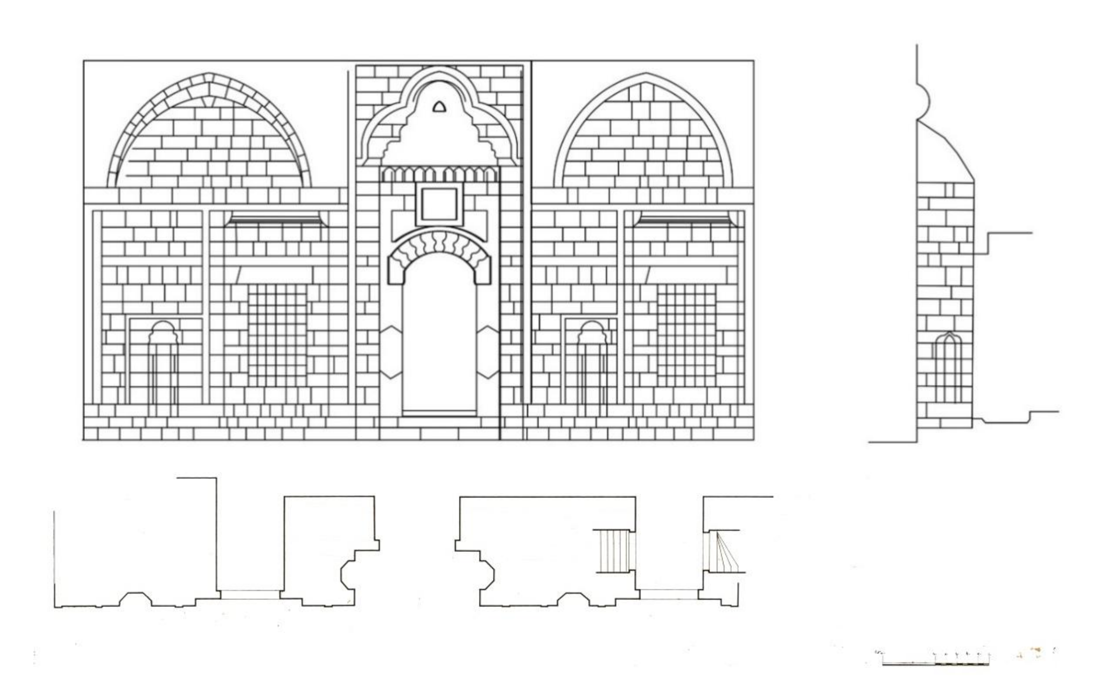
1- **النوافذ:**

تتحلى النوافذ بنسبة هندسية ثابتة هي 2:5، وهي تخترق محاريب تزينية مسطحة، حافتها السفلية مائلة، وتتحلى حافتها العلوية بالمقرنصات الدقيقة. بيد أن نافذة المحور غنية في زخارفها لكن النوازل بها محطمة.

2-المئذنة

تنطلق المئذنة من الطنف الرئيسي، وهي تتمتع بجذع مثمن، يمتزج في هذه المئذنة أسلوب النهضة العثماني مع بقايا الأسلوب المملوكي المتأخر. تتألف الصباغة المعمارية في المأذنة نفسها من طوق من المحاريب التزينية وأشرطة زخرفيه قاسية الخطوط وصارمة المظهر. يلي نطاق المقرنصات شرفة المؤذن المشيدة بالحجارة، لكن سقفها مصنوع من الخشب. تتبنى القلنسوة الشكل القاهري المتأخر بأبسط مظاهره. الصورة [3-28/27/26].

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد،ص ص (250 – 251).
[2]-أرشيف مديرية الآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق.



الشكل [3-7]: مسقط ومقطع للواجهة الخارجية الشمالية لجامع النقشبندي.

المصدر: الباحثة.



الصورة [3-25]: الباب الحديدي للمدخل الرئيسي لجامع النقشبندي.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011م.



الصورة [3-26]: المئذنة المملوكية مع صحن الجامع والبحرة في جامع النقشبندي .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011

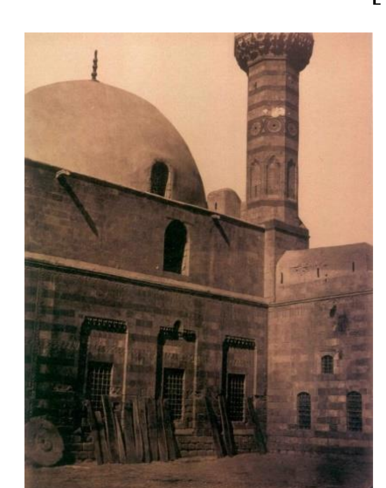
ترينا أحدى الصور الفوتوغرافية القديمة للجامع ممراً دفاعيا مشيدا من الأجر يزدان بمرامي سهام ويمتد من المئذنة حتى البوابة.كذلك تتمتع النوافذ بطابع دفاعي فالشبك مصنوع من البرونز والردفتين من النوع الصلب والمتين، يقع الجامع خارج أسوار المدينة ويواجه حارتي الميدان والقدم حيث ينزل أهالي حوران، وهذا مايدعو إلى احتياطات الأمن الوقائية. وبناء على ذلك لم تكن الشرافات المسننة التي تعلو الجدران الخارجية للجامع لمجرد الزخرفة [1].

3-صحن الجامع:

لا يشكل الصحن مستطيلاً نظامياً أضلاعه متعامدة، وإنما يميل ضلعه من الجهة الغربية بانحراف بسيط جداً، وهو مبلط بالحجر الأبيض والأسود البازلتي، وفق تشكيل هندسي بديع. ويتوسط الصحن بحرة ماء ارتفاعها 50سم، يحيط بها مجرى صغير للمياه ونصف قطرها 300سم، وكانت تستخدم قديماً كموضأ، تظهر في الصورة [3-30/29]. ويقع في شمال هذه البحرة بقايا الساعة الشمسية التي كانت موجودة في المسجد والتي كانت تستخدم لمعرفة أوقات الصلاة فيما مضى[2].

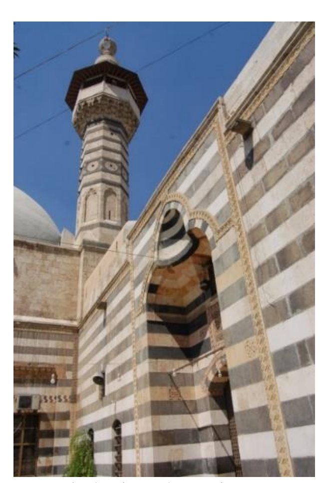
وفي الصحن أيضاً، إيوانان بقناطر شمالية وجنوبية، تحتها غرف للطلاب، وفيه أيضاً بركة مسدودة وغرف شرقية وغربية أيضاً. وفي زاوية الرواق الجنوبي ست قباب، تحتها أربعة ركائز حجرية، وعمودان أمامهما باب القبلية الحجري الجميل ذو المقرنصات البديعة، ولكنه مشوه بالدهان، والباب يؤدي إلى القبلية التي تقوم على أربعة أقواس ضخمة، ومن فوقها قبة عالية، ومن تحتها محراب ومنبر حجريان جميلان، ولكنهما مشوهان بالدهان أيضا، وفي القبلية سدة حجرية تقوم على خمسة أعمدة جميلة. [3]

ويحيط بالصحن من الجهات الشرقية والشمالية والغربية 16غرفة كانت تستخدم قديماً لإيواء الغرباء والمسافرين والعجزة ثم صارت غرفاً لطلاب العلم، أما الآن فهي تستخدم بعدة توظيفات كما هو مبين في المخطط [3-10].



الصورة [3-27]: المئذنة والقبة لجامع النقشبندي في القرن التاسع عشر.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.



الصورة [3-28]: المئذنة والقبة لجامع النقشبندي في القرن التاسع عشر.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011م.

1-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص195

2-أرشيف مديرية الآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق.

3-عبد الهادي، يوسف، ثمار القاصد في ذكر المساجد،ص (250-251).



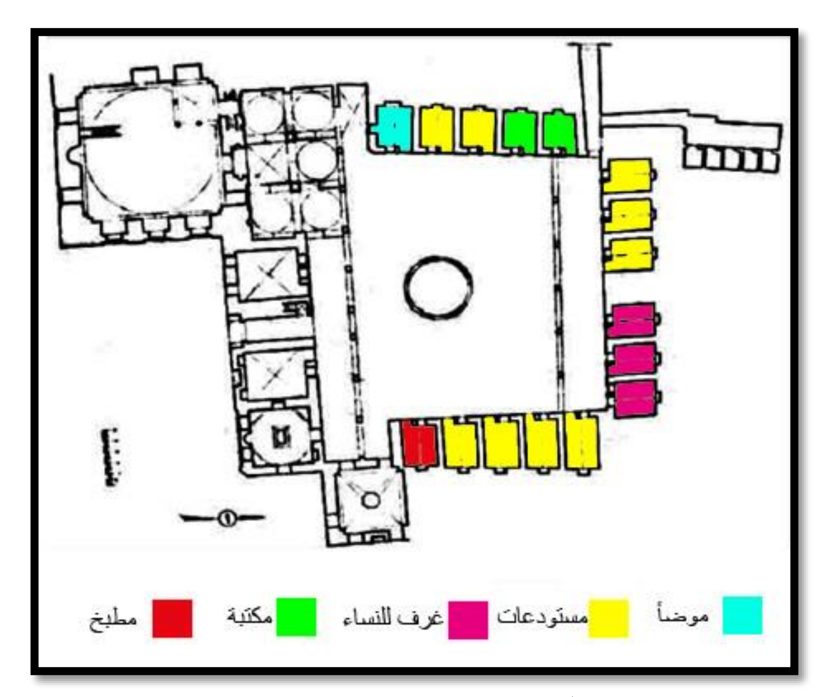
الصورة [3-29]: الصحن مع البحرة.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



الصورة [3-30]: الصحن مع البحرة والمدخل الرئيسي للجامع.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



المخطط [3-10]: استخدامات الغرف المحيطة بالصحن في جامع النقشبندي.

المصدر: الباحثة.

4- الحرم الرئيسي:

الحرم يقع في الجهة الجنوبية الداخلية لرواق الصحن، وهو يقوم تحت قبة ضخمة يتم الدخول إليه من باب حجري قوسي-ويظهر في الصوة [3-31]-يقع في جزء من الرواق الجنوبي الغربي القائم على ست قباب ملساء،وتظهر في الصور[3-33/32] الحرم من الداخل.

وهو عبارة عن فراغ مربع الشكل طول ضلعه 11.3 م وتبلغ المساحة الإجمالية للحرم الرئيسي 127.7 متر مربع بسماكة جدران 110 سم، وتشكل دعائم تحمل القبة الحجرية التي تعتبر ثاني أكبر قبة في دمشق بعد قبة التكية السليمانية، ويبلغ نصف قطرها 565 سم، وترتفع عن الأرض 20م تقريباً.

ويتوسط الجدار الجنوبي للحرم المحراب المكسو بالرخام الإيطالي الملون والغني بالزخارف الهندسية الجميلة وفي أعلاه مقرنصات زخرفية وعلى يمينه المنبر. وأما شرفة المردد ليس لها مثيل في أي جامع في العالم وتعلو باب الدخول الرئيسي للحرم، محمولة على ثلاثة دعائم حجرية، ولها تصوينة مزخرفة بزخارف هندسية جميلة. وتكمن وظيفتها في أنه يقف عليها المردد الذي يردد الآذان قبل اختراع المكبرات الصوتية [1].



الصورة [3-31]: باب القبلية في جامع النقشبندي.

المصدر: بعدسة الباحث، 2011

4-3-3-التحليل المعماري للجامع:

ومن الوصف المعماري السابق للجامع، نستخلص القيمة المعمارية والتاريخية الكبيرة التي يمتلكها هذا الجامع، من خلال زمن إنشاؤه وكونه يحتوي على عناصرمعمارية وخرفية وإنشائية غنية ومميزة، ينفرد بتنوعها في محور الحج. بالإضافة إلا أنه يجب التمييز بالتسمية بين جامع النقشبندي الذي يعرف بالتكية المرادية أو المولوية وبين التكية التكية المولوية وجامع المرادية، ويضم الملحق رقم [7] تعريفاً بهما.

[1]-أرشيف مديرية الآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق.



الصورة [3-32]: الواجهة الشرقية للمصلى من الداخل.

المصدر: بعدسة الباحثة 2011.



الصورة [3-33]: الواجهة الجنوبية للحرم من الداخل مع المحراب.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.

3-4-جامع (تكية) العسالي:

3-4-1-لمحة تاريخية:

الجامع من المساجد العثمانية المهمة، يعود تاريخه إلى(1045هـ)، كان يضم تكية وسبيلاً، وكان المتولي عليه مفتي دمشق وكان له سكن في الجهة الشمالية. ويبين المخطط [3-15] والشكل [3-8] مسقط التكية وواجهتها الغربية الرئيسة.

تقع التكية بقرية القدم جنوبي دمشق، ويبدو موقعها في (الصورة [3-34])، بناها أحمد باشا كوجاك، الوزير التركي الكبير، المشهور بالشجاعة، وكان قد عُين حاكماً زاهداً، وكان والده قد قدم من بلاد حرير، ونزل بقرية عسال الورد، القريبة من مدينة دمشق، فولد له فيها أحمد، وتقديراً لزهده وتقواه، بنى له أحمد باشا الوالي هذه التكية المشهورة قرب قرية القدم، سنة (1045هـ) ونقله إليها فازداد اشتهاراً، وبعد عام واحد قتل الوالي في بعض حروبه مع العجم فحمل رأسه ودفن تحت القبة القائمة في صحن التكية، أما الشيخ فعاش عامين بعد ذلك وتوفي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة(1048 هـ)، ودفن تحت القبة أيضا إلى جانب الوالي، وما يزال القبران قائمين حتى يومنا هذا وإلى جانبهما قبور بعض الصالحين. وسكن المهاجرون التكية بعد الحروب مع اليهود، فزال رونق القدم، وكانت وزارة المعارف بعد استقلال سورية قد اتخذته مدرسة ابتدائية لأبناء القدم.

أما أوقاف التكية فكانت وافرة جداً رصدها أحمد باشا في صيدا وبعلبك وأقام سبيلا" في جدار التكية الغربي يغذيه بئر عذب يشرب منه الظماء المارون بالبناء [1]. حيث قال محمد بن جمعة في الباشات والقضاة: "وفي سنة (1038هـ)، تولى دمشق كوجك أحمد باشا ثم وليها سنة (1045) وسافر إلى بلاد العجم وقتل في وقعة وأرسل الشاه رأسه إلى دمشق، ودفن بمدفنه اتجاه قرية القدم، جوار الشيخ أحمد العسالي". وقال بدران: "كان بناؤه سنة (1045) وجعل فيه تكية ووقف عليها قرى من حوانيت صيدا وبعلبك وألحق بذلك ستين جزءاً بالجامع الأموي وتعيينات لأهل الحرمين وبنى سبيلاً بالقرب من تلك العمارات ".

[1]-عثمان، إيمان، عكاظ، مدينة القدم 2.

واكتسبت هذه «العمارة») -أو التكية-شهرة كبيرة، إذ بنيت في جوار «قبة يلبغا»، أو «قبة الحج» التي كان بناها السلطان المملوكي سيف الدين يلبغا في 747 هـ/ 1346م واشتهرت لذلك أيضا باسم «قبة النصر»، رمزاً لانتصاره على السلطان الكامل شعبان، ولكن أعيد ترميمها في بداية العهد العثماني واشتهرت باسم «قبة الحج»، لانها أصبحت المحطة الأولى لقافلة الحج الشامي، حيث كانت القافلة تبيت هناك في الليل وتتابع سيرها في صباح اليوم التالي باتجاه المحطة الثانية (الكسوة).



الصورة [3-34]: موقع تكية العسالي في دمشق.

المصدر: google earth .

ونظراً إلى تعاظم أهمية قافلة الحج الشامي خلال العهد العثماني، إذ أصبحت روافدها تبدأ من البوسنة وألبانيا والقوقاز...، فقد أصبحت «عمارة أحمد باشا» تُعتبر المنزل الأول للحجاج، واشتهرت لاحقاً باسم «تكية العسالي». وكان من أوائل من زارها ووثقها الرحالة العثماني المعروف أوليا جلبي، الذي جاء إلى دمشق في شوال 1081 هـ/ 1671 م في طريقه إلى الحج، فعدّد منازل الحج الشامي التي مرّ بها، بادئاً بـمنزل أحمد باشا كوجك، الذي يبعد عن الشام مسافة ساعة واحدة [1].

3-4-2-وظيفة تكية العسالي:

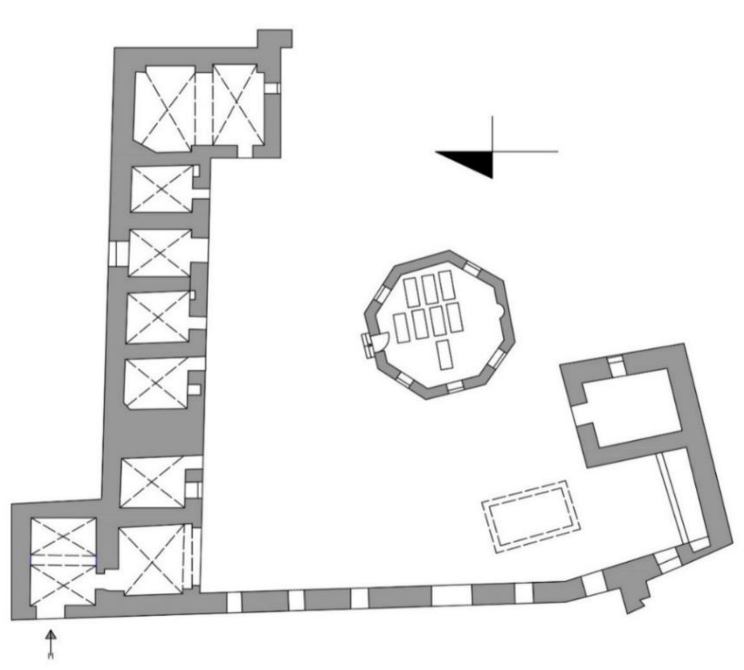
قال المحبي في خلاصة الأثر "وكانت عمارته لأجل الشيخ أحمد بن علي العسالي شيخ الخلوتية المتوفي بدمشق سنة 1048والتولية لمفتي دمشق"[2]. ولكن الوظيفة الأساسية لتكية العسالي، هي إقامة الحجيج وتقديم الخدمات لهم ولغيرهم من عابري السبيل، حيث قد كان يمكث الحجاج في العسالي يوماً أو بعض يوم، ثم يسيرون جماعات الى المزيريب مركز التجمع النهائي لقافلة الحج الشامي. [3]

---

[1]-الأرناؤوط، محمد، المعجم السوري الجديد: حي العسالي الذي نشأ حول تكية عثمانية، موقع الحياة.
[2] -عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 251.
[3]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 107-121.

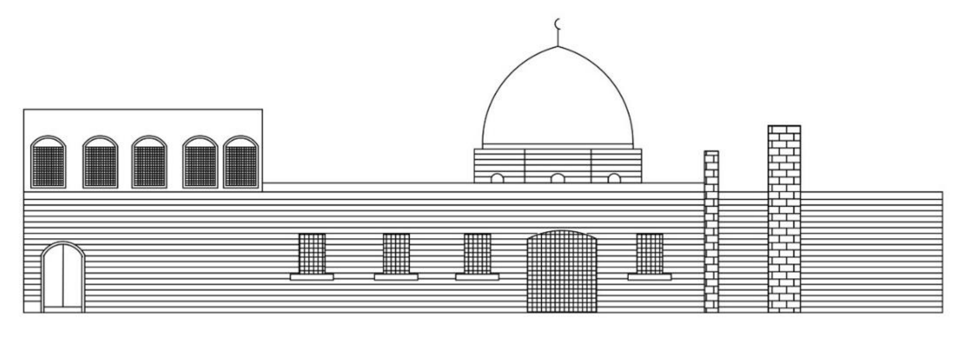
3-4-3-الوصف المعماري لتكية العسالي:

1- الواجهة الرئيسية للتكية:



المخطط [3-17]: مسقط تكية العسالي .

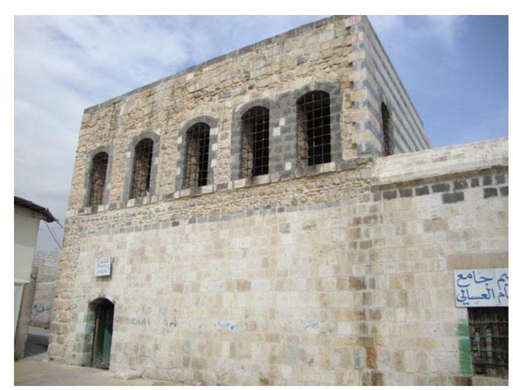
المصدر: الباحثة .



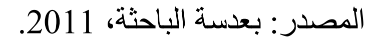
الشكل [3-8]: الواجهة الغربية الرئيسية لتكية العسالي .

المصدر: الباحثة.

للجامع جبهة حجرية على الطريق فيها الباب (الصورة [3-38])، وشباك ضخم تحته سقاية، وإلى جانبها الأيمن شباكان، وإلى طرفها الأيسر أربعة شبابيك تطل كلها على الصحن (الصورة [3-37]). وفوق الباب أربع غرف علوية. [1] الصورة [3-36/35].



الصورة [3-35]: تكية العسالي، جزء من الواجهة العربية بعد الترميم.


المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



الصورة [3-36]: تكية العسالي جزء الواجهة العربية قبل الترميم .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011



الصورة [3-37]: شباك التكية الضخم مع السقاية .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



الصورة [3-38]: باب الدخول من جهة الداخل .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.

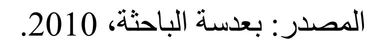
1-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 239-240.

2-صحن الجامع:

صحن الجامع مفروش بالحجارة المتهدمة، تظهر في الصورة [3-39]، وفي اتجاه الباب بركة مستطيلة أمامها إيوان ذو قنطرتين من حجارة سود وبيض وحمر ويبدو في الصورة [3-40]، وفيه محراب جميل مزخرف وإلى جانبه عمودان صغيران من الرخام قد كسر أحدهما، ويظهر في الصورة [3-41]. وإلى جانبي المحراب شباكان إلى الحقول وشباكان غربيان إلى الطريق العام، يظهران في الصورة [3-42]، يقابلهما خزانتان من حجر، وجانبهما باب لغرفة يظهر أنها كانت المطبخ. وفي شرقي الصحن بناء ضخم مثمن فوقه قبة تحتها ضريح الشيخ أحمدالعسالي والواقف وستة أضرحة أخرى. وحيطان القباب الداخلية مزخرفة ومرخمة ولِكن رخامها مشوه بالكلس. وفي الجهتين الشمالية والجنوبية من الصحن غرف متهدمة. [1]



الصورة [3-39]: الصحن مع غرف التكية التي بحاجة إلى الترميم.

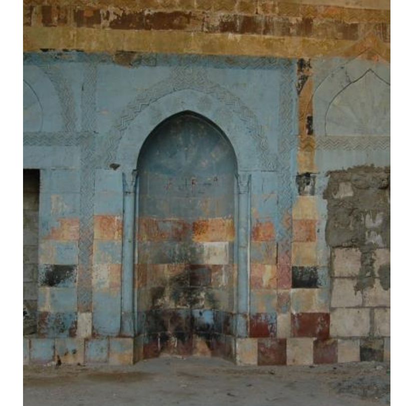


المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.



الصورة [3-40]: الإيوان.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010



الصورة [3-41]: محراب التكية (الغائر).

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

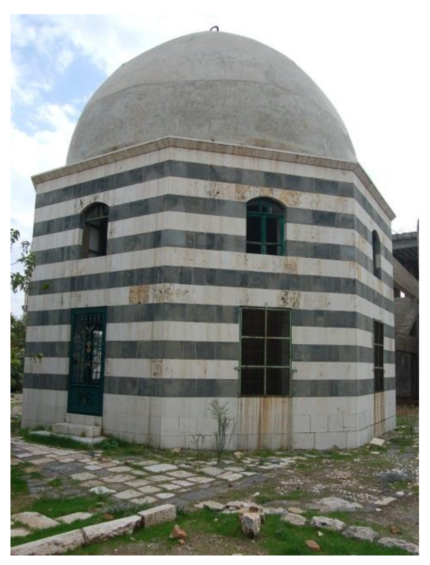


الصورة [3-42]: إيوان التكية من الداخل.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

[1]-عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 239-240.

وفيما يلي مجموعة من الصور للتكية قبل وبعد الترميم:



الصورة [3-43]: المقام في تكية العسالي

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010



الصورة [3-44]: مقام تكية العسالي من الداخل أثناء عملية الترميم .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010



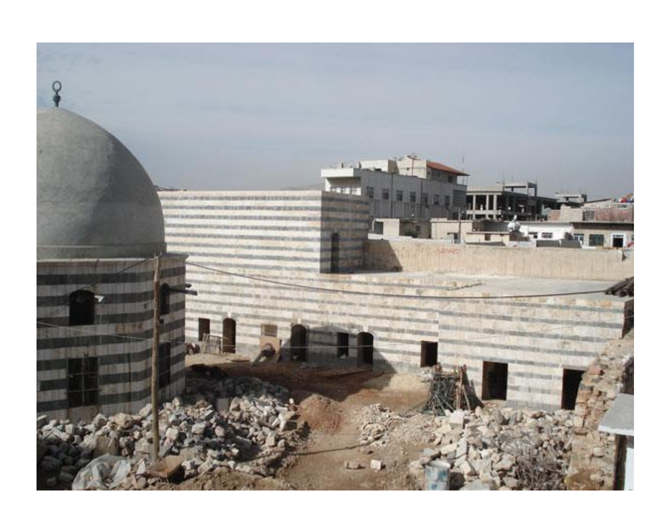
الصورة [3-45]: التكية من الداخل .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010 .



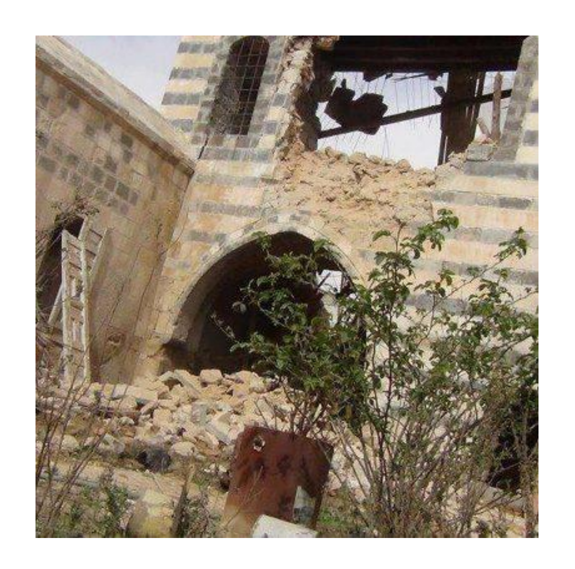
الصورة [3-46]: غرف التكية في الطابق الأرضي.

المصدر: بعدسة الباحثة،2010 .



الصورة [3-47]: عمليات الترميم لتكية العسالي

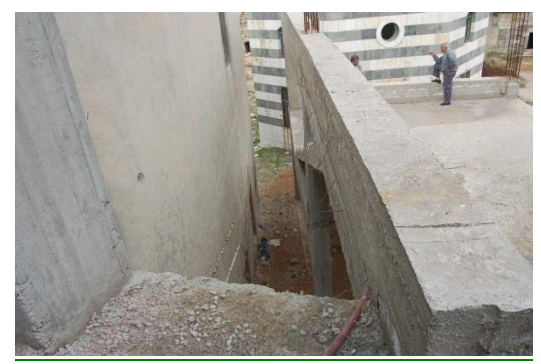
المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



الصورة [3-48]: عمليات الهدم الجديدة التي تعرضت تكية العسالي.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2012.

قامت بعض تعديات على التكية من الجهة الجنوبية، وذلك بإقامة كراج للبولمان والصور التالية تظهر هذه التعديات:



الصورة [3-49]: التعدي على تكية العسالي من جهة الجنوب.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.



الصورة [3-50]: التعدي على تكية العسالي من جهة الجنوب .

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

3-4-4-التحليل المعماري للتكية:

من التحليل التاريخي والمعماري للتكية، نستخلص القيمة الاثرية والتاريخية والثقافية التي تمتلكها التكية والتي لها دور هام أيضاً بالنسبة لمحور الحج، ولكن التعديات على التكية، على التكية والإهمال فيها يسيءإلى التكية وقيمها المتعددة. ولقد أحسن أحمد باشا اختيار الموقع لبناء «العمارة»، لتقديم الخدمات للحجاج وغيرهم من العابرين على طريق الحج الشامي.

3-5-مقارنة بين فيما بين تكايا دمشق:

يبين الجدول [3-5] مقارنة بين أهم العناصر المكونة للتكية، وذلك في تكايا مدينة دمشق الأربعة.

الزخرفة في التكايا	التكية السليمية	غطت بلاطات من القيشاني جدران غرفة محيي الدين، ونجد نص كتابي على شكل لوحة على جدار محيي الدين، والزخارف الجصية حول قوس المحراب وحول الكتابات واللوحات الزخرفية في محيي الدين. [1]
	التكية السليمانية ومدرستها	زخرفت التكية السليمانية بسخاء في مدخل الجامع الذي استعملت فيه أنواع لاعديدة من الزخارف (المشقف والمزرات والنصوص الكتابية والمقرنصات، والتناوب اللوني وقد زخرف محرابه بالموازييك الرخامية (المشقف) . وغطت بلاطات من القيشاني محراب المدرسة وفي القسم السفلي من جدران القبلية، ونجد ضمنها كتابي، وفوق المحراب والنافذتين على طرفيه، والزخارف الجصية حول قوس المحراب وحول الكتابات واللوحات الزخرفية فوق مدخل التكية السليمانية . نجد والتناوب اللوني على كامل واجهات السليمانية، ونجد الجص المعشق بالزجاج الملون في شمسيات جامع ومدرسة وغرف السليمانية. والمقرنصات فوق مدخل الجامع في السليمانة وفي محراب الجامع والمدرسة وتحت شرفات المآذن. [2]
	التكية المولوية	نجد والتناوب اللوني على كامل واجهات والمرادية وفي مئذنة المرادية ومزررات بالألوان المتباينة. تعلو التجاويف الجدارية في واجهة المرادية. [3]
	تكية العسالي	وجدنا التناوب اللوني والعديد من التفاصيل الزخرفية التي تم تحليلها دراستها مسبقاً .

[1]-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث في دمشق، ص ص(60 – 61) .
[2]-الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، ص ص (498-499).
[3]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ذوات الاضرحة، ص 585.

القبة ورقبتها	التكية السليمية	تظهر القبة كروية ملساء ،وهي تميل إلى الطابع الدمشقي، أكثر منه إلى العثماني لاوجود للرقبة في التكية السليمية [1]. الصورة [3-65]
	التكية السليمانية ومدرستها	قبة الحرة عالية ذات قطر واسع ذات عنق مؤلف من عدد من النوافذ ذات الزجاج المعشق، الشكل [3-9]، ويحمل القبة أربعة أقواس محمولة على أركان الجدران في زواياها مثلثات كروية. احتوت الرقبة على نوافذ تزينية مزججة (وظيفية وزخرفية) [2]. نافذة مزججة (وظيفية وزخرفية) الشكل [3-9]: نافذة مزججة في التكية السليمانية. المصدر: كارل، ولتسينجر، وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص195
	التكية المولوية	تأخذ القبة شكلا نصف مستدير(كروية) وهي تجثم على سطح الحرم مباشرة. يتكرر هذا التصميم في قبة التربة، لكن القسم العلوي من جسم التربة يتطور إلى شكل مثمن ويوحي بأنه بديل عن الرقبة الرقبة على شكل مثمن وتحتوي على نوافذ مقوسنة وظيفية (إضاءة وتهوية)[3]. والشكل [3-10]. نافذةوظيفية (إضاءة وتهوية) الشكل [3-10]: نافذة وظيفية. المصدر: كارل، ولتسينجر، وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص195
	تكية العسالي	القبة تأخذ شكل نصف مستدير (كروية مرتفعة) وتستند إلى بناء مثمن ضخم ،ويرقد تحتها الشيخ العسالي[4]. لاوجود للرقبة في مقام العسالي.

1-الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث في دمشق، ص 62.
2-الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، ص 499 .
3--كارل، ولتسينجر، وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص195
4--عبد الهادي، يوشف، ثمار القاصد في ذكر المساجد، ص 239.

	المئذنة	المئذنة
التكية السليمية	كانت فوق المدخل ولها شرفتان في جامع محيي الدين.	يتكون المسقط الأفقي في جامع محيي الدين (السليمية) من أروقة.
التكية السليمانية ومدرستها	كان هناك مئذنتان على طرفي القبلية على الطراز العثماني، أسطوانيتان (16ضلع) تنتهيان بشرفة مكشوفة فوق مقرنصات ويسقف قمتها قبة مخروطية على شكل أقلام الرصاص، ونرى شبيها لها في بعض مآذن مدينة حلب العثمانية[1].	شكل القبلية مربعاً تسقفه قبة واحدة في كل من السليمانية ومدرستها.
التكية المولوية	كانت المئذنة مثمنة على الطراز المحلي (طراز عمارة المآذن الشامية) بتأثير مملوكي غني، وقد استعمل فيها التناوب اللوني فيها[2].	شكل القبلية مربعاً تسقفه قبة واحدة.
تكية العسالي	المئذنة قصيرة القامة.	كانت القلية في الإيوان.

[1]- عبد الهادي، يوشف، ثمار القاصد في ذكر المساجد ، ص 216.
[2]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص195

	خلوات المتصوفة وطلاب العلم	غرفة الضريح
التكية السليمية	خلوات المتصوفة في التكية السليمية في الجانب الشمالي الغربي، والشمالي.	تقع في محيي الدين في الجهة الشرقية من الباحة ينزل إليها بعدة درجات وهي قاعة مستطيلة تعلوها قبة ملساء مدببة تستند إلى رقبة واحدة مضلعة اثني عشر ضلعا تفتح فيها اثنتا عشر نافذة[1] .
التكية السليمانية ومدرستها	بنيت خلوات المتصوفة وطلاب العلم خلف الأروقة في كلا الطرفين الشرقي والغربي في التكية السليمانية وحول الجهات الأربعة للباحة في مدرستها.	غابت من التكية السليمانية [2].
التكية المولوية	بنيت خلوات المتصوفة وطلاب العلم في الجهات الثلاثة من الباحة.	كانت شرقي الباحة وكانت مربعة يسقفها قبو متقاطع [3].
تكية العسالي	بنيت خلوات المتصوفة وطلاب العلم في جهتين من الباحة.	وسط صحن التكية على شكل بناء مثمن ضخم فوقه قبة يرقد تحتها الشيخ العسالي

1-المرجع السابق ذكره
2-المرجع السابق ذكره .
3-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 581

	البوابة	الإنشاء
التكية السليمية	يتألف الباب من فتحة واسعة ذات قوس مخموس ضمنها فتحة أصغر تعلوها عتبة على شكل قوس مجزوء فارسي وتتناوب الحجارة البيضاء والسوداء المزية وهي من أجود أنواع الحجارة الدمشقية في كلا القوسين[1].	شيدت الجدران بالحجارة المنحوتة وشيدت القباب بالقرميد على الطراز المحلي . كثر استخدام القباب فنراها فوق الجامع والأروقة والمدفن والغرف . استخدم السقف الجملوني الخشبي تكسوه الصفائح معدنية في مدخل جامع محيي الدين .
التكية السليمانية ومدرستها	للتكية السليمانية بوابتان رئيسيتان تقعان على المحور الشرقي الغربي، وللتكية بوابة صغيرة تطل على نهر بردى. وكانت بوابة السليمانية الغربية بارزة[3].	ظهرت تأثيرات عثمانية أخرى، فاستعملت القبة المدعمة بأقواس التدعيم والمكسية بصفائح الرصاص. كثر استخدام القباب فنراها فوق الجامع والأروقة والغرف . استخدم السقف المائل (رواق السليمانية)[2].
التكية المولوية	تعلو البوابة قوس ثلاثية الحنيات تحتضن نافذة صغيرة تحتها حشوة كتابية مؤرخة، وفي أعلى الباب قوس حجرية منحنية منقوشة بالزخارف والمزرّرات[5].	ظهرت التأثيرات العثمانية فاستعملت القبة المدعمة بأقواس التدعيم والمكسية بصفائح الرصاص وكثر استخدام القباب فنراها فوق الجامع والأروقة والمدفن والغرف[4] .
تكية العسالي	البوابة بسيطة مقوسنة.	غابت القبة من التكية وظهرت فقط فوق المقام.

الجدول[3-5]: مقارنة بين أهم العناصر المكونة لتكايا مدينة دمشق.

المصدر: الباحثة.

وهكذا نجد أن تكايا مدينة دمشق تتمتع بنفس الأسس في التصميم من حيث الصفات العامة المميزة للتكايا، وإن كانت تختلف في بعض الجزئيات الصغيرة من حيث خدمتها للحجاج، إلا أن دورها بالنبة للحجاج كان اضحا في فترة إقاة الحجاج بدمشق وفي أثناء انطاق القافلة للديار المقدسة وهذا ما يميز تكايا مدينة دمشق دونما غيرها من تكايا حلب وحمص وحماة وإن كانت بعض التكايا في هذه المدن، وثقت إقامة الحجاج فيه كما تم ذكر ذلك أعلاه.

[1]-الريحاوي، عبد القار، روائع التراث في دمشق، ص 63.
[2]-كارل، ولتسينجر، وكارل واتسنجر الآثارالإسلامية، ص 41.
[3]-كارل، ولتسينجر،وكارل واتسنجر، الآثار الاسلامية في دمشق، ص219 – 220.
[4]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 585 .
[5]-الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 587 .

الخاتمة:

إن إعادة إحياء المباني التاريخية الخدمية الواقعة على طريق الحج والمرتبطة به وإعادة توظيفها هو من عوامل المحافظة على التراث. وإن عمليات إعادة الإحياء من الحفاظ والحماية والصيانة والتكييف، كلها تصب في مفهوم الحفاظ على موروث ثقافي تاريخي وإرث مهم لذاكرة الماضي بشكل عام ولمحور الحج بشكل خاص. مما يؤكد ضرورة صيانة ذلك التراث تعبيراً عن الاحترام للماضي والحرص على مواصلة الحوار معه لأن في ذلك ربطاً للماضي بالحاضر وتطلعاً إلى مستقبل زاهر مزدهر ومتطور، بالإضافة إلى ضرورة احترام وظيفة تلك المباني التي كانت تؤديها في فترتها التاريخية وضرورة إعادتها إلى الذاكرة من خلال االتوظيف المناسب الجديد. وذلك كون عملية إعادة إحياء محور الحج تتكامل بإعادة إحياء مبانيه التاريخية.

الفصل الرابع

الجزء الأول: أثر طريق الحج على البنية العمرانية والمعمارية.

الجزء الثاني: تأثر طريق الحج بتطور وسائل النقل (طريق سكة حديد الحجاز).

مقدمة:

يعرض هذا الفصل الدور الاقتصادي للحج في الفترة العثمانية، وتأثيره على البنية العمرانية والمعمارية بدمشق، مؤدياً لنموها وازدهارها، ويلقي هذا الفصل الضوء على مستلزمات الحجيج، ودور دمشق في تأمينها، مؤدياً لتوسع المدينة وظهور بعض الأسواق المحلية أو إصلاحها، وكذلك بناء الخانات والقيساريات، وقد سبق التعريف بها في الفصل الثاني، وتظهرالدراسة في هذا الفصل التباين في أعداد الحجيج، وقد رُصدت في المصادر التاريخية المختلفة، وكيف انعكس ذلك على تقديم الخدمات الإضافية، وتطور وسائل النقل بدءاً من الجمال والخيول وكافة السوائم، إلى تطور النقل البحري، وفتح قناة السويس، والذي انعكس على مدينة دمشق واقتصادها وبالتالي على تطور العمران فيها، وأخيراً يظهر البحث إنشاء سكة حديد الحجاز، وتأثير تطور النقل هذا على غياب أهمية محور الحج البري تدريجياً وعلى تطوره، ويلقي البحث الضوء بشكل مبسط على خط سكة حديد الحجاز وانعكاس ذلك على العمارة العمران في دمشق.

1- أثر طريق الحج على البنية العمرانية والمعمارية:

1-1-أثر الدور الاقتصادي للحج على البنية العمرانية:

شكلت قافلة الحج الشامي إبان العهد العثماني، عاملاً رئيسياً من عوامل ازدهار المدينة ونموها من الناحية الاقتصادية، وتطور بنائها الديمغرافي، إذ إن تجمع أعداد كبيرة من الحجاج سنوياً في محيط المدينة، كان له آثار مهمة، ليس فقط بما يحملونه معهم من بضائع ومنتوجات، وتحول تجمعهم إلى مجرد سوق موسمي، بل أن أهمية ذلك كانت تتعاظم مع استقرار عدد من الجماعات الإسلامية في الأحياء الخارجية للمدينة على امتداد الطريق المؤدية إلى جنوب دمشق[1]، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال ما يورده ابن كنان الصالحي (ت 1153هـ/ 1740م)، بشأن استقرار عدد كبير من الحجاج الأوزبكستانيين في دمشق سنة 1118هـ/ 1706م[2]، بالإضافة إلى أولئك الذين تجمعوا في حارة المغاربة عند الطرف الشرقي لمقبرة الباب الصغير، وكحارة الهنود الشبلية في زقاق معاوية قرب القليجية. [3]

لم يكن تأثير القافلة مقصوراً على الناحية السكانية فقط، بل أن تجمع الحجاج من أقاليم شتى، كان يعد سبباً رئيساً؛ في انتعاش أسواق وساحات أخذت تتحول مع مرور الوقت وفي كل عام، إلى أسواق موسمية كبرى، ويشير السجل الشرعي إلى أن عدد من الحجاج كانوا يحملون معهم منتوجات مختلفة من بلادهم، حتى إذا وصلوا دمشق، نهضوا ببيعها، أو عرض جزء منها في أسواق المدينة.

ويضاف إلى ذلك، ما كانت توفره القافلة لعدد من أبناء المدينة، من فرص عمل متعددة في خدمة القافلة. إذ إنّ هناك عدداً من أبناء المدينة ممن ينتظرون موسم القافلة لمرافقتها وتقديم بخدماتها للحجاج تحت مظلة متعهدي القافلة، ومن هؤلاء من يعمل في نقل البضائع، وتجهيز الخيول، وسقاية الحجاج، وشد البضائع وطهي الطعام، وعكم الجمال، ومراقبة الخيام، وغيرها من الحرف[4].

ذكر ابن كنان بأن الحركة التجارية في عهده كانت واسعة في بلاد الشام، وخاصة في دمشق، بدليل أنه كان يدون بعض الأخبار الأمة، عن مصر والهند ومكة والمغرب وإسطنبول وغيرها، بما يحمله التجار أو الحجاج معهم. وبالإضافة إلى تجارة الأوربيين في بلاد الشام، وتجارة الفرنسيين في دمشق وولايتها بخاصة.

[1]-ابن كنّان، محمد، من تاريخ أحد عشر وألف مية، ص 50.

[2]-ابن كنّان، محمد، الحوادث، ص 221

[3]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 437.

[4]-القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، ص (ج1: 114، 156، 185، ج2،: 319، 465، 280، 474).

وقد نتج عن ذلك تأثير مباشر على البنية العمرانية والمعمارية، فقد قام بعض ولاة دمشق ببناء بعض الأسواق المحلية أو إصلاحها، وكذلك بناء الخانات والقيساريات.

أن نظرة عامة على خارطة دمشق، تبين أن ثمة توسعاً ظاهراً قد شهدته المدينة، ورافق ذلك التوسع نموٌّ في الحركة الاقتصادية المحلية، إلى جانب نمو حركة التجارة الإقليمية. ولوحظ أن هذا النمو والازدهار الاقتصادي ارتبط بعوامل متعددة، من أهمها الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، والتي هدفت إلى تحقيق مركزية إدارية في ولاية دمشق، من خلال حكم محلي تعاقب عليه ولاة أسرة آل العظم، الذين شجعوا من جانبهم على العمليات التجارية، وخاضوا بعضها، وأمنوا قافلة الحج الشامي خلال حكمهم، مما انعكس على ازدهار حركة البيع والشراء أثناء الأسواق الموسمية التي كانت تتزامن مع موسم الحج.

2-1-أهم الفعاليات الاقتصادية التي ارتبطت بمحور الحج (أوائل القرن 13هـ/19م):

1-2-1-الأسواق:

كان لموسم الحج إلى الديار المقدسة انعكاس كبير على الاسواق في المدن التي تمر بها قافلة الحج، ففي حلب انتشرت الأسواق وازدهرت على طرفي الشارع المستقيم الذي ينطلق بالقرب من باب انطاكية، وفي حماة أيضا تطورت الأسواق فالمكناسي[1] يذكر لنا في رحلته إلى الحج، أنه الحجاج كانوا يشتروا الإحرامات والبياضات من حماة لأنها مشهورة بصناعة المنسوجات القطنية[2].



الصورة [4-1]: الساحة أمام باب السوق في حمص، والطريق المؤدي إلى جامع خالد (طريق حماة).

المصدر: الموصلي، محمد ماجد، الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها، ص 207 .

وتطورت الأسواق في مدينة حمص ايضا بالقرب من باب السوق ذلك الباب الذي تدخل منه قافلة الحج في طريقها نحو دمشق، تظهر الصورة [4-1] السوق في مدينة حمص الذي يقام بالقرب من الباب الذي تدخل منه قافلة الحج إلى حمص. ومن الأسواق المهمة في العهد العثماني، التي كانت تقام خارج دمشق وعلى طريق الحج الشامي، ذلك السوق المؤقت في المزيريب، وهو سوق موسمي، حيث يسافر الباعة والمتعيشة مع قافلة الحج، ومنهم من يسبق القافلة إليها، فيقيمون أسواقاً مؤقتة، خلال إقامة الحجيج في مزيريب، ريثما يتم استكمال وصول أفواج الحجيج تباعاً، حتى تكتمل القافلة وتكون جاهزة للانطلاق[3]. فضلاً عن أسواق كل من مدن حلب، وحمص، وحماة، والتي ازدهرت وتطورت بسبب التجارة مع الحجيج.

[1] -المكناسي هو السفير والوزير والمؤرخ المغربي محمد بن عثمان المكناسي، الذي قدم في مؤلفه (رحلة المكناسي) رواية دقيقة لمشاهداته على طول طريق الحج العثماني.
[2] -المكناسي، محمد، رحلة المكناسي، ص 154.
[3]-محمل الحج الشامي، ص: 69.

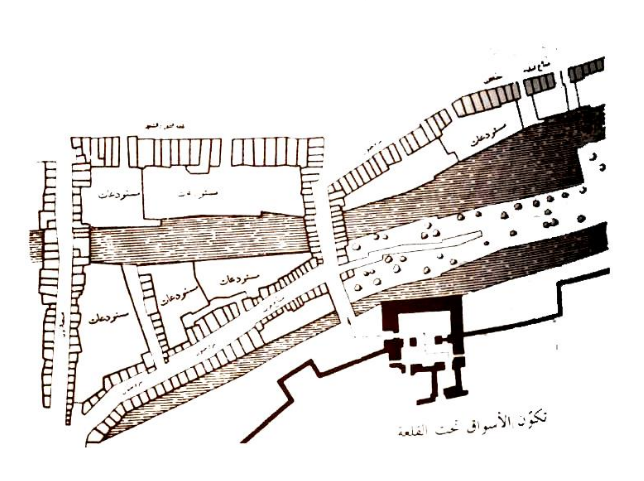
أما دمشق فكانت على مر العصور مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها الجغرافي، ومهارة أهلها في أمور التجارة والصناعة، وإليها كانت تأتي القوافل التجارية من مختلف المناطق منذ العصور القديمة في عهد الآراميين ومن جاء بعدهم حتى ظهور الإسلام، كانت الأسواق تمارس تخصصاً دقيقاً لما يباع فيها بعكس الحال اليوم [1].

أنشئت الأسواق في دمشق، ونمت بشكل مستمر مع التغيرات والتحولات السياسية التي عاصرتها المدينة قبل العصر العثماني، وحتى اليوم لا تزال دمشق تحتفظ بموروث وتراث غني من الأسواق. التي انتشرت في أحيائها المختلفة، وأصبحت تعبر عن النسيج العمراني وحجم النشاط التجاري، الذي ساد المدينة خلال القرن 12هـ/ 18م وانتقالاً إلى القرن 13هـ/19م[2].

يذكر نعمان القساطلي (ت 1338هـ/ 1919م)، بأنه حتى النصف الأول من القرن 14هـ/19م، كانت دمشق تشهد ما يقارب مئة وخمسين سوقاً[3]، كانت معظمها قد تركزت داخل سور المدينة، وهو ما تؤكده مشاهدات بعض الرحالة الأجانب، وتواريخ القرن الثامن عشر[4].

بُنيت تلك الأسواق وفق طراز عمراني يتناسب والمهام التي تقوم بها، أو ما يعرض فيها من بضائع، كما أن بعضها كان يشكل ساحات مكشوفة، كسوق الجمال في حي الميدان (يقع حي الميدان إلى الجنوب الغربي من دمشق، وكان يقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي: الميدان التحتاني، والوسطاني، والفوقاني، وقد ازدهر هذا الحي بشكل ملحوظ خلال القرن 12هـ/ 18م، بسبب الحج، ونحو تجارة الحبوب بين دمشق وأجزائها الجنوبية)[5].

السـوق تحت القلعة: وهو من أشهر أسواق دمشق المملوكية آنذاك، يقع هذا السوق في الأرض الواسعة الممتدة إلى الشمال الغربي من القلعة ويظهر في المخطط [4-1]، وهي المنطقة التي تضم اليوم سوق علي باشا وسوق العتيق والدرويشية وجامع يلبغا وساحة المرجة حتى سوق ساروجة، وقد زاره البديري في القرن التاسع فقال: " إن فيه كل مايرومه الإنسان، لا يحتاج ساكنه لحاجةٍ من المدينة، فيه دار البطيخ، وفيه عين الماء العذبة الباردة، وبه مجموعة أسواق للقماش، وبه سوق للنحاسين والسكاكينيين والقربيين والقشاشين والخضريين والمحايريين والنجارين والخراطين والنقليين ودار الخضر...



المخطط [4-1]: الأسواق تحت القلعة.

المصدر: سوفاجيه، جان، دمشق الشام، ص 67.

---

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص (444، 447)..

[2]- (21)Zouhair. Gazzal. *L-Economie Politugede Damas Durant*. Lexix'siecle. Structures traditionalist et capitalism Damas. Institut francais de Damas 1993، p. 81.

[3]-القساطلي، نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، 1879م،، ص 117.

[4]-سجل 26، حجة 505، ص323، 1 ربيع الأول 1112هـ/1700م؛ ابن كنّان، الحوادث، ص4. وانظر:

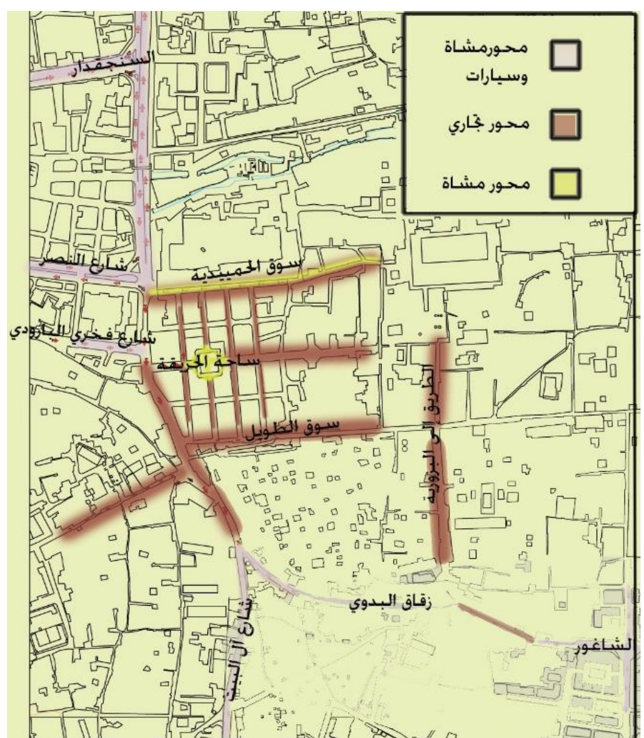
Porter،J. L. Five Years in Damascus of the History Topography in cluding on account of the travels and Researchers and Antiquities of that city the palmyra Lebanon and Houran. London، 1855، p. 58.

[5]-Marino. B. Midan، pp. 90-95.

وكان يضم هذا السوق مجموعة من الأسواق منها (سوق الخيل وسوق الحمير وسوق الجمال وسوق البقر وسوق الفاكهة وسوق الحطب وسوق العدول، وسوق الذراع وسوق الدهون والفاخورية والنقليّة وسوق السروجيين والفقاعين والأقسماويين وسوق السقطيين، بالإضافة إلى المسلبيين. وقد تضاءلت قيمة هذا السوق الكبير في العصر العثماني، وبقي منه عدد من الأسواق الفرعية كسوق علي باشا وسوق العتيق وسوق الخيل... وكان لهذا السوق دور مهم في تأمين مستلزمات الحجيج في تلك الفترة[1].

- **أسواق محور الحج في العهد العثماني في مدينة دمشق:**

يذكر أن العهد العثماني شهد إقامة مجموعة من الأسواق ، فقد ظهرت خارج الباب الغربي، على ضفة الخندق في المحل المدعو (السنانية) نسبة إلى الجامع القريب (جامع سنان باشا) مجموعة من الأسواق يجد فيها المسافرون وأرباب القوافل وباعة القمح من الفلاحين، وأصحاب الأبل من البدو، كل مايحتاجون إليه من ثياب وأحذية ومعدّات للمضارب وأكياس ورحال وما شاكل[2]. بعضها شيده الولاة (من هذه الأسواق، سوق السنانية الذي بناه والي دمشق، سنان باشا (1104هـ/ 1605م)، وسوق الدرويشية الذي بناه درويش باشا (1063هـ/ 1652م) واللذين يشكلان بداية سوق الميدان، وسوق محمد باشا العظم(1185هـ/ 1771م).[3]. ويبين المخطط [4-2] الأسواق في محور الحج ومحيطه في مدينة دمشق.



المخطط [4-2]: مخطط الأسواق التجارية في محور الحج ومحيطه.

المصدر: الباحثة.

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، 450-451.

[2]-سوفاجيه، جان، دمشق الشام، ص (99 – 104).

[3]-سجل 113، حجة 182، ص67، 7 شوال 1139هـ/ 1726م.

ومن الأسواق المهمة التي نشأت في العهد العثماني خارج أسور المدينة وعلى طول محور الحج، والتي علاقة مباشرة به، حيث مرّ بها ركب محمل الحج: سوق الدرويشية، والأسواق المتصلة به، وهي: سوق سنان باشا (السنانية)، وسوق النّحاتين، وسوق الغنم، وسوق محلة السويقة، وسوق باب المصلى، وسوق الميدان التحتاني والوسطاني والفوقاني إلى باب الله تكون جميعها مزدحمة بالأهالي[1]، ويظهر المخطط[4-3] مواقع هذه الأسواق. وعلى الرغم من بقاء الأسوق باسماءها الأصلية، إلا أنه اختلفت اختصاصاتها.



1-سوق الدرويشة. 2-سوق السنانية. 3-سوق السويقة. 4-سوق باب مصلى. 5-سوق الجزماتية.

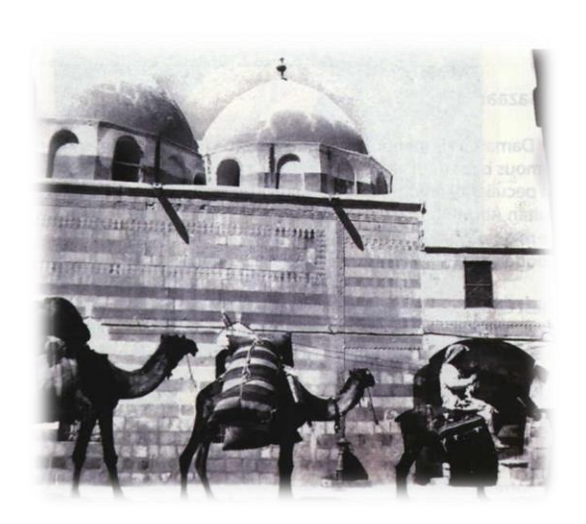
المخطط [4-3]: أسواق مدينة دمشق الواقعة على محور الحج نسبة لمدينة دمشق القديمة.

المصدر: Google Earth-بتصرف الباحثة.

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص

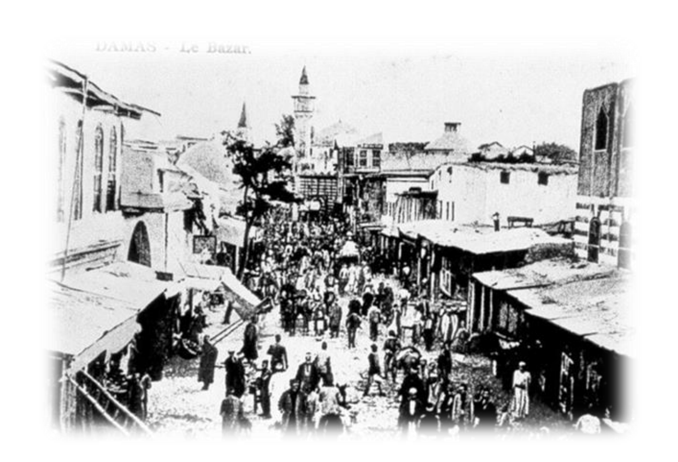
1-سوق الدرويشية الذي ينطلق منه موكب الحج الشريف:

سمي بهذا الاسم نسبة لجامع درويش باشا، ويمتد من مدخل سوق الحميدية حتى جامع السنانية في باب الجابية ويظهر موقعه في المخطط [4-3]، وقد وصفه عربي كاتبي كما كان سنة 1330هـ فقال: " وبه حوانيت على الطرفين، وخمسة جوامع، منها الدرويشية والسباهية والسنانية، وبه حمامان هما حمام الملكة وحمام الحدادين (وقد أزيل الأول وأغلق الآخر) وبه من (القهاوي) ستٌ على الطرفين، وهو متّسع العرض مفروش بطرفيه بالأشجار، ويضع فيه المارة التخوت والكراسي للجلوس عليها، وتستمر هذه (القهاوي) من الفجر وحتى منتصف الليل وهي تستقبل الناس، فإذا جئته ليلاً وجدت فيه بهجةً ليست في الأسواق الأخرى، وهو أجمل منتزه داخل العمران، (والتراموي) يمرّ فيه "، وقد هدم القسم الشرقي للسوق بكامله مع الحريقة، وتبدلت محاسنه وصار يضم خليطاً متنافراً من الباعة، وأصبح معبراً للسيارات، بعد أن كان من محاسن دمشق [1]. الصورة [4-2/3/4/5/6].



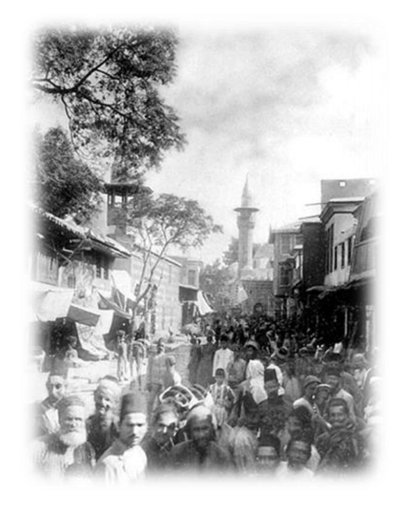
الصورة [4-2]: قافلة جمال في سوق الدرويشية.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 253.



الصورة [4-3]: سوق الدرويشية 1815م .

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.



الصورة [4-4]: سوق الدرويشية 1894م.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق،464.



الصورة [4-5]: سوق الدرويشيةعام 1900.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.

الصورة [4-6]: سوق الدرويشية اليوم.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.

2-سوق الميدان:

وهو سوق طويل جداً، يبدأ من باب الجابية وينتهي عند بوابة الميدان، ويضم مجموعة من الأسواق المختلفة وهي بالتسلسل: سوق السنانية، وسوق النحّاتين، وسوق الغنم، وسوق (السويقة)، وسوق باب المصلى، وسوق الميدان التحتاني والوسطاني والفوقاني.

ويعد من الأسواق النادرة في العصر العثماني الأخير، وحسبما يذكر (عربي كاتبي) فقد كان امتداداً لسوق الدرويشية، ويضم عدداً من (المقاهي)، وحواصل الحنطة، والحبوب، ومحلات بيع الأغذية، والأغنام، والجلود، ولوازم أهل حوران، وقد نظم في عهد الوالي مدحت باشا وزرع جانباه بشجر (الأزدرخت)، وكان له رصيفان بعرض ثلاثة أمتار ونصف، وإلى جانب كل رصيف قناة مكشوفة لجر الماء صيفاً، لرش الطريق الوسطى، وطريق العربات. وقد ازدادت محاسنه عندما صارت تعبره الحافلات الكهربائية سنة 1325 هـ.

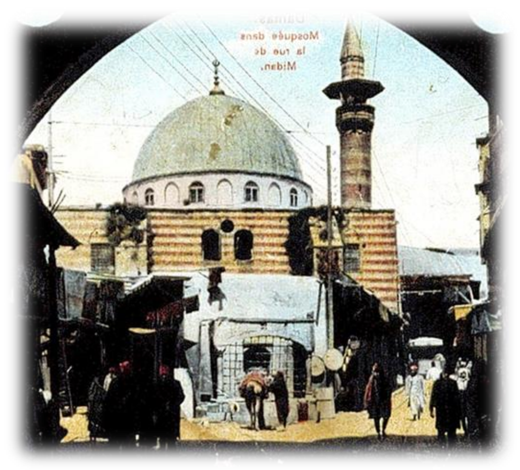
وقد لعب هذا السوق دوراً بارزاً في العصر العثماني والمملوكي أيضاً، إذ كان يقع على الطريق الدولي الذي يصل دمشق بالقاهرة، وبالأراضي المقدسة في الحجاز، ولذلك أقيمت فيه مجموعة من المنشآت المهمة الأثرية، أهمها جامع السنانية، والمدرسة الأفريدونية، والصابونية، ومجموعة من الترب الخاصة التي لايزال معظمها إلى اليوم، وجامع النقشبندي، وجامع باب المصلى، وجامع أراق السّلحدار، وحمام فتحي الدفتر دار، وحمام الرفاعي، وحمام منجك، وحمام الجديد، وزاوية سعد الدين، وجامع الدقاق، وغيرهما...، وكان موسم خروج قافلة الحج وعودتهما من المواسم الرائعة التي يشهدها هذا السوق في كل عام[1].

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص ص (465 – 466).

وهكذا يمكننا أن نعرف بالأسواق التي تنطوي تحت اسم سوق الميدان، وهي:

- **سوق السنانية:**

السنانية سوق ممتد بين منطقة باب الجابية ولغاية سوق النحاتين-النحاتين يبدأ من نهاية سوق السنانية ولغاية المدخل الغربي لمقبرة الباب الصغير. ومتخصص بصناعة شواهد القبور واللوحات الرخامية-قرب مقبرة الباب الصغير. والسنانية سوق متخصص بالفرو والصوف، وبعض محال الملبوسات العربية والنحاسيات... ويعرف لدى العامية بسوق الصوف. وتظهر الصور [4 -7/ 8/ 9/ 10] التطور التاريخي والعمراني في سوق السنانية.



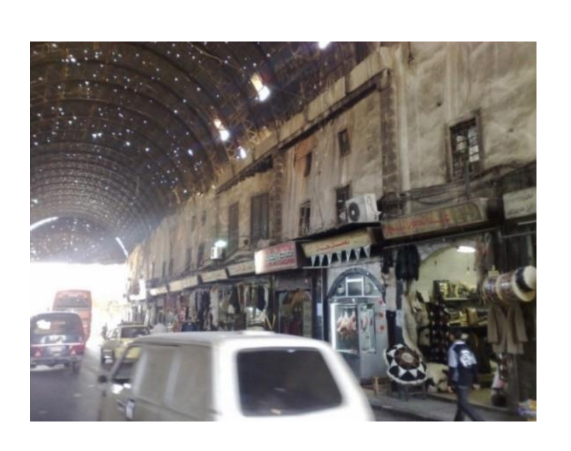
الصورة [4-7]: سوق السنانية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق



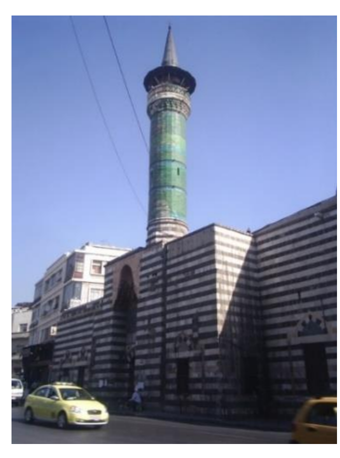
الصورة [4-8]: سوق السنانية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق



الصورة [4-9]: سوق السنانية اليوم.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.



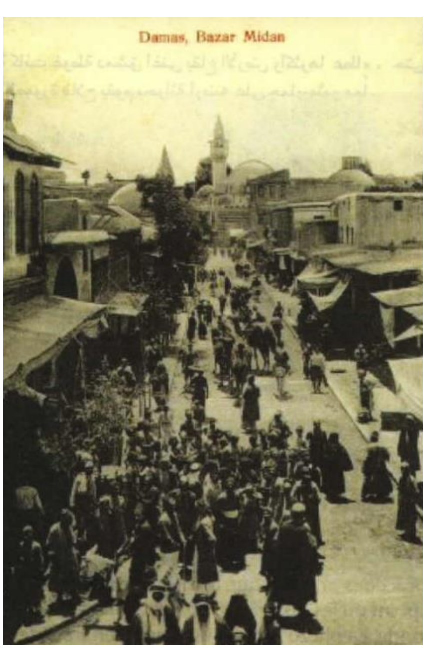
الصورة [4-10]: سوق السنانية.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2011.

- **سوق السويقة:**

يمتد سوق السويقة بين سوقي الغنم وباب مصلى على الطريق باتجاه حي الميدان، ويشكل الحي الملتقى بين دمشق والقادمين إليها من المنطقة الجنوبية، ويظهر في الصورة [4-11]، ويشكل في مساره ضلعي مثلث منفرج الزاوية، ففي بدايته الشمالية يتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي حتى جامع مراد باشا (جامع النقشبندي)، ومن ثم ينعطف باتجاه شمال جنوب ليلتقي بسوق باب مصلى، ويعدّ هذا الأخير امتداداً له، إذ إنه لا فاصل مكاني بينهما يشير إلى انتهاء هذا السوق وبدء السوق الآخر. وورد اسم السويقة لأول مرة في العهد العثماني عندما أشار لها البديري الحلاق، أما في العهد المملوكي فلم تكن هذه التسمية مطروحة، غير أنه قطعاً كان موجوداً بدلالة أمرين:

- أولهما: أن محلة السويقة كانت ضاحية مملوكية، ومن غير المعقول أن لايقام عندها سوق.
- وثانيهما: ماذكره ابن عبد الهادي عند تعداد لأسواق الميدان بقوله: (سوق عند باب مصلى) – وهو السوق الحالي القائم في ذلك الموضع وسيرد ذكره لاحقاً (سوق شمال باب مصلى)، وهذا الوصف ينطبق على الموقع الجغرافي لسوق السويقة الحالي، إذ أنه شمالي المصلى أو جامع باب المصلى كما يعرف أيضاً.



الصورة [4-11]: سوق السويقة، عام 1890م.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 113.

ثم إن التسلسل المنطقي؛ يؤكد على تواجد هذا السوق في تلك الفترة (ولو بغير تسمية)، نتيجة الاستمرارية الاقتصادية لأسواق المنطقة التي تبدأ بسوق السنانية، ثم سوق الغنم، ومن بعده (سوق السويقة)، ثم سوق باب المصلى، والجزماتية، وأبو حبل. ويمكن القول، أن سوق السويقة، هو سوق تخصصي بصناعة النحاسيات وأدوات الزراعة اليدوية الحديدية أولاً، ثم حواصل الخشب ومناشره ثانياً، بالإضافة إلى عدد كبير من المتاجر التي تبيع المواد التموينية الإعتيادية، كأي سوق آخر في مكان ما من مدينة دمشق. ومن المشيدات المتواجدة في سوق السويقة، جامع مراد باشا، جامه همان آغا، أو الجامع الصغير وقبالته مقام وضريح الشيخ حسن الجباوي[1]. وتبين الصورة [4-12] والصورة [4-13] سوق السويقة في الثلاثينات وفي الوقت الحاضر.

[1]-عرض تقديمي عن " محور الحج "، دائرة الآثار والمتاحف (اليمارستان النوري)، عن دراسة لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان، رقم / 10796 /، تاريخ 8 تشرين الأول 2006م، 2007 م.



الصورة [4-12]: جادة السويقة في الثلاثينات.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.



الصورة [4-13]: محور السويقة اليوم.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق.

- **سوق باب المصلى:**

يمتد سوق باب المصلى باتجاه شمال جنوب بين السويقة وساحة اليرموك (دوار باب المصلى)، ويتداخل هذان السوقان ببعضهما بعضاً بحيث لا يمكن معه التفريق بين بداية هذا ونهاية ذاك، وعلى هذا الأساس يمكننا الافتراض نظرياً بأن سوق باب المصلى يبدأ حيث ينتهي سوق السويقة في نقطة تتوسط الطريق الممتد بين الجامع الصغير وجامع باب المصلى. وورد ذكر هذا السوق في رسالة ابن عبد الهادي بقوله: (سوق عند باب المصلى) مما يؤكد تواجده منذ العهد المملوكي.

- **سوق الجزماتية:**

يقع هذا السوق في محلّة الميدان التحتاني التي كانت تعرف سابقاً باسم (ميدان الحصى)، وعلى امتداد سوق باب المصلى، باتجاه شمالي جنوبي، بين ساحخة اليرموك (دوار باب مصلى) وجسر (المتحلق الجنوبي) عند تقاطعه مع شارع الميدان. ولم تكن تسمية سوق الجزماتية واردة في العهد المملوكي.

ويعود سبب تسمية السوق إلى صناعة الجزمات التي كان العسكريون والمدنيون يرتدونها في العهد العثماني، وكذلك الشرطة والحراس خلال لنصف الأول من القرن العشرين، وهي الجزمات التي قال عنها القاسمي: (الجزمات جمع جزمة، وهي ما يلبس الرجل من النعال، له ساق يستر ياق الرجل أو بعضه غالباً).

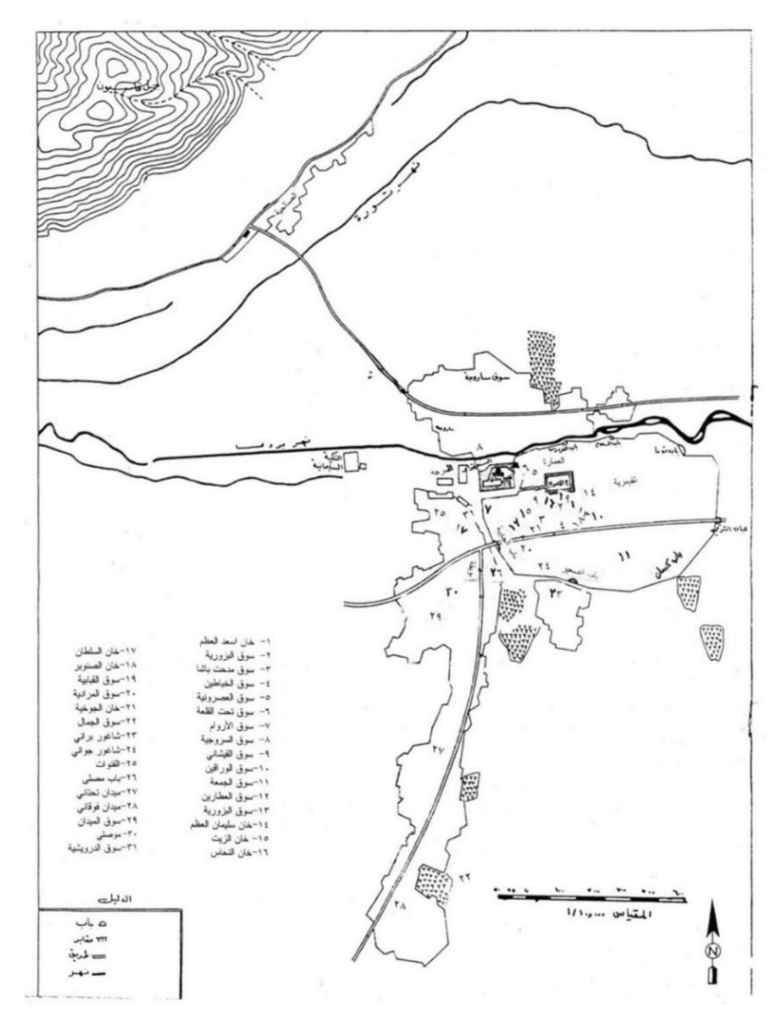
أما اليوم وعند زيارة هذا السوق فلن تجد أثراً للجزمات، بل سوقاً كبقية أسواق المدينة غير المتخصصة، ينتشر فيه باعة المواد الغذائية والاستهلاكية، وإذا كانت تسمية (سوق الحلوانيين) قد أطلقت في الماضي على شارع الملك فيصل، فإنه من الواجب أن تطلق الآن على سوق الجزماتية. [1]

[1]-عرض تقديمي عن " محور الحج "، دائرة الآثار والمتاحف (اليمارستان النوري)، عن دراسة لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشف د. بشر الصبان، رقم / 10796 /، تاريخ 8 تشرين الأول 2006م، 2007 م.

- **سوق الميدان:**

سوق زادت محاسنه عندما صارت تعبره الحافلات الكهربائية سنة (1325هـ-1907م)، ولقد أدى هذا السوق دوراً بارزاً في العصر المملوكي والعثماني أيضاً، إذ كان يقع على الطريق الدولي الذي يصل دمشق بالقاهرة، وبالأراضي المقدسة في الحجاز، وكان موسم خروج قافلة الحج وعودتها من المراسم الرائعة التي يشهدها هذا السوق في كل عام[1].

ويوضح المخطط [4-4] توزيع الأسواق، والخانات، وتوسع مدينة دمشق خلال الفترة العثمانية.



المخطط [4-4]: أسواق مدينة دمشق وأهم خاناتها في العهد العثماني.

المصدر: الباحثة.

[1]-عرض تقديمي عن " محور الحج "، دائرة الآثار والمتاحف (اليمارستان النوري)، عن دراسة لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشف د. بشر الصبان، رقم / 10796 /، تاريخ 8 تشرين الأول 2006م، 2007 م.

1-2-2-الخانات:

كان من تأثير الدور الاقتصادي للحج على البنية العمرانية والمعمارية ظهور الخانات إلى جانب الأسواق، والتي ورد التعريف بها في الفصل الثالث، وسيتم تفصل لأهم الخانات التي كان ينزل بها الحجاج لاحقاً.

في القرن الثالث عشر الهجري، انتشرت السفن التجارية على النطاق العالمي، وفتحت قناة السويس، وبذلك خسرت دمشق الأموال التي كان ينفقها الحجاج، وتأثرت الصناعات التي كانت مخصصة للوازم الحجّاج، ولهذا السبب لم يشهد ذلك القرن ازدهاراً تجارياً، وتأثرت بذلك الأسواق والخانات، ولم يُفتح في دمشق في ذلك القرن ولاسيما في النصف الثاني منه سوق أو خان أو دكة[1].

2- مستلزمات الحجيج أثناء فترة إقامتهم في دمشق وانعكاسها على البنية العمرانية والمعمارية:

أن الوصول إلى الحرمين بطريق البر، يفرض مشقات جمة، فكان على سلاطين آل عثمان، أن يهتموا بتسهيل الحج على المسلمين منظمين طريقه، فأنشأوا على طرقات مملكتهم المتجهة نحو الحجاز، الخانات والجسور والمخافر، وأقاموا في البادية حصوناً لحراسة الآبار، وجعلوا من دمشق-وهي آخر محطة في بلاد الحضر المأهولة المتمدنة-محل اجتماع الحجاج القادمين من الشمال[2].

كانت دمشق في شهر شعبان من كل سنة، تجند كامل طاقاتها وإمكاناتها لخدمة الحجيج الوافد إليها من الجزيرة العليا وكردستان والقوقاز وأذربيجان والأناضول والبلقان والقرم وحتى إستانبول نفسها، للانتظام في قافلة الحج الشامي إلى مكة المكرمة. فتسهر على رعايتهم وأمنهم وراحتهم، حتى انطلاق ركب الحج الشامي في أواسط شهر شوال. وتعمل هذه السلطات على استكمال كل ما يلزم لانطلاق قافلتي الحج والمحمل الشامي والقوة العسكرية والقوة المستأجرة التي ستصحب القافلة للدفاع عنها ضد أيّ اعتداء أو تعدّي من البدو النازلين في طريق الحج.

وتعمل السلطات على تشديد الرقابة على البيع والشراء، وعلى الأسعار، وبخاصة أن الكثيرين منهم يحملون معهم بضائع لا حصر لها من بلادهم، كالتوابل والبن والشالات...فيبيعونها لتساعدهم على تحمل نفقات الحج، فضلاً عن أنهم يعودون من الحجاز؛ محمّلين ببضائع أخرى بحماية القافلة، فيبيعونها بدمشق، أو يعودون بها إلى بلادهم... [3]

وهكذا تشتغل مدينة دمشق بأسرها طيلة العام بالحجاج المسلمين لتوفير الأمور التالية للحجاج:

-إسكانهم خلال مكثهم فيها.

-إطعامهم.

-المتاجرة معهم، (وكان من نتائج ذلك نشوء الأسواق-التي سبق الحديث عنها-والخانات).

-إحضار معدات الركب، من جمال، وبغال، وخيول، وخيام ومضارب، ومحاير، ومحفات، وتخوت، وسرر، وقرب، ومطرات، و...

-إعداد ما يلزمهم وما يلزم الصرّة السلطانية، من الزيوت، والشموع، والمياه المعطرة، كماء الورد، وماء الزهر، التي ترسل إلى الحرمين الشريفين لغسل الكعبة المعظمة والحجرة النبوية بهما.

---

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 454.

[2]-سوفاجيه، جان، دمشق الشام، ص (99 – 104).

[3]-الصباغ، ليلى، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، ص 158.

2-1-أماكن إقامة الحجاج وتأثيرها على تطور البنية العمرانية والمعمارية:

2-1-1-في دمشق

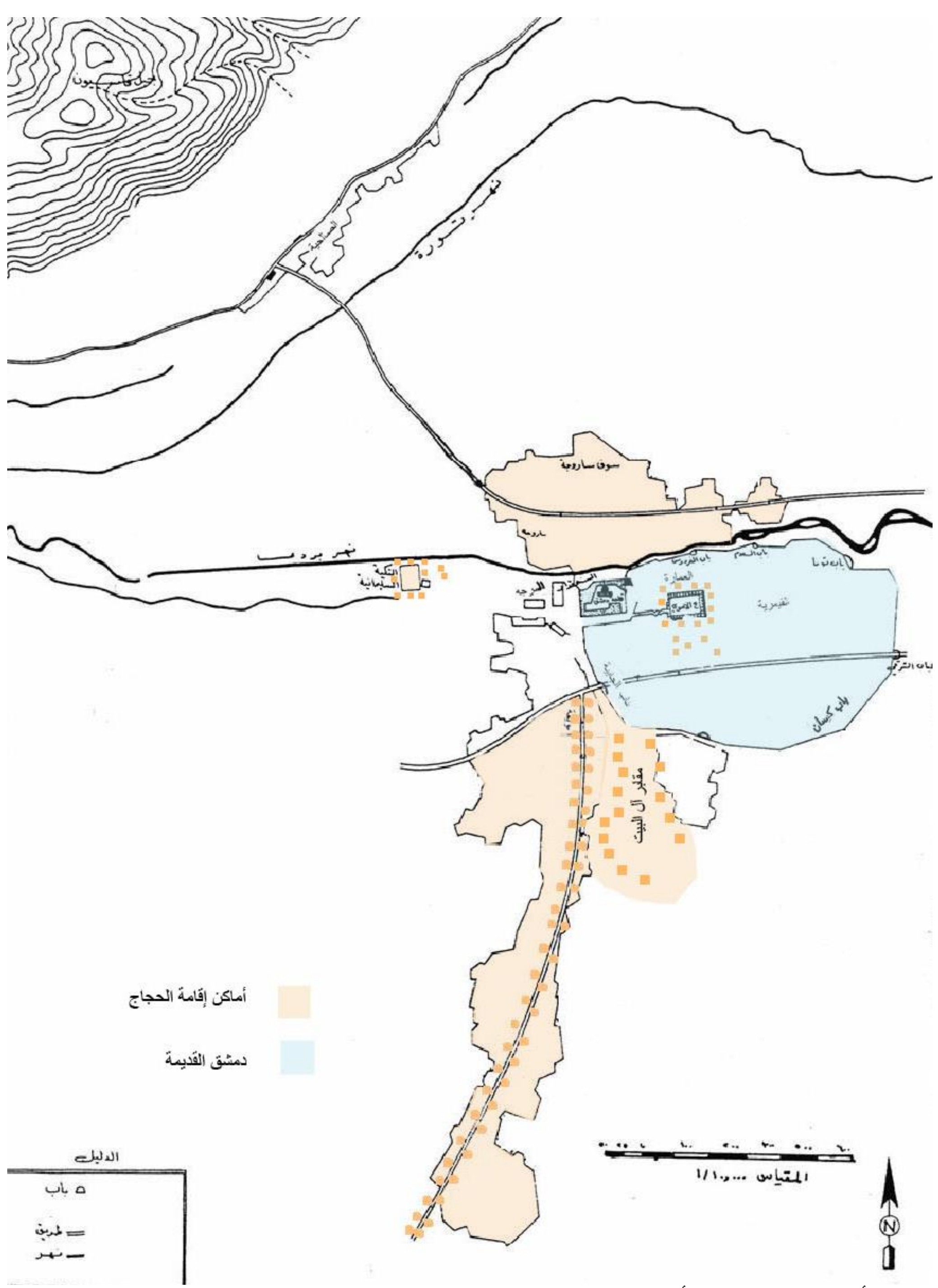
كانت دمشق في العهد العثماني منطلقاً لركب هذا الحجيج، وكان من الحجاج من يصل إلى دمشق قبل انطلاق القافلة بأربعة أو خمسة أشهر، ولكن الأغلبية منهم كانت تصل في شهر رمضان. ومنهم من كان ينزل في خان الحرمين القريب من باب البريد بدمشق، وخان أسعد باشا، أو بالقرب من جامع الورد في سوق صاروجة. وفي حي القنوات والسويقة، وكان الحجاج الأعاجم من عادتهم النزول في حي الخراب والسويقة، قريباً من مقابر آل البيت، وعدد كبير من الحجاج كانوا ينزلون بالتكية السليمانية، وآخرون بالقرب من المسجد الأموي[1]. وكما كان كثيراً من أهالي دمشق من ذوي العيال الكبيرة الذين لاثروة عندهم يتعيشون من إنزال البعض من الحجّاج في بيوتهم[2]. بالإضافة إلى أنّ الحجّاج كانوا يبيتون في تكية العسالي؛ التي تم الحديث عنها في الفصل الثالث خمسة أيام، ويغادرون بذلك دمشق متجيهين نحو الديار المقدسة[3].

وكان من الحجاج الوافدين إلى دمشق من ينزل (يقيم) في زوايا تحمل اسمهم مثل زاوية المغاربة، وزاوية الهنود بمحلة السويقة، وزاوية السنود، وزاوية الموصليّين بمحلة ميدان الحصى بحيّ الميدان[4]. فقد كانت دمشق تضم أعداداً من الحجّاج الغرباء الذين كانوا يشكلون تجمعات خاصة لها شيخاً، كالمغاربة مثلاً وقد أشار إليهم ابن كنّان كفرقة عسكرية، وكفئة كان يجمع منها الجند، والذين كان لهم زاوية تحمل اسمهم سميت بزاوية المغاربة. وكذلك الهنود الذين أشار إليهم أيضاً ابن كنان كفرقة عسكرية وكفئة كان يجمع منها العسكر. وإشار إلى تجمعهم في خلوة القيشاني وجامع السنانية، وكان لهم أيضاً زاوية قائمة ظاهر دمشق، بمحلة السويقة، والتي تولى أمرها هنود. وذكرت زاوية السنود بمحلة الهنود بدمشق، بمناسبة تعيين الشيخ محمد بن محمد السندي في وظيفة الامامة، وربما كانت (زاوية الهنود وزاوية السنود) اللتان ذكرتا بفاصل خمس سنوات تشيران إلى زاوية واحدة[5].

ومن الوافدين إلى دمشق للانضمام إلى قافلة الحج الذاهبة إلى مكة المكرمة: النقشبنديّة، الذين وفدوا من ناحية بلخ، والذين كانوا يفدون جماعات، وربما زاد عددهم عن الأربعمائة في بعض المرات، وكان بعضهم يتخلف عن العودة إلى بلاده بعد أداء فريضة الحج ويستقرون في دمشق كالشيخ محمد النقشبندي البلخي المتوفي سنة 1132 هـ / 1720م مع جماعته[6].

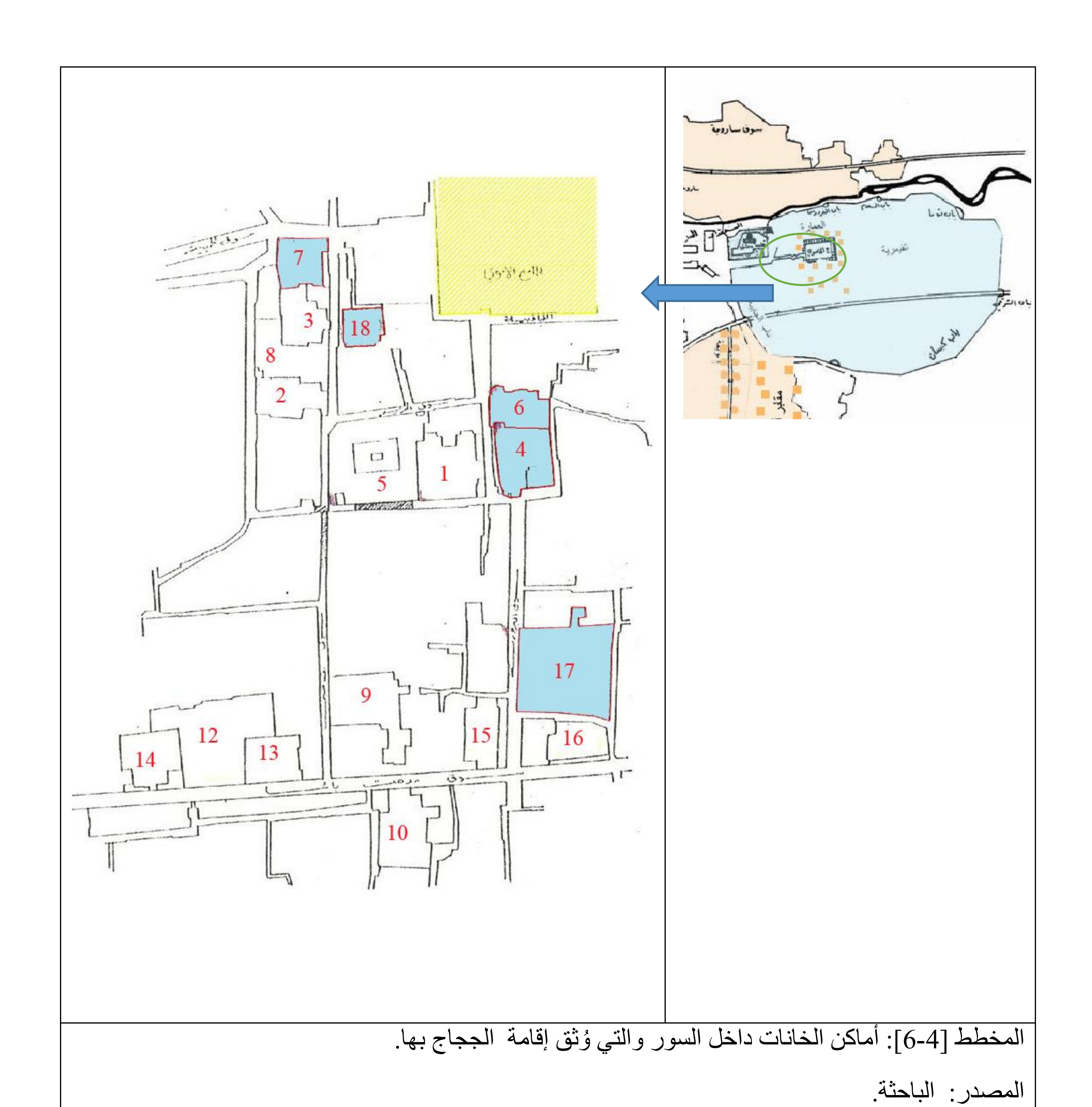
وتشير دراسات إلى وفاة حجاج حلبين، وأتراك، ومصريين، في خانات تقع غالبيتها في المدينة، داخل السور (خان الحرمين، خان الصدرانية، خان السفرجلانية، خان الدقاقين، خان البهرمية، خان درويش باشا) كما أشير إلى وفاة حجاج في خانات تقع في المدينة خارج السور (خان بني الناشف). ويبين المخطط [4-5] أماكن إقامة الحجاج أثناء فترة إقامتهم في دمشق. ويبين المخطط [4-6] أماكن الخانات داخل السور والتي وُثق إقامة الججاج بها.

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي ص (54).
[2]-القساطلي، نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ص 125.
[3]-كيّال، منير، محمل الحج الشامي ص 117.
[4]-كيال، منير، محمل الحج الشامي ص (49-50).
[5]-ابن كنّان، محمد، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ص (85-87).
[6]-ابن كنّان، محمد، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ص (85-87).



المخطط [4-5] : أماكن إقامة الحجاج أثناء فترة إقامتهم في دمشق.

المصدر : الباحثة .



المخطط [6-4]: أماكن الخانات داخل السور والتي وُثق إقامة الحجاج بها.

المصدر: الباحثة.

ويظهر الجدول [4-1] أبرز تلك الخانات التي جرى توثيق إقامة الحجاج.

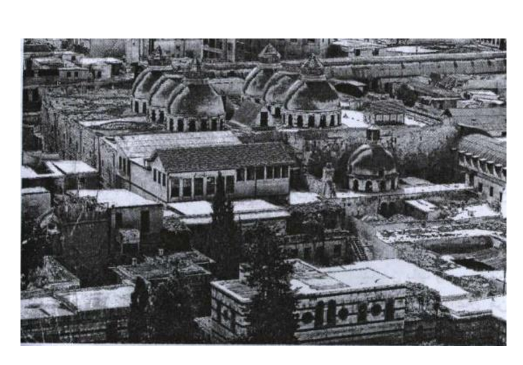
الرقم	اسم الخان	الرقم	اسم الخان
1	خان التتن	10	خان سليمان باشا
2	خان الزعفراني	11	خان العمود
3	خان قطنا	12	خان الزيت
4	خان الصدراني	13	خان جقمق
5	خان الحريرر	14	خان الدكة
6	خان السفرجلاني	15	خان الصنوبر
7	خان المرادية	16	خان الرز
8	خان الجمرك	17	خان أسعد باشا
9	خان الجوخية	18	خان الحرمين

الجدول [4-1]: أسماء الخانات التي تقع داخل السور والتي كان يقيم الججاج بغالبيتها.

المصدر: الباحثة بالاعتماد على المراجع التاريخية.

- **خان أسعد باشا**

يعدّ خان أسعد باشا العظم من أهم خانات مدينة دمشق، في أثناء الفترة العثمانية (الصورة [4-14]). يقع الخان إلى الجنوب من الجامع الأموي ضمن سوق البرزوية الذي يعدّ جزءاً من السوق الرئيسي الذي يخدم المدينة. صاحب البناء هو الحاكم أسعدإسماعيل باشا العظم، حاكم مدينة دمشق من عام 1743 وحتى عام 1757 ويحمل البناء اسمه، بُني في الفترة ما بين 1751 / 1752 – 1753 م.



الصورة [4-14]:منظر عام لخان أسعد باشا والأسواق المحيطة به.
المصدر: الريحاوي، عبد القادر، روائع التراث، ص48.

يعدّ الخان نموذجاً لبناء صالة مغلقة داخل المدينة ذات طراز عثماني متأخر، تقليدي بالنسبة للعمارة العثمانية في عهد سنان. وقد تم استخدام الخان بعد فترة إنشائه مكاناً لتبادل البضائع القادمة من خارج البلاد فضلاًعن كونه مكاناً مخصصاً لنوم التجار، وقد كان أيضاً من أهم مراكز تبادل البضائع في دمشق وخاصة البضائع القيمة.

الوصف المعماري:

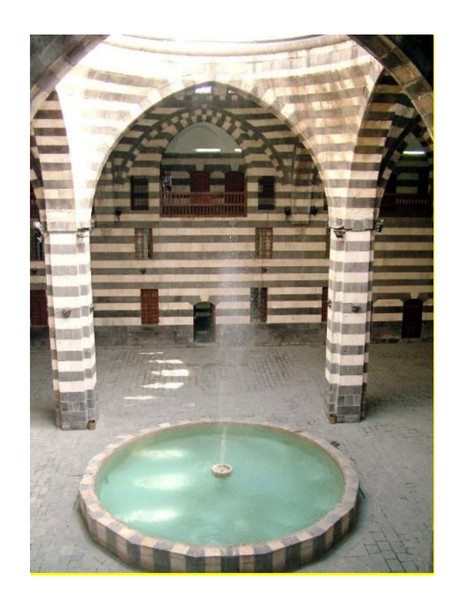
تقدر مساحة الخان بـ 2500 م2، وهو ذو مسقط مربع الشكل تتراوح أبعاده مابين (50×51م) ويتألف من طابقين تتوزع غرفهما حول باحة مركزية. يتم الدخول إليه من قبل بوابة ضخمة تطل على سوق البزورية، وقد صممت هذه الواجهة بعناية فائقة وجعل فيها (15 دكان) وتعتبر من أهم وأجمل وأضخم واجهات المباني الأثرية في سورية، تبلغ أبعادها (10×12م) وتحتوي على نافذتين لغرفة (الخانجي) مدير الخان. يقع المدخل وسط الواجهة وعلى جانبيه ثلاثة أعمدة صغيرة القطر (سويريات) ترتكز على قاعدة، وهي منحوتة على شكل ضفائر حلزونية ملتفة وتنتهي بتاج مزخرفة، على جانبيهما كوتان داخل كل منهما سبيل ماء وتعلوهما نافذة دائرية محاطة بزخارف رائعة الجمال، تنتهي هذه الأعمدة بثلاثة أقواس حجرية متتالية.

- **المدخل:**

أما المدخل فيتألف من ردهة خارجية عرضــها 6م بعنق 2م ينتهي على جانبيه بمقعدين حجريين يســميان (مسكلتين) استعملا لاستراحة العابرين أو لمساعدة الحمالين في تنزيل البضائع. يتم الدخول إلى الخان عبر هذه البوابة الرئيسـية وذلك من خلال بوابة خشـبية مصـفحة بالحديد تتألف من درفتين في إحداهما باب صـغير يدعى باب خوخة الذي كان يسـتعمل ليلاً ليتيح الدخول للأشـخاص ويسـهل حماية المقيمين في الخان، يعلو هذه البوابة سـاكف حجري، وهو عبارة عن جزء من قوس دائرية تعلوه دائرة صـغيرة يقال انه توضـعت فيها ياقوتة فخمة مفقودة حالياً ثمنها يكفي لإعادة بناء الخان ثانية فيما لو تهدم. فوق هذه الدائرة تلتف خطوط زخرفية منحنية لتشكل نصف دائرة.

- **الصحن:**

ينتقل الداخل عبر هذه البوابة الجميلة إلى الخان بشكل مفاجئ، من زحمة وضيق وضجة السوق إلى هدوء وعظمة هذا المبنى عبر دهليز كبير (12×4م) مسقوف بعقود حجرية متقاطعة تزينها زخارف جصية، يقع على جانبيه درج يؤدي إلى الطابق العلوي. يصـل هذا الدهليز إلى باحة مربعة الشكل طول ضلعها 27م يتوسطها بحرة كبيرة مضلعة الشكل تتألف من 16 ضلع في مركزها نافورة تستمد مياهها من أحد فروع نهر بردى، وتظهر في الصـورة [4-15]. تغطى هذه الفسـحة بثمان قباب تتوزع بشـكل متناظر حول الفتحة المركزية التي بقيت دون تغطية لتؤمن التهوية والإنارة للخان.
هذه القباب محمولة على أربعة أعمدة ضـخمة تتوزع على أركانها أربعة أقواس ترتفع حوالي 6م، يبلغ قطر كل قبة حوالي 8م وارتفاعها 2.5 م، مكلسـة من الداخل زينت أربع منها بزخارف ملونة أما القباب الأخرى فقد زينت بمنور خشبي مضلع لتأمين الإنارة، تتألف القباب من رقبة ذات 16 ضلع في كل منها نافذة خشبية معشقة من الجبس والزجاج[1].



الصورة [4-15]: خان أسعد باشا العظم.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

[1]-ويكبيديا الموسوعة الحرة.

تتناوب الجدران الحجرية المطلة على هذه الباحة بالألوان الأسود والأبيض التي أضفت عليها جمالاً بحيث تعتبر من أجمل الباحات في المباني الأثرية في الشرق ومن أكثرها تأثيراً بالنفس. يتفرع من الباحة خمسة ممرات ثانوية ينتهي أحدها إلى الباب الثانوي الشرقي، ويقودنا الممر الواقع في الضلع الشمالي إلى دورات المياه على الطراز العثماني وبحرة وضوء صغيرة.

- **الطابق الأرضي والعلوي:**

يحتوي الطابق الأرضي على 40 غرفة وهي عبارة عن أجنحة ثنائية وثلاثية تطل على الباحة مباشرة، يعتقد أن الغرف الداخلية استخدمت كمستودعات أما الخارجية فقد استخدمت كمكاتب للتجار. أما الطابق العلوي فيتألف من رواق عرضه 3م يطل عبر درابزون خشبي على الباحة المركزية وتتوزع حوله 44 غرفة ليصبح عدد الغرف في الخان 84 غرفة يتفرع من منه خمسة ممرات ثانوية يؤدي أحدها إلى غرفة كبيرة مزودة بشرفة تطل على سوق البزورية. فوق المدخل تماماً نجد غرفة مدير الخان (الخانجي) في منتصف الضلع الغربي وذلك للسيطرة على حركة الخان التجارية.

التصميم الداخلي للغرف بسيط وتتراوح أبعادها مابين 3-6 م. الأرضية مؤلفة من منسوبين مختلفين لتأمين تنظيم حركة الهواء وسقفت بعقود متصالبة أو قبوات نصف اسطوانية جدرانها حجرية سميكة خالية من التزيينات.

أما السطح فيتم الصعود إليه من خلال درج يتوضع في الجهة الغربية للطابق الأول وقد استخدم لنشر الفواكه وتجفيفها و مازالت دمشق تشتهر بهذا حتى الآن .يعتمد التصميم المعماري في الخان على مبدأ التناظر وتناوب اللونين الأبيض والأسود في المداميك الحجرية المشكلة للجدران المطلة على الباحة المركزية ولجأ المصمم إلى التخفيف من حدة هذا التناظر إلى توزيع النوافذ بشكل عشوائي وعلى مستويين أرضي وعلوي. اعتمدت مادة الحجر للبناء واستخدم في الغرف الحجر غير المشذب المكلس أما النوافذ والأبواب فصنعت من الخشب الرومي على طريقة الحشوات وزخرفت الأبواب في الطابق الأرضي بالخيط العربي الأرابيسك أما أبواب الطابق العلوي فقد صنعت من الخشب الذي نقشت عليه تشكيلات مختلفة ومتنوعة من الزخارف الهندسية، وصنعت النوافذ من الخشب المعشق مع الجبس والزجاج الشفاف[1].

- **التحليل المعماري للخان:**

استناداً لما تقم من وصف معماري لخان أسعد باشا، الذي يمتاز بسعته وهندسته الدقيقة، وبنائه وفق فنون العمارة العربية الأسلامية، مع اهتمام وعناية باختيار العناصر المعمارية الزخرفية، نستنتج القيمة التاريخية والأثرية والثقافية للخان والتي يمتاز بها دوناً عن بقية الخانات.

2-1-2-أماكن إقامة الحجاج خارج دمشق وباتجاه الأراضي المقدسة:

من الخانات التي التي تقع خارج دمشق ولكن من جهة الشمال خان كبير ينزله المسافرون الحجاج في قرية الحسية[2]. تطلّب سير قافلة الحج الشامي في الفيافي والقفار المؤدية إلى الديار المقدسة، في وقتٍ لم يكن من وسيلة للانتقال متوفرة إلا على الجمال والسوائم وقت طويل[3].

---

[1]-ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

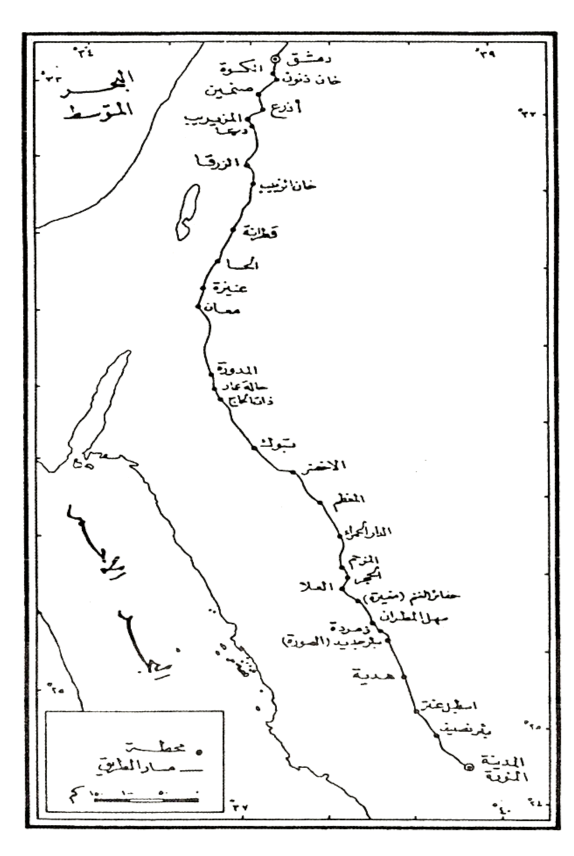
[2] -الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، ص 181.

[3]-كيّال، منير، محمل الحج الشامي، ص63.

لذلك قد انشئت الخانات والقلاع على طول طريق الحج، باتجاه الديار المقدسة، ومن أهم المحطات والخانات التي ينزل بها الحجاج على طريق السفر، خان دنون، والمزيريب، حيث يخيمون هناك قرب القلعة والبعض منهم يقيم في القلعة. المخطط [4-7].

- **في الكسوة:**

يقع خان دنون في الكسوة وسبب تسمية الكسوة بهذا الاسم (يقال أن سبب تسمتها بهذا الاسم أن أحد الأنبياء مر بها ولاحظ أنها مكسوة بالخضار. كما ذكر ياقوت الحموي أسباب أخرى. وهناك سبب أقرب تاريخياً وهو أن هذه المدينة كانت تقع على طريق الواصل بين الأستانة (إسطنبول حاليا) والمدينة المنورة (أو الحجاز عموما)، وكان الخليفة العثماني يأمر بأن ترسل أفواج الحجاج مترئسها باشا الحج، وينطلقون من دمشق أفواج محمل الحج الشامي فيمرون بهذه المدينة قادمين من دمشق في طريقهم إلى المدينة المنورة فكان أهالي المدينة مع أهالي دمشق يقومون باستقبال باشا الحج مع المحمل الشريف الذي يحوي صرة فيها كسوة الكعبة التي كانت تصنع في دمشق ويتم إرسالها وتكسى بها الكعبة قبل موسم الحج، وصرة ذهب للصرف على خدمة الحجاج من السلطان العثماني، وسميت المدينة الكسوة نسبة إلى ذلك واحتفالاً بكسوة الكعبة التي تنطلق من دمشق.



المخطط [4-7]: مسار الحج الشامي.

المصدر: الكلابي، حياة عبد الله، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي. نقلاً عن غبان.

- **خان دنون:**

يقع في قرية خيارة دنون جنوبي دمشق حوالي 20 كم، على الطريق القديم الواصل إلىدرعا.يسمى خان دنون أو خان ذي النون نسبة إلى بانيه علي بن ذي النون الدمشقي أحد كبار تجار دمشق في عام 778 هـ أي في القرن الخامس عشر الميلادي (العصر المملوكي)، كما يتضح النقش الكتابي الموجود في مدخل الخان والذي يؤرخ لتأسيسه. سجل في عداد المباني الأثرية بالقرار الصادر عن وزارة الثقافة رقم 106 تاريخ 28 / 9/ 1965.

الوصف المعماري:

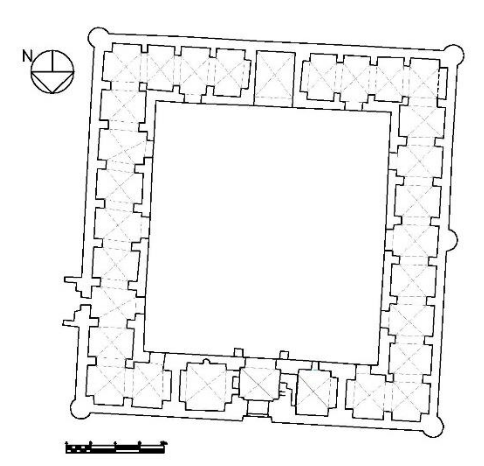
مخطط الخان:

مخطط الخان مربع تقريباً 59 × 62 م، وبارتفاع حوالي ستة أمتار، يتألف من باحة سماوية أبعادها 38.5 × 41 م تلتف حولها القاعات من كل الجهات، وخصصت الغرفة الواقعة على يسار المدخل لتكون جامعاً صغيراً للخان، بينما يقع الإيوان في الجناح الجنوبي المقابل للمدخل.زود الخان بخمسة أبراج دائرية في الزوايا الخارجية وفي وسط الضلع الغربي بنيت من الحجارة البازلتية المنحوتة، بينما بنيت باقي أجزاء الخان بالحجارة البازلتية متوسطة الحجم والمشذبة بعناية. المخطط [4-8].



الصورة [4-16]: لقطة داخلية في خان دنون.

المصدر: بعدسة الباحثة.



المخطط [4-8]: مسقط خان دنون.

المصدر: الباحثة.

المنظور الشاقولي للبناء:

الخان كبير مستطيل الشكل مبني من الحجر البازلتي يطل على الخارج بأربعة واجهات حجرية وفي كل زاوية برج مستدير وفي القسم الشمالي من الواجهة الشرقية يوجد غرفة والخان مغلق لولا المدخل الشمالي أما البوابة فتنفتح على باحة ضخمة تلتف قاعات الخان حولها وتتوزع مستودعاته على أربعة أجنحة:

- **الجناح الشمالي:** تقسمه البوابة إلى قسمين – شرقي وغربي – الجناح الغربي فيه غرفة وإلى الشمال يوجد درج والقسم الشرقي يشغله مسجد له مدخلان ومحراب عادي.
- **الجناح الجنوبي:** يقسمه إيوان مفتوح على الباحة ويقابل مدخل الخان وعلى جانبيه قاعتان، الصورة [4-16] تبين لقطة داخلية للخان
- **الجناح الشرقي والغربي:** متناظران يتألف كل منهما من مستودع له ثلاث مداخل كما يوجد في وسط الباحة بركة.

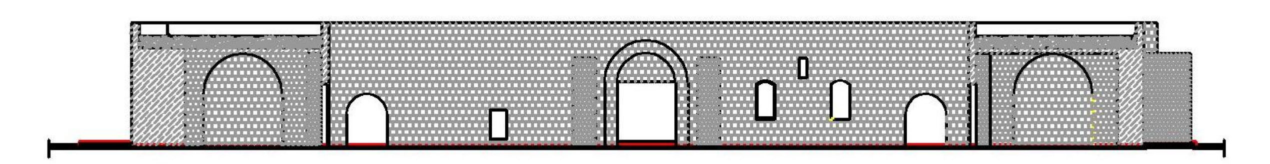
- يوجد شريط كتابي يشغل المدماك التاسع من مدخل الخان يدل على تاريخ بناء الخان وبانيه من أيام السلطان الأشرف شبان حيث بني هذا الخان لنفع الناس. نقرأ هذه الكتابة كما يلي:
- بسم الله الرحمن الرحيم: الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا و لا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.....

- أما **الجناح الغربي** وذلك داخل المدخل: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى.. والله غني حميد. صدق الله العظيم .

أما **واجهة المدخل الخارجية:** فكتب عليها مايلي: بسم الله الرحمن الرحيم: أنشئ هذا الخان المبارك أيام مولانا

السلطان الأشرف شعبان.... وجه الله تعالى وكان الفراغ منه

في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.. ويبين الشكل [4-1] الواجهة الشرقية التي تتسم بالبساطة والجمال.



الشكل [4-1]: الواجهة الشرقية لخان دنون.

المصدر: الباحثة.

وأما في المزيريب:

كان يقيم الحجاج في قلعة المزيريب وبجوارها، ويلبثون هناك عدة أيام بانتظار الإنطلاق للديار المقدسة

قلعة المزيريب:

بنيت قلعة المزيريب في العصر العثماني، والقصد من بنائها هو استراحة للحجاج القادمين من كافة المناطق باتجاه "الأردن" ومن بعدها بلاد "الحجاز" بقصد الحج[1]، ويذكر أن القلعة كانت محاطة بالمياه من ثلاثة جوانب وفيها طواحين مائية لطحن الحبوب. الصورة [4-17].

انشئت طاحونة المزيريب في الفترة العثمانية وتحديداً القرن الثامن عشر الميلادي، وقد أقيمت على بحيرة صغيرة ذات ينابيع مائية قوية، يجاور هذه الطاحونة إلى شمال بحيرة "المزيريب"، وإلى الشرق قلعة "المزيريب" وتتبع بملكيتها لمديرية لحوض اليرموك.



الصورة [4-17]: قلعة المزيريب في درعا.

المصدر: أرشيف آثار درعا.

[1]-كيال منير، محمل الحج الشامي، ص 69.

يتقدم البناء من جهة الشمال أقنية مائية، ولها جدران لحصر المياه القادمة من الشمال لتصب في البناء السفلي، ويحوي البناء من الداخل ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية المربعة تحمل أقواساً قببية جميلة، لتشكل بدورها السقف الحجري للمطحنة. ويوجد بداخل المطحنة بقايا أحجار الطاحونة، ويعتقد أن هذه المطحنة تعود للفترة العثمانية في القرن الثامن عشر ميلادي. حيث كانت "المزيريب" مركزاً ممتازاً لتجمع الحجاج فيها وبقلعتها. وتم العثور على قاعة كبيرة، تحوي آثاراً تعود إلى العهد المملوكي المتأخر، والعهد العثماني في الجزء الغربي من الباحة الرئيسية للقلعة، خلال الفترة الماضية من العام الحالي.

تتألف "الطاحونة" من طابقين قبو وطابق أرضي أما القبو فأبعاد /11× 14/م وهو عبارة عن قسمين مجهز بفتحات من الجهتين الشمالية والجنوبية لدخول وخروج الماء اللازم لتدوير رحى الطحن. "الطابق الأرضي" مستطيل الشكل /11×14/م ارتفاعه /5.90/م، في جهته الشرقية، يقوم المدخل الرئيسي للطاحونة بعرض مترين، وارتفاع ثلاثة أمتار، وذلك ليسمح بدخول وخروج العربات المحملة بالحبوب المعدة للطحن. ولها مدخل من جهة الشرق من/2/ إلى /3/ أمتار وهو كبير نسبياً ليستوعب دخول العربات والحيوانات المحملة بالحنطة، وبناء المطحنة من الداخل وهذه الأعمدة تحوي أقواساً مقببة، بدور "الساكف" الحجري ويوجد بداخل هذه المطحنة بقايا أحجار الطاحونة، وتعود هذه المطحنة إلى الفترة العثمانية للقرن الثامن عشر ميلادي.

2-2-حاجة الحجاج للماء والخبز والمركوب وتأثيرها على البنية العمرانية:

لما كان على الحجيج أن يتزودوا من دمشق بما يلزمهم من مواد غذائية تكفيهم لمدة ثلاثة أشهر فضلاً عن حاجتهم لهذه المواد خلال إقامتهم في دمشق.لذلك نشأت في دمشق طوائف وحرف تعمل على توفير ما يحتاجه الحجيج من حاجيات ومتطلبات خلال إقامة الحجيج بدمشق، وخلال سفرهم إلى الديار المقدسة وأوبتهم منها.. فضلاً عن توفير الأمن والطمأنينة لهم.فقد كان من الأمور المهمة توفير الغذاء والماء والمركوب والخيام وذلك من خلال جماعات تولت كل جماعة منها توفير ناحية من تلك المتطلبات.

ففي دمشق يستعد الحجاج لقطع البادية، فيستأجرون الدواب أو يشترونها، ويأخذون المعدات للنزول في الصحراء، ويهتمون خاصة بتأمين المؤونة الكافية لمعيشتهم حتى عودتهم إلى دمشق، لأنه لامورد لهم في هذه الصحارى المقفرة التي سيقطعونها، ولا في الأماكن المقدسة التي سينزلونها، ومن الطبيعي أن يُفضلوا أسهل المأكولات حفظاً، وأفضلها غذاءً، وهو القمح. ويجتهد الحجاج في أن يستعيضوا بعضاً من نفقات الحج، فيعودون بكثيرمن البضائع وافرة الأرباح على صغر حجمها، كسلع الشرق الأقصى والبنّ والعبيد السودان والحبش، فيبيعون كل ذلك في دمشق، أول مدينة متحضرة في طريقهم، وهكذا يُحدث الحج في المدينة حركةً نشيطةً تظلُ العامل الأهم في تطُّور تجارتها[1].
من الأمور الهامة أيضاً للحجاج توفير مايمكن أن يحتاجه الحاج في سفره الطويل هذا من ماء وطعام ومركوب:

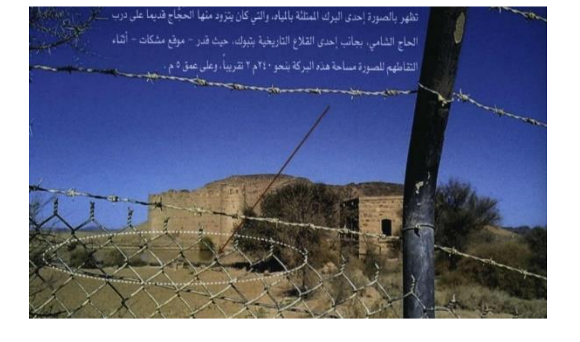
1-2-2 – توفير الماء:

قامت الدولة العثمانية بتوفير حاجة الحجاج من الماء من خلال الآبار التي حفروها في الطريق،فأخذت السلطة على نفسها توفير المياه اللازمة لحاجة الحجيج للشرب والوضوء وللحاجات الأخرى وبخاصة الجمال والسوائم الأخرى. بتوفير مياه الآبار والأحواضوالبرك في منازل الطريق ومحطّاته وحمايتها من التعديات والعبث، وأنيط ذلك بالسقائين الذين كان عليهم توفير ذلك للشرب والوضوء، والحاجات الأخرى بواسطة ضروف يملؤونها من الآبار والمناهل والأحواض والبرك في منازل طريق الحج الخاصة بذلك.[2]...

---
[1]-سوفاجيه، جان، دمشق الشام، ص 101.
[2]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 54.

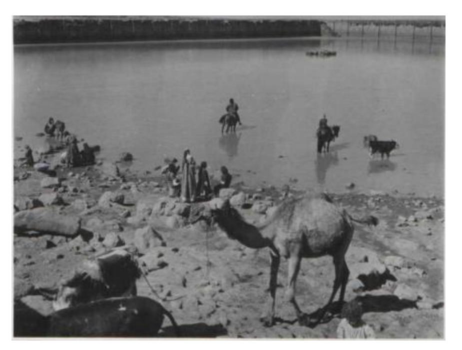
ولكن على الرغم من تلك الآبار إلا أنه كانت هناك العديد من الصعوبات... الصورة [4 -19] توضح بركة الحاج في بصرى والتي كان الحجاج يتزودون من مائها، وتوضح الصورة [4-18] إحدى برك الحاج الشامي.

وقد نشأت حرفة **السقاؤون،** الذين كان عليهم جلب الماء بالقرب الجلدية، وتوفيرها للطالبين طيلة مدة سير القافلة ويأتون بالماء من منابعها ومناهلها أو من المصانع (الخزانات) والبرك المعدّة لذلك على الطريق. [1]



الصورة [4-18]: إحدى برك الحاج الشامي.

المصدر: المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 107.



الصورة [4-19]: بركة الحاج في بصرى.

المصدر: كيال، منير، محمل الحج الشامي.

2-2-2-بالنسبة للخبز:

إن تأمين حاجات الحجيج من الخبز في سفرهم أمراً حيوياً، وقد نشأت في دمشق طائفة من الحرفين أطلق عليها البكسمادية. وهؤلاء يتولون صناعة نوع من الخبز السفري المعروف بالبكسماد. وهو نوع من الخبز يكون على شكل قوالب من الكعك يكون ظاهرها كباطنها جافاً يابساً، وهو المعروف بالشرك أو التوست في أيامنا. وميزة هذا الخبز تحمّل السفر. وهو يبل عند تناوله.. [2]

فضلاً عن ذلك، فقد خصصت كميات كبيرة من الحنطة والشعير لتلبية حاجات القافلة. وذلك من صناجق ولاية الشام لتموين القافلة... فقد جاء في سجلات غزة الشرعية أنه نقل من شونة غزة في شوال سنة (1272)هـ إلى بندر معان، مقدار (1860) كيلة شعير بالكيل المجيدي، لتموين الحج الشامي. وتزن الواحدة منها (22و25) كيلو غراماً. ونقل في جمادى الأولى من سنة (6721)هـ مقدار (19901) كيلة من الحنطة تزن الواحدة منها (25،27) كيلو غرام. [3]

وبينما كان من الحجاج حجّاج يأتدمون في سفرهم العسل والسمن واللحوم... كان آخرون يقتاتوتن في طريقهم إلى مكة الخبز اليابس (البكسماد) يبلونه بالماء، بل كان من الحجاج من يخرج في هذا السفر الطويل قاصداً بيت الله الحرام على باب الله بلا مالٍ ولا زاد[4].

---

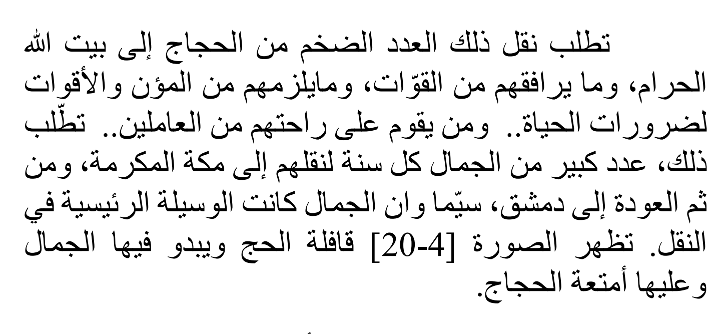
[1]-كيال،منير، محمل الحج الشامي، ص 68.

[2]-عبد الكريم، رافق، قافلة الحج الشامي، ص 12.

[3]-المرجع السابق ذكره، ص 12.

[4]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 62.

2-2-3-المركب:



تطلب نقل ذلك العدد الضخم من الحجاج إلى بيت الله الحرام، وما يرافقهم من القوّات، ومايلزمهم من المؤن والأقوات لضرورات الحياة.. ومن يقوم على راحتهم من العاملين.. تطّلب ذلك، عدد كبير من الجمال كل سنة لنقلهم إلى مكة المكرمة، ومن ثم العودة إلى دمشق، سيّما وان الجمال كانت الوسيلة الرئيسية في النقل. تظهر الصورة [4-20] قافلة الحج ويبدو فيها الجمال وعليها أمتعة الحجاج.

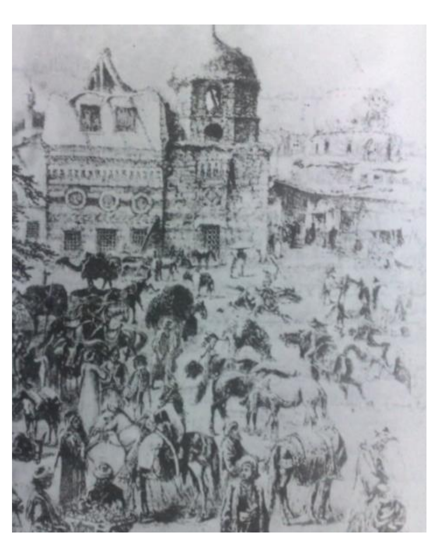


الصورة [4-20]: قافلة الحج ويبدو فيها الجمال وعليها أمتعة الحجاج.

المصدر: كيال، منير، محمل الحج الشامي.

وقد جنى مشايخ حوران الأموال الكثيرة، مقابل تقديم دوابّ النقل للحجاج. واشتهرت قرى حوران التي كان سكانها من أصول بدوية بتوريد آلاف الجمال لقافلة الحج الشامي. وقد شاركت طائفة السخانة من نواحي حماة وتجمعات قبلية أخرة مثل السردية، وبني صخر وبني صقر... كما اعتمد الحكم العثماني على أصحاب النفوذ بدمشق ممن لهم مونة على حكم حوران.. لتوفير ما أمكن من تلك الجمال.. الصورة [4-21] ساحة سوق الخيل أواسط القرن التاسع عشر.

وكان نحو مائة ألف من البدو يضربون خيامهم في حوران أثناء موسم الحج، وقد استفاد هؤلاء كثيراً في موسم الحج بتقديم النقل والأيواء والحماية للحجيج. وقد لعب بدو غزة خلال العهد العثماني، دوراً فاعلاً في نقل مؤن القافلة من قمح شعير، من أشوان (ج. شونة وهي المخزن)الميري في غزة إلى بندر معان لتمويل القافلة. [1]



الصورة [4-21]: ساحة سوق الخيل أواسط القرن التاسع عشر.

المصدر: الإيبش، أحمد، والشهابي، قتيبة، معالم دمشق التاريخية، ص 307.

[1]-كيال، منير، محمل لحج الشامي، ص 63.

يتفاوت الحجاج في نوع مركبهم فمنهم من يستأجر المحارة أو مايعرف بمحفة الشقدف، ومنهم من يستأجر جملاً واحداً ويضع عليه امتعته ويركب عليها تارة بشبرية يستظل بها والأكثرون يستظلون من الشمس بأثوابهم او شمسيات، قليل من الناس يركب فرسا او حماراً. [1]

فالمحارة: أشبه ما تكون بمحمل من الخشب يغطى بالقماش ويتسع لفراش راكب واحد مع مايلزمه من الثياب ومطرة ماء، وتوضع على ظهر الجمل اثنتان من المحاري. وتحزمان بقشاط غليظ أو حبل ويجلّلونها بقماش يعرف بالأرتي وهو مخصوص للمحاير ولم يكن ضرورياً وضع مسافرين حاجين على جمل واحد، إذ وضعت في بعض الأحيان حمولة في الطرف الآخر المقابل. ويصنع المحايري نوعاً آخر يعرف **بالشبرية**، وهي مثل الصندوق ويحمل الجمل بكل طرف شبرية، وراكبها يكون على حاله على عكس ما هو الحال في المحارة، فهو لايرى زميله في الطرف الآخر على الجمل في الشبرية المقابلة. فالمحارة في هذه الحالة أرفه لراكبها وأكثر أنساً، فالراكب يأنس بالرفقة والحديث مع الراكب المقابل، ولا يفصل بينهما قتب الجمل، فالشبرية والحال هذه يرغبها الفقراء من الناس لرخص أجرتها بالنسبة للمحارة. واتخذت تسمية أخرى للمحارة في دمشق وحلب في القرنين السابع والثامن عشر وهي الشقدوفة. كما استخدمت المحفّة، وهي تخت خشبي يوضع على ظهر الجمل وقد استخدمت لنقل الحجاج.

أما **محفة الشقدف:** فهي عبارة عن اصطبتين ذات جنبين تحملان على الجمل ويركبها رجلان يلزم تعادلهما في الجسم ولا يحملها إلا عظيم الجمال ويحملها نصف مرحلة والنصف الثاني يحملها جمل آخر مسترح، ويقول التونسي ان المحفة المتينة الصنع يكون راكبها في راحة تامة ينام ماشاء ويجلس ما شاء، كما يظهر في الصورة [4-22].

الصوة [4-22]: الشقدف.

المصدر: فارسي، محمد سعيد، التكوين المعماري والحضري لمدن الحج، ص 44.



الصوة [4-23]: رسمة التختروان.

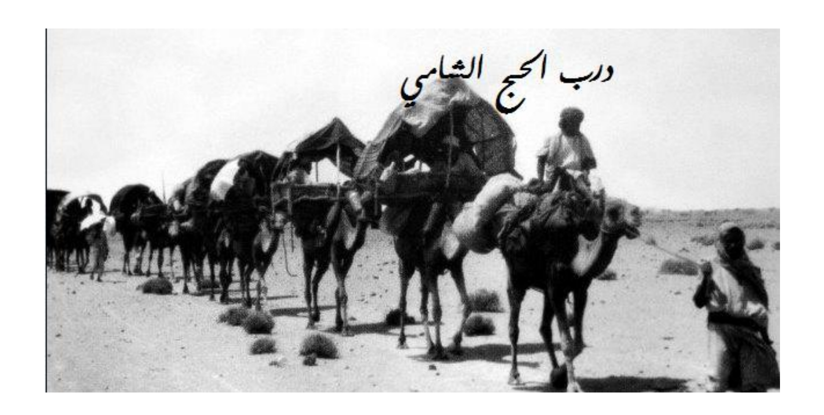
المصدر: فارسي، محمد سعيد، التكوين المعماري والحضري لمدن الحج، ص 44.

وكان نقل النساء المؤثرات، في هودج فخم مشدود على الجمل بتركيز محكم، وبه مقعدين وثيرين، وهو مغطى بأستار من الديباج، وستائر من قماش الدامسكو الفاخر المزركش بالقصب اللامع، وهي مدهونة بألوان زاهية. ويبدو الهودج في الصورة [4-26/25/24]. وكان يتوسط الركب لدى سير القافلة تختروان يتخذه أمير الحج. وهو على هيئة غرفة صغيرة مربعة ترتكز على جملين.. ويفرش داخل التختروان بحشايا من الدامسكو أو المخمل. وقد يتخذ أمثالها كبار موظفي القافلة أو المرافقين والموسرين من الحجاج. [2] وتظهر في الصورة [4-23].

---

[1]-المرجع السابق ذكره.

[2]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 55-56.



الصوة [4-24]: قافلة الحج الشامي وتظهر فيها الجمال وعليها الهوادج.

المصدر: عبد العزيز السعيد، عبد الله، درب الحج الشامي، مقدمة تاريخية.

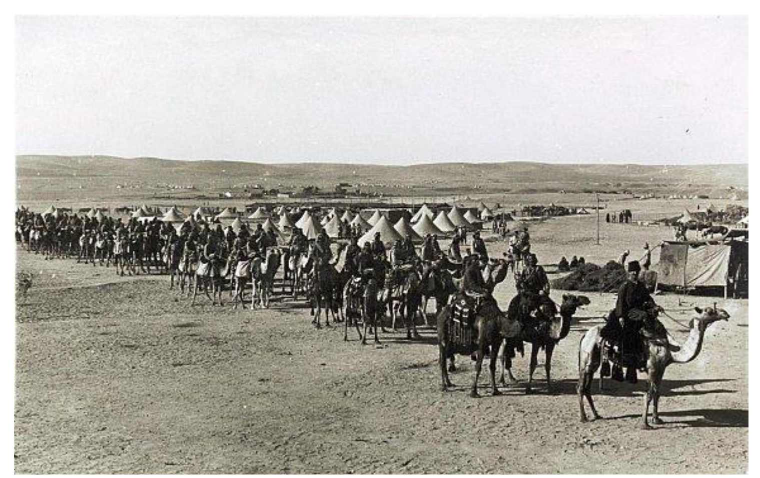
أمّا عامة الناس فكانوا متباينين في وسائط أسفارهم ومتاعهم، فمنهم من سافر في الشقادف، وهي من دون القشاوات من ناحية الراحة والفخفخة... ومنهم من سافر في المحارات التي تقلها الجمال تحت ظلائل تقي بداخلها حر الشمس... ومن الناس من قصد البيت الحرام حاجاً سيراً على الأقدام من أقاصي العمورة، كحال كثير من العجم يلقبون بالدراويش. [1]



الصورة [4-25]: قافلة حجاج خارج مكة بهوادجها لنقل الحجاج في صورة التقطها فيلبي عام1931.

المصدر: جريدة الشرق الأوسط.

[1]-المرجع السابق ذكره.



الصورة [4-26]: قافلة حجاج خارج مكة بهوادجها لنقل الحجاج في صورة التقطها فيلبي عام1931.

المصدر: المطيري، سعود، (الصرَّة) العثمانية، صحيفة الرياض.

3-2-الطوائف التي تعمل على خدمة الحجيج:

ظهرت طوائف خدمة الحجيج في سفرهم: ومن هذه الطوائف: (الجمّالة والعّامة والمهاترة، والشيالون، وطوائف الخيميّة والمقوّمون والسماسرة والمكارية، ثم طوائف المشعلجية والحلاقين... والطوافة. ولكل واحد من هذه الطوائف عمل خاص. مناط به يقوم به عن طيب خاطر ونفس هنيّة[1]).

فطائفة **المحايرية والنجارين**، وكان لهم سوق خاصة بهم، وهم يصنعون المحارات والشقاديف والمحامل والتخوت التي توضع على ظهر الجمال بحيث يحمل الجمل محارة على جنبه الأيمن ومثلها على الطرف المقابل وفي كل منها يجلس حاج أو اثنان مع جميع حاجياتهم.
أما الجمال فهي على **الجمالة** الذين يوفرون الجمال اللازمة بالتعاون مع مشايخ حوران وغزة.
وقد ظهرت جماعة عرفت **بالمقومين** كانت تأخذ على عاتقها توفير الجمال والخيام والعاملين عليها وفق أسس محكومة بأنظمة في إطار مشيخة لهم على نمط مشايخ الكارات.
وهناك **الخيميّون** الذين يهتمون بصيوان أمير الركب وتأمين الخيام التي ينزل بها الحجيج في منازل الحج الخاصة كما أن منهم من يصنع تلك الخيام ويقومون بصنع مظلات للمحارات والشقاديف والتخوت ويجعلون لها «آرتي» يتناسب مع كل منها.

وكذلك **الشيالون**، الذين يكون عندهم بعضاً من الجمال، يحمل عليها من أراد مع متاعه من الحجاج بعد أن يتفق معه على مبلغ معلوم. فيقدم له جملاً يركبه ن وخدمة هذا الجمل وعلفه أثناء الطريق تكون على صاحبها.
وظهرت **العكامة**، والعكام رجل من أهل الجلد والقوّة على المشي في القفار والأوعار، يستخدم بأجر معلومة لذى المقوّم في سفر الحاج، فيسلمّه جملاً وعليه المحارة يركبها شخصان فيسحب العكام الجمل في الطريق ويتولى خدمتهما.

أما **المهاترة:** فكان عليهم نصب خيام الحجيج وفكها وهم في ذلك يسبقون القافلة إلى المنزل أو مكان الاستراحة لنصب تلك الخيام قبل وصول القافلة ومن ثم فكها بعد رحيل القافلة.

---

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 63.

فضلاً عن ذلك فكان هناك فئة **المشاعلجية** الذين يسيرون على محور القافلة حاملين المشاعل لإنارة الطريق ولتنوير المنازل التي يستريح بها حجاج القافلة.

وظهرت المزيرباتية، وهم الباعة والمتعيشة الذين يرافقون القافلة إلى مزيريب، ومنهم من يسبق القافلة إليها، فيقيمون أسواقاً مؤقتة، خلال إقامة الحجيج في مزيريب، ريثما يتم استكمال وصول أفواج الحجيج تباعاً [1].

4-2-تأثير تأمين مستلزمات الحجيج على البنية العمرانية والمعمارية:

انعكس تأثير تأمين مستلزمات الحجيج، على المدينة بنموها وتوسعها جنوباً، فظهر حي الميدان الدمشقي إذ أنّ هذا التوسع هو الأهم على طول طريق الحج، والذي تمثل في تطور حي الميدان بقسمية الفوقاني والتحتاني، اللذين زادت مساحتهما المعمورة من 8 هكتارات، ونحو 1516، الى 64 هكتاراً، نحو 1850، بين جامع مراد باشا (1572) وجامع القدم (القرن السادس عشر أيضاً)[2]. ونشأت مستودعات تخزين القمح القادمة من حوران على طريق الميدان الصورة [4-27]، وقد ساهمت تجارة الحبوب مع حوران بنمو المدينة وتوسعها جنوباً، فمنطقة حوران كانت وما تزال تعتبر مخزنا للحبوب بالنسبة لدمشق، فضلًا عن أن الطريق المؤدي إلى القدس والى المدينة ومكة أكد على أهمية التوسع هذا نحو الجنوب.



الصورة [4-27]: مستودعات الحبوب التراثية في الميدان.

المصدر: عدرة، هشام، جريدة الشرق الأوسط

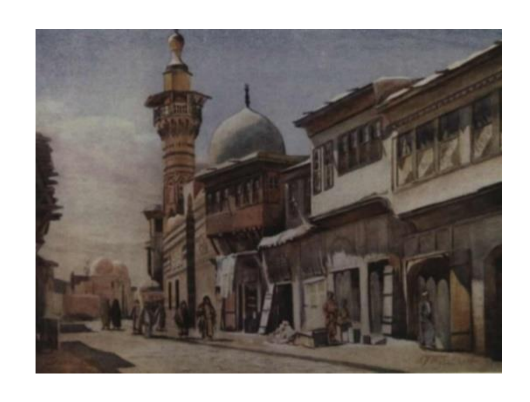
وكان ظهور الأسواق المتخصصة هو من التأثيرات المباشرة لقافلة الحج الشامي وخدمتها؛ وقد سبق ذكرها أعلاه، فكان لطوائف المحايريّة من النّجارين بدمشق الذي يعملون على خدمة الحجاج سوق خاصة بدمشق (أحدهما بالدرويشية والآخر بالسروجية)، وهم الذين يصنعون المحارات والشباري والشقاديف والمحفّات والتخوت لنقل الحجاج[3]. ومن أهم الأسواق التي ارتبطت ظهورها بشكل كبير بخدمة القافلة وتأمين احتياجها سوق الجمال والذي يقع في الميدان.

2-4-1-توسع المدينة نحو الجنوب في محلة الميدان:

يعتبر «حي الميدان»، بموقعه الاستراتيجي، بوابة دمشق الجنوبية نحو منطقة حوران وجبل العرب، ومن ثم الأردن والخليج العربي؛ لذلك يتميز بأهمية كبيرة منذ قرون كثيرة، خاصة في مناسبة الحج؛ حيث كانت تنطلق منه قافلة الحج الشامي بمحملها الشهير وتقاليدها. وكانت القافلة تطوف بعدد من أسواق وحارات دمشق ليودعها الناس مع الوالي العثماني في بوابة الميدان متجهة نحو الأراضي المقدسة. وتظهر الصور [4-28] و[4-29] حي الميدان كما شاهدها الفنان الأوربي تيروت والترز عام 1906م.

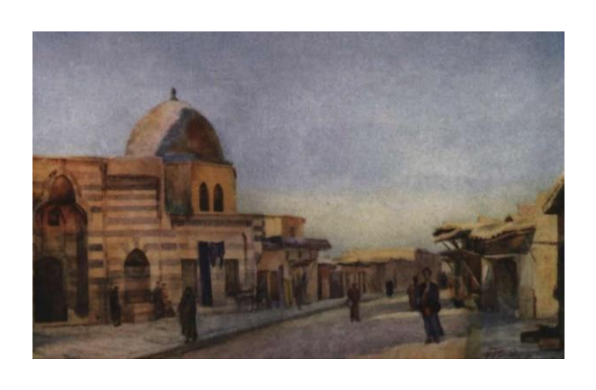
[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 64 – 69.
[2]-ريمون، أندريه، المدينة العربية حلب، ص، 199.
[3]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص 55.

وحي الميدان يوازي حي الصالحية الشهير شمال دمشق، الذي يشابهه في امتلاكه لبوابة لم تعد قائمة على أرض الواقع، بينما ظلت موجودة كتسمية مثلها مثل البوابات الأخرى التي عرفتها دمشق كباب مصلى؛ حيث يبدأ منه حي الميدان بحاراته وأسواقه وأزقته لينتهي بالبوابة التي تحمل اسمه. كذلك يبدأ الحي من جهة الجنوب من امتداد شارع باب مصلى، حيث دوار المجتهد لينتهي ببوابة الميدان.[1]



الصورة [4-28]: الميدان كما شاهدها الفنان الأوربي تيروت والترز عام 1906م.

المصدر:القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص340.



الصورة [4-29] : الميدان كما شاهدها الفنان الأوربي تيروت والترز عام 1906م.

المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 342.

حيث كان يجد المرء، خارج السور مباشرة، مجموعة أسواق، يقوم فيها المسافرون المشاركون في القوافل، والفلاحون الذين يخفرون القمح، والبدو الذين يؤجرون الجمال؛ يقوم كل هؤلاء بشراء كل ما يحتاجون إليه، من ملابس وتجهيزات للسفر والتخييم. وبعد ذلك، وعلى الطريق الذي يقود في نفس الوقت إلى الحجاز، ونحو الأراضي الغنية بالحبوب في حوران، تقوم مستودعات القمح التي كانت تشكل ضاحية امتدت على مسافة 3 كم، وغطت على قرية القبيبات، وعلى الميدان القديم الذي أعطى اسمه للحي[2]، التي ما زالت قائمة من خلال مستودعات واسعة وقد تحولت في العصر الحالي إلى أماكن تراثية أثرية عملت مديرية الآثار السورية على تسجيلها ضمن المباني الأثرية الممنوع هدمها.

- **2-4-2-الأسواق (سوق الجمال)**

نشأ سوق الجمال في دمشق على مقربة من حي الميدان، وشكل سوق الجمال، أوضح تعبير عن مزاولة سكان حي الميدان لهذه التجارة المرتبطة بالحج خلال العصر العثماني. فقد كانت قرى حوران بالإضافة إلى بدو السخنة، المقيمين على تخوم تدمر يزودون دمشق ببضعة آلاف من الجمال اللازمة لنقل الحجاج. المخطط [4-9].

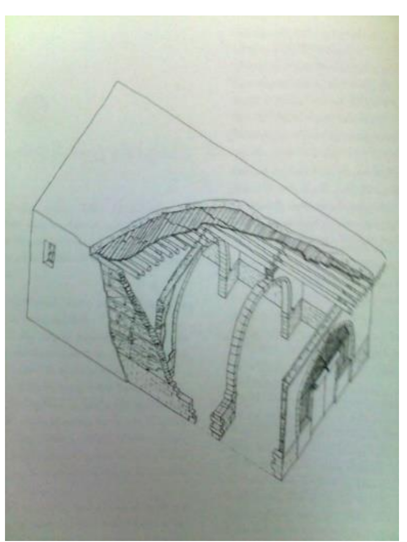
[1]-عدرة، هشام، جريدة الشرق الأوسط

[2] - ريمون، أندريه، المدينة العربية حلب، ص 199.

- **2-4-3-البوائك في الميدان:**

أياً كانت العلاقة في تموين قافلة الحج وتجارة الحبوب، فإن دور هذه التجارة قد تبدى في حي الميدان بشكل جلي، من خلال الآثار المعمارية التي خلفها هذا النشاط التجاري على امتداد الشريان الرئيسي للحي، وتمثلت بالبوائك.

وطوال العهد العثماني كان لهذه البوائك استخدامات، إذ كان بعضها مخصصاً لإيواء الجمال (بائكة الجمل)، وبعضها الآخر استخدم كمخازن لبيع الحطب (بائكة معدة لبيع الحطب)، أو لتخزين القش (بائكة معدة لوضع القش)، ومع ذلك فإن غالبيتها قد استخدمت لتخزين القمح (بائكة معدة لوضع القمح)، وبيع الحنطة (بائكة معدة لبيع الحنطة)، كما استخدمت أحياناً لبيع المنتجات الزراعية (بائكة معدة لبيع الغلال).

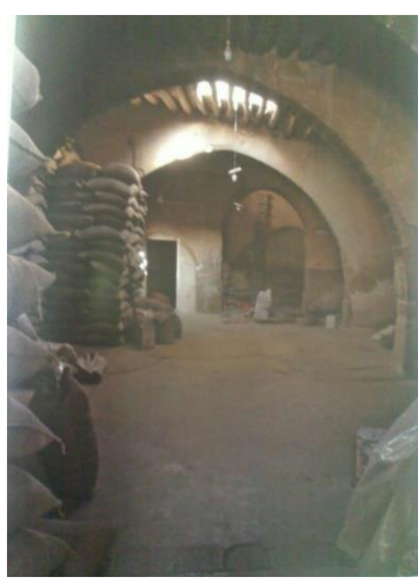


الشكل [4-2]: منظور لإحدى بوائك الميدان.

المصدر: روجون،إيف، وفيلان، لوك، أحياء دمشق خارج السور.

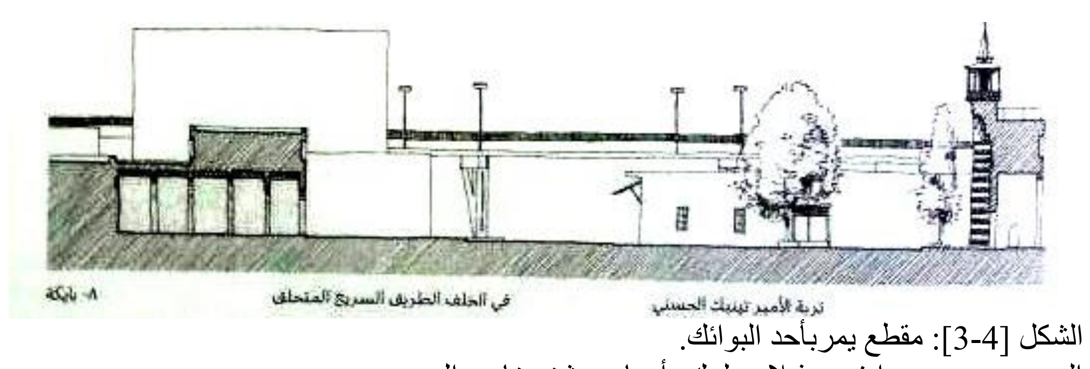
وصف مخطط البائكة:

بناء مستطيل الشكل، يستند سقفه إلى عوارض من خشب الصفصاف، محموله على أقواس فاصلة، ذات فتحات كبيرة، وترتفع نقطة ارتكازها على الأرض قرابة متر ونصف، وتتراوح مساحتها، بوجه عام، مابين 100 و 300 متر مربع. وتظهر إحدى البوائك في الشكل [4-2] و [4-3] والصورة [4-30].

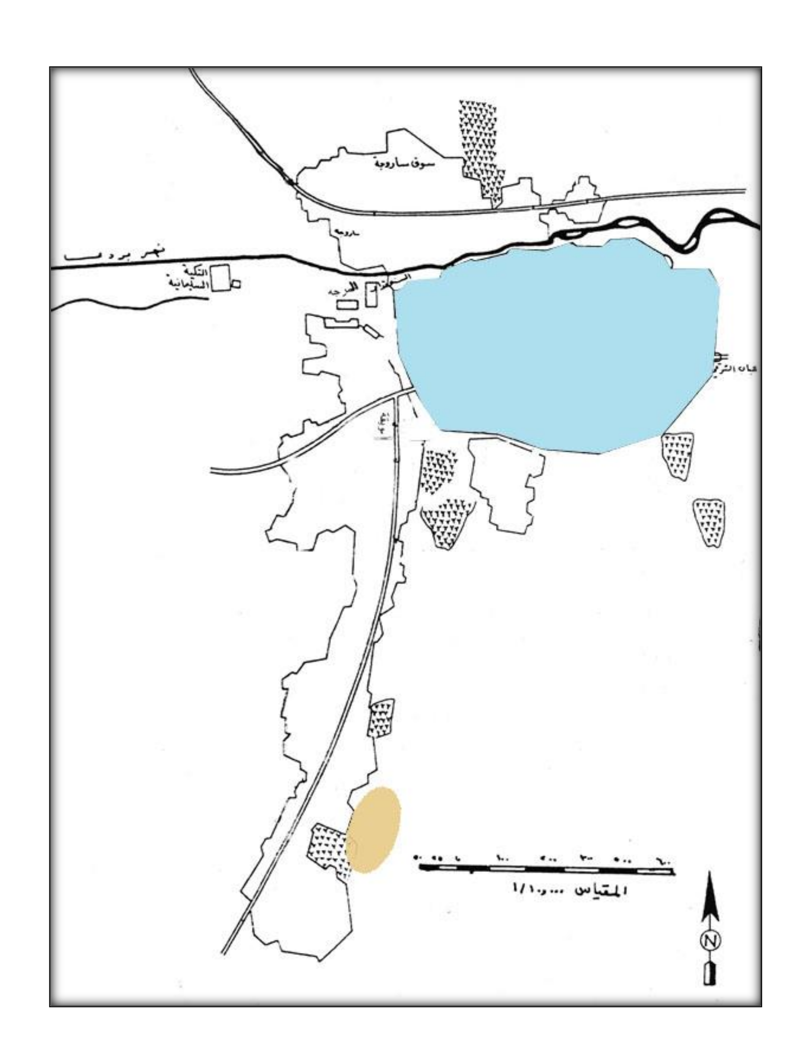


الصورة [4-30]: إحدى بوائك الميدان.

المصدر: روجون،إيف، وفيلان، لوك، أحياء دمشق خارج السور.



الشكل [4-3]: مقطع يمربأحد البوائك.
المصدر: روجون،إيف، وفيلان، لوك، أحياء دمشق خارج السور.



المخطط [4-9]: موقع سوق الجمال بالنسبة لدمشق القديمة.

المصدر: الباحثة.

الجزء الثاني:

تأثر طريق الحج بتطور وسائل النقل (طريق سكة حديد الحجاز).

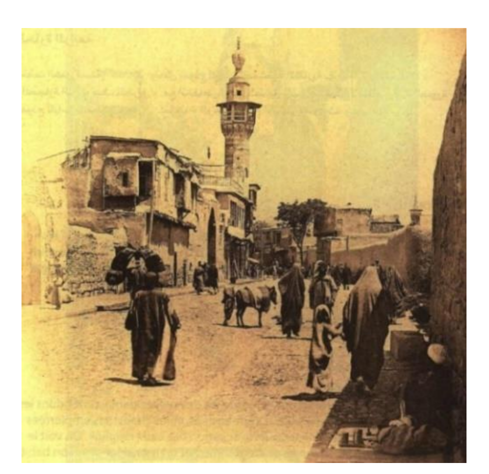
3-تطور وسائل النقل وانعكاساتها على محور الحج:

3-1-تاريخ النقل في سورية:

إنّ وسائل النقل الشائعة في العهد العثماني الأول، هي الدواب من جمال وخيل وحمير، وقد بقيت حرفة الحمار أو الركاب رائجة في دمشق حتى ظهور العربات، كما بقيت القوافل – وقوامها الجمل – الوسيلة الوحيدة للنقل والانتقال في بر الشام حتى منتصف القرن التاسع عشر(الصورة [4-31/ 32])، وبواسطة الجمل لعب البدو دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية، ليس في سورية فقط، بل في جميع الولايات العربية، فقد كانوا المنتجين للإبل والمزودين لتجارة القوافل بجمالهم[1].

3-2-النقل خارج المدن واثره على محور الحج في العهد العثماني الأول:

كان الناس يعتمدون في أسفارهم خارج المدينة إلى المدن البعيدة وبنقل تجاراتهم على البغال والحمير، يحتزمون بضائعهم ويركبون ويقطعون الطرق على مسافات معينة، بقوافل لها في رقاب دوابها جلاجل صغيرة وكبيرة، تساعد الدواب على النشاط والجد في السير كما تكون وسيلة استئناس المسافرين. وإذا كانت الطريق وعرة والمسافة بعيدة نزلوا في الطرق للراحة في /خانات/ مقامة لهذا الغرض في العراء، يأوون إليها في شدة الحر كما يحفظون أجسامهم وبضائعهم من الأمطار والثلوج واللصوص والوحوش ليلاً وشتاءً[2]. لذلك كثرت الخانات والقلاع لاستراحة الحجاج على الطريق.



الصورة [4-31]: سوق الغنم قبل عام 1900، وتبدو حركة الناس والبائعبن، ويظهر واضحت عدم وجود خط الترام.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 89.



الصورة [4-32]: سوق الغنم قبل عام 1900، ،تبدو فيها حركة الناس والبائعين، ويظهر استخدام الدواب في النقل وبيع البضائع.

المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 93.

[1]-موقع وزارة النقل (نبذة تاريخية عن النقل في سورية).
[2]-المرجع السابق ذكره.

3-3-ظهور السكك الحديدية:

كان القطار من أول وسائط النقل الآلية التي دخلت سورية في أواخر القرن التاسع عشر، مفتتحاً عصراً جديداً لقطاع النقل، فكان إنشاء السكك الحديدية في سورية عاملاً هاماً في تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيه.

وفيما يلي سنستعرض الخطوط الحديدية الأولى التي تم إنشاؤها في سورية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وتظهر في (المخطط [4-10]) وهي:

-**خط دمشق مزيريب**: تم إنجازه في عام 1893 وبوشر باستثماره في أواسط عام 1894 وقد بلغ طوله /103/ كم والميل الأعظم فيه لا يتجاوز الاثنين في المائة وهو من الخطوط الضيقة بعرض متر وخمسة سنتيمترات.
-**خط دمشق – بيروت:** يبلغ طول خط دمشق – بيروت 147 كم ويحتوي على أربعة أنفاق وهو يقطع جبال لبنان بواسطة الخطوط المسننة على مسافة 34 كم وكان قطار الركاب يقطع المسافة بين بيروت ودمشق في تسع ساعات، أما قطار الشحن فيقطعها في إحدى عشرة ساعة، في حين أن القوافل كانت تجتاز هذه المسافة في ثلاثة عشرة ساعة، وقد جرى افتتاح هذا الخط في 3 آب 1895.
-**خط دمشق – حلب:** عن طريق رياق: تم إنشاء هذا الخط على مرحلتين. الأولى: بين رياق – حماة وبلغ طولها /189/ كم وجرى افتتاح هذه المرحلة بتاريخ 7 /حزيران/1903. أما الثانية: فهي بين حماة – حلب وبلغ طولها /143/كم، وجرى استثمار هذا الخط بين حماة وحلب عام 1906. وقد بلغ عرض هذا الخط (1.44) متراً وميله الأعظمي اثنان في المائة. وقد كانت معظم المواقف من رياق إلى حلب عسكرية.

-**خط حمص – طرابلس:** جرى افتتاح هذا الخط في 19 أيار 1911 م، وكانت مواقفه الهامة هي /حمص – تلكلخ – طرابلس/ وبلغ طوله 102 كم وعرضه (1.44) متراً وميله الأعظمي اثنان بالمائة، وكان رأسماله فرنسياً، وكان المواطنون هم الذين يتحملون أعباء نفقات مد الخطوط الحديدية، وأعباء الأرباح الطائلة التي فرض الرأسمال الأجنبي على الدولة العثمانية جبايتها له، عن طريق الضمانات الكيلومترية المرتفعة كثيراً، وقد اقتلعت قضبان هذا الخط أثناء الحرب العالمية الأولى واستعملت في تمديد خط بغداد – نصيبين، وخربت كثير من المحطات وبعض الجسور خلال هذه الحرب وقد أعيد الخط إلى ما كان عليه سنه 1921، وبلغت تكاليف إعادته (21) مليون فرنك.
-**الخط الحجازي(دمشق):** المدينة المنورة: كان المسلمون يلاقون صعوبات ومشقات وأخطار في ذهابهم وإيابهم إلى الأرض المقدسة لأداء فريضة الحج، فكان يستغرق سفر الحاج الشامي لأداء الفريضة أربعة أشهر كاملة، فمد خط حديدي إلى الديار المقدسة.

-**إنشاء الخط الحديدي الحجازي:** شرع بإنشاء الخط الحديدي الحجازي في شهر أيلول 1900 وابتدأ العمل من مزيريب، وبعد أن قررت الحكومة العثمانية مد الخط من دمشق إلى المدينة باشرت بالعمل من دمشق ومزيريب دفعة واحدة، وقد جرى افتتاح القسم الأول (دمشق– درعا) في أيلول 1903، وبعد ذلك بشهر افتتح قسم درعا – عمان وبلغت المسافة بين دمشق وعمان /223/ كم، وتتابعت الافتتاحات حتى وصل أول قطار إلى المدينة المنورة في 22 آب 1908 وجرى الافتتاح رسمياً في أول شهر أيلول 1908 المصادف لعيد الجلوس السلطاني.
-**خط حيفا – درعا:** قرر السلطان عبد الحميد وصل الخط الحجازي بمرفأ حيفا رأى من الضروري استرجاع هذا الامتياز وذلك في تشرين الثاني سنة 1902، وقد كلف هذا الخط من سبعة إلى ثمانية أضعاف المعدل الوسطي لنفقات الخط الحجازي ويبلغ طوله /168/كم[1].

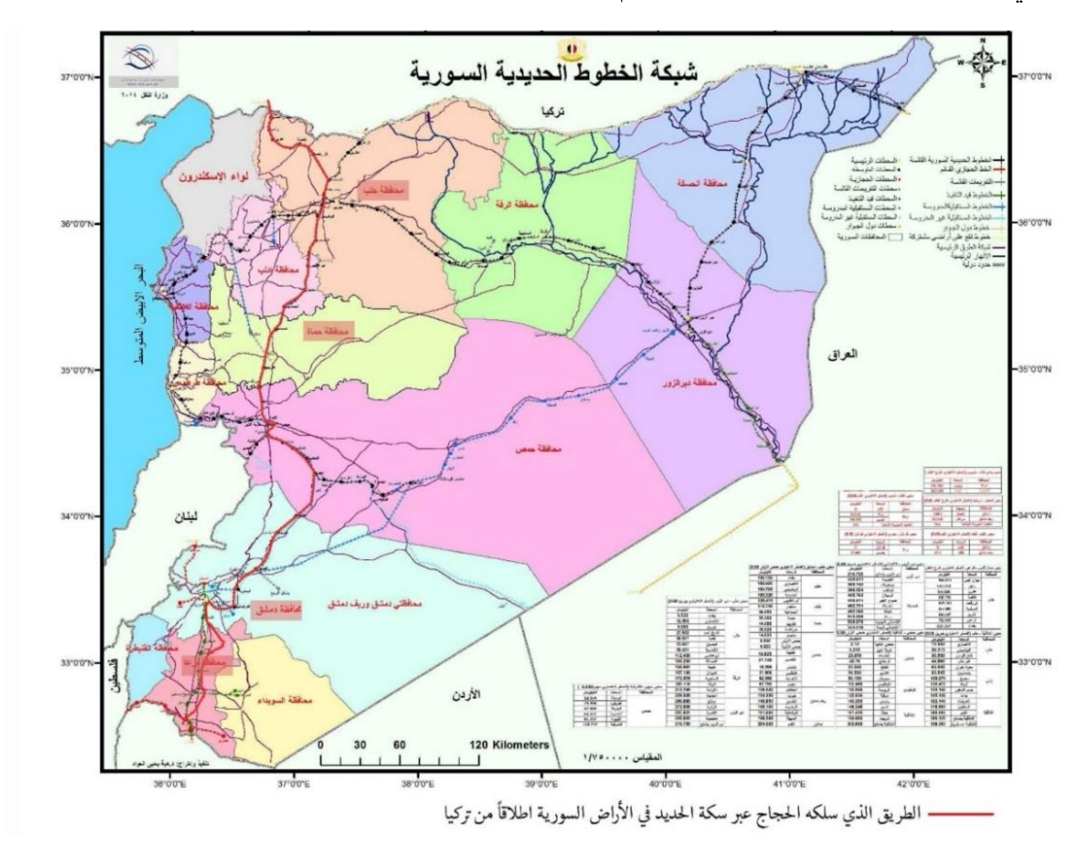
---

[1]-موقع وزارة النقل (نبذة تاريخية عن النقل في سورية).

- **وكان الحجاج يسلكون الطريق الحديدي بدءاً من حلب باتجاه الشام، ويتابعون به للوصول إلى أراضي الحجاز.**
  - الخط الذي يسلكه الحجاج في الأراضي السورية وباتجاه الحجاز:
  - هو خط دمشق-حلب، ومن ثم يسلكون الخط الحديدي الحجازي:

حماة: محطة قطار حماة؛ أنشئت بالتتالي في فترة تشييد سكة الحديد الحجازي والذي بُدئ فيه من استنبول وانتهى بالمدينة المنورة وفي عبوره الأراضي السورية فقد مر بحماة، يُقرأ بأرقام نافرة على السكة 1901 وربما كان تاريخ مدها على الأرض وكان موقع محطة القطار في منطقة سميت فيما بعد المحطة حيث تقع على مشارف حماة قديماً في مرتفع عن ساحة العاصي مركز المدينة بحوالى 34م.

كانت الناس تقصد محطة القطار للسفر إلى كل المدن والأرياف التي تقع على سكة الحديد إلى لبنان والأردن وفلسطين حتى ديار الحج ..وكنت ترى في المحطة جموع الناس وفرحهم حين يستقبلون القادمين من سفرهم على القطار من الحج أو مدن أخرى[1]. ويبين المخطط [4-12] الطريق الذي سلكه الحجاج في الأراضي السورية بداء من مغادرته الأراضي التركية للوصول إلى بيت الله الحرام عن طريق القطار والسكة الحديدية.



المخطط [4-10]: الطريق الذي سلكه الحجاج في الأراضي السورية بداء من مغادرته الأراضي التركية للوصول إلى بيت الله الحرام عن السكة الحديدية.

المصدر: الباحثة.

[1] -حمشو، مخلص، (3،2014 أكتوبر). قطار حماة أيام زمان.

4-خط سكة حديد الحجاز:

وكان لإنشاء خط سكة الحجاز أثر كبير على محور الحج وعلى البنية العمرانيةوالمعمارية أيضا فعلى صعيد محور الحج البري لم يعد مهماً بذات الدرجة قبل إنشاء الخط، أما على صعيد البنية العمرانية والعمارنية فكان لها تأثير واضح لاحقاً، فنرى نشوء محطات القطارت، هذه المباني العثمانية الجميلة، والساحات المناسبة لتجمع المسافرين بهذه القطارات.

1-4-التعريف بالخط الحديدي الحجازي:

هي سكة حديد ضيقة (بعرض 1050 ملم)، تصل بين مدينة دمشق والمدينة المنورة في منطقة الحجاز، بوشر العمل في سكة الحديد عام 1900 وافتتحت عام 1908 واستمر تشغيلها حتى 1916 في الحرب العالمية الأولى إذ تعرضت للتخريب بسبب الثورة العربية الكبرى وسقوط الدولة العثمانية بعد الحرب.أسست سكة حديد الحجاز زمن ولاية السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لغرض خدمة حجاج بيت الله الحرام انطلاقاً من مركزها في دمشق.

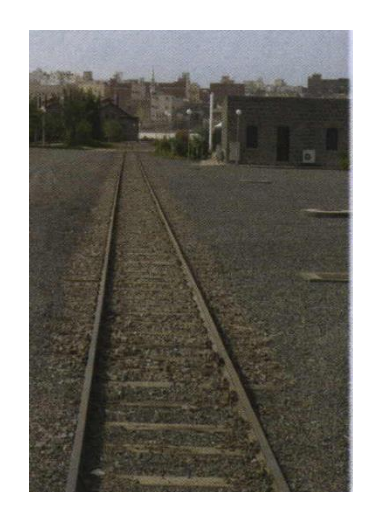
يعتبر خط سكة حديد الحجاز من أروع إنجازات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من الناحية السياسية والدينية والحضارية، إذ استطاع هذا المشرف العملاق الذي امتد العمل فيه ثمان سنوات متتالية أن يقدم خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام وزوار بيت الله الحرام، تمثلت في اختصار وقت هذه الرحلة الشاقة التي كانت تستغرق شهورا، يتعرضون فيها لغارات المتربصين ومخاطر ومشاق الصحراء، فأصبحت الرحلة بعد إنشاء هذا الخط الحديدي الذي بلغ طوله (1320كم) تستغرق أياماً معدودة، ينعمون فيها بالراحة والأمان. [1]

حيث قام السلطان العثماني عبدالحميد الثاني بإنشائه وامتد العمل به لثماني سنوات متتالية اختصر الرحلة الشاقة للحجاج والمسافرين للاماكن المقدسة التي كانت تستغرق عدة أشهر، حيث كان طريق الحج العراقي يقترب من (1300 كم) وتستغرق الرحلة فيه شهراً كاملاً، أما طريق الحج المصري فيبلغ من سيناء (1540 كم) ويستغرق أربعين يوماً ويزيد خمسة أيام من طريق عيذاب، وطريق الحج الشامي يمتد (1302 كم) وتستغرق الرحلة فيه أربعين يوماً، أما حجاج المناطق النائية من العالم الإسلامي فكانت رحلتهم تستغرق ستة أشهر وأكثر يتعرضون فيها للمخاطر المتعددة من النهب والسلب والعواصف وغيرها، ولكن بعد إنشاء الخط الحديدي الذي بلغ طوله (1320 كم) أصبحت الرحلة مختصرة والكل ينعم بالراحة والأمان داخل القطار.

كان إنشاء خطوط السكك الحديدية لربط أجزاء الدولة العثمانية المترامية الأطراف سياسة عليا للسلطان عبدالحميد الثاني، فالشام والحجاز لم يشهدا خطوطا حديدية، إلا في عهده فكان الخط الحديدي من يافا إلى القدس (1306ه-1888م) أول الخطوط الحديدية في الشام واستهدف السلطان من إنشائه خدمة المسافرين المسيحيين القادمين من أوروبا بحرا إلى يافا وبلغ طول هذا الخط (87 كم)، كذلك تم إنشاء خط حديدي بين دمشق وبيروت بطول (147 كم) كان يقطعها القطار في ست ساعات2. تظهر الصورة [4-33/ 34] خط سكة حديد الحجاز في الفترة العثمانية. والصورة [4-35/ 36] القطار البخاري أيام الحج العثماني.

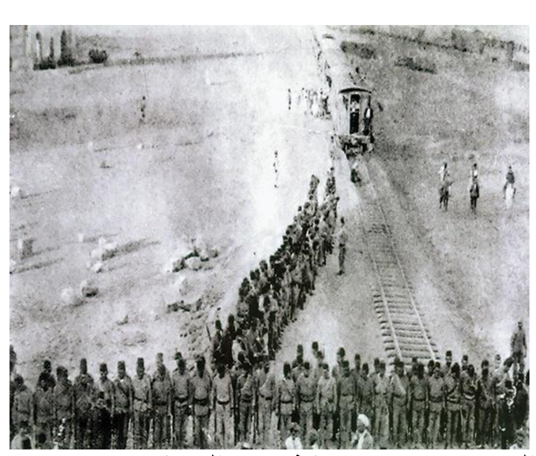
[1]-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص 140.

[2]-العتيبي، نواف، خط حديد الحجاز شاهد تاريخي على الحضارة الإسلامية، صحيفة الرياض / العدد 14907،



الصورة [4-33]: سكة حديد الحجاز العثماني في المدينة المنورة.

المصدر: المغلوث، سامي بن عبد الله، أطلس الحج والعمرة، ص 145.

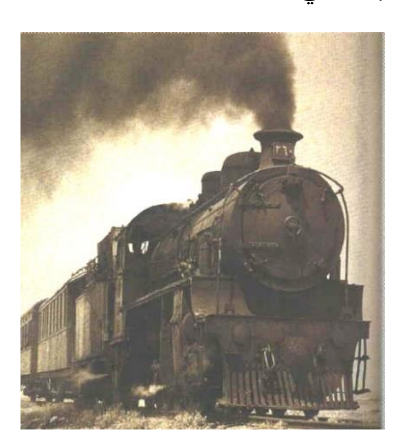


الصورة [4-34]: سكة حديد الحجاز.

المصدر: سكة حديد الحجاز، صحيفة الاقتصادية.

4-2-الغاية من إنشاء الخط الحديدي الحجازي:

تكاد تنحصر أهداف السلطان عبدالحميد في إنشاء الخط الحجازي في هدفين أساسيين مترابطين، أولهما: خدمة الحجاج بإيجاد وسيلة سفر عصرية يتوافر فيها الأمن والسرعة والراحة، أما الهدف الثاني: فهو دعم الجامعة الإسلامية التي كانتتهدف إلى جمع المسلمين وتوحيد صفوفهم خلف الخلافة العثمانية لمواجهة الأطماع الأوروبية في العالم الإسلامي. [1]



الصورة [4-35]: القطار البخاري أيام الحج العثماني.

المصدر: المغلوث، سامي بن عبد الله، أطلس الحج والعمرة، ص 141.



الصورة [4-36]: إحدى عربات القطار في مدائن صالح.

المصدر: المغلوث، سامي بن عبد الله، أطلس الحج والعمرة، ص 144.

[1]-صحيفة الاقتصادية، سكة حدي الحجاز... تجسيد تاريخ المدينة المنورة في متحف.

3-4-تنفيذ المشروع:

بدأ العمل في بناء خط سكة حديد الحجاز من منطقة المزيريب في حوران في سورية (الصورة [4-37]، وسار محاذياً لطريق الحج البري من دمشق عبر مدينة درعا وصولاً إلى المدينة المنورة، حيث استطاع الحجاج من الشام وآسيا والأناضول قطع المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة في خمسة أيام فقط بدلاً من 40 يوماً. وينطلق هذا الخط الذي يبلغ طوله 1320 كيلومتراً، من دمشق ثم يتفرع من بصرى جنوب سورية إلى خطين أحدهما يكمل المسير إلى الجنوب نحو الأردن، أما الآخر فكان يتجه غرباً باتجاه فلسطين، في حين كان مسار خط الحج ينطلق من مدينة دمشق ويعبر سهل حوران ويمر بالمزيريب وعدد من المناطق جنوب سورية وصولاً إلى مدينة درعا ثم إلى الأردن حيث يمر بمدن المفرق والزرقاء وعمّان ومعان على التوالي، ويكمل سيره جنوباً إلى أن يدخل أراضي الحجاز حيث ينتهي بالمدينة المنورة. ويتبع للخط 132 قاطرة و1700 شاحنة، وتوجد على طريقه حتى اليوم آثار قديمة من كتابات ونقوش ورسوم صخرية، إضافة إلى المنشآت القديمة من مبان ومدن أطلالها لا تزال مشاهدة [1].

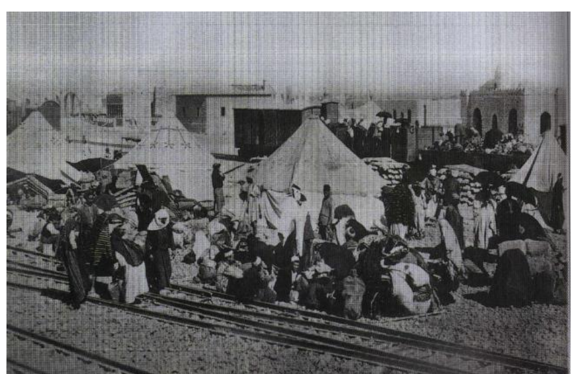
تعرض تنفيذ المشروع لعدد من العقبات، كان على رأس تلك العقبات نقص المياه بموقع المشروع، ولكن أمكن التغلب على ذلك بحفر آبار وإداراتها بمضخات بخارية أو طواحين هواء وجلبت المياه في صهاريج تسير على أجزاء الخط التي فرغ من مدها، ولمواجهة نقص العمال وتوفير النفقات استخدمت قوات من الجيش العثماني بلغ ستة آلاف جندي ومائتي مهندس كانوا يعملون في الخط بصفة دائمة، وكذلك كانت السيول الجارفة احدي العقبات التي شكلت خطورة كبيرة وحقيقية على الخط الحجازي في مرحلتي البناء والتشغيل لذلك قام المهندسون بإنشاء مصارف للسيول على طول الخط الرئيسي، أما الرمال المتحركة التي تعرض صلابة الخط للخطر وتؤدي إلى انقطاع الحركة بتحرك الخط عن مكانه فأمكن التغلب عليها بتغطية منطقة الرمال المتحركة بطبقة من الصلصال وبني سد حجري ضيق يمتد

موازياً للخط الحجازي ليحول دون خطر تغطيته بالرمال المتحركة، أما مشكلة الوقود فتم استيراد الفحم من الخارج وأقيمت مستودعات ضخمة لتخزينه[2]. وتظهر الصورة [4-38] مجموعة من قاصدين الحج في انتظار القطار.



الصورة [4-37]: بدايات العمل في مد سكة القطار.

المصدر: المغلوث،سامي بن عبد الله، أطلس الحج والعمرة، ص 143.



الصورة [4-38]: مجموعة من قاصدين الحج في انتظار القطار.

المصدر: المغلوث، سامي بن عبد الله، أطلس الحج والعمرة، ص 143.

[1]-صحيفة الاقتصادية، سكة حدي الحجاز... تجسيد تاريخ المدينة المنورة في متحف.

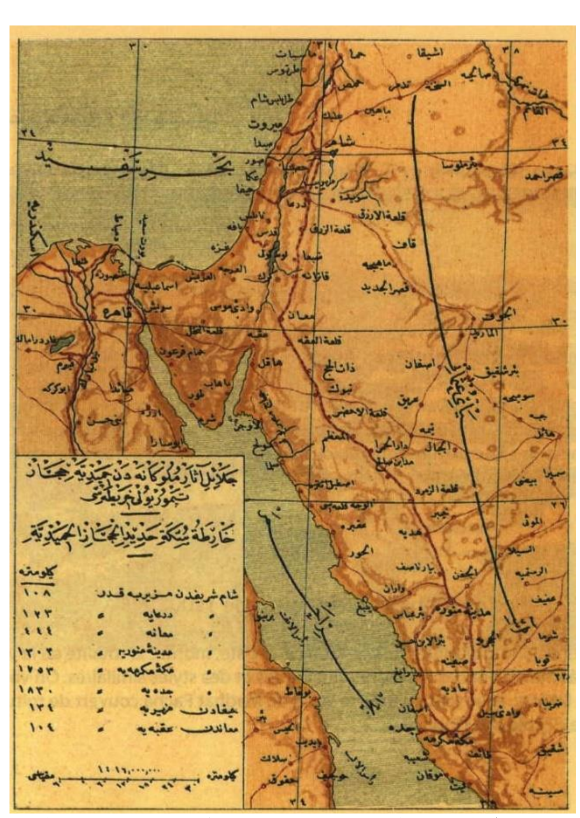
[2]-العتيبي، نواف، خط حديد الحجاز شاهد تاريخي على الحضارة الإسلامية، صحيفة الرياض.

كان هذا الخط ينطلق من دمشق حيث كان يتفرع من بصرى جنوب سورية إلى خطين أحدهما يكمل المسير إلى الجنوب نحو الأردن، أما الآخر فكان يتجه غرباً باتجاه فلسطين .وتعدنابلس وحيفا وعكا أهم محطات الوقوف في فلسطين، ويتفرع من حيفا خط يربط الأخيرة بمصر، وهذا فرع فلسطين.

كان مسار خط الحج ينطلق من مدينة دمشق ويعبر سهل حوران ويمر بالمزيريب وعدد من المناطق جنوب سورية وصولاً إلى مدينة درعا ثم إلى الأردن حيث يمر بمدن المفرقوالزرقاء وعمّان ومعان على التوالي، ويكمل سيره جنوباً إلى ان يدخل أراضي الحجاز حيث ينتهي بالمدينة المنورة، ويذكر لنا التاريخ أسماء بعض الذين تولوا قيادة القطار الحجازي فمنهم الكابتن محبوب علي الحسيني المدني الذي يذكر أن قاطرته التي تحمل الرقم 105 س ح كانت آخر القاطرات توقفاً في إقليم الحجاز في 13 جمادى الأولى عام 1336هجرية، والكابتن يعقوب أفندي الذي كانت قاطرته آخر قاطرة وصلت المدينة المنورة وهي تحمل المؤن من شرق الأردن وذلك في شهر ربيع الثاني من نفس العام.

4-4-التطور العمراني المرافق لإنشاء خط حديد الحجاز:

يظهر المخطط [4-11] الحديد الحجازي الذي يصل بين دمشق والمدينة المنورة.



المخطط [4-11]: خط الحديد الحجازي الذي يصل بين دمشق والمدينة المنورة.

المصدر: القوتلي، محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 309.

أولاً: محطات القطارات:

4-2-1-محطة بغداد في حلب:

تعتبر "محطة بغداد" في "حلب" ثاني محطة قطار بعد محطة الشام، وتظهر في الصورة [4-39]، حيث تأسست في مطلع القرن العشرين، حيث تم بناء جسر معدني أطلق عليه نفس اسم الجسر الحجري القديم المبني على نهر "قويق" "جسر الصيرفي" الذي يقع بجانبه، حيث بني الجسر المعدني الحامل لسكة القطار قرب معمل العوارض في مدخل محلة الميدان وقد استبدلت دعائمه المعدنية بدعائم إسمنتية لاحقاً.

كما بني جسر "الشيخ طه"-الذي يظهر في الصورة [4-40]- وفي حلب تم وصل السكة الحديدية ما بين محطة بغداد ومحطة الشام التي تقع في الجميلية[1].

---

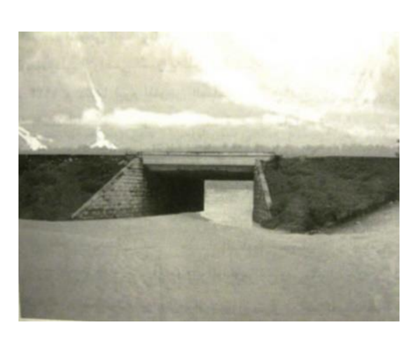
[1] - قدسي، محمد، محطة "بغداد" قصة ترويها ذاكرة الخطوط الحديدية.





الصورة[4-39]: محطة بغداد في حلب.

المصدر: قدسي، محمد، محطة "بغداد" قصة ترويها ذاكرة الخطوط الحديدية.



الصورة[4-40]: جسر الشيخ طه، عام 1912م.

المصدر: قدسي، محمد، محطة "بغداد" قصة ترويها ذاكرة الخطوط الحديدية.

4-2-2-محطة القطار في حماة:

وأما عن محطة قطار حماة فقد أنشئت بالتتالي في فترة تشييد سكة الحديد الحجازي والذي بُدء فيه من استنبول وانتهي بالمدينة المنورة، وفي عبورها الأراضي لسوري ، حيث يتوجد بأرقام نافرة على السكة 1901 وربما كان هذا تاريخ مدها على الأرض، وكان وموقع محطة القطار في منطقة سميت فيما بعد (المحطة) حيث تقع على مشارف حماه قديماً، في مرتفع عن ساحة العاصي مركز المدينه بحوالي 34م. كانت تحيط بالمحطة مروج خضراء وحديقة غناء تخرج الناس إليها للتنزه وخاصة في فصل الربيع، وكانت هذه تمتد حتى بناء دار العجزة الحالي، حيث كانت سابقا مقبرة الفرنسيين وكانت مقبرة الانكليز في منطقة البياض حالياً، ومنطقة المكالس في مكان حديقة الأندلس حالياً[1].

4-2-3-محطة القطارات في حمص :

حمص تحوي محطتان كبيرتان للقطارات والسكك الحديدية، تصل هذه المحطات بين درعا ودمشق فحمص، وتتفرع منها نحو طرطوس واللاذقية غربًا، ونحو حماه وحلب [2]. وتظهر الصورة [4-41] محطة بغداد في حمص عام 1930م.



الصورة[4-41]: محطة بغداد في حمص عام 1930.

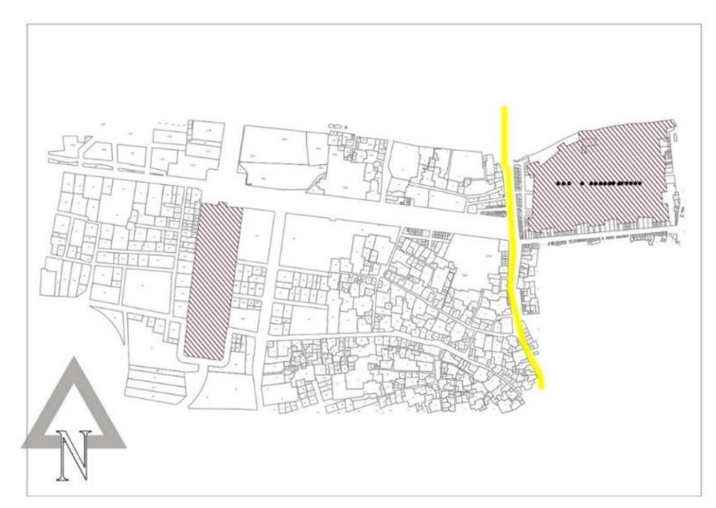
المصدر: ويكبيديا، الموسوعة الحرة.

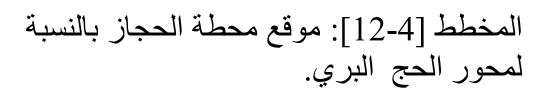
[1] - حمشو، مخلص، قطار حماة أيام زمان.

[2] -ويكبيديا الموسوعة الحرة.

4-2-4-محطة الحجاز في دمشق :

هي محطة انطلاق الخط الحديدي الحجازي التاريخي الذي كان يصل بين بلاد الشام والمدينة المنورة انطلاقاً من دمشق والذي توقف العمل به منذ عام 1917 م، ويعتبر أحد معالم مدينة دمشق التاريخية المخطط [4-12] يبين موقع محطة الحجاز بالنسبة لمحور الحج البري.




المخطط [4-12]: موقع محطة الحجاز بالنسبة لمحور الحج البري.

المصدر: الباحثة.

ولدت الفكرة لأول مرة عام 1864م، وللأهمية الكبيرة لمدينة دمشق وكمنطلق لحملات الحج، فكانت تتوافد إلى دمشق من دول آسيا الوسطى عشرات الوفود استعداداً لمحمل الحج الدمشقي؛ الذي ينطلق من دمشق إلى المدينة ومكة في الجزيرة العربية، وكانت فكرة إنشاء الخط الحديدي بدلاً من طريق القوافل القديم التي كانت رحلة الحج تستغرق 40 يوماً للوصول للأراضي المقدسة، وقد تم بناء محطة الحجاز عام 1917 م، من تصميم المهندس الإسباني داراندا، وتعد المحطة الرئيسية للخط الحديدي الحجازي الذي يمتد بين دمشق والمدينة المنورة وبنيت في مكان كان معروفاً ببستان الأعاجم[1].وتم العناية بشكل واضح بمبنى المحطة وهو من المباني الآثرية المميزة في وسط مدينة دمشق[2]. (الصورة [4-42] وتظهر فيها محطة الحجاز قبل أن يمتد العمران للمناطق حولها.

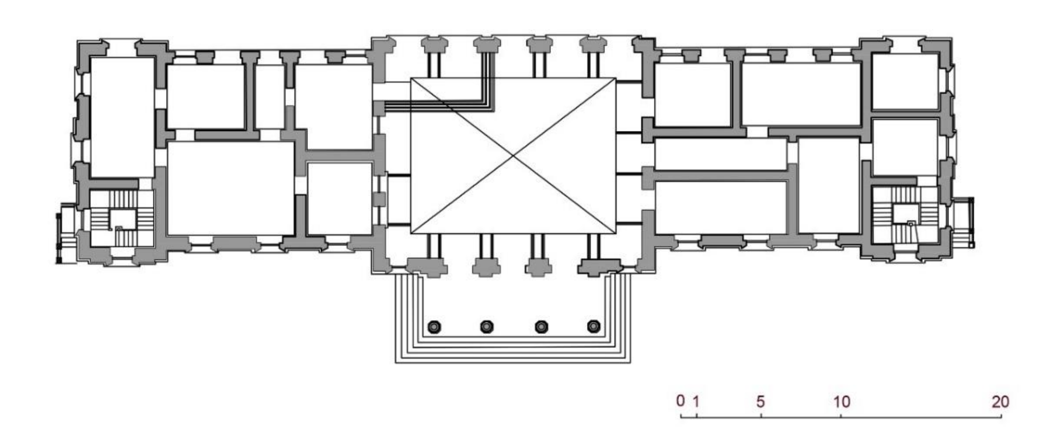

الصورة [4-42]: محطة الحجاز وشارع النصر.

المصدر: أرشيف آثار مدينة دنمشق.

1-القوتلي، محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 222.
2-الموسوعة الحرة، ويكبيديا.

- **الوصف المعماري:**

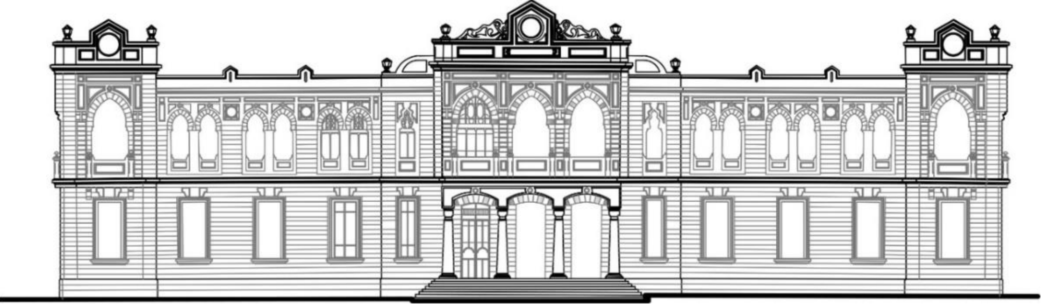
ويعتبر هذا البناء من أجمل التحف المعمارية الماثلة أمام أعيننا إلى اليوم في دمشق، والفريد من نوعه بتمازج شكل طرازه الفني المعماري الإسلامي المتداخل مع الطراز الأوروبي الذي انتشر في أرجاء السلطنة العثمانية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. المخطط [4 -13] يبين مسقط الطابق الأرضي للمحطة.



المخطط [4 -13]: مسقط الطابق الأرضي لمحطة الحجاز.
المصدر: الباحثة.

- **الواجهة الشمالية :**

تتألف الواجهة الشمالية (الشكل [4 -4]) لبناء المحطة من جبهة حجرية عريضة، ارتفعت القاعدة المبنية من الحجارة البازلتية الصماء عن مستوى ساحة الحجاز بحوالي 120 سنتيمتر، يصعد إلى المبنى بثمانية درجات، ويوجد في الطابق الأرضي خمسة نوافذ في كل جناح من جناحي المبنى المبنية على طراز البناء العثماني المستطيلة الشكل، والمكونة من فتحة نافذة رئيسية، يحميها من الخارج مشغولات خشبية رائعة بالتصميم ومتوجه بتاج حجري مسطح مربع الشكل ومدكك من الحجارة السوداء والمزية اللون بداخلها شعار الزنبقة الدمشقية الشهيرة على شكل زهرة بثلاث ورقات كما هو شعار الكشافة.



الشكل [4-4]: الواجهة الرئيسية لمحطة الحجاز.
المصدر: الباحثة.

- **المدخل:**



الصورة [4-43]: الواجهه الرئيسة للمحطة ويبدو فيها المدخل.
المصدر: بعدسة الباحثة، 2009.

يتوسط الواجهة (الصورة [4-43]) ثلاثة أبواب ضخمة هي المدخل الرئيس للمحطة، متوجة بأقواس خفيفة الانحناء من الحجر الأبيض والمزي، وقد برزت فوق الأبواب الثلاثة شرفة كبيرة مستندة إلى أربعة أعمدة رخامية مغموسة في أرضية درج المدخل وقد توجت الأعمدة بمقرنصات خفيفة لتشكل فيما بينها أقواس خفيفة الانحناء داعمة لبروز الشرفة.

كذلك يوجد في طرفي الكتلتين الغربية والشرقة أبواب تصل إلى بهو المحطة يصعد إليها بثمان درجات وقد أخذت شكل البوابة الرئيسية ولكن بشكل مصغر.

- **طراز المبنى:**

تم الشروع في بنائه عام 1907 للميلاد، ويعتبر هذا المبنى أول منشأة حديثة تحمل ملامح الأصالة الإسلامية الممزوجة بفن العمارة الأوروبية المعروفة باسم « الروكوكو » وهذا ما أعطاه أيضاً تميزاً وتفرداً في هيكلة البناء الرئيسية، وقد ركز المهندس الإسباني الأصل / فرناندو باشا دي أرنادا (Frnando De Aranda) أثناء تصميمه للمبنى على معطيات إبراز فنون جماليات روح العمارة الإسلامية بشكل عام والشامية الدمشقية بوجه خاص.

على الرغم من أنه لم يكن شامياً... دمشقياً... بل كان إسبانياً كما ذكرنا، ولكنه استطاع أن يوظف جميع مكونات العناصر الجمالية الأصيلة في تصميم شكل المبنى المؤلف من الكتلة الرئيسية بالوسط يعلوها جملون كبير يعطى البهو الرئيسي للمحطة وأردفه ببنائين مصغرين عن الكتلة الرئيسية في أقصى اليمين وأقصى اليسار، ويعلو كل منها جملون مماثل لها، كذلك تفنن في شكل النوافذ وزخرفة الواجهات بالخزفيات المملوكية والعثمانية على حد سواء، وخاصة الواجهة الرئيسة الرائعة من خلال توظيفه للأحجار المستخدمة فيها، ومن ثم قام على تطعيم البناء من الداخل بالزجاج الدمشقي المعشق وبالخشبيات الدمشقية (حفر وتنزيل) المحفورة بشكل بديع على الواجهات الداخلية للمبنى.

كما يبدو على البناء بعض اللمسات التزينية الإغريقية (اليونانية القديمة) الظاهرة في الشكل الهرمي لواجهات السطح الذي يعلو المبنى الضخم، ويتوسطه ساعة طنانة كبيرة فوق المبنى الرئيسي وما زالت إلى اليوم وكذلك يوجد دائرتين كبيرتين بحجم الساعة في كلا الجناحين الأيمن والأيسر وكانت فيهما شعار الطغراء (الطرة العثمانية التي شُكلت من توقيع السلطان عبد الحميد الثاني إلى جانب كلمة غازي) وقد أزيل هذا الشعار في زمن غير معروف ـ لعله أواخر العهد العثماني التركي أو في بدايات الانتداب الفرنسي على سورية، وصار مكانه دائرة صماء فارغة.

ولا بد لنا أن نذكر سبيل الماء الموجود حاليا أمام محطة مبنى الحجاز، كان هذا النصب التذكاري موجوداً أمام بناء المحطة ويتوسط ساحة الحجاز وسط المدينة، له قاعدة بازلتية قائم عليها بارتفاع نصف متر وعلى شكل برج قلعة وبه عدد أربعة مناهل للمياه رخامية التكوين.. مزية اللون ومتداخلة مع الرخام الأبيض الإيطالي. وتم زخرفة قوس منهل الماء بشكل يطابق تماماً زخرفة النوافذ العلوية لمبنى المحطة، وقد توج بمربع به نصف كرة كبيرة يحيط بها أربعة كرات على التوازي، كما هي تماماً بالمربعين الموجودين في أعلى تاج واجهة المحطة يسرة ويمنه.

- **المنظور الشاقولي للبناء:**

الطابق العلوي أخذ شكلاً مغايراً كلياً عن الطابق الأرضي من حيث شكل النوافذ التي اتسمت بالطابع الإسلامي ذات الأقواس الدائرية الأبلقية والمبنية من الحجارة البيضاء والسوداء كما هو متعارف عليه في معظم الأبنية الأيوبية والمملوكية بدمشق، وقد تجلى ذلك بوجود ثمانية نوافذ بكل جناح من جناحي المبنى ذوات الأقواس المدببة والمتميزة بالخصر المدبب في كل توأم من النوافذ.

وتطل الشرفة الرئيسية على ساحة الحجاز وشارع سعد الله الجابري للاحتفالات الرسمية ولقد استمد هذا الطراز من بناء شرفة دائرة الأملاك السلطانية المجاورة لبناء السرايا، ومن شرفة بناء السرايا نفسه. وقد بنيت من الرخام الأبيض ذو الأعمدة القصيرة والتي كانت صلة الوصل لدرابزين الشرفة التي تشكل مظلة للمدخل الرئيسي وقد اتسمت أيضا شكل نوافذها بالطابع الإسلامي ذات الأقواس الدائرية الأبلقية والمبنية من الحجارة البيضاء والسوداء كما هو متعارف عليه في معظم الأبنية الأيوبية والمملوكية بدمشق.الصورة [4 -45/44] تبين محطة الحجاز في دمشق.



الصورة [4-44]: محطة الحجاز في دمشق.

المصدر: القوتلي، محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 223.



الصورة [4-45]: محطة الحجاز في دمشق.
المصدر: القوتلي، محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 224.

4-4-5-محطة القدم:

جزء مهم من الخط الحديدي الحجازي في سورية، حيث كانت محطة القدم المكان الذي تنشحن منه البضائع، وفيه تتم عملية صيانة القطارات وتجهيزها للانطلاق، محطة القدم لاتزالت تعمل حتى الآن، ولكنها أخذت اليوم دورها ودور محطة الحجاز، إذ صارت منطلق السفر والشحن في الوقت نفسه. [1]الصورة [4-47/46]

[1]-القوتلي، محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 218.



الصورة [4-46]: محطة القدم للقطارات في أواخر العهد العثماني.

المصدر: ويكبيديا الموسوعة الحرة.



الصورة [4-47] : الخط الحديدي الحجازي في القدم.

المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 219.

4-2-6-محطات القطارات في درعا:

- **محطة مزيريب**

المزيريب بلدة تابعة لمحافظة درعا. تبعد حوالي 11 كم إلى الغرب من مدينة درعا. تشتهر ببحيرتها التي تعتبر من أهم البحيرات الدائمة والتي تتزود من الينابيع المحيطة بها والواقعة إلى الشرق من البحيرة. يمتاز موقع البحيرة والبلدة عامة بجماله ومناظره الخلابة وقربه من بعض الآثار القديمة والطواحين الماشية. والمنطقة تجذب حركة سياحية داخلية نشطة، خاصة الاصطياف. وأُقيم إلى جانب هذه البلدة مخيما صغيرا للاجئين الفلسطينيين تعيش فيه عدّة مئات من العائلات، إضافة إلى عائلات أخرى تعيش في مخيم درعا وبعض قرى وبلدات حوران مثل: تل الشهاب وداعل والشيخ مسكين.

أنشأ في المزيريب محطة للخط دمشق ـ مزيريب اوأكسب هذا الخط البلدة مكانة جيدة فتطورت فيها مرافق اقتصادية عديدة رفعت من مستوى معيشة السكان. ولما قررت الدولة العثمانية مد الخط الحديدي الحجازي من دمشق إلى الحجاز أصرت أن تكون مزيريب إحدى محطاته، وذلك من منطلق إلحاق الشلل بالخط الموازي التابع للشركة الفرنسية. ولتحقيق هذه الغاية بادرت الحكومة العثمانية إلى الإعلان عن تخفيضات في السفر والشحن على الخط الحجازي[1].

[1] - ويكبيديا الموسوعة الحرة.

- **محطة درعا**

وعانت درعا كغيرها من المدن السورية من الجمود في التطور والانفتاح خلال بعض فترات الحكم التركي، إلى أن أُقيم الخط الحديدي الحجازي في مطلع القرن العشرين فبعثت الحياة بكافة مرافق المدينة والمناطق المجاورة لها. إذ اعتبرت درعا محطة مركزية للقطار تربط بين الشمال (دمشق) وبين الجنوب (المدينة المنورة - حيث كان مزمعًا أن يصل الخط المذكور إلا أنه لم يصل بالفعل)، وكذلك كسبت مكانة أقوى وأهم في أعقاب مد الخط الحديدي المتفرع منها إلى حيفا، حينها تم ربط الداخل السوري بالساحل السوري (الفلسطيني). وهكذا وصلت منتجات سورية، وخاصة درعا ومناطقها إلى ميناء حيفا ومنه إلى البلدان الاوروبية المختلفة[1]. وتظهر محطة اقطارات في درعا في الصورة [4-48].



الصورة [4-48] : افتتاح محطة القطارات في درعا عام 1908.

المصدر: ويكبيديا الموسوعة الحرة.

ثانياً: أهم الساحات التي رافقت ظهور سكة حديد الحجاز:

- **ساحة محطة الحجاز:**

ساحة الحجاز هي الساحة الثالثة التي برزت إلى الوجود بشكل قوي في مدينة دمشق بعد ساحة المرجة (التي سبق الحديث عنها أعلاه) وساحة الشام خلال العصر العثماني بنهايات القرن التاسع عشر، وقد تنبه لأهمية هذه المنطقة نائب الشام المملوكي الأمير سيف الدين تنكز حينما أنشأ جامعه الشهير بجامع تنكز متاخماً لهذه البقعة والتي كانت تدعى في العصرين الأيوبي والمملوكي (حكر السماق) والمسماة اليوم بشارع النصر في قلب العاصمة السورية دمشق (سمي بشارع النصر نسبة إلى باب النصر الذي كان عند مدخل الحميدية، ويمتد الشارع من الحميدية إلى ساحة الحجاز، شق الطريق في بدايات القرن العشرين على طراز راق، قبل أن يصبح سوقا تجاريا، وعلى يساره من الجهة الشرقية مبنى المشيرية حيث القصر العدلي اليوم) [2].



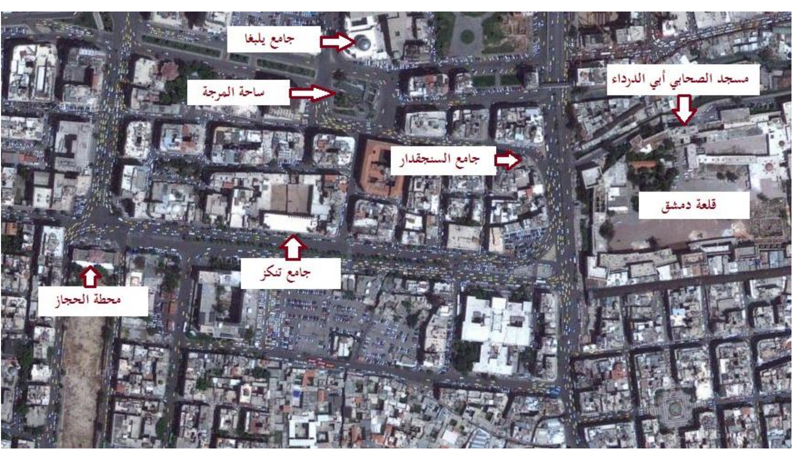
الصورة [4-49]: ساحة محطة الحجاز.

المصدر: Google –Earth– بتصرف.

[1] -منصور، جوني، الخط الحديدي الحجازي/تاريخ وتطور قطار درعا، ص ص (197-199).

[2]-القوتلي محمد

يحد ساحة الحجاز شرقاً طريق حكر السماق كما أسلفنا أعلاه... هذا هو الاسم الذي كان متعارفاً عليه في العصر الأيوبي، ثم تبدل إلى درب المقبرة (المقابر الصوفية) في منتصف العصر المملوكي، ثم تحول إلى اسم شارع جمال باشا نسبة إلى والي دمشق وقائد الجيش الرابع في بلاد الشام جمال باشا السفاح في نهايات العصر العثماني... حين أنشأ شارعه العريض الممتد من سوق الحميدية إلى بداية مقابر الصوفية (الصورة [4-49] والمخطط [4-14]).

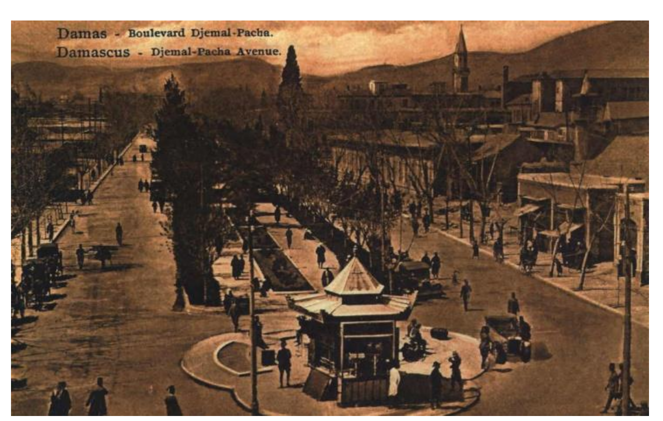


المخطط [4-14]: ساحة ومحطة الحجاز.
المصدر: Google –Earth– بتصرف.



الصورة [4-50] : شارع جمال باشا 1910 م. ويظهر في هذه الصورة مبنى المشيرية الذي كان يقيم فيه الوالي، وينطلق موكب منه الحج.

المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 233.



الصورة [4-51]: شارع جمال باشا من الشرق إلى الغرب.

المصدر: القوتلي محمد نبيل، ذاكرة دمشق، ص 197.

تبدل اسم هذا الشارع من اسم شارع جمال باشا إلى اسم شارع النصر وذلك إبان عهد الحكومة العربية الفيصلية سنة 1919 للميلاد نسبة إلى باب النصر الذي كان متواجداً على تخوم سوق الحميدية... أو ربما نسبة إلى انتصار الثورة العربية على جمال باشا والحكومة التركية العنصرية في ذلك الوقت...فصار اسمه شارع النصر وما زال حتى تاريخ إعداد هذا البحث.

ويحد الساحة جنوباً بستان الأعاجم... هذا الاسم المتعارف عليه في العصر المملوكي ثم ما لبث أن تبدل إلى اسم بستان الغربا نسبة إلى الغرباء الذين جاؤوا من الجزائر والمغرب العربي مع الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق واستوطنوها... حتى أن تملك هذا البستان السيد عزت أفندي الملا رحمه الله وقدمه هدية لأبنه السيد أحمد عزت الملا بمناسبة زفافه في نهايات القرن التاسع عشر، استولت عليه حكومة السلطنة العثمانية العلية عند إنشائها للخط الحديدي الحجازي، وبنت عليه محطة القنوات والمعروفة اليوم بمحطة الحجاز. ويحد الساحة غرباً بداية المقابر الصوفية المحصورة بين نهري بانياس ويمر في شمال المقبرة وبين نهر القنوات المار من جنوبها (منطقة الحلبوني) والممتدة حتى حدود منطقة الجمارك حالياً قريبة من حدود المزة، وقد نوه عنها المرحوم عبد العزيز العظمة في كتابه مرآة الشام.

وقد دفن في هذه المقبرة (الصوفية) آلاف مؤلفة من الأساتذة الشيوخ والعلماء الصالحين والمشايخ الأفاضل علماء مدارس دمشق في العهدين الأيوبي والمملوكي، ولم يبق من آثار تلك القبور الطاهرة أي أثر في يومنا هذا سوى قبر أو قبرين داخل مستشفى الغربا (الوطني حالياً).

ويحد الساحة شمالاً طريق السليمانية وهو الاسم الذي أطلق عليه لاحقاً... شارع سعد الله الجابري وما زال... والواصل بين ساحة الحجاز إلى ساحة الشام والواقعة عند جسر فيكتوريا. وتظهر الصور [4-50/51/52/ 53/] لقطات مختلفة لساحة محطة الحجاز مع تطورها التاريخي والعمراني



الصورة [4-52]: تجمع الناس في ساحة النعنع، بانتظار الحجاج العائدين من الأراضي المقدسة.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 157.



الصورة [4-53]: ساحة محطة الحجاز.

المصدر: القوتلي محمد نبيل،ذاكرة دمشق، ص 329.

5-تأثر طريق الحج بفتح قناة السويس وظهور السكة الحديدية:

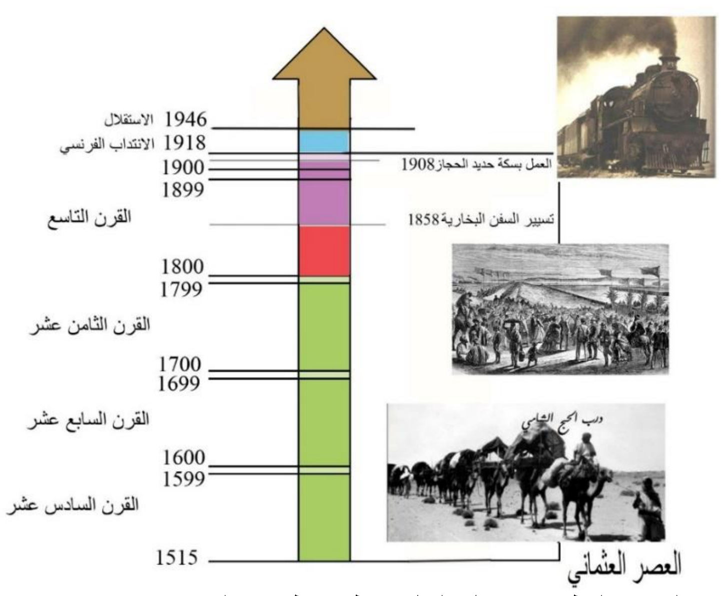
5-1-التحول عن طريق الحج البري:

دخلت تغيرات على بعض إجراءات الحج في القرن التاسع عشر، ومنها التحول إلى استخدام البحر الأحمر، وخاصة حين حلت – ابتداء من سنة 1858 – السفن البخارية محل السفن الشراعية في نقل الحجاج بين السويس وجدة، ثم جاء إنشاء الخط الحديدي بين الإسكندرية والقاهرة والسويس ثم شق قناة السويس فزاد استخدام طريق البحر الأحمر، فكان الحجاج الآتون من تركيا أو شمالها يفضلون أن يأتوا بحراً إلى بيروت أو الإسكندرية، وآثر الحجاج الإيرانيون استخدام طريق خليج البصرة (الخليج الفارسي) إلى جدة[1].

[1]-حوادث دمشق اليومية – البديري الحلاّق ص 75.

5-1-1-التحول باتجاه البحر:

في القرن الثالث عشر، انتشرت السفن التجارية على النطاق العالمي، وفتحت قناة السويس، فكان لهذين الحدثين أسوأ الأثر على وضع دمشق التجاري، فلقد تحوّل عنها تجارالعراق والأناضول الذين فضلوا استخدام السفن على القوافل البرية، كما أن الحجاج الأتراك ومن جاورهم آثروا الذهاب إلى الحجاز عن طريق البحر، تجنباً للنصب الشديد الذي كانوا يعانون منه في الطريق البري[1]. يظهر الشكل [5-4] التطور الزمني لتطور وسائل النقل وتطور طريق الحج.



الشكل[5-4]: التطور الزمني لتطور وسائل النقل وتطور طريق الحج.

المصدر: الباحثة.

وقدعرفت مدينة جدة كميناء لاستقبال حجاج البحر المتجهين لأداء الحج في مكة المكرمة منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان الذي أمر بتحويلها لميناء. ولا تزال جدة إلى اليوم المعبر الرئيس لحجاج البحر والجو والكثير من حجاج البر[2].

فالقساطلي يقول عن تأثر تجارة قافلة الحج الشامي باستخدام الحجاج الأروام للطريق البحري بعد شق قناة السويس، وتزايد سفر الحجاج الأعاجم بطريق الخليج العربي إلى البحر عبر مضيق باب المندب " كانت باب الحجاز كان كل سنة يتقاطر إليها الحجاج أفواجاً من بلاد العجم وبر الأناضول والروملي والعراق وغيرها فتروج تجارتها على أنه منذ انتصاف هذ القرن (يقصد القرن العشرين) أخذت تنحط انحطاطاً سريعاً لأن قوات خارجية ضادتها وتغلبت على مركزها التجاري وسلبته وأول نكبة دهمتها تسبَّبت عن سير سفن البخار في البحار فخسرت تجارتها البرية مع الاستانة والروم ايلي وبر الأناضول وغيرها وتحوَّل ذلك إلى الموانى البحرية وعندما فتحت ترعة السويس حلَّت بليّة عظمى وطامّة كبرى على تجارة دمشق لأنها سلبت كل مابقي لها من التجارة البرّية، وفتحت باباً قريباً للحجازفامتنع الحجاج عن الأتيان إليها فخسرت جداول الذهب الغزيرة التي كانوا يكسبونها بها ذهاباً وإيابا"[3].

[1]-العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 454.
[2]-المغلوث، سامي، أطلس الحج والعمرة، ص.
[3]-القساطلي، نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ص 124-125.

ومن التغيرات التي حدثت أيضا أنه ابتداءاً من سنة 1859 صرف النظر عن إرسال قافلة الجردة اكتفاء بما يحمله الحجاج معهم من مؤن. ثمَ قر الرأي على أن ترسل حكومة دمشق فوة عسكرية من 300 فارس ليخرجوا لحراسة الأهالي الذين يودون الخروج لملاقاة ذويهم من الحجاج حاملين ما يلزمهم من مؤن، واستمر هذا الإجراء قائماً حتى أنشئ الخط الحديدي فم يعد ثمة مبرر لذلك [1].

2-1-5-التحول باتجاه خط سكة حديد الحجاز :

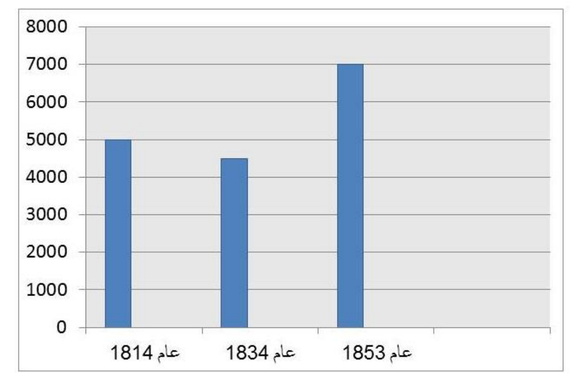
ولكن كان أعظم انقلاب في الحج هو إنشاء سكة حديد الحجاز في سنة 1908، فبطل طريق القوافل تماماً[2].

2-5-توضيح تطور تعداد الحجيج أثناء الفترة العثمانية وبعد فتح قناة السويس وإنشاء خط سكة حديد الحجاز

كان يتفاوت عدد حجاج قافلة الحج الشامي من سنة إلى أخرى، وكان متوسط عدد حجاج القافلة يتراوح في ذلك الحين بين (20-40) ألف حاج [3]، وقد تناقص عدد الحجاج الأروام الملتحقين بقافلة الحج الشامي في القرن التاسع عشر في أعقاب تسيير البواخر المنتظمة في البحر المتوسط، وبخاصّة بعد شقّ قناة السويس. كما تناقص عدد الحجاج الأعجام أوائل سنة (1870) م بعد استخدام البواخر من الخليج العربي إلى جدّة. [4]

ذكر القساطلي أنه " كان يأتي إلى دمشق ثمانية آلاف ونيف ويتجهزون منها للحجاز وفي غيابهم يتجهزون منها إلى بلادهم. [5] وذكر تريس نقلاً عن بعض المراجع التاريخية أن عدد المشتركين في قافلة الحج الشامي 40 ألفاً في القرن الثامن عشر ثم تناقص العدد في القرن التاسع عشر. [6] وتظهر الأشكال [4-7/6] إحصائيا لأعداد الحجيج.

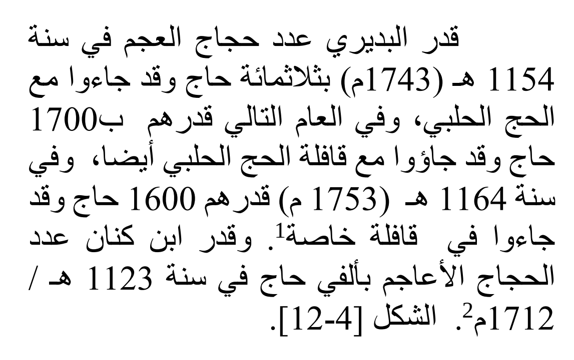
وفي تقدير بوت خارت (سنة م 1814) 5 آلاف (وفي سنة 1834)4500 حاج (وفي سنة 1853) 7 آلاف في تقدير برتون.



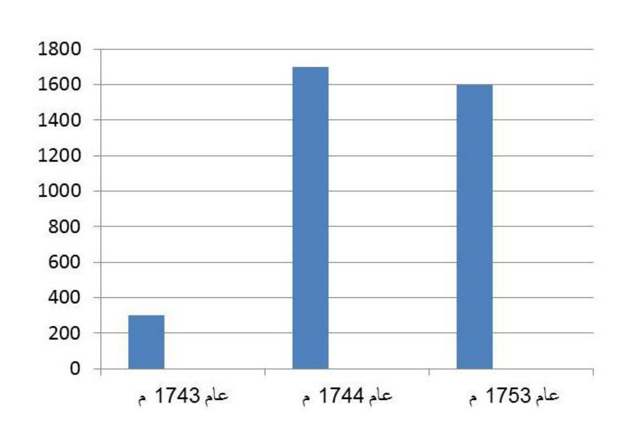
الشكل [4-6]: نسب أعدد الحجاج منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى منتصفه.

المصدر: الباحثة.

[1]-حوادث دمشق اليومية – البديري الحلاّق ص 75.
[2]-حوادث دمشق اليومية – البديري الحلاّق ص 75.
[3]-كيال، منير محمل الحج الشامي، ص (50).
[4]-المرجع السابق ذكره.
[5]-القساطلي،نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ص 124.
[6]-البديري، أحمد، حوادث دمشق اليومية، 68.



قدر البديري عدد حجاج العجم في سنة 1154 هـ (1743م) بثلاثمائة حاج وقد جاءوا مع الحج الحلبي، وفي العام التالي قدرهم ب1700 حاج وقد جاؤوا مع قافلة الحج الحلبي أيضا، وفي سنة 1164 هـ (1753 م) قدرهم 1600 حاج وقد جاءوا في قافلة خاصة[1]. وقدر ابن كنان عدد الحجاج الأعاجم بألفي حاج في سنة 1123 هـ / 1712م[2]. الشكل [4-12].



الشكل [4-7]: نسب عدد الحجاج العجم الذين في القرن الثامن عشر الميلادي.

المصدر: الباحثة.

خرج بن رُشيد الأندلسي من دمشق 11 شوال 684 هـ (1273) وقد حزر الركب الشامي بستين ألف راحلة دون الخيل والبغال والحمير فكان يملأ السهل والحزن(لتوافر الأمن) وذكر انه التقى بحجاج من بغداد معهم. وحج أوليا الجلبي التركي سنة 1081 (1670م) : ذكر انه وصل الفين من ايران الى دمشق للحج معهم وأن أمير الحج هو حسين باشا والي الشام، وآخر من وصف الحج الشامي حسب اطلاعي هو التونسي سنة (1300هـ-1889م)،

ومما أفادنا أن القافلة يرافقها 400 عسكر على الخيل و 100 جندي رامي و 50 طوبجية معهم مدفعين وباش بوسطجي بيده امرة المكاتيب الصادرة والواردة كما يرافقهم نائب القضاء محمود أفندي قال عته (وهو رجل خير يؤم من يحضر معه في محلته عند الصلاة)،ايضا رافق الحملة الطبيب نائف أفندي، وكان عدد النفوس 5000 شخص بين رجال وركبان مقسمون على المقومين3.

3-5-الاستمرار في طريق الحج البري:

استمر بعض الأناس بالحج عن طريق الحج البري فقد كان الشيخ حسن المغربي (وهو من أبناء حارة المغاربة بحيّ السويقة بدمشق) حتى أواخر العقد الرابع من القرن العشرين... يحمل قطعة القماش الأخضر ويجعلها في عصاه على شكل علم (صنجق)، يطوف به أحياء دمشق القديمة، معلنا الانطلاق إلى الحج في تلك السنة بمعيته، ثم ينشر ذلك الصنجق في مكانه المعتاد،أو في صحن المسجد الأموي، وأحياناً على باب البريد للمسجد الأموي (الباب الغربي). فنصب الصنجق والحال هذه، كان بمنزلة الإيذان للناس للتهيؤ لأمر الحج وأن القافلة ستنطلق ذلك العام. [4]

الشهادة الأولى كانت لتوماس رايت سنة (1697) م. حيث انه ذكر في مشاهدته مرور الموكب وذلك في أواخر القرن السابع عشر.

[1]-حوادث مشق اليومية – البديري الحلاق ص (68).
[2]-ابن كنان، محمد، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ص 80.
[3]-السعيد، عبد الله بن عبد العزيز، درب الحج الشامي، مقدمة تاريخية.
[4]-كيال، منير، محمل الحج الشامي، ص105.

أما **الشهادة الثانية**: فكانت وصفاً لما أوردته إيزابيل بورتن للقافلة التي شاهدت موكبها في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر...، وأوردت تسارا بوتينتسيفا وصفاً لموكب الحج في مطلع القرن التاسع عشر بقولها: "أنّه قبيل انطلاق قافلة الحج بأيام من مطلع سنة (1806)م، ظهر العسكر في الشوارع يجبون الضرائب بمناسبة خروج الباشا إلى مكة للحج. دام مرور الموكب من شروق الشمس حتى الظهر، وقدر عدد المشاركين في هذا الموكب بما لا يقل عن أربعة آلاف إنسان. وفي اليوم التالي مرّت عبر دمشق قافلة أخرى وصلت من بغداد للالتحاق بركب دمشق وبعد يوم آخر وصلت قافلة ثانية من أماكن أخرى. وكانت كل قافلة تضم ما بين ألفين وثلاثة آلاف نفر[1].

وهذا هو الدليل على أنه رغم ظهور السكة، وفتح قناة السويس، إلا أن بعضاً من النّاس كانوا لا يزالون يسافرون إلى الحج لبلد الله الحرام في الطريق البري.

الخاتمة:

وهكذا نجد أن للحج كان دوراً اقتصادياً مهما في المدن التي يمر بها وقد انعكس ذلك جلياً على حركة العمارة العمران فيها فأُنشئت الأسواق والخانات، وكان لتأمين مستلزمات الحجيج الدور المماثل في المدن المار بها، وكان لتطور وسائل النقل الدور البارز في التحول عن طريق الحج البري، باتجاه البحر وباتجاه خط سكة حديد الحجاز، والتي كان لها دوراً مهماً أيضا في إحداث تغيرات نوعية في البنية والعمرانية ولكن قد غاب أثر محور الحج في حياتنا، اتجاه منشآته وفعاليته المختلفة والتي يجب أن نحافظ عليها ونعمل على إعادتها إلى الذاكرة.

[1]-كيال، منير، محمل الحج الشامي ص ص (115-117).

الفصل الخامس

النتائج والمقترحات

1-نتائج الدراسة :

1-1-نتائج الدراسة التاريخية لمحور الحج الإسلامي في سورية:

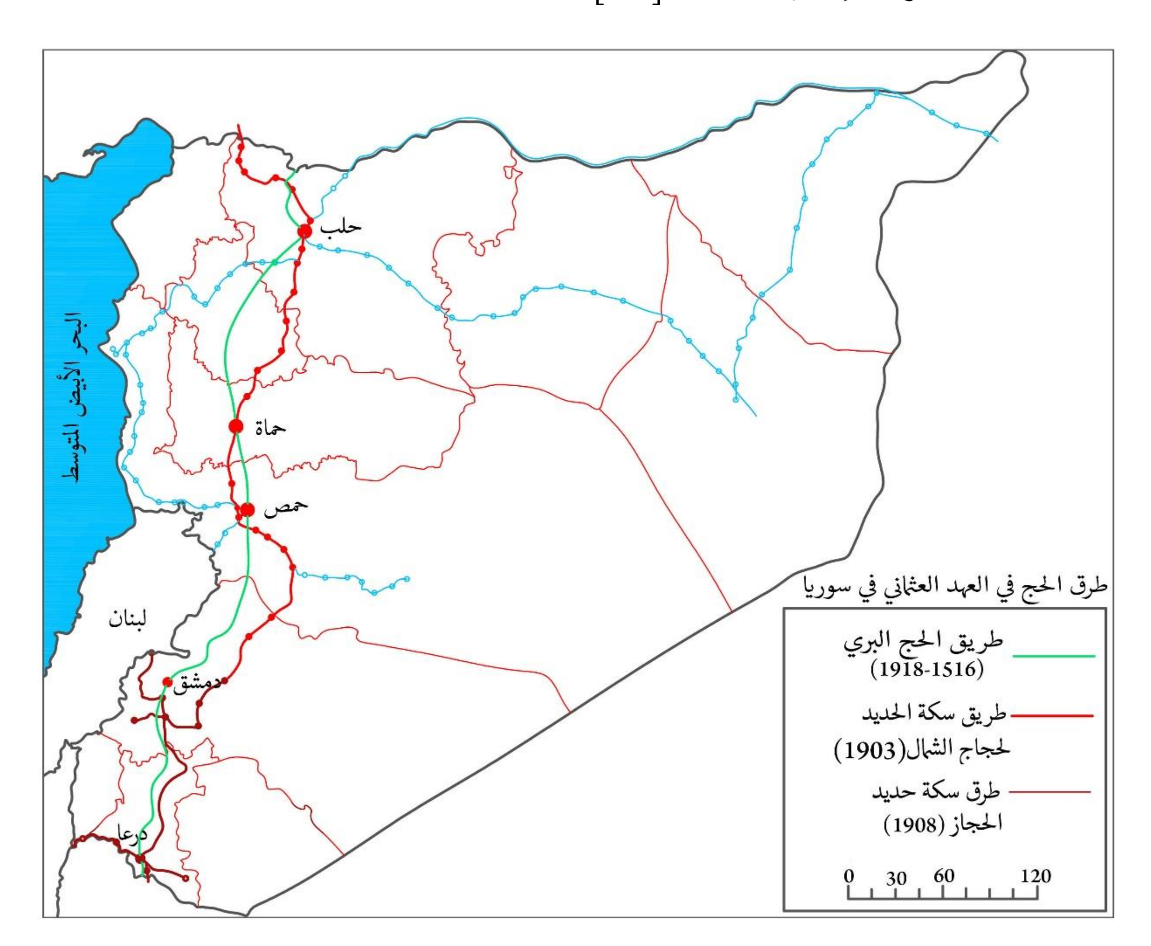
1-1-1- طريق الحج الإسلامي في سورية الذي يظهر في المخطط [5-1]، هو الطريق الذي يربط بلاد الشام بالمدينة المنورة، ومن ثمّ بمكة المكرمة.

1-1-2- طريق الحج الذي سلكه الحجاج بين شمال سورية وجنوبها، وهو ذاته الطريق التجاري التاريخي.

1-1-3- طريق الحج في سورية، هو أحد فروع طريق الحرير باتجاه أراضي الحجاز، والذي يعد الاتجاه الرئيس في طريق الحرير.

1-1-4- لطريق الحج من شمال سورية باتجاه أراضي الحجاز، مسارات رئيسة ومسارات فرعية ارتبطت بالطريق الرئيس، كالطريق البري باتجاه فلسطين، أو الطريق مباشرةً من حلب باتجاه البحر عن طريق لواء اسكندرون، وقد رُصدت كافة هذه الطرق بالمراجع التاريخية المختلفة.

1-1-5- طريق الحج البري؛ تطور بتطور العهود والفترات الزمنية التي مرت عليه، وتطور بتطور وسائل النقل، فتغير مساره إما باتجاه البحر بعد فتح قناة السويس، أو باتجاه خط سكة حديد الحجاز بعد إنشائها، المخطط [5-2].



المخطط [5-1]: طرق الحج في سورية في العهد العثماني.

المصدر: الباحثة.

6-1-1- طريق الحج في سورية، هو ذاته الطريق الذي سلكه ابراهيم الخليل منذ (2000ق.م)، في رحلته للحج، حيث سارمن حلب، باتجاه حماة، وحمص، وصولاً للشام.

7-1-1- طريق الحج الإسلامي، هو ذاته الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية الحجازية واليمنية في ذهابها وإيابها من وإلى بلاد الشام. وهو ذاته الطريق الذي كان مطروقاً للحج في عهد الصحابة واالدولة الأموية، مع تبدل في خط سير الطريق أثناء اجتياز جنوب دمشق وحوران ووديان البحر الميت إلى الجزيرة العربية.

8-1-1- طريق الحج الإسلامي في الفترة العباسية اختلف مساره، باختلاف حالة الأمن وانضم لطريق الحج العراقي أو المصري في مساراتهم.

9-1-1- تم تحديد محور الحج، ومبانيه الخدمية التاريخية، ومواصفاتها وطرزها المعمارية؛ بشكل واضح في البحث.

10-1-1- محطات طريق الحج البري، جاءت مطابقة في معظم منازلها لمحطات خط سكة حديدي الحجاز.

2-1- نتائج الدراسة التاريخية التحليلية لقيم محور الحج:

1-2-1- طريق الحج؛ طريق تاريخي له دور مهم على مر الزمن، وحمل العديد من القيم الدينية، والقيم الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية...

2-2-1- قيم محور الحج الإسلامي في سورية ، تتجسد من كونه أحد الطرق البرية المهمة جداً؛ حيث يتصل مع الدولة الجارة تركيا، فضلاً عن كونه شريان حيوي ومرفق اقتصادي مهم للجمهورية العربية السورية، وبالتالي فإن الاهتمام به سيساهم في تنشيط الحركة التجارية والسياحية وغيرها بين سورية وتركيا وأروبا من جهة وبين الأردن وأراضي الحجاز ثانياً.

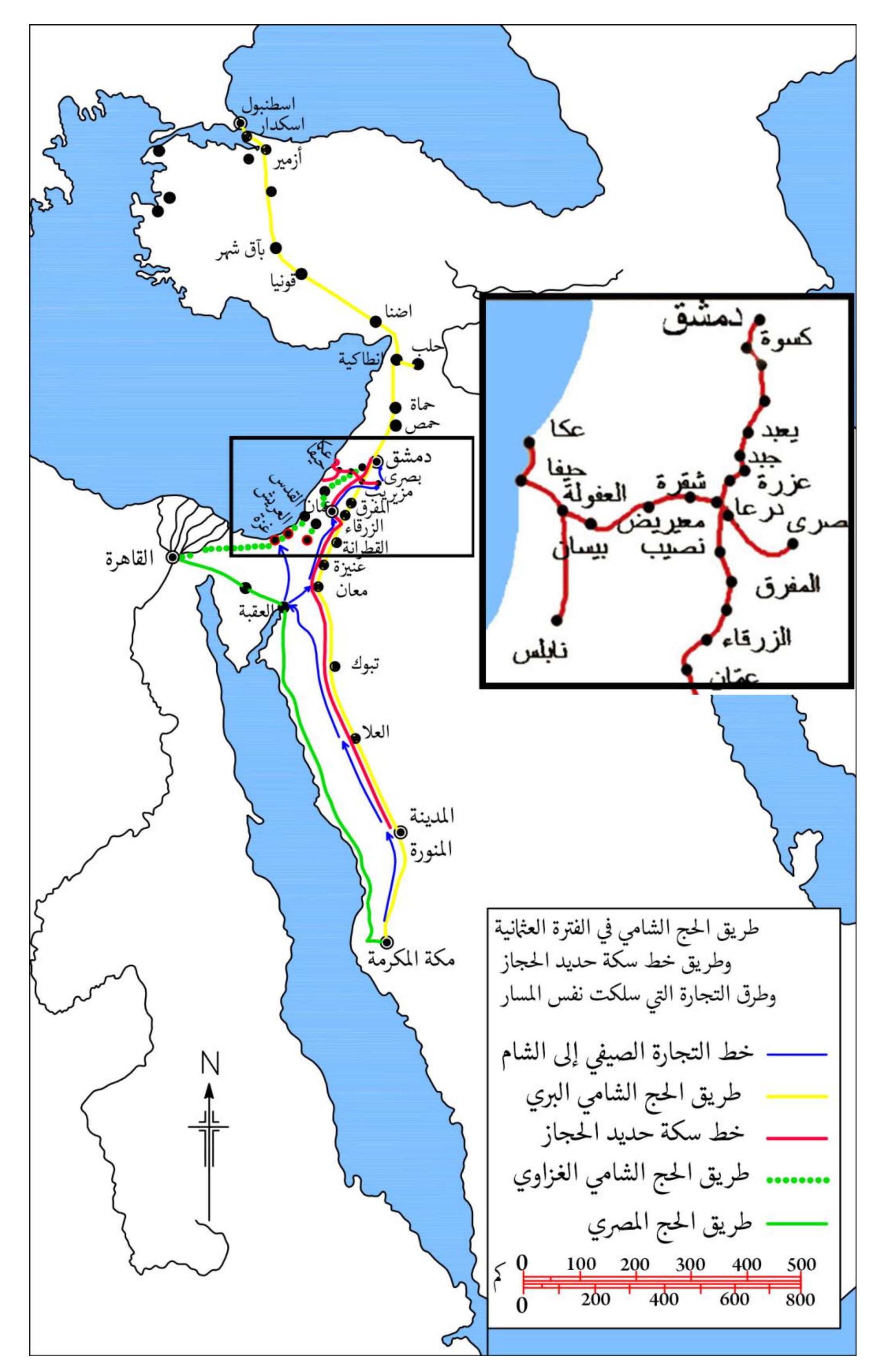
3-2-1- القيمة الاقتصادية والتاريخية لطريق الحج، تنطلق من كونه طريق دولي عريق وقديم مهم، وتأتي أهمية التأكيد على هذا المحور من عدة نقاط :

- أهمية هذا الطريق ودوره التنموي فهو يشكل عصباً للتنمية الاقتصادية باعتباره يربط شمال سورية بجنوبها.
- إعادة إحياء المحور، والتأكيد على الدور التاريخي الذي شكله هذا الطريق في مراحل تاريخية غابرة وهامة.

4-2-1- عناصر التراث العمراني في محور الحج، من أهم عناصر الجذب السياحي؛ الذي يعرف باسم السياحة الثقافية، والتي تتيح الإطلاع على المنتجات المادية للحضارات السابقة بكل مقوتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية.

5-2-1- انعكس غياب الوعي العام بقيم المهمة للمحاور التاريخية بشكل عام ولمحور الحج الإسلامي بشكل خاص على الوضع الراهن لهذه المحاور التاريخية؛ ومن هنا تاتي أهمية البحث بالتأكيد على المحاور الثقافية والسياحية بين المدن بشكل عام وبالمحاور ذات القيم الهامة بشكل عام وبمحور الحج الإسلامي بشكل خاص.

6-2-1- بنتيجة دراسة الأبنية الخدمية والاستعمالات التي وظفت بها، وجدنا بأن هذه الاستعمالات تسيء إلى القيم المختلفة لهذه المباني، والبحث يضع بعض التوصيات فيما يتعلق بهذه المباني الخدمية.



المخطط [5-2]: طريق الحج البري في العهد العثماني وطرق التجارة والسكة الحديدية المطابقة له.

المصدر: الباحثة.

1-3- نتائج الدراسة التحليلية التاريخية لمحور الحج في يومنا هذا:

1-3-1- تم تحديد مسار محور الحج على المستوى الوطني في سورية، وربط هذا المحور مع مبانيه الخدمية المختلفة، ويظهر ذلك في مخططات دمشق [5-3] ، حيث كانت نتيجة عدم وضوح هذا المحور الانعكاس سلباً على واقع المحور ومبانيه الخدمية.

1-3-2- تدهور بنية النسيج العمراني في محور الحج نتيجة دخول استعمالات جديدة على منطقة محور الحج، وإلحاق الضرر بحالة النسيج العمراني في بعض الأماكن بسبب عدم الاهتمام بالصيانة الدوري لها.

1-3-3- تم الربط بين المباني القائمة على خدمة محور الحج بالمحور ذاته، بالإضافة إلى تحديد طرزها، وفعالياتها المستخدمة والتي ارتبطت بالضرورة بالحج.

1-3-4- تبين من خلال الدراسات الميدانية والتحليلية لمحورالحج، أن العديد من الأبنية ذات قيمة معمارية وفنية كبيرة تحاكي بأهميتها (منطقة الحماية المسجلة التي تقع على المحور)، وهذا يؤكد على ضرورة الحفاظ عليها وحمايتها.

1-3-5- عدم وجود تصنيف عام وواضح للطرق من قبل المحافظة، فالكثير من هذه الطرق يستعمل للسيارات على الرغم من ضيق هذه الطرق وتواجد كثافة مرورية كبيرة فيها، مما يؤثر سلباً على هذا المحور من الناحية السياحية.

1-3-6- إن عدم التلاؤم الذي يظهر في الكثير من المداخلات على التراث المبني في المحور والمنطقة المحيطة به ومعالجة الفراغات العامة فيها يشكل مؤشراً واضحاً على وجود بعض الثغرات والأخطاء في السياسات المحلية التي تنظم عملية الحفاظ على النسيج العمراني التاريخي المحلي وبالتالي على حماية المحاور الثقافية والسياحية الهامة كمحور الحج الإسلامي.

1-3-7- تم دراسة الأبنية التاريخية المخدمة للحج (التكايا، الخانات، القلاع...) ودورها الفاعل بالنسبة للحج ولماكانت تؤديه في تلك الفترات من تخديم واضح للحجاج.

1-3-8- الإهمال الذي تناول العديد من الأبنية التاريخية لمحور الحج، والتوظيف الغير مناسب لها، أساء إلى قيمها التاريخية، وللدورالذي كانت تقوم به في فترتها التاريخية. وخاصة تلك التي تقع خارج مدينة دمشق مثل قلعة المزيريب...

1-3-9- ضرورة القيام بعمليات الترميم والحفاظ الصيانة اللازمة لهذه المباني التاريخية والأثرية بما يضمن سلامتها.

1-3-10- ضرورة إعادة التأهيل المستدام وإعادة الاستخدام التكيفي للأبنية القائمة التاريخية كإطار شامل يجمع كل من مفهومي الحفاظ والاستدامة، ويؤمن الحفاظ على القيمة التاريخية والثقافية والربط المناسب بين هذه المباني ومحور الحج في عملية إعادة إحياء المحور.

1-3-11- عدم توافر التغطية الإعلامية المستحقة وعدم الرعاية الكافية من قبل المعنيين اتجاه العديد من المبني التاريخية.

1-3-12- لم تتناول التشريعات الحالية إشكالية التنمية وسياسات التعامل مع المحاور الثقافية والساحية كمحورالحج الإسلامي، وإنما تناولت المنشآت الأثرية المسجلة فقط والشريحة الأثرية كعناصر منفصلة دونما وضع ضوابط تحكم حركة التنمية داخل هذه المناطق، ودونما الأخذ بعين الاعتبار تكامل المحاور بشرائحها المسجلة ومبانيها.

1-3-13- عدم وجود تنظيم مؤسسي يعنى بالتراث العمراني على المستوى الوطني وبالمحاور ذات الأهمية الثقافية والسياحية.



المخطط [5-3]: مسار محور الحج الإسلامي وأهم المباني الخدمية (التكايا).

المصدر: الباحثة.

4-1-نتائج الدراسة فيما يخص تأثير محور الحج على التطور العمراني والمعماري:

1-4-1- أثر محور الحج على تطور البنية العمرانية والمعمارية في المدن المار بها فتوسعت المدن وظهرت فيها الأبنية التي تخدم الحجيج.

1-4-2- أدى نمو النسيج العمراني للمدينة من خلال تطورها التاريخي إلى ظهور مناطق عمرانية جديدة.

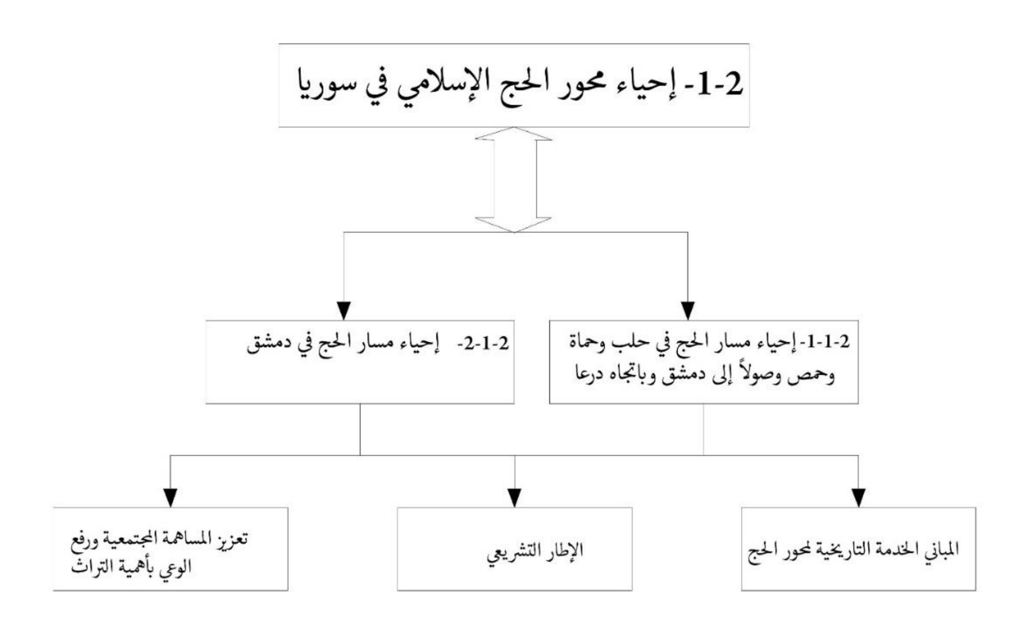
1-4-3- تطورت البنية العمرانية والمعمارية للمدينة، في المدن المار بها محو الحج، بسبب التجارة والحج عبر العهود والفترات الزمنية المتعاقبة فظهرت الزوايا والتكايا والخانات...

1-4-4- انعكس الدور الاقتصادي للحج على البنية العمرانية والمعمارية في المدن المار بها، من خلال ظهور الأسواق والخانات وكافة العناصر العمرانية والمعمارية التي تعمل على خدمة الحجاج.

1-4-5- نتيجة دراسة الأبنية الخدمية لطريق الحج، وجدنا بأنها ذات وابط مشتركة من حيث الوظيفة التي أقيمت من أجلها هذه المباني؛ فهي إما لإقامة الحجاج أو لتأمين أياً من مستلزمات الحجاج، بالإضافة إلى تشابه فيما بينها من حيث الأوصاف المعمارية المختلفة، وقد درست التكايا بشكل مفصل في الفصل الثالث.

2- مقترحات البحث :

من خلال استراتيجية إعادة محور الإسلامي في سورية؛ التي تظهر في الشكل [5-1]، سيتم اقتراح بعض المبادئ والتوصيات لإعادة إحياء محور الحج بكامله بدءاً من دخوله الأراضي السورية بشكل عام، ومن ثم إعادة إحياء طريق الحج في دمشق ضمن نسيجه العمراني ومبانيه الخدمية التاريخية بشكل خاص، والتي لاتقل أهمية عن المحور بل وتتكامل أهمية المحور بهذه المباني... ويتضمن الملحق رقم[8] بعض المقترحات العمرانية لإحياء محور الحج في دمشق.



الشكل [5-1]: مقترح إحياء محور الحج الإسلامي في سورية.

المصدر: الباحثة.

2-1-إعادة إحياء محور الحج في الأراضي السورية بدءاً من حلب وحتى درعا :

2-1-1- ضرورة التعريف بمحور الحج الإسلامي عن طريق خارطة-التي تم إعدادها في البحث-تجمع محور الحج الإسلامي وكافة المسارات التاريخية الثقافية الهامة (محور الحج المسيحي، محور الحوار (طريق الحرير)، ونشرها في كافة المدن التي تقع على محور الحج وإعادة إحياء هذه الطرق إلى الذاكرة.

2-1-2- التأكيد على القيم المختلفة التي يتمتع بها محور الحج والتي تدعو إلى إعادة احياء هذا المحور.

2-1-3- تحديد جهة مسؤولة عن المحور وإعادة إحيائه.

2-1-4- وضع سياسيات تأهيل لهذا المحور من (عروض المحور المرورية (الطريق) ورفع كفاءته المرورية وسلامة البنى التحتية فيه والإشارات الدلالية والمرورية وعدم وجود حوادث.

2-1-5- ضرورة توافر :

2-1-6- لوحات دلالة في بداية ونهاية كل مدينة من المدن التالية (حلب – حماة – حمص – دمشق– درعا) والتي كان يمر محور الحج بها.

2-1-7- لوحات تعريفية بالمباني الخدمية لهذا المحور، ووضع خطة لزيارتها.

2-1-8- وضع بروشور خاص بطريق الحج بدءاّ من اسطنبول ويتضمن (صور توثيقية + صور للمواقع الأثرية والهامة ذات الصفة الدينية والتي كان لها دور أثناء مرور الحجاج عليها في هذه المدن + صور للمباني التاريخية الأثرية التي كانت تخدم الحجاج في هذه المدن+ مخطط رقمي للمسار + لمحة تاريخية)

2-1-2-إحياء محور الحج في مدينة دمشق:

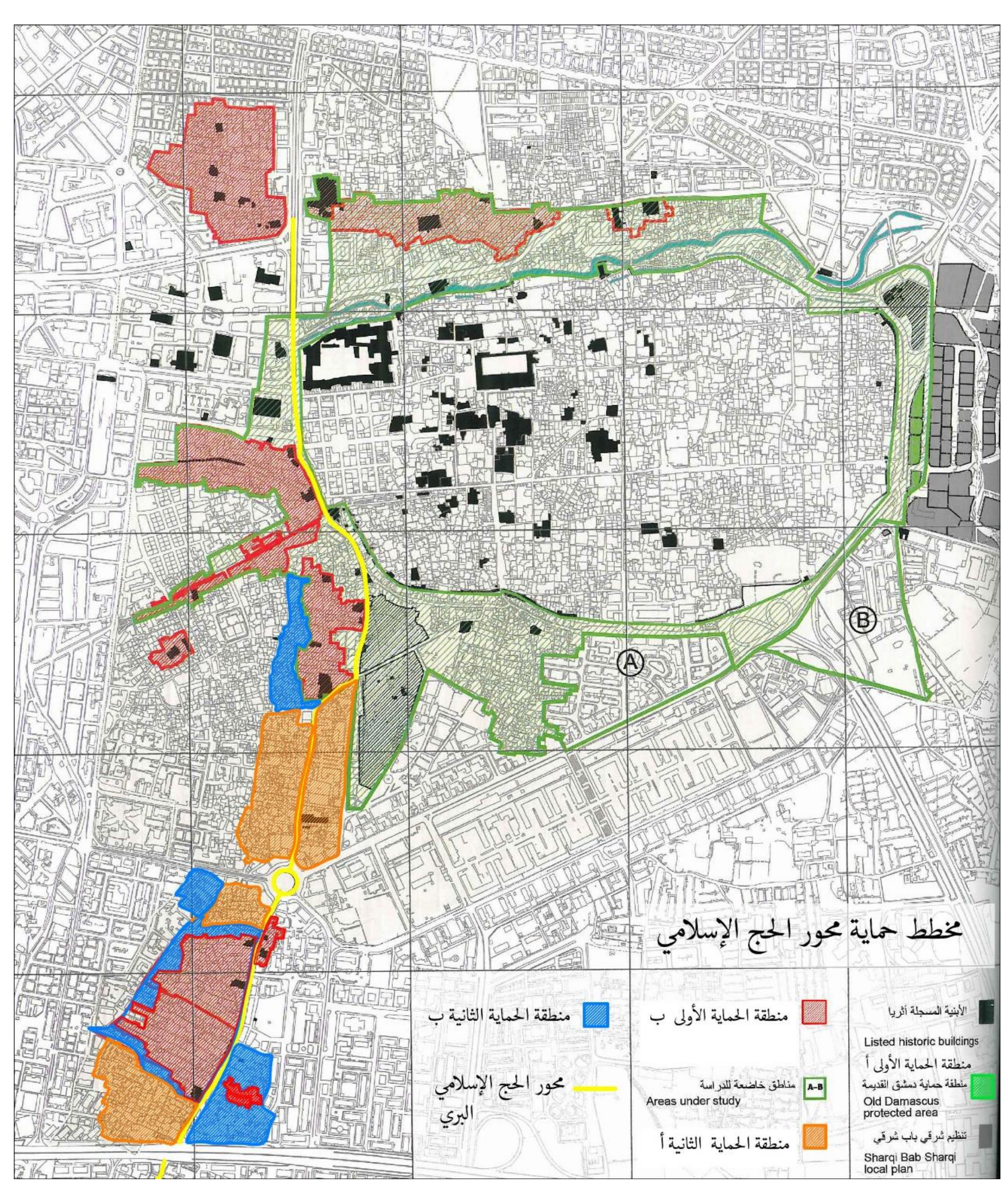
- إن إعادة إحياء محور الحج، تتم بالتأكيد على الدور الهام لهذا المحور في حياة الناس في فترة زمنية سابقة، وإعادته للذاكرة، وبما يؤكد على قيمه المختلفة.
- لا يقتصر مفهوم إحياء محور الحج وحمايته، على برامج التخطيط لكنه يشمل أيضاً الصيانة والتأهيل والتوظيف وإعادة الاستخدام الأمثل للأبنية التاريخية، مع ضرورة تفعيل دورها اتجاه محور الحج، ضمن رؤية شمولية تخدم الهدف المرجو من عملية الإحياء.
- تعتبر عملية إعادة إحياء المحاور والمسارات الثقافية والسياحية عملية مستمرة، يجب أن يتم تطويع التكنولوجيا فيها، بما يخدم عملية إعادة الإحياء ومواكبة التطورات الحديثة.
- إن الارتقاء بالبنية المادية لمحور الحج الإسلامي، يعني المحافظة على النسيج العمراني للمحور الحج ومكوناته بالإضافة لمبانيه الخدمية.
- التأكيد على كونه من أهم المسارات الثقافية والسياحية، لتطوير القاعدة الاقتصادية للمدينة، من خلال معالجة عدة جوانب وهي:

1- التطوير العمراني والمعماري للمحور.
2- تنظيم استعمالات المحور ومحيطه.
3- التطوير البيئي.
4- الحل المروري.
5- الوصول لتحديد مناطق حماية لمحور الحج وفقاً للمخطط [5-4]، وذلك وفقاً للمناطق التالية:

- المنطقة باللون الأخضر، وهي مناطق الحماية الأولى أ-والتي تنطبق عليها شروط حماية منطقة دمشق القديمة. ويطبق عليها من حيث أعمال الترميم نظام ضابطة البناء الخاص بمدينة دمشق القديمة. وينص نظام ضابطة البناء على وجوب إتباع أساليب البناء التقليدية في حال ترميم الأجزاء الداخلية والخارجية من المباني التاريخية، ويجب استخدام المواد التقليدية لذلك، ويسمح باستخدام الأسمنت للقبو.

- المنطقة باللون الأحمر، وهي مناطق الحماية الأولى ب، وتضم كافة الأبنية المسجلة أثرياً. وتخضع لقوانين الأبنية المسجلة أثرياً، وتخضع لقوانين ضابطة البناء في مدينة دمشق في المناطق خارج السور، من حيث عمليات الترميم والحفاظ على الارتفاعات.
- المنطقة باللون البرتقالي، وهي مناطق الحماية الأولى أ. ويتم فيها الحفاظ على الأبنية التي تقع ضمن هذه المنطقة، والحفاظ على ارتفاعات المباني والسماح بعدد ارتفاعات ثلاثة طوابق عند الضرورة.
- المنطقة باللون الأزرق، وهي مناطق الحماية الأولى ب. ويتم فيها الحفاظ على الأبنية التي تقع ضمن هذه المنطقة، والحفاظ على ارتفاعات المباني والسماح بعدد ارتفاعات ثلاثة طوابق عند الضرورة، والسماح بإزالة المباني المتهدمة إعادة البناء بماينسجم مع الجوار وبالحاظ على نفس طابع التراث لمباني المحور.

وبالإضافة لأن مجرى نهر بردى والذي يقع ضمن الجزء الشمالي من منطقة الحماية الملاصقة لمدينة دمشق القديمة من جهة الشمال، قد شكل جزء من المحيط الطبيعي لمدينة دمشق القديمة، وهو من العوامل الهامة التي ساهمت في نشوء المدينة، فقد كان له دوراً في توجيه حركة الحجاج وفي توضع التكية السليمانية بالنسبة له، مما يتوجب علينا ضمه لمخطط حماية محور الحج.



المخطط [5-4]: مخطط حماية محور الحج الإسلامي في مدينة دمشق.

المصدر: الباحثة.

2-1-2-1-المقترحات العامة لإعادة تأهيل مسار محور الحج :

1 -توافر :-لوحات دلالة في بداية ونهاية

-لوحات تعريفية على المواقع

-لوحات في بداية ونهاية المسار عليها مخطط رقمي لكيفية السيروالوصول للمواقع بشكل سهل

2-كشف وتنظيف الواجهات على طول المسار

3-وضع إنارة تزيينية على طول المسار لإبراز المواقع و ليتسنى للزائر ليلاً التنقل بين المواقع بسهولة

4-معالجة التلوث البصري من (إشغالات أشرطة الكهرباء والهاتف...).

5-متابعة الاهتمام بنظافة الطريق بشكل دوري

6-وضع بروشور خاص بطريق الحج يتضمن/ صور توثيقية + صور للمواقع الأثرية والهامة ذات الصفة الدينية والتي كان لها دور أثناء مرور الحجاج عليها + صور للمباني التاريخية الأثرية التي كانت تخدم الحجاج + مخطط رقمي للمسار + لمحة تاريخية /

7-معالجة الأرصفة ورصف الطريق بالحجارة، للتأكيد عليه كمحور للمشاة.

8-الارتقاء البيئي بالمحيط وذلك بالتنسيق مع مديرية حماية البيئة لمعالجة الآثار الناتجة عن كثافة المطاعم المتواجدة في حي الميدان

- دراسة تسويقية وترويجية لمحور الحج من خلال إدراج هذا المسار ضمن الزيارات السياحية مع دراسة الجاليات التي تهتم به...
- فرز عناصر مشتركة من الشرطة السياحية ومحافظة دمشق للمحافظة على الأمن خلال الزيارات السياحية وللمحافظة على المباني الأثرية حيث أنها تتعرض للتعديات

9-إدراج محور طريق الحج ضمن لائحة المهرجانات بحيث يقام مرة سنويا بموعد مرتبط مع موعد الحج مما يشجع على السياحة الداخلية وإحياء مناسبة دينية مرتبطة بالتراث الثقافي والديني.

10 – إدراج محور طريق الحج ضمن محاور السياحة الدينية والثقافية.

11 – ضرورة توافر خدمات سياحية على طريق محور الحج (كوات صرافة -مكاتب استعلامات سياحية...)

12-إدراج المسار على موقع وزارة السياحة باستخدام نظام المعلومات الجغرافية 14GIS.

13-إدراج المسار على خارطة دمشق الرقمية باستخدام نظام المعلومات الجغرافية.

14-الاهتمام بوجود صالة عرض تحكي قصة محور الحج وعناصره ومعالم المحور المعمارية والتراثية التي تواجدت عبر الأزمنة.

15 – توظيف البوائك (ج بايكة)على طريق الميدان التي تنتشر على محور الحج بشكل كبير والتي كانت وظيفتها الأساسية تجارة الحبوب والمحاصيل الزراعية وما زالت إلى الآن بعضها قائم على وظيفته الأساسية، وتحول بعضها إلى وظائف أخرى.

16 – يجب أن تؤكد عمليات تخطيط الحفاظ على المواقع التراثية وتخطيط استثمارها السياحي على حصول الزائر على تجربة مفيدة وممتعة من زيارته لهذه المواقع.

17-لوحات دلالية للأبنية التاريخية في هذا المحور والتعريف بها ووضع مختصر يوضح الدور الذي كانت تؤديه هذه المباني من خدمة للحجيج.

18-العمل على جذب فئات الشباب والمثقين إلى المنطقة عن طريق توفير خدمة الانترنت اللاسلكي وخاصة في الساحات من أجل االتأكيد على تفعيل المحور سياحياً وثقافياً.

2-2-1-2-البعد الجديد لعملية إحياء محور الحج الإسلامي :

وذلك من خلال التطورات التقنية المستمرة؛ التي يمكن الاستفادة منها في عمليات إعادة الإحياء عن طريق الواقع الافتراضي.

مفهوم الواقع الافتراضي:

وهي تلك التقنيات التي يمكن تطبيقها في المحور، بما يساعد على إطالة فترة الزيارة من خلال توفير معطيات ومعلومات لايمكن أن يحصل عليها ضمن جولته العادية، يشمل العديد من التقنيات بما يمكن الشخص الذي يقيم في مدينة أو دولة بالتعرف على المحاور والمسارات الثقافية الميباني التاريخية والأثرية وعلى كافة والمعطيات الهامة، دون اضطراره للسفر.

- **من أهم التقنيات التي يمكن توظيف الواقع الافتراضي لزيادة الاستمتاع بإعادة إحياء محور الحج الإسلامي :**

أ-القيام رحلات عبر الماضي في محور الحج الإسلامي ومبانيه التاريخية الأثرية :

يمكن على ســبيل المثال التجول في المحور والتفاعل معه والترحال عبر الماضـــي من الحاضــر.ويمكن هذا من إعادة اســتكشــاف الماضـــي من خلال الواقع الافتراضـــي الذي تمت محاكاته حاســوبيا مع عدم الخروج من دائرة الحاضــر. يمكن أن يتم وضـــع شـــاشـــات عرض في محور الحج وتعرض في مناسبات معينة مثل أيام العيد.

ب-العرض المتزامن لماضي وحاضر مناطق ومحور الحج:

وذلك عن طريق خزانة افتراضية تعرض التزامن لماضي محور الحج والأثر التاريخي مع حاضره بالمقياس الحقيقي، مع خلق غطاء افتراضي من الماضي لكي يتم عرض هذا الأثر التاريخي والتعامل معه في زمن الماضي من خلال الحاضر.

تتمثل خزانة العرض الافتراضي من تجميع لعدة شاشات عرض مع مرايا نصف فضية وجهاز تتبع ولوحة لمس يتفاعل من خلالها المستعمل حيث يسمح ذلك التجمع بتوسعة مدى الفراغ من خلال غلاف زجاجي مع إسقاط رسومات مجسمة عالية الجودة بالحاسب الآلي.كما يمكن غضافة شخصية افتراضية متحركة تقوم بشرح تاريخ الاثر وتتفاعل مع المستعمل

ويمكن توظيف هذه التقنية في وصف حالة الأجواء والطقوس التي كانت تحدث في مدينة دمشق وفي محور الحج أثناء فترة الاستعداد للحج. ويمكن تزوريد قاعات التكية السليمانية بعد إعادة أهيلها وإعادة توظيفها بمثل هذ الخزانة.

ج -التفاعل المباشر مع المفردات التراثية التي يصعب التعامل معها في الواقع الحقيقي :

يمكن أن يتم ذلك من خلال كشك **الواقع المتسع**: حيث يمكن من خلاله التفاعل مع المفردات التراثية بصورة تضيف بعداً إضافيا وشيقاً، ويتم في كشك الواقع المتسع انعكاس للمفرد التراثي على مرآة فضية بحيث تبدو وكأن هناك صورة فراغ خلف المرآة ولذلك يمكن وضع العناصر والمفردات التراثية خلف المرآة وبها يتحقق خداع الواقع المتسع حيث يتيح للمستعمل التفاعل المباشر مع صورة الفراغ عن طريق يد المستعمل المزودة بقفاز المعلومات كوسيلة إدخال محققا درجة اكبر من الواقعية للتفاعل مع المفردات التراثية. ويمكن تزوريد قاعات التكية السليمانية بعد إعادة أهيلها وإعادة توظيفها بمثل هذ الكشك.

3-2-1-2-إعادة إحياء المباني التاريخية الخدمية لمحور الحج وإعادة توظيفها المستدام:

-ضرورة توثيق وتصنيف لكامل الأبنية الأثرية التي لها علاقة مع محور الحج الإسلامي حيث أن العديد من هذه الأبنية مهمل بشكل كلي ولا يرتاده السياح، وتوضيح تواريخ إنشاؤها واسسها المعمارية والعمرانية ووضع قواعد لإعادة الإحياء والترميم اللازم لها، الأمر الذي تم في الفصل الثاني والثالث.

-ضرورة التأكيد الذي تؤديه الدور الذي كانت تؤديه المباني الخدمية اتجاه طريق الحج والحجيج.

-ضرورة التمييز بين المدرسة السليمانية والتكية السليمية في الصالحية وتصحيح جميع الوثائق التي وردت عن الآثار العامة، و تصحيح الأخطاء التي وردت في تسمية التكية السليمية في الصالحية باسم التكية السليمانية أو مطعم سليمان.

-وفيما يخص إعادة التوظيف التاريخي المستدام للأبنية التاريخية[1].

- وضع خطة لتنفيذ مشاريع البنى التحتية مما يساعد في الإسراع بعمليات الترميم وإيقاف التدهور الذي تتعرض له المنشآت الأثرية.
- العمل على شرح وتعريف المواثيق الدولية والتشريعات الخاصة بالحفاظ على المدن التاريخية وخاصة للسكان والفنيين القائمين على عمليات الترميم في هذه المناطق مما يساعد على وضع منهج علمي متوازن.

[1] -بالنسبة للتكية السليمانية، والتي تشكل أحد أبرز الأبنية الأثرية التي لها علاقة مباشرة بالحج، نقترح بعد إجراء عمليات الترميم إعادة والتأهيل؛ إعادة توظيفها وتغير الوظيفة الحالية فيها من المتحف الحربي وتحويلها إلى مركز للدراسات الروحية حيث أن هذه الوظيفة تتناسب مع وظيفة التكية قديماً، لأن الوظيفة الثقافية من أفضل الوظائف التي يمكن أن نوظف بها المباني التاريخية، فهي وظيفة متممة وملتصقة بالنشاط الإنساني، وتلبي احتياجات الناس في كل زمان، وضرورة تخصيص أماكن لسكن الطلاب من خارج دمشق فيها وتخصيص قاعات لعرض تاريخ الحج الإسلامي وتشمل هذه القاعات على عروض رقمية تفاعلية تستخدم خلالها التقنيات السمعية والبصرية الحديثة بهدف تجسيد تاريخ مدينة دمشق ومخططاتها العمرانية عبر المراحل المختلفة، وتاريخ الحج الإسلامي ومحاور مبانيه الاثرية.

بالنسبة للمدرسة السليمانية، وبعد القيام بعمليات الترميم وإعادة التأهيل الحفاظ على وظيفته الحالية ((سوق المهن اليدوية)وذلك لأن هذه الوظيفة تحاكي الوظيفة الأساسية للمدرسة السليمانية وكما تتناسب مع متطلبات الوضع الحاضر، مع ضرورة تطوير الورش التقليدية في هذه المدرسة.

بالنسبة لجامع النقشبندي، فبعد القيام بعمليات الترميم وإعاد ة التأهيل الحفاظ على وظيفته الحالية،التفعيل السياحي والحفاظ على وظيفته كجامع مع إعادة إحياءه إلى الذاكرة فيما كان يتعلق بعبادة الحج.

بالنسبة لتكية العسالي نقرح إعادة توظيف التكية كمسجد ودار لتحفيظ القرآن.

- استخدم طرق التوثيق وفق نظام المعلومات الجغرافي لكامل العقارات (GIS).
- وضع برنامج لتخفيض الضرائب في مناطق الحماية والمناطق الانتقالية.

2-1-2-4-الإطار التشريعي :

-ضرورة التعاون بين الجهات المعنية من (المديرية العامة للآثار والمتاحف، مديرية أثار مدينة دمشق، مديرية دمشق القديمة، مديرية سياحة دمشق، محافظة مدينة دمشق، مديرية اوقاف دمشق)و المجتمعات المحلة وأصحاب القرار في وضع سياسات مشتركة للتطوير، وتهدف إلى إيجاد صناعة سياحية مستدامة تؤكد على حماية المصادر والمواقع التراثية للأجيال القادمة.

-ضبط المخالفات ومنعها.

-وضع خطة لضبط العمران في منطقة المحور عن طريق :

- تحديد المناطق الانتقالية.
- تخطيط المنظر العام في مناطق الحماية والمناطق الانتقالية.

-يُقترح تعديل قانون الآثار السوري ليستوفي النقاط التالية :

- تحديد حرم محيط بالمبنى التاريخي وفق حدود واضحة تطبق عليه أحكام خاصة بمحيط المباني الأثرية، كما تهتم بالمعايير الشكلية للفراغات العامة والفرش العمراني والأبنية الجديدة المراد بناؤها.
- تعزيز نظام المساعدات المالية المرتبط بعمليات الحفاظ على الأبنية الأثرية.
- ضرورة أن ينص قرار تسجيل الشرائح الأثرية على حقوق الارتفاق التي تترتب على العقارات المجاورة، وتتضمن تلك الحقوق تحديد صفات المداخلات الجديدة وعدم فتح نوافذ أو شرفات عليها إلا بترخيص من السلطات الأثرية وإيجاد حرم غير مبني حول المباني الأثرية.

2-1-2-5-إستراتيجية رفع الوعي لدى الناس بأهمية التراث والمحاور الثقافية التاريخية:

1- معالجة غياب الوعي العام الثقافي بأهمية التراث العمراني المروث، والمحاور الثقافية والسياحية، لدى المجتمع والمعماريين من خلال برامج ونشاطات تقوم بها الحكومة لرفع الوعي.
2- تعزيز المساهمة المجتمعية من خلال تنمية المشاركة المجتمعية كضمان لنجاح عمليات الإحياء المستدام، حيث أن أهم مايؤثر سلباً على عمليات الإحياء والحماية هو غياب الوعي الجماهيري بأهمية التراث والمحاور التاريخية وضرورة المحافظة عليه، ليكون المجتمع شريك فاعل ويمكن أن يتم ذلك من خلال :

- إقامة ندوات ومحاضرة تعرف بالتراث وبمحاوره التاريخية المهمة وكيفية المحافظة عليه.
- إقامة مراكز للتراث تقام في التكية السليمانية مثلاً أو في إحدى المباني التاريخية على محور الحج وذلك لغرس الوعي بأهمية هذه المحاور ومبنيها التاريخية الخدمية.
- تعزيز قيمة التراث لدى الطلاب المعماريين وخاصة طلاب السنوات الأولى لإعداد معماريين قدرين على التعامل مع التراث وحمايته.

توصيات الدراسة :

نظرا لأهمية التراث التاريخي الذي تركه لنا الاجداد، ولأن التراث التاريخي يشكل تعبيراً عن الاحترام للماضي، والحرص على مواصلة الحوار معه لأن في ذلك ربطاً للماضي بالحاضر وتطلعاً إلى مستقبل زاهر مزدهر ومتطور، ومن هذه الرؤية يجب توفير الحماية المناسبة للمحاور التاريخية بشكل عام ولمحور الحج الإسلامي في سورية بشكل خاص من تأثير التطور العمراني الحديث، والمحافظة عليه لأجيال المستقبل، وفي هذا المجال نورد التوصيات التالية :

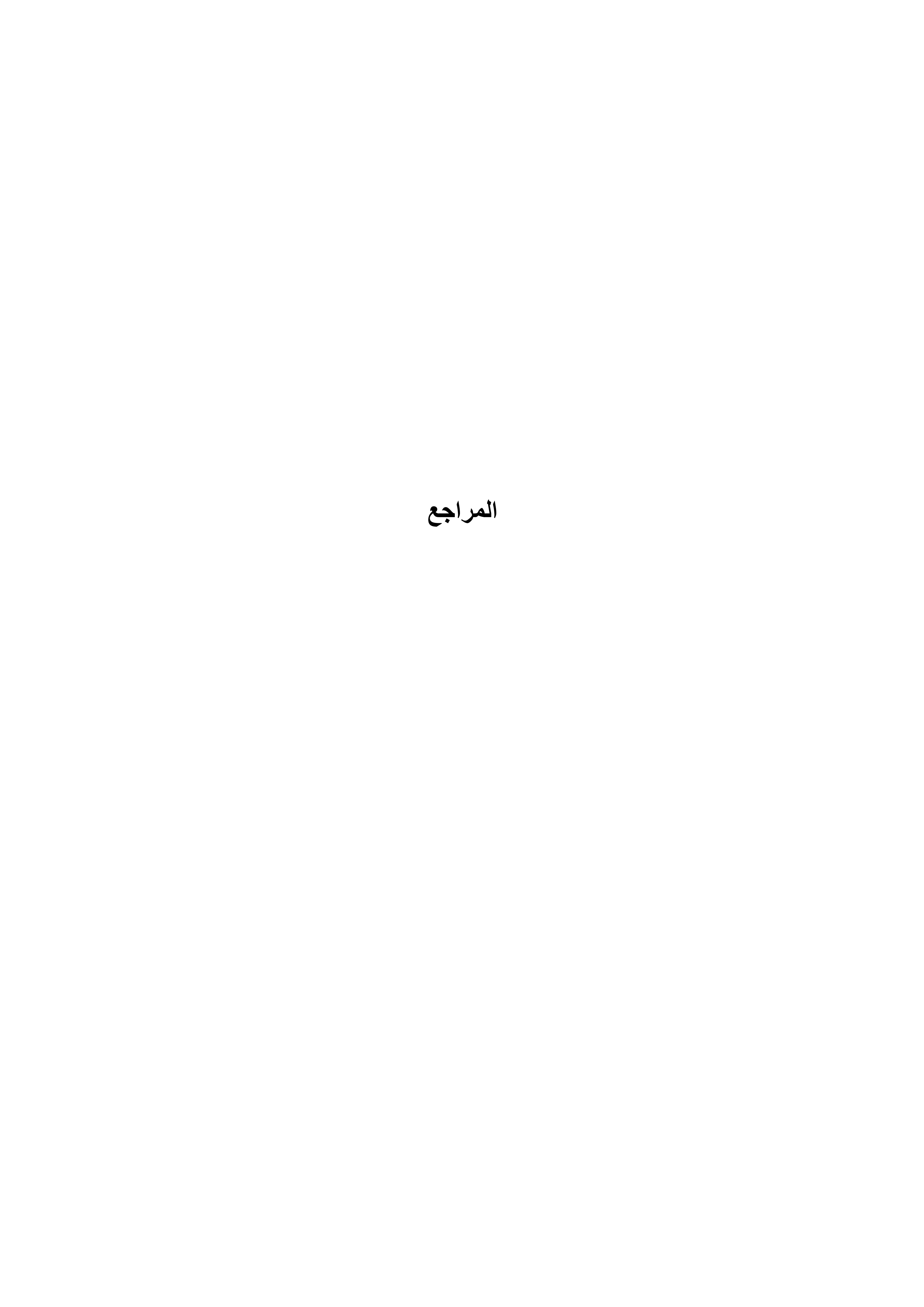
1- انطلاقاً من أهمية محور الحج، التأكيد على أهمية تسجيل محور الحج على لائحة التراث العالمي حيث أن تسجيل طريق الحج الشامي على قائمة التراث يمثل جزء من مبادرة للعناية بالتراث الحضاري، وذلك لحفظ تاريخ الدولة وإبراز بعدها الحضاري وماتتمتع به من إرث تاريخي هام كمنبع للحضارات المتعاقبة ومحطة رئيسية لطرق تجارية قديمة. وذلك ليكون خطوة على طريق تأهيله وفقاً لمعايير المنظمات العالمية المتخصصة، وقد قامت المملكة العربية السعودية بتسجيل جزئي طريق الحج الشامي والمصري الذين يقعا ضمن أراضيها.
2- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام والتعريف بالمحاورالتاريخية بشكل عام، وبالمحاور الدينية والثقافية (محور الحج الإسلامي) بشكل خاص لأن هذه المحاور تعبر عن نمط حياة أمة في فترة تاريخية معينة، فضلا عن دورها التنموي في المدن المار بها.
3- وضع سياسات تأهيل لهذا المحور للتأكيد على دوره التاريخي كمسار للحج الأسلامي ودوره كمحور تنموي، ضمن مفهوم الأولوية: (عروض المحور المرورية، رفع كفاءته المرورية، وسلامته والبنية التحتية منه، والإشارات الدلالية والمرورية، وعدم وجود حوادث).
4- ضرورة تفعيل مفهوم التخطيط الوطني على مستوى سورية، وكذلك مفهوم التخطيط الإقليمي الشامل والتخطيط المناطقي على مستوى المحافظات بإحداث هيئات إدارية متخصصة في العاصمة وفي باقي المحافظات السورية؛ والتي تعمل في ضوء بنك المعلومات الشامل والتفصيلي الخاص بالمحافظة، وبعدها اقتراح المشاريع المتعددة ك (المحاور السياحية، محاور التنمية) .
5- ضرورة تحديد جهة مسؤولة عن (محاور السياحية) بإحداث هيئات مركزية على المستوى الوطني تصب عندها قواعد البيانات عن الأقاليم السورية.
6- أهمية إعادة إحياء مسار محور الحج، والمعالم الأثرية الواقعة عليه، وكافة الأبنية التاريخية المخدمة للمحور والتي لا تقع على المحور كالتكية السليمانية فضلاً عن الخانات، وضرورة الربط بينها وبين المحور من خلال خطة إعادة الإحياء.
7- ايجاد تخطيط وطني شامل، وخطة وطنية اقتصادية ومكانية، ومنهجية تخطيطية للعمل بإعادة إحياء المحور وتأهيله.
8- التأكيد على القيم الفنية والتاريخية والدينية لبنية النسيج العمراني في محور الحج ومحيطه والتي أدت إلى ازدياد الاهتمام بالتراث والسعي إلى إيجاد الحلول المناسبة لاستمراره.
9- ضرورة دمج التراث في عمليات التنمية واعتبارها جزء فعال ومؤثر على نمط الحياة.

10- ضرورة وضع نظام متكامل للحفاظ والإحياء والحماية وليس قرارات منفردة، فالمحافظة على المناطق التراثية تتعطل بسبب تضارب قرارات الجهات الإدارية وتعدد الجهت المسؤولة عن الأثر، بالإضافة إلى التعارض القانوني بين السلطات العامة لمسؤولة.
11- ضرورة إعادة استخدام أو توظيف الأبنية الاثرية بأسلوب يدعو إلى استمراريتها وتنميتها ذاتياً في إطار استدامتها والحفاظ عليها.
12- القضاء على مصادر التلوث البيئي التي تسبب تآكل مواد البناء والتقليل من كثافة مرور السيارات في المحور.

13-ضرورة وضع ضوابط للتشوهات البصرية (كالإعلانات التجارية وأساليب إضاءتها والملصقات بكافة أنواعها) حيث إن جمال ووعة المنجزات التاريخية قد شوهت من جراء هذه العناصر المشوهة.
14-تأهيل أشخاص مسؤليين عن عمليات التغيير سوءاً كانوا من أصحاب قرار أم مهندسيين أو فنيين أو حرفيين وبنائين بالإضافة إلى تأهل السكان انفسهم والذين يعتبرون الهدف الاول في مشروع التنمية والحفاظ.

الخاتمة :

تعد المحاور التاريخية وكافة المسارات السياحية والثقافية ثروة حضارية لابد من العناية بها وحمايتها، ولابد من دراستها وإيضاح قيمها والفوائد منها، ، لأنها تشكل ذاكرة حديثة وتاريخية وصرحية في صورة متكاملة، ويشكل محور الحج بمبانيه التاريخية الأثرية ذاكرة حية لما كانت عليه المدينة في تلك الفترة لذلك لابد من إعادة إحياؤه وإحياء مبانيه الخدمية وإعادة استخدامها بالشكل الأمثل الذي يؤدي إلى الحفاظ عليه والاستفادة منه في الوقت الحاضر دون تفريغها من مضمونها التراثي والتاريخي إزاء محور الحج.



المراجع

المراجع العربية :

1- الكتب :

1- ابن الأثير. (1987م). الكامل في التاريخ ج 11، بيروت: دار الكب العلمية (376 صفحة).

2- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي. (1987 م) . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (ط. 1)، بيروت : مؤسسة الرسالة. (799 صفحة).

3- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني. (1907 م) . رحلة ابن جبير، بيروت : دار صابر. (348 صفحة).

4- ابن شداد، عز الدين محمد. (1953م) . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، م 1ج1، دمشق، المعهد الفرنسي. (300 صفحة).

5- ابن كنّان الصالحي الدمشقي، محمد بن عيسى. (1992 م) . المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة. (963 صفحة).

6- ابن كنّان الصالحي، محمد بن عيسى. (1994م) . الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية،(ط. 1) ، دمشق، دار الطباع. (680 صفحة).

7- أبو ذر سبط ابن العجمي الحلبي. (1997 م) . كنوز الذهب في تاريخ حلب م1، (ط. 1) ، حلب: دار القلم العربي. (625 صفحة).

8- الأرناؤوط، محمد .(1995 م) ، معطيات عن تاريخ دمشق وبلاد الشام الجنوبية، (ط. 1) ، دمشق، دار الأبجدية. (247 صفحة).

9- الأسدي، خير الدين،(د. ت) . موسوعة حلب المقارنة، م 3، حلب : جامعة حلب. (390 صفحة).

10- أسعد، منير الخوري. (1982 م) . تاريخ حمص، ج 2 / (ط. 1) . سورية – حمص : مطرانية حمص الأرثوذكسية. (531 صفحة).

11- ايبش أحمد. (2002 م) . دفاتر شامية عتيقة، دمشق، دار قتيبة , دمشق (287 صفحة)

12- الإيبش، أحمد، والشهابي، قتيبة. (1998 م) . معالم دمشق التاريخية، دمشق، دار المتنبي. (560 صفحة).

13- الباشا، حسن. (1995- 1996 م) . الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية م 3، بيروت : أوراق شرقية. (709 صفحة).

14- الزهراي، نعيم. (2006م). العمارة الابلقية الأثرية والتراثية بحمص، (ط.1). سورية، حمص: مطبعة جامعة البعث. (276 صفحة).

15- السباعي، محمود، الزهراوي، نعيم.(د.ت). حمص دراسة وثائقية في الحقبة من (1840- 1918م)، (ط.1)، دمشق، مطبعة الروضة.(348 صفحة).

16- المكناسي، محمد. (2003م). رحلة المكناسي، (ط.1)، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع. (422 صفحة).

17- بكر، سيد. (1981م). الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، (ط.1) . المملكة العربية السعودية، جدة، مطبوعات تهامة. (224 صفحة).

18- جواد، مصطفى. (1954 م) . الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية م 10، ج 2، (ط.1). بغداد : الدار العربية للموسوعات. (96 صفحة).

19- حجار، عبد الله. (2006م). إضاءات حلبية تاريخ ومعالم تراث،(ط.1)، حلب، جامعة حلب، المطبعة الرقمية. (312 صفحة).

20- الحجار، عبد الله، معالم حلب الأثرية، ص 34. (215 صفحة).

21- حريتاني، محمود. (2006 م) . حلب والسطنة العثمانية الوقف والعمران 1516 – 1916. (ط.1) ، سورية، حلب، شعاع للنشر والعلوم. (88 صفحة).

22- حسين عبد الحميد، ميادة. (2005 م) . الجغرافية التاريخية لمنطقة حمص. سورية : دمشق، د. ن، (245 صفحة).

23- الحلاق، أحمد البديري. (1959 م) . دمشق حوادث دمشق اليومية، دار سعد الدين. (340 صفحة).

24-حلاق، عبد الله يوركي. (1983).، حلبيات، حلب، منشورات مجلة الضاد. (240 صفحة).
25-حماة. (د. ت) . في دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثامن) . وزارة المعارف. (486 صفحة).
26-الخلوصي، محمد ماجد. (1984 م) . الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها، سورية : حمص، د.ن، (195 صفحة).
27-دهمان، محمد. (1990م) . معجم الألفاظ المملوكية، (ط. 1) ، بيروت : دار الفكر المعاصر. (165 صفحة).
28-ديك، دويز. (2008 م).، العثمانيون في سورية تاريخ من العدالة والجور (مصطفى العلواني، و عبد القادر العلواني مترجم) ، سورية، دمشق، وزارة الاعلام. (191 صفحة).
29-الرفاعي، أنور. (1977م) . تاريخ الفن عند العرب المسلمين، (ط. 2) . سورية : دمشق، دار الفكر. (196 صفحة).
30-الريحاوي، عبد القادر. (1990 م) ، العمارة في الحضارة الإسلامية، (ط. 1) ، جدة : مركز النشر العلمي في جامعة الملك عبد العزيز. (344 صفحة).
31-الريحاوي، عبد القادر. (1996 م) . دمشق تراثها ومعالمها التاريخية. (ط. 2)، سورية، در البشائر للطباعة والنشر والتوزيع. (500صفحة).
32-الريحاوي، عبد القادر. (2005 م) . روائع التراث في دمشق، (ط.1) ، دمشق : التكوين للطباعة والنشر. (281 صفحة).
33-ريمون، أ.(1986 م) . العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية (قاسم طوير، مترجم). (ط. 1)، دمشق، دار المجد. (145 صفحة).
34-ريمون، أندريه. (2007 م) . المدينة العربية حلب في العصر العثماني،(ملكة أبيض، مترجم) ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة. (420 صفحة).
35-سوفاجيه، ج. (1989م) . دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب (فؤاد أفرام البستاني، مترجم) . بيروت : دار الشروق. (140 صفحة).
36-الشهابي، قتيبة. (1995 م) . مشيدات دمشق ذوات الاضرحة، دمشق : منشورات وزارة الثقافة. (678 صفحة).
37-طلس، محمد أسعد. (1956 م) .الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، دمشق، مطبوعات مديرية الآثار في سورية. (500 صفحة).
38-عبد الغني، عارف. (1993م) . نظام التعليم عند المسلمين، (ط. 1) . دمشق : دار كنانة للطباعة والنشر. (332 صفحة).
39-عبد الهادي، يوسف. (1943 م) . ثمار المقاصد في ذكر المساجد، بيروت، المعهد الفرنسي بدمشق. (332 صفحة).
40-عثمان، محمد عبد الستار. (1988 م) . المدينة الإسلامية، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (376 صفحة).
41-العظمة عبد العزيز. (2002) . مرآة الشام –تاريخ دمشق وأهلها، دمشق، دار الفكر. (344 صفحة).
42-العلبي، أكرم. (1989م) . خطط دمشق، (ط. 1) ، دمشق : دار الطباع. (604 صفحة).
43-غالب، عبد الرحيم. (1988م) . الموسوعة العربية الإسلامية، (ط. 1) . بيروت : المطبعة العربية. (680 صفحة).
44-الغزي، كامل. (1926 م) . نهر الذهب في تاريخ حلب م2، (ط. 1) ، سورية، حلب، منشورات دار القلم العربي. (644 صفحة).
45-فارس، محمد خير. (1998) . نظام الانتداب الفرنسي على سورية. سورية - دمشق؛دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. (400 صفحة).
46-فارسي، محمد سعيد. (1984 م) . التكوين المعماري والحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية، السعودية، جدة، دار عكاظ. (208 صفحة).
47-القساطلي، نعمان.(2004 م) ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دمشق، دار طلاس. (326 صفحة).

48- القلقشندي، أبو العباس. (2008م). صبح الأعشى ج 4، القاهرة: دار الكتب المصرية. (511 صفحة).
49- القوتلي، محمد نبيل. (2008 م) . ذاكرة دمشق، (ط. 1) ، دمشق : دار البشائر. (345 صفحة).
50- كارل، ولتسينجر، وكارل واتسنجر. (1984 م) . الآثار الإسلامية في مدينة دمشق،(قاسم طوير مترجم) ، (ط. 1) ، دمشق : مطبعة سورية. (215 صفحة).
51- كرد علي، محمد. (1983 م) . خطط الشام م5، (ط. 3) ، دمشق : مكتبة النوري. (312 صفحة).
52- الكلابي، حياة بنت عبد الله. (2009 م) . النقوش الإسلامية على طريق لحج الشامي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية. (637 صفحة).
53- كونل، أ. (1996م) . الفن الإسلامي. (أحمد موسى) . بيروت : دار صابر للطباعة والنشر. (288 صفحة).
54- كيال، منير. (2006م) .محمل الحج الشامي/. دمشق : منشورات وزارة الثقافة. (224 صفحة).
55- الكيلاني، راشد. (2002م) . حماة تاريخ وحضارة، سورية، حمص، مطبعة اليمامة. (333 صفحة).
56- لوران، درافيو. (1982 م) . وصف دمشق في القرن السابع عشر (أحمد ايبش،مترجم) ، (ط.1)،، دمشق، دار المأمون للتراث. (144 صفحة).
57- مارينو، بريجيت. (2000م) . حي الميدان في العصر العثماني (ماهر الشريف، مرجم) ، سورية، دمشق، دار المدى. (490 صفحة).
58- المحبي، محمد أمين. (1884 م) . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،ج 2 / ج 4، بيروت دار صادر. (665 صفحة).
59- محمد، سعاد ماهر. (1971 – 1983) ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، م 5، القاهرة : وزارة الأوقاف للمجلس الأعلى للشؤون الأسلامية : مطابع الأهرام. (504 صفحة).
60- مصطفى، صالح لمعي. (1984 م) . التراث المعماري الإسلامي في مصر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. (341 صفحة).
61- المغلوث، سامي بن عبد الله. (2010). أطلس الحج والعمرة/ (ط. 1). الرياض : العبيكان للنشر. (352 صفحة).
62- الموصلي، محمد ماجد. (د. ت) . الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها، سورية، حمص، مطبعة الروضة. (126 صفحة).
63- نجيب العمر، عمر. (1987 م) . تاريخ حمص، سورية، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية. (316 صفحة).
64- النعيمي الدمشقي، عبد القادر. (1928 م) . الدّارس في أخبار المدارس ج 1، (ط. 1)، دمشق، مطبعة الترقي. (662 صفحة).
65- يوسف نعيسة. (1986 م) . مجتمع مدينة دمشق، ط1، دار طلاس، 1986م، دمشق، ج1. (365 صفحة).

2- الأبحاث الأكاديمية والمنشورات:

1- عرقاوي، عبير، المبادئ التوجيهية لإدارة موقع التراث الثقافي العالمي.
2- المصري، عماد، و السقا، هبة. (د. ت) ، محور التنمية الرئيسي في سورية (دمشق – حلب)وامتدادهما، ص 13، الرياض : د. ن.
3- المواثيق الصادرة عن الإيكوموس من قبل مركز التوثيق التابع لمنظمة الايكوموس.
4- نظام ضابطة البناء 1997 م.

3- المؤتمرات والندوات :

1- الطويل، حاتم عبد المنعم. (2005، شباط) . إعادة تأهيل المراكز التقليدية للمدينة العربية (حالة دراسية – التجربة اللبنانية) ، كلية الهندسة المعمارية، جامعة بيروت العربية، بيروت، لبنان، في المؤتمر الثاني لقسم الهندسة المعمارية، جامعة القاهرة.
2- أمين، أمير صالح. (12-14 نيسان، 2007) . نحو رؤية لعمليات الحفاظ على التراث لتدعيم هوية المجتمعات الإسلامية في عصر العولمة. قدم إلى مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، جامعة الفيوم / كلية الهندسة المعمارية.
3- عرقاوي، عبير. (2014، 2 مارس) ، تقديم الخارطة الأثرية والطبيعية ضمن الإدارة المتكاملة للتراث الطبيعي والثقافي في الإطار الوطني للتخطيط الإقليمي، قدم إلى هيئة التخطيط الإقليمي والمديرية العامة للآثار والمتاحف. المتحف الوطني، دمشق.
4- محجوب، ياسر عثمان. (1999 م، 24-27 أكتوبر) . محاضرة بعنوان تقييم أداء المباني، بحث مقدم إلى المعرض والمؤتمر العربي الأول للعمارة التصميم. الكويت.
5- حريتاني، محمود. (2007، 12- 14 أبريل) ، الأسس التخطيطية للإحياء في مراكز المدن (دراسة مقارنة بين عدة حالات أوروبية وعربية – حلب ووارسو) ، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع.

4- المجلات والصحف :

1- أبو عساف، علي. (1991 م) . طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم.مجلة دراسات تاريخية، العددان 39 – 40، ص ص (72-82).
2- الأرناؤوط، محمد. (1991 م) . طريق الحرير-طريق الغجر بين الشعوب(نموذج حلب في العصر العثماني)، مجلة دراسات تاريخية، العددان 39 – 40، ص ص (156-167).
3- الأصفر، عبد الرزاق. (1969 م، حزيران) . مجتمع حماة بين اليوم والأمس. مجلة العمران، العدد 29 – 30.
4- الربداوي، قاسم. (2014م). التزايد السكاني والتنمية الحضرية في محافظة درعا. مجلة جامعة دمشق، العدد 3-4، المجلد 30، ص ص (709-725).
5- المفتي، عدنان. (1969م، يوليو). تاريخ مدينة حماة وتطورها منذ بنى الإنسان أول حضارة على ضفاف العاصي. مجلة العمران، العدد 29-30، ص ص (116-134)
6- حمشو، مخلص، (3،2014 أكتوبر). قطار حماة أيام زمان. الفداء: يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.
7- د. ن. (2008، 28 نوفمبر) ، وثيقة عثمانية تحدد طرق قوافل الحج المارة بالعارض وتشيد بوقفات أمرائها تجاه ضيوف الرحمن، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 10958.
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=43&article=496661&issueno=10958#.VMZ3S_6Ue1R
8- د. ن. (2012، 11 مارس) ، خان الصدرانية، صحيفة تشرين.
http://tishreen.news.sy/tishreen/public/read/253030
9- د. ن. (2014، 8 مارس) ، سكة حديد الحجاز.. تجسيد تاريخ المدينة المنورة في متحف، صحيفة الاقتصادية، العدد 7453.
http://www.aleqt.com/2014/03/08/article_831492.html
10-د.ن. (2011، 17 نوفمبر). قافلة الحج الحلبي من سنة إلى ستة أشهر. الجماهير : يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.
11-رافق، عبد الكريم. (1981م) قافلة الجج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية.
12-رافق، عبد الكريم، (1981 م، تشرين الأول – أكتوبر) . قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني. مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس.
13-الريحاوي، عبد القادر. خانات دمشق. مجلة الحوليات السورية،، مجلد 5.

14-صواش، نوزاد، (2005، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر) . المحمل الشريف... أشواق إلى ديار الحبيب. مجلة حراء، العدد الأول.
15-صواش، نوزاد، (2005، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر) . المحمل الشريف... أشواق إلى ديار الحبيب. مجلة حراء، العدد الأول،
16-العتيبي، نواف. (2009، 17 أبريل) . خط حديد الحجاز شاهد تاريخي على الحضارة الإسلامية، صحيفة الرياض، العدد 14907.
http://www.alriyadh.com/422846
17-عثمان، إيمان. (2008، 3 نوفمبر) . مدينة القدم 2. عكاظ، العدد 4966.
18-عدرة، هشام. (2011، 11 مارس) . شارع قصر الحجاج» في دمشق يتأهب لنهضة استثمارية سياحية، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 11791.
19-عرقاوي، عبير. (2006) . التطور التاريخي لخان أسعد باشا العظم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 23، العدد 1.
20-عز الدين، عبد الحميد. (1988م). مدينة حمص في العهد الروماني، **مجلة دراسات تاريخية**، العددان 29-30، ص ص (85-101).
21-مجلة العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق، 2004.
22-محلي، ساطع. (1991 م) . طريق الحرير 1991 الطريق وسيلة حضارية بين الشعوب، مجلة دراسات تاريخية، العددان 39 – 40، ص ص (49-71).
23-المطيري، سعود. (2011، 21 أغسطس) ، (الصرَّة)العثمانية مخصصات أفاضل مكة وعربان طريق الحج، صحيفة الرياض، العدد 15763
http://www.alriyadh.com/660803
24-مغربل، فاروق. (1969م، يوليو). العمران القديم والحديث في حماة. مجلة العمران، العدد 29-30، ص ص (20-31).

5- الموسوعات والوثائق التاريخية :

1- أطلس مدينة دمشق
2- البستاني، بطرس. (1883م) . الفن الإسلامي، في دائرة المعارف م 7، بيروت : مطبعة المعارف.
3- الحداد، محمد حمزة اسماعيل. (1517م – 1848م) . من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي. في موسوعة العمارة الإسلامية في مصر. م 1. القاهرة : دار زهراء الشرق.
4- العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق، 2004، ص 8.

6- محاضرات وورشات عمل :

1- عرض تقديمي عن " محور الحج "، دائرة الآثار والمتاحف (اليمارستان النوري) ، عن دراسة لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان، رقم / 10796 /، تاريخ 8 تشرين الأول 2006م، 2007 م.
2- عرقاوي، عبير، الحفاظ على الأبنية القديمة / الآثار، ماضرة في التعون أكاديمي المشترك (- DAAD) بين جامعة دمشق / وجامعة آخن (RWTH)، كلية الهندسةالمعمارية في دمشق / كلية الهندسة المعمارية في آخن من أجل تطوير العملية التدريسية.

7- مقالات منشورة على الإنترنت :

1- العلاف، عماد هاني، (2013، 20 كانون الأول) . إعادة الاستخدام التكيفي للمبنى التاريخي / استدامة التراث العمراني لمراكز المدن القديمة. استرجعت بتاريخ 20 أيار، 2014 من
http://www.arch-news.net/2013-11-01-22-50-55/2014-04-02-16-07-51/item/33128-2014-03-31-14-57-59/33128-2014-03-31-14-57-59#.VLx1YEeUe1R

2- السعيد، عبد الله بن عبد العزيز. (2007، 5 أغسطس) . درب الحج الشامي، مقدمة تاريخية، استرجعت في 17 شباط، 2014 من
http://alsahra.org/?p=1024
3- الأرناؤوط، محمد. (2012، 14 نوفمبر) . من المعجم السوري الجديد : حي العسالي الذي نشأحول تكية عثمانية، استرجعت بتاريخ 25 مايو / 2012 من جردة الحياة :
http://alhayat.com/Details/462035
4- رؤوف، عماد.(2014،17اكتوبر). العمارة العثمانية في بلاد الشام من خلال كتب الرحلات العربية. استرجعت بتاريخ 2 مارس/2014 من شبكة الألوكة الثقافية:
http://www.alukah.net/culture/0/78593/
5- حمشو، مخلص. (2014، 3 نوفمبر). قطار حماة أيام زمان، صحيفة الفداء.
http://fedaa.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=8782408032014031109595 4
6- شعث، شوقي، (د. ت) . المعالم التارخية في الوطن العربي ووسائل حمايتها وصيانتها وترميمها. استرجعت بتاريخ 15 آذار، 2013. من
http://www.landcivi.com/new_page_315.htm

7- قدسي، فراس.(2010، 20 نوفمبر) . طقوس وعادات حجّاج حلب أيام الأربعينيات، أُسترجعت بتاريخ 15 شباط، 2010 من
http://www.esyria.sy/ealeppo/index.php?p=stories&category=community&filename=201011201140031
8- قدسي، محمد. (2011، 24 اغسطس). ، محطة "بغداد" قصة ترويها ذاكرة الخطوط الحديدية، أُسترجعت بتاريخ 15مايو/2012من
http://www.esyria.sy/ealeppo/index.php?p=stories&category=misc&filename=201108240925063

8- رسائل الدكتوراة والماجستير :

1- البني، عاصم. (2011 م). إعادة إحياءمنطقة عمرانية (حالة دراسية محور باب الجابية في مدينة دمشق) ، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعماري، قسم تاريخ ونظريات العمارة، جامعة دمشق، سورية
2- الجاسر، لمياء. (2005-2006 م) . تطور عمارة دور المتصوفة في مدينة حلب، بحث أعد لنيل درجة الدكتوراة في علم الآثار، جامعة حلب، مهد التراث العلمي العربي بحلب، قسم تاريخ العلوم التطبيقية. جامعة حلب، سورية.
3- درويش، عائشة. (2009 م)، إعادة تأهيل شيحة عمرانية تاريخية في حي القنوات، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية، قسم التصميم المعماري، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، دمشق، سورية .
4- عتمة، محمد علام. (12.12.2007). إعادة تأهيل المبني التاريخية في فلسطين (حالة دراسية : تجربة مدينة نابلس منذ عام 1994م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية. نابلس / فلسطين.
5- فريد، جورج، وداود، طريف. (1977 م) . مدينة حلب في العهد المملوكي الأول،بحث أعد لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، الأردن.
6- قباني، هبة. (2010 م) . محاور التنمية العمرانية بين المفهوم والتطبيق ظاهرة المحور الجنوبي (طريق دمشق –درعا) ، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية، قسم تخطيط المدن والبيئة، جامعة دمشق، سورية.
7- عبد المجيد، ميادة. (2005م). الجغرافية التاريخية لمينة حمص، دراسة أعدت لنيل درجة الإجازة في الجغرافية، جامعة دمشق، سورية.

9- التقارير :

1- التقرير الأول للوكالة اليابانية للتعاون التقني (الجايكا –2007. JICA)
2- تقرير لجنة المواقع الأثرية المشكلة بقرار السيد محافظ دمشق د. بشر الصبان – رقم / 10796 / تاريخ 8/ 10 / 2006 م – تاريخ تسليم التقرير (1328 هـ - 2007 م).
3- مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، 15 تشرين الثاني 2005 م، بناءً على القرار / 5090 / بتاريخ 19 / 2 / 2006، الجمهورية العربية السورية، وزارة الإدار المحلية، محافظة دمشق، مديرية مدينة دمشق القديمة
4- مشروع التخطيط والتنمية العمرانية في إقليم دمشق الكبرى في الجمهورية العربية السورية، الوكالة اليابانية للتعاون التقني (الجايكا –، 2007 م. JICA))
5- مشروع التخطيط والتنمية العمرانية في إقليم دمشق الكبرى في الجمهورية العربية السورية، الوكالة اليابانية للتعاون التقني (الجايكا –JICA) ، الفصل الثالث، تقدم العمل للمشروع النموذجي، الفصل الثالث، تقدم العمل للمشروع النموذجي في منطقة جنوب القنوات، 2007 م، ص 15-17.

10 – السجلات الشرعية :

1- سجل 65، حجة 25، صفر 1116هـ/1704م، ص12.
2- سجل 56، حجة 52، 16 شعبان، 1138هـ/ 1725م.
3- سجل 113، حجة 182، ص67، 7 شوال 1139هـ/ 1726م.
4- سجل 82 حجة 325، ص172، 9 رمضان، 1149هـ/ 1736م.
5- سجل 112، حجة 74، 15 شوال 1158هـ/ 1740م.
6- سجل 134 حجة 72، 14 شوال، 1164هـ/ 1750م.
7- جل 154، حجة 425، 15 شعبان، 1173هـ/ 1759م.
8- سجل 133، حجة 48، 3 ربيع الأول، 1165هـ/1751م.
9- سجل 156، حجة 134، 11 جمادى الأولى، 1132هـ/1729.

11- مؤسسات حكومية وجهات تعاون دولية :

1- برنامج تحديث الإدارة المحلية (MAM)
2- محافظة دمشق.
3- المدرية العامة للآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق.
4- معهد الدراسات الفرنسية IFBO
5- وزارة لسياحة.
6- الوكالة اليابانية للتعاون التقني JICA

المراجع الأجنبية :

1- الكتب :

1- Abdel nour , Antoine.IntroductionAl, hestorie urbaine dela seria ottoman.(308p).
2- Elisseff. N. art. Dimashq. E. I. 2. vol. II.. (295p).
3- Faroghi , Suraiya.(1990), Dilgrims and Sultans The Hajj under the ottoman 1518-1683 , London, New York.. (256p).
4- Faroqhi , Suraiya. (1994) . Plgrims and Sultans The Hajj under the ottoman 1518-1683, London , New York , L.B Tauris & Co Ltd . .(244p).
5- Feilden , B.M.(2003). conservation of historic buildings , Third edition m oxford / UK. .(403p).
6- Gaube , Heinz , 1978 – Arabische Inschriften Aus Syrien , Beirut . .(201p).
7- Gazzal ,Zouhair. L-Economie Politugede Damas Durant. Lexix'siecle. Structures traditionalist et capitalism Damas. Institut francais de Damas 1993. .(138p).
8- les Faubourgs de Damas , Atlas contemporain des faubourgs anciens , Formes , espaces et prespectives Yeves roujon& Luc VILAN 2010 , Institut francais due Poche , Orient , Damas ,Syire , Chapitre VI , Suwaiqa. .(396p).
9- Necipoglu, Gulru.(2005) . The Age of SINAN Architectural Culture in the Ottoman Empire. (1 st ed.) ,London , Reaktion Books Ltd. .(592p).
10- Pasccaul. J, Familes et fortunes apanas 450 fogrs Damascains en 1700, Damas 1994. institute francais de dames.(355p).
11- Pascual Jaen. (1998). Ultimevoyage Pour la Mecque , Institute francais de damas , Damas.. (130p).
12- Rodwell , D. (2007). conservation and Sustaniability in historic cities , by Blackwell Publishing Ltd , Oxford /uk. .(272p).
13- Sauvaget , J. (1941) . Alep Essai sure le developpement d une grande ville syrienne , des origiues au milieu du XIX siècle , Paris , Librairie orientaliste Paul Geuthner. .(795p).
14- Shamirs. S.Asad Basha. (1743-1758)Al-azm and Ottoman Rule in Damascus bulletin of School. of Oriental and African Studies. London, Vol. XXVI, 193. .(249p).

2- الأبحاث الأكاديمية :

1- A.Tisher, G. (2008) . Confflict and Collaboration : Historic Preservation and Academic , Government , and Nonprofit Sustainable Rehabilitation Projects. Degree of Master of Science Speccializing in Historic Preservation , The faculty of the Graduate Col.

2- Lynn Buddenborg , J.(2006). changing Mindsets : Sutainable Design in Historic Preservation. Master Thesis , Faculty of the Graduate school of Cornell University , USA.

3- أبحاث ومحاضرات :

1- Arny ,M. (n.d) . LEED r – EB Highlights Past , Present & Future. Leonardo academy , Madison , USA , From www.leonardoacademy.org
2- Kunszt , G. (2002). Sustainable Archittecture , Hungarian Academy of Sciences ,budapest.
3- Zimmerman , S. (2008). Energy costs in an Old House : Balancing Preservation and Energy Efficiency, Historic New England , England / British.

4- المؤتمرات والندوات :

1- Alkhani ,A.(2009). Assessing Sustainable Adaptive Reuse of Historical Buildings, 7th IASMA /WSEAS Internatinal Conference on Heat Transfer , THERMAL ENGINEERING and ENVIRONMENT , Department of Civil Engineering Qom University , Qom / IRAN .
2- Aref , Y.(2010). The Conservation of Heritage as a Means for Sustainability ,The Case of the Ottoman Town , Alexandria , Egypt ,Conference on Technology & Sustainability in the Built Environment , King saud university – College of Architecture and Planning , Riyadh / Saudi Arabia .

5- الهيئات والمنظمات والمواقع البحثية :

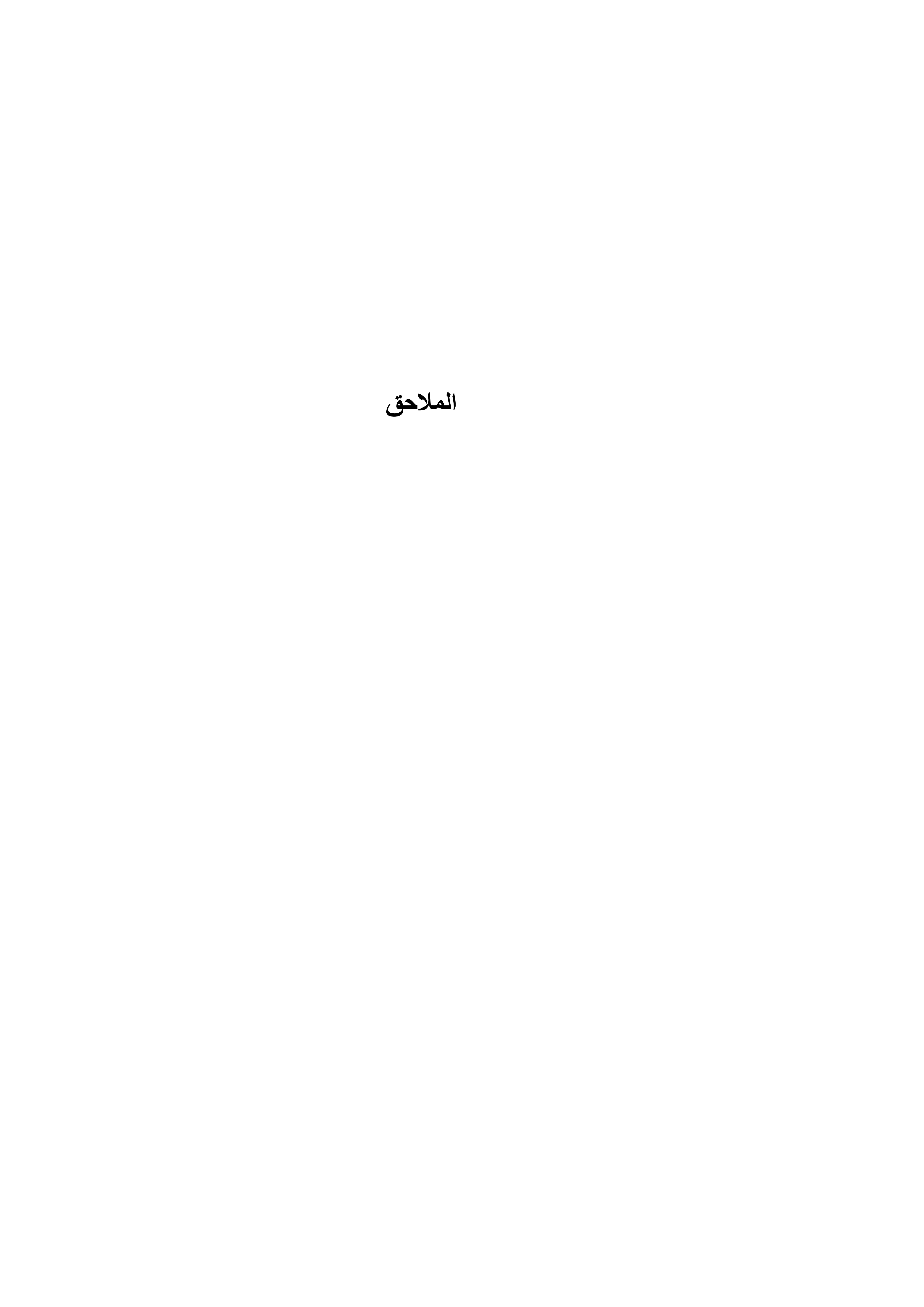
1- A.CAmpaga , B , FAIA, LEED AP BD+C Principal , BAC (A+P). (2012) . LEED 2012 : TOP TEN LIST OUR Final Top 10 Credits List , Plus A Couple more , USA. From http://www.preservation.org/informatincenter/communities/sustainability/leed/leed-2012-top-ten-list.htm

6- مقالات منشورة على الإنترنت :

1- Preserving America ,s Heritage. (2011) . Sustainability and Historic Federal Buildings. USA. from http://www.nps.gov./history/nr/

7- المواقع الإلكترونية :

1- موقع التراث الإميركي: http://www.thefreedictionary.com/historical
2- موقع التراث العالمي: http://www.unesco.org/ar/home/whc/.
3- موقع اليونسكو: www.unesco.org
4- موقع وزارة النقل: http://www.mot.gov.sy/index.php?m=247



الملاحق

الملحق رقم [1]: إحياء طريق الحج المصري

اليونسكو تدرس وضعه علي خريطة التراث العالمي

تدرس مصر مع هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة حاليا، وضع درب الحج المصري القديم بسيناء علي الخريطة الدولية لمواقع التراث العالمي، وطرق تطوير الطريق القديم، باعتباره احد أهم الطرق التي كان يعبرها الحجاج للأراضي الحجازية من مصر وشمال افريقيا وأوسطها، حيث تقع بهذا الطريق ايضا أهم آثار سيناء التاريخية بطول 230 كيلو مترا بدءا من شمال السويس بعجرود وقلعة نخل والتمد ورأس النقب ثم طابا .



الصورة [م1-1]: الجامع الفاطمي.

المصدر: صحيفة الأهرام.

يقول الأثري عبد الرحيم ريحان مدير منطقة آثار دهب بسيناء الجنوبية إن هذا التوجه في تحديث طريق الحج القديم جاء متواكبا مع رحلات الحج الحالية، ولما يوفره من طرق مباشرة لنقل آلاف الحجاج برا، وإن تاريخ استخدام هذا الطريق يرجع لعام1267 ميلادية عندما زار السلطان المملوكي بيبرس الكعبة وكساها وصنع لها مفتاحا، واخترق طريق السويس في طريق الحج عبر سيناء حتي أيلة علي خليج السويس، واستمر هذا الطريق مسارا للحج حتي عام1885، اي لمدة618 عاما، وان الحجاج من قبل كانوا يبحرون عبر نهر النيل من ساحل الفسطاط الي قوص بصعيد مصر، ثم بالابل من قوص يقطعون الصحراء الي البحر الاحمر حيث ينزلون الي جدة لتأدية فريضة الحج ويعودون من هذا الطريق.

ويشير الأثري المصري الي أنّ رحلة السفر الشاقة الطويلة عبر درب الحج القديم تميزت بمناح ترويجية وروحية ارتبطت بوجود اشجار في مواقع علي الطريق للتظلل بها وآبار مياه عذبة ومحطات لراحة الركاب، وهذا ما دفع الدول الاسلامية المتعاقبة من خلال الخلفاء عبر العصور لإعمار طريق الحج، واصلاحه، وانشاء القلاع بسيناء والعقبة والحجاز لحماية ركب الحجاج، وهذا ما دفع قطاع الاثار الاسلامية لعمل مسح أثري ودراسات تاريخية واثرية لتأهيل هذا الطريق، اضافة لترميم وصيانة نقش مهم للسلطان الغوري يجدد معالم الطريق، واقامة سور حديدي له طابع اسلامي، واستكمال اعمال المسح الاثري في الجزء الاخير منه والذي يسمي سطح العقبة لاكتشاف المزيد من المحطات الخاصة بالحج في تلك المنطقة.

وقال الاثري عبد الرحيم ريحان ان مركز التراث العالمي باليونسكو اوفد الدكتور عبد العزيز دولاتلي خبير اليونسكو لمراجعة وإعداد تقرير مبدئي عن المواقع الاثرية بدرب الحج لارتباطه بالطريق الحربي المهم الذي اتخذه صلاح الدين الايوبي عبر سيناء، الذي كان يسمي درب الشعري وكان يسلكه في غزواته الي الشام، وانشأ عليه مراكز محصنة ونقاط حراسة وقلعة صلاح الدين برأس سدر(قلعة الجندي) واخري بجزيرة فرعون بطابا وهي قيمة معمارية فريدة. ومن المعالم الأثرية الهامة على هذا الطريق؛ الجامع الفاطمي الذي يظهر في الصورة الصورة [م1-1].

موقع التجمع:



الصورة[م1-2]: قلعة نخل وبها شجرة السدر.

المصدر: صحيفة الأهرام.

أن درب الحج كان رحلة شهدت ومازالت تشهد رحلات الحجاج المصريين وغيرهم، حيث كان الحجاج يجتمعون في منطقة تقع شرق المرج، الحالية بالقاهرة حيث كانت بموقع التجمع فسقية للمياه ويقام بها نشاط تجاري في موسم الحج وتنصب سوق كبيرة للجمال والدواب والملابس حيث المبيت ثم يبدأ الموكب في الفجر، ويسير الحجيج في صحراء السويس مارا بقلعة عجرود ليخلد للراحة، وهي اول محطات درب الحج، وبها بئر محفورة في الصخر وانشئت في القرن الثالث عشر الميلادي ثم يدخل الركب بر سيناء من شمال مدينة السويس عبر سهل رملي حتي وادي الحاج ثم يهبط الي قرية صدر الحيطان بوسط سيناء ثم الي سهل التيه والذي سمي بهذا الاسم اعتقادا بأن بني اسرائيل تاهوا به، ثم يعبر عدة اودية حتى قلعة نخل وهي علي بعد13 كيلو مترا من عجرود.

وتقع قلعة نخل-الصورة[م1-2]- بوسط سيناء وتعد إحدي القلاع المهمة والتي بناها السلطان التركي قنصوه الغوري علي درب الحج المصري لحماية الحجاج، واتخاذها محطة يستريح عندها الركب لإمداده بالمياه، والقلعة مربعة الشكل مكونة من صحن أ وسط تحيط به غرف مسقوفة ومحاطة بسور وأبراج دفاعية، وتوجد هناك شجرة سدر قديمة تنذر لها النذور حتي الآن، والقلعة في حد ذاتها حصن كبير، وضعت علي جدرانها3 احجار تاريخية كتب عليها بالعربية فالحجر الاول منقوش عليه نص يقول:(مولانا السلطان.. عز نصره).. علي يمين الداخل والحجر الاوسط عليه:(مولانا السلطان مراد خان عز نصره سنة.. والتاريخ غير ظاهر والثالث علي اليسار منقوش عليه جدد هذا المكان المبارك مولانا السلطان احمد بن السلطان محمد خان عز نصره، مدة راجي محمد باشا سنة117 هجرية و1705 ميلادي، وان الحجر الاول يرجع للسلطان الغوري باني القلعة، والثاني والثالث لأعمال ترميم تمت بالقلعة، ووضعت الاحجار تذكارا لها وكان يوجد بالقلعة مدفع جبلي من مخلفات حاميتها القديمة يطلق في ايام الاعياد اعلانا لها، وفي بداية القرن الماضي كان يقطن القلعة بعض من رجال الشرطة غير النظاميين، واكثرهم كان من اهل نخل اضافة لناظر او ضابط من الجيش المصري ومجموعة من العساكر النظاميين، مازالت آثار تلك القلعة قائمة من بقايا5 ابراج دفاعية4 منها في الاركان وآخر في منتصف الضلع الشمالي وكذلك التخطيط الداخلي وشجرة السدر.

قلعة نخل:

طول ضلع قلعة نخل نحو28 مترا وهي مربعة الشكل أما الابراج في الزوايا فيبلغ قطر الواحد6 أمتار وهي ترتفع عن المكان المحيط نحو 7 امتار ونصف المتر وبالقلعة ايضا حوامل معدة لذخائر الحجاج مساحتها23*15 مترا اضافة لوجود ساقية بالبرج الشرقي قمتها نحو 22 مترا، كان يديرها ثوران لاستخراج ودفع المياه الي خارج القلعة من خلال3 احواض معدة للحجاج والقوافل تصل مساحة الحوض الي14*28 مترا بعمق3 امتار، وكذلك احواض صغيرة مستطيلة كانت تملأ لشرب الدواب[1].

[1] - الصقار، وجيه، صحيفة الهرم .

الملحق رقم [2]: التطور التاريخي والعمراني لمدينة دمشق:

1- مدينة دمشق:

1--1 لمحة تاريخية عن مدينة دمشق:

إن أقدم ما عرف عن تاريخ مدينة دمشق لا يرقى إلى أبعد من ألف عام قبل الميلاد حين كانت عاصمة لدولة آرامية صغيرة نشأت وسط غوطة دمشق، حيث تعتبر مدينة دمشق من أقدم العواصم المأهولة في العالم، وقد ورد اسمها في الوثائق الفرعونية التي عثر عليها في تلك العمارنة أكثر من مرة وذلك يعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهي من المدن التي فتحها " تحوتموس الثالث " وكان اسمها " دمشقا "، وورد ذكرها أيضا في بعض الوثائق الآشورية ورقم "إيبلا". [1]

ولا يوجد حتى اليوم نص أكيد عن عهد تأسيس مدينة دمشق حتى اليوم، إلا أنه من الممكن رسم خطوط واضحة لبدء تطور المدينة منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ففي ذلك الوقت كانت دمشق مدينة زات أهمية كبيرة حيث كانت عاصمة المملكة الآرامية، وهي في نواتها الأصلية هضبة تقع في قلب المدينة، وتشرف على الأراضي المجاورة. وتشكل المدينة الهيكل والقصر المركزي الذي تكون حوله المجتمع الحضري. [2]

دمشق القديمة هي مدينة مسورة تنفتح على الطرق الرئيسية من خلال أبواب يعود تاريخها لعهود زمنية مختلفة. وهي تتألف من مجموعة من التلال كانت في العهود القديمة مراكز الاستيطان. ويذكر أنه يعود أصل تأسيس مدينة دمشق إلى الألف الثاني قبل الميلاد، أما فيما يخص الأحياء الواقعة خارج السور وفي غياب معطيات أثرية، يمكن تحديد أصولها من خلال بعض المؤشرات التاريخية، حيث يعود أول ذكر لها إلى الحقبة الأموية غير أن الظروف التاريخية والأحداث الخارجية حدت من نموها، إلا أن النمو خارج السور أستمر باطراد وأحيانا بشكل سريع في كلا من العهد الأيوبي والعهد المملوكي والعثماني. [3]

ودمشق كما هو معروف هي أقدم عاصمة في العالم ما زالت حية حتى الآن، تقع مدينة دمشق على بقعة جميلة من الأرض، يمر فيها نهر بردى وفروعه وتحيط بها غوطة غناء، ولقد حظي اسم المدينة باهتمام الباحثين فمنهم من يعتقد أن اسمها مشتق من كلمة (داماكينا) وهي زوجة (أيا) رب المياه أما الآراميون فقد أطلقوا عليها أسم (دار ميسق) والتي تعني كما بدا لبعض العلماء (الدار المسقية) أما الآشوريون فقد دونوا في وثائقهم اسم المدينة (دمشق) [4].

2-1-وصف مدينة دمشق:

أحيطت دمشق القديمة بأسوار تتخللها أبراج دفاعية وأبواب سبعة وهي: (باب الجابية، باب توما، باب شرقي، الباب الصغير، باب كيسان، باب الفراديس، باب السلام) والتي تتصف بطابع العصر الذي بنيت فيه، وتقدر مساحة المدينة ضمن السور بحدود 120 هكتارا يقطنها حوالي، 60 ألف نسمة حسب إحصاء عام 2007م.[5] وتضم المدينة سبعة أحياء رئيسية، وهي: (حي باب توما، حي العمارة، حي القيصرية، حي اليهود، حي الشاغور، حي مأذنة الشحم، حي الجورة).

---

[1] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، 15 تشرين الثاني 2005م بناءً على القرار /5090/ بتاريخ 2006/2/19م، الجمهورية العربية السورية وزرة الإدارة المحلية، محافظة دمشق، مديرية مدينة دمشق القديمة، ص22-24

[2] -العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق،2004، ص 10 .

[3]- مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، 15 تشرين الثاني 2005م بناءً على القرار /5090/ بتاريخ 2006/2/19م، الجمهورية العربية السورية وزرة الإدارة المحلية، محافظة دمشق، مديرية مدينة دمشق القديمة، ص22-24 (مرجع سبق ذكره)

[4] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، ص27-30

[5] -الإحصاء المعد من قبل برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM بالتعاون مع مديرية مدينة دمشق القديمة،2007م.

تميزت مدينة دمشق القديمة بأسلوب تقسيمها إلى أحياء مستقلة تفصل بينها شوارع رئيسية أو يتفرع عنها حارات وأزقة ضيقة، وأبواب بيوتها بشكل عام تفتح على الأزقة، ولا تؤدي مداخل البيوت إلى الباحة السماوية مباشرة وإنما إلى ممر (دهليز) ينكسر بزاوية قائمة أو زاويتين قائمتين يوصل إلى الباحة السماوية. وتحاط المدينة بأسوار دفاعية منيعة توضع عليها مجموعة أبواب جددت خلال العصور الإسلامية المتلاحقة. وتشكل البنية الفراغية لحي واحد من المدينة القديمة سلسلة مترابطة من الفراغات المتكاملة، فمن الباحة السماوية إلى الحارة فالطريق العام، حيث تتوضع الأسواق وتتركز عليه الأبنية العامة كالمسجد والمدرسة والحمام وصولا إلى البوابة. ويلاحظ دائماً تغير في عرض الحارات والطرق ومساراتها الأمر الذي يزيد الإحساس بعنصر المفاجأة [1].

2- نشوء مدينة دمشق وتطورها العمراني عبر العصور:

إن فن البناء قديم قدم الإنسان، وهو في أصله تلبية لحاجات الإنسان الأساسية وفي الوقت نفسه نتاج فني ككل ما يصنعه الإنسان وينم فيه عن ذوقه وأفكاره وروحه متأثراً بالبيئة المحيطة به وبالوسط الاجتماعي.

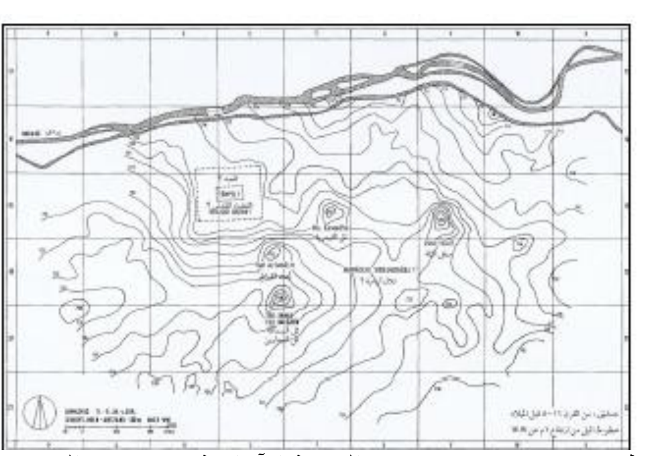
وكما ذكرنا فقد بنيت دمشق في القرن الحادي عشر قبل الميلاد حيث كانت عاصمة لمملكة آرامية كبرى وبها الهيكل القديم للآله "حددا" الآرامي ويقابله موقع الهيكل الكبير الذي بني في العهد الروماني للآلهة "جوبيتر" وترى بقاياه عند المدخل الغربي للجامع الأموي حالياً. وبقية دمشق عاصمة للآراميين حتى عام (732 ق.م) ثم توالت عليها العهود والحقب التاريخية تباعاً حسب الترتيب التالي: [2]

2-1 العهود التي مرت على دمشق:

2-1-1 ما قبل الفتح الإسلامي:

2-1-1-1 دمشق في العهد الآرامي (1100ق.م _ 732 ق.م):

كانت دمشق في العام 1000ق.م عاصمة لدولة صغيرة للآراميين حيث كانت توضع على الأرجح في الجانب الغربي من دمشق القديمة، وكانت أزقة المدينة ومساكنها تتوزع بشكل غير منتظم بين معبدها الشهير (معبد حدد) عند الجامع الأموي حاليا والقصر الملكي الذي يتوضع جنوب المدينة. ولاحقا في العهود الآشورية والبابلية والفارسية لم يحدث شيء يذكر من التغييرات على المدينة. المخطط [م2-1].



المخطط [م2-1]: دمشق مصور المدينة الآرامية – دوتيه زاك.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009.

1- مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 39

2- لفاح، ماهر، نحو التنمية المستدامة للتراث العمراني في المركز التاريخي لمدينة دمشق، دمشق، سورية، وزارة الإسكان والتعمير، عن: مسلماني، مروان، دمشق: عهود وفنون، دمشق، 1988م

2-1-1-2 دمشق في العهود اليونانية، الرومانية والبيزنطية من القرن 4 ق.م وحتى القرن 7م:

بعد وصول جيوش الإسكندر المقدوني إلى سورية ينتهي الحكم الفارسي فيها ويرتبط مصير دمشق بالغرب لفترة تدوم عشرة قرون. وقد طرأ تطورا عمرانيا كبيراً على المدينة في هذه العهود الثلاثة[1].

أولاً / العهد اليوناني:

في العهد اليوناني سكنت الجالية اليونانية أحياء مستقلة من مدينة دمشق مؤلفة مدينة جديدة إلى جانب المدينة الآرامية لها نظام المدن اليونانية في التخطيط والتنظيم، فامتازت بالشارع المستقيم وأقيمت شوارع متصالبة على الجانب الشرقي من المدينة وكانت تحوي ساحة واسعة هي السوق العامة والتي كانت تدعى (الآغورا)[2].

كانت المدينة بعيدة عن التنظيم فقد كانت لا تعرف من القواعد إلا ما تفرضه عليها طبيعة الأرض وحدود الملكيات الخاصة. واستخدم في بناء المدينة الطين والهياكل الخشبية والمواد المتوفرة في المحيط القريب. وفي عام 333 ق.م اتصلت المدينة اتصالاً وثيقاً بالثقافة اليونانية، وأدمجت بلا عنف ضمن إمبراطورية الإسكندر وإثر وفاته أصبحت من نصيب السلوقيين. وخلال هذه الفترة أصبحت المدينة كأنها قطعة من أوروبا. وأضحت دمشق مدينة مزدوجة شرقية يونانية، وفي هذه الفترة كانت المدينة متناسقة البناء ذات تصميم منظم، وانتظمت البيوت ضمن أحياء مستطيلة تتعادل مساحة وتخترقها شوارع مستقيمة.[3] المخطط [م2-2].

ثانياً: دمشق في العهد الروماني (64 ق.م – 333 م):

أضافت روما فيما بعد إلى المدينة الكثير وعرفت دمشق ازدهاراً كبيراً، وأصبحت المدينة مستعمرة رومانية أكثر استقلالية مع الوقت، وحافظت على تخطيطها المنظم كما في العهد اليوناني، وأوجد فيها الشارع الرئيسي الذي يوضع عليه المباني الهامة.[4]

وحدثت في العهد الروماني حركة عمرانية واسعة في المدينة، الأمر الذي استدعى توسيعها وإحداث تنظيم جديد فيها، وأحيطت آنذاك بسور واسع مستطيل زود بأبواب بالجهة الشرقية والغربية (باب شرقي وباب الجابية) ويقعان في نهايتي الطريق الرئيسي (دوكومانوس) الذي يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب، ويتفق مخططة مع سوق مدحت باشا حالياً، وبابان آخران في الجنوب هما باب كيسان وباب الصغير، وثلاثة بالشمال هي باب توما وباب الفراديس وباب بالقرب من باب السلام حاليا. كما أحدث في المدينة شارع رئيسي يمتد من الشرق إلى الغرب اشتهر بالشارع المستقيم، إلا أن الآبدة الهامة التي خلفها العصر الروماني هي معبد جوبيتر والأسواق المحيطة به والتي بنيت على أنقاض المعبد الآرامي ومحيطة. المخطط [م 2- 3] أما في العهد البيزنطي لم يحدث تطورا كبيراً أن صورة العمران المنتظم بدأت تتغير وتحول المعبد إلى كنيسة للقديس يوحنا المعمدان بالإضافة إلى بناء دير وقصور للحكام على أرض الأسواق المحيطة بمعبد جوبيتر. المخطط [م 2-4] والمخطط [م 2-5][5].

---

[1]- مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة (مرجع سبق ذكره)، ص27-30

[2] -مرجع سابق

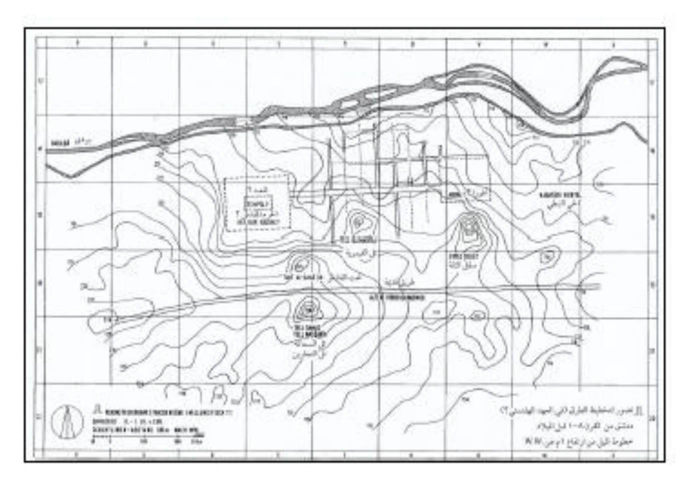
[3] -العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق،2004،(مرجع سبق ذكره)، ص 10 .

[4] - العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق،2004،(مرجع سبق ذكره)، ص 10

[5] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة (مرجع سبق ذكره)، ص27-30

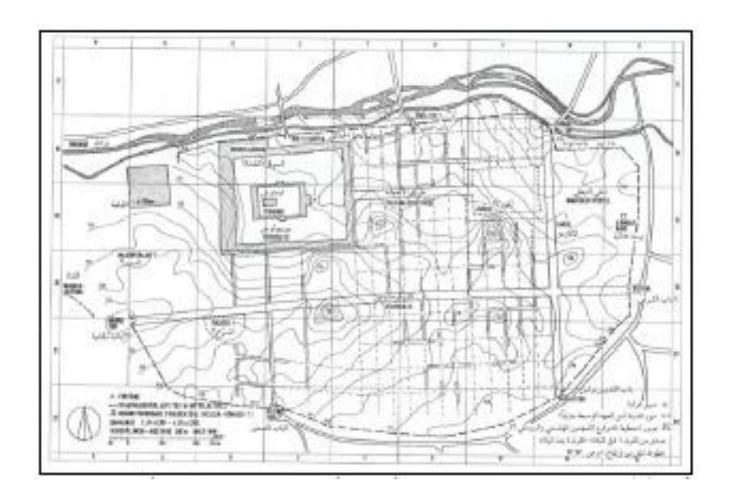
وقد احترمت روما من مؤسسات المدن اليونانية جميعها ولم تفقدها شيئاً من سيادتها السابقة فقد تأثرت دون شك بالإرادة الرومانية التي أخذت توطد روح النظام محل الاضطراب. ولأول مرة في التاريخ نرى المدن السورية تنمو وفق قواعد محددة طبقاً لتشريع تفرضه إدارة البلدية عن دراسة ومعرفة وهي تسعى إلى تجميل المدينة وإقرار النظام في سبيل الراحة العامة وقد تجلت هذه الجهود في دمشق بإنشاء مشروعين في سبيل المصلحة العامة. أولهما بناء سور يحيط بالمدينة والثاني عمل قناة جديدة لمياه الشرب[1].

أما السور المحيط بالمدينة فقد بلغت مساحته 1.5 هكتار، وقد كان يحيط بالمدينة الآرامية وبالأحياء الجديدة مبنيا على طريقة التحصين الروماني، أي أنه كان مستطيلاً يبلغ طوله 1500 م وعرضة 750 م وتمتد أضلاعه المستقيمة تماما عدا الجهة الشمالية المشرفة على النهر الذي قام مقام الخندق فكان لا بد من الإلتواءات والتعرجات[2].



المخطط [م2- 2]: دمشق، مصور المدينة الهلنستية واليونانية – دورتيه زاك.

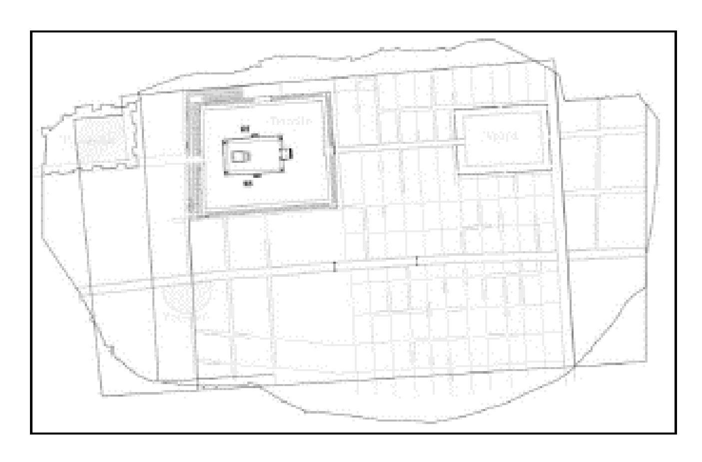
المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009.



المخطط [م2- 3]: دمشق، مصور المدينة الرومانية – دورتيه زاك.

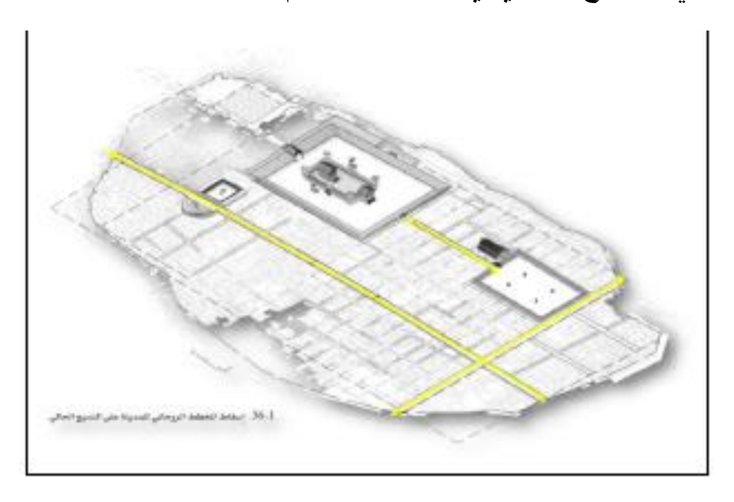
المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009.

[1] -العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق،2004،(مرجع سبق ذكره)، ص 10 .
[2] -مرجع سابق



المخطط [م2- 4]: معبد جوبيتر والصروح الأساسية في المدينة الرومانية.

المصدر: طلال عقيلي، الجامع الأموي ي دمشق، 2008 م.



المخطط [م2- 5]: إسقاط مخطط المدينة الروماني على شكل المدين الحالي.

المصدر: طلال عقيلي، الجامع الأموي ي دمشق، 2008 م.

2-1-2- مابعد الفتح الإسلامي – العهود الإسلامية:

مقدمة عن العهود الإسلامية:

منذ مطلع القرن الثامن الميلادي وحتى العصر الحديث أصبحت العمارة في دمشق تنتسب إلى الفن المعماري العربي الإسلامي والذي هو ثمرة الفتح الذي عاش وترعرع في أحضان المعماري ووطد شخصيته الخاصة بها، والصانع المحلي الوارث لجميع الحضارات التي كانت في المنطقة مما جعل المؤرخين يقرون بوحدة الفن العربي الإسلامي للتشابه بخصائصه الناتج عن وحدة العقيدة والحضارة والوحدة السياسية، الأمر الذي لا ينفي معه الطابع المحلي في الآثار المعمارية طبقا لتوفر مواد البناء.

ودخل العرب عام 635م دمشق صلحاً، وفي البداية لم يبد من مظاهر الحكم الجديد سوى الجامع ودار الخلافة الذين شيدا جنبا إلى جنب مكان الهيكل القديم، وتوسع الجامع فيما بعد ليصبح شاهدا على دولة الأمويين، وسمي (جامع بني أمية). [1]

وبعد سقوط الأمويين 0 تضافرت الحوادث التاريخية 0 فأرهقها العباسيون بالحروب والغزوات حتى العهد الفاطمي ولم تنته الاضطرابات إلا بظهور الأتراك السلاجقة، وكان العامل الأساسي في تطور المدينة خلال هذه الفترات انعدام الأمن على اختلاف مظاهره، وادى ذلك بالسكان إلى الاجتماع ضمن منظمات، ومع الوقت أصبحت المدينة تظهر بمظهر مجموعة من الحارات المستقلة لكل منها حياته الخاصة. وطريقة توزيع المياه الخاصة فيها وحماماتها وأسواقها[2].

ثالثا / العهد الأموي (14هـ-132هـ)-(635 م-750 م):

في عام 635م وجدت دمشق نفسها محاصرة أمام كتائب عربية أتت من الحجاز صلحاً معلنة دخول الدين الإسلامي. ومبشرة بانتهاء النفوذ الغربي. وأخذت دمشق منذ عام (41 / 661 م) تتحول بفضل جهود معاوية، فكان العهد الأموي بمثابة العصر الذهبي لمدينة دمشق، ولعل بناء (الجامع الأموي) كان أهم ما يميز هذا العهد، بالإضافة إلى بناء دار الإمارة والحمامات والخانات والقيساريات والأسواق وانتشار الأحياء خارج الأسوار وبناء المقابر الهامة كمقبرة الباب الصغير والشيخ رسلان وغيرها. [3]

رابعا / العهد العباسي (132هـ-358هـ) _ (750م-968 م)

اتخذ العباسيون في عهدهم مدينة الكوفة عاصمة لهم، وبالتالي أهملت مدينة دمشق وأصبحت الحركة العمرانية فيها ضعيفة، وتعرضت المدينة آنذاك للحرائق وهدمت أسوار المدينة، حتى أن الجامع الأموي الكبير قد احترق بشكل كامل[4].

خامسا / العهد الفاطمي (358 هـ 468 هـ)-(968 م-1075).

لم تكن الحركة العمرانية في العهد الفاطمي غنية أو قوية، وقد بقيت بعض الآثار القليلة التي تركوها مثل محراب كان يخص (مسجد فلوس) في حي الميدان والمعروف حاليا بزاوية الرفاعي، إضافة إلى كتابة على صخرة في خانق الربوة وبعض الآثار في تربة الباب الصغير. كما سادت الفوضى في دمشق وأصبح للمدينة طابع القرون الوسطى بإحيائها ودروبها، وساد نظام الحي المكتمل بخدماته من مسجد وباب وسويقة[5].

سادسا / العهد السلجوقي والأتابكي (468هـ-569هـ) – (1075م – 1173م)

في منتصف القرن الخامس الهجري كانت الخلافة تخضع لنفوذ سلالة من الأتراك عرفوا بالسلاجقة. وقد بدأ في هذه المرحلة نوع من الانتعاش في الحياة العمرانية في عهد السلاجقة وأول ما حدث في هذا المجال هو بناء القلعة في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، وبدأت العناية بإشادة أبنية خاصة للمدارس مستقلة عن الجامع الأموي وحظيت دمشق في عهد نور الدين بكثير من العناية من الناحية العمرانية، وقد تم إعادة السور والأبواب وبنيت المدرسة الشهيرة بمدرسة نور الدين الزنكي ودار الحديث النورية وحمام نور الدين وغيرها[6].

---

[1]- مرجع سابق
[2] -مرجع سابق
[3] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 31 .
[4] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 32-33 .
[5] -مرجع سابق
[6] -مرجع سابق

سابعا / العهد الأيوبي (570 هـ-658هـ) _ (1174 م-1259 م):

تنفست دمشق الصعداء في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وبدأت تعود إلى مسرح الأحداث العالمية كعاصمة للدولة الإسلامية. وفي هذا العهد وبالرغم من انشغال الدولة بالحروب الصليبية فقد استمرت الحركة العمرانية نتيجة توفر الأمن والاستقرار وحماس البيت الأيوبي للعلم والدين. ففي هذا العهد اتسع حي الصالحية إلى أن أتصل بالأسوار وأقيمت المدارس مثل: (المدرسة الشامية، المدرسة المرشدية، المدرسة الجهاركسية وغيرها)، كما أقيمت المساجد والجوامع مثل: (جامع الحنابلة والتوبة). [1]

وأصبع الحكم للأيوبيين عام 1174 م، حيث كان عهد النهضة الحقيقية، وقد جعلوا من المدينة موقعاً حربياً ومركزاً ثقافياً ودينياً، فبنوا القلعة على الزاوية الشمالية الغربية من السور الروماني على أنقاض القلعة السلجوقية، كما رمموا سور المدينة وبنية المدرسة العادلية الكبرى والصغرى وغيرها. وقد اتسعت الأسواق لتدل على الإزدهار الإقتصادي للمدينة، وظهر في هذه الفترة ميل الطوائف الدينية إلى الاجتماع معاً والاستقلال بأحياء خاصة من المدينة، وظهرت المدارس والبيمارستانات[2].

وكان تطور مدينة دمشق وامتدادها العمراني في القرن الثالث عشر قد ازداد بشكل أوسع في المناطق قرب باب السلام ومنطقة الصالحية وباب سريجة وباب صغير (شاغور براني) بالإضافة إلى باب الجابية وقصر الحجاج. ويعتبر تطور دمشق في هذا العهد بداية لظهور محور باب الجابية بشكل واضح.

ثامنا / العهد المملوكي (658هـ-922 هـ)-(1259 م-1516 م)

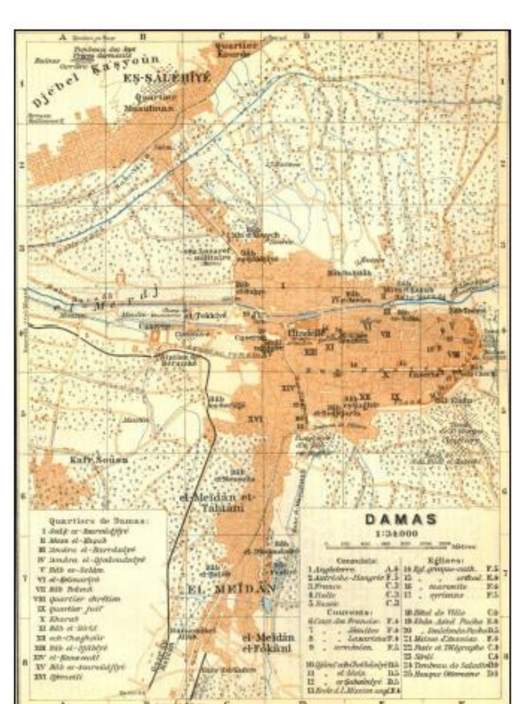
كانت دمشق في العمر المملوكي من أكبر ولايات الدولة، حيث تمتعت في هذا العهد بالازدهار، فتقدمت العلوم والصناعات وازدهرت المشاريع العمرانية وهذا قبل كارثة تيمورلنك وتميزت المباني في هذا العهد بالكثرة وبطابع معماري واضح، ومنها المدرسة الجقمقية ودار الحديث التنكرية بالإضافة إلى إعمار مناطق جديدة خارج الأسوار، فظهرت أحياء جديدة خارج الأسوار وبنيت مباني مثل جامع السقيفة والتيروزي وغيرها. ونمت بالإضافة إلى ذلك منتزهات على ضفاف بردى وتورا وزودت مقاصفها بكل وسائل الراحة والخدمة. وقد وصفت دمشق عبر العصور من قبل الزائرين المسلمين والمستشرقين ووصفوا حسن المدينة وجمالها[3].

وبعد الغزو المغولي عام 1260 م، أصبحت سورية تابعة لمصر تحت سلطة المماليك الترك. ويعد العامل العسكري العامل الأهم في تطور المدينة آنذاك، كما ازدهرت المدينة تجاريا واتسعت الأسواق وتخصصت أكثر فأكثر ومع هذا التطور الصناعي والتجاري وتزايد الحاجة إلى الأيدي العاملة وازدياد عدد السكان، نشأت ضاحيتان جديدتان خصصتا للسكن. وقد اهتم المماليك بالبناء، فأنشئوا في المدينة عددا من المعالم التي غدت زينة لها. وفي آخر عهد المماليك تدهورت المدينة وغرقت في الفقر لعدة أسباب. [4]وظهرت التطورات في القرن الرابع عشر بشكل أوضح عند باب صغير وباب سريجة، بالإضافة إلى الميدان وسوق ساروجة.

[1] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 34 .
[2] -العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق، 2004، ص11 .
[3] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 34 .
[4] -العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق، (مرجع سبق ذكره)2004، ص11 .

تاسعا / العهد العثماني (922هـ-1237هـ)-(1516 م-1918 م)

دخل السلطان سليم دمشق عام (922هـ / 1516م) إثر انتصاره على المماليك في معركة مرج دابق، ولم تكن المدينة إلا خرابا عندما دخلها السلطان، وأدى امتداد الإمبراطورية العثمانية وتوسعها إلى نشاط حركة تجارية كبيرة استفادت منها دمشق بفضل موقعها التجاري الواقع على طريق الحج. ونشات فيها الخانات والمستودعات، كما أنشأ العثمانيون بعض الجوامع الكبيرة على طراز جوامع القسطنطينية المخطط [م2-6] وفي أواخر هذه الفترة أصبحت المدينة مستعدة للتأثر بالتفافة الأوروبية إثر احتلال محمد علي لسورية عام (1832 م-1840 م) وأقيمت في دمشق مباني متخصصة بالصحة العامة والسير والتنظيم الإداري. ونشات أسواق جديدة[1].



المخطط [م2- 6]: دمشق في العهد العثماني (منصف القرن الثامن عشر).

المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009 م.

أما عن تطور دمشق من الناحية العمرانية في هذا العهد فلا يمكن مقارنته مع التطور الذي حصل في العهد المملوكي، فمن ناحية تخطيط المدينة لم يطرأ تغير يذكر قبل القرن الأخير، وأكثر ما حدث كان مركزً على الأسواق والخانات انسجاماً مع الحركة التجارية وخاصةً في مواسم الحج. ومن المشيدات الهامة في العهد العثماني: (تكية وجامع الشيخ محي الدين، التكية السليمانية، جامع الوالي درويش باشا وجامع الوالي سنان باشا). أما داخل الأسوار فقد بنى شمسي باشا في عام (960هـ/ 1553م) خان الجوخية. وفي القرن الثامن عشر نشطت الحركة العمرانية على يد ولاة من آل العظم فقد تم بناء مدرسة في سوق الخياطين وخان أسعد باشا العظم وأقسام من سوق الحميدية. أما في القرن التاسع عشر فقد حدث تطور على مخطط المدينة وشقت فيها طرق جديدة وجددت الأسواق والمناطق السكنية وبنيت أحياء كالقنوات ونشوء حي الأكراد في شرق المدينة وحي المهاجرين في غربها، وتجلت في القرن التاسع عشر التطورات في منطقة ساروجة وسفح جبل قاسيون (منطقة الصالحية) بشكل أكبر ومتكامل[2].

وفي أواخر القرن التاسع عشر أخذت أساليب العمارة الأوربية تغزو المدينة فتغير طابعها، ومن أهم مباني تلك الفترة محطة الحجاز الثكنة الحميدية (مقر جامعة دمشق الآن) وقصر الوالي ناظم باشا في المهاجرين (القصر الجمهوري القديم) والمشفى الوطني. وشقت بالمدينة طرق حديثة تصل المدينة بأحيائها البعيدة ومنها شارع جمال باشا (شارع النصر) وشارع من جانب باب السريجة (شارع خالد بن الوليد)[3].

---

[1] -مرجع سابق

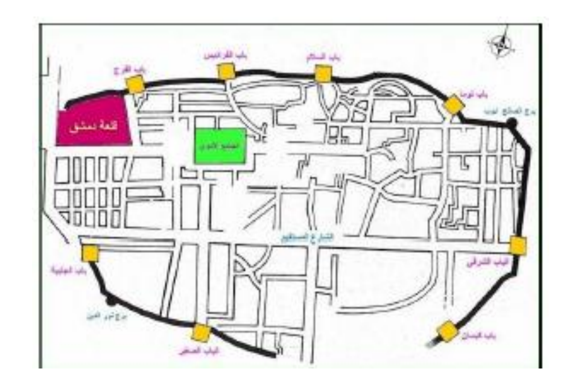
[2] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 34 .

[3] -مخطط استعمالات الأراضي المرحلي لإحياء مدينة دمشق القديمة، (مرجع سبق ذكره)، ص 35 .

عاشراً / الانتداب الفرنسي:

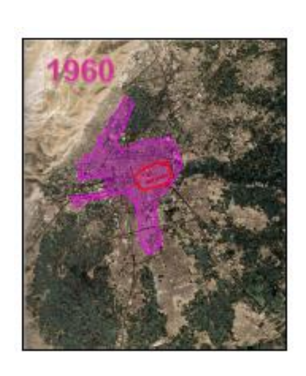
تلا هذه الفترة الانتداب الفرنسي عام 1921 م حيث تجسدت فيه مظاهر التأثر بالعمارة الغربية، وتوسعت المدينة متأثرة بالتخطيط الغربي ونظم البناء الأوروبية. وهكذا نشأت دفعة واحدة مدينة جديدة خارج حدود المدينة القديمة وإلى جانبها. [1]

إن تتابع العهود والحقب التاريخية المختلفة على المدينة ترك بصماته على منشآت ومباني كلاً منها، وأصبحت هذه المباني تشكل نسيجاً عمرانياً متناسقاً وعضوياً يمثل تراثاً حضارياً فريداً. المخطط [م2-7]. ويأتي تميز هذا النسيج من تعددية وتمازج طرز المعالم الأثرية وأنماطها المعمارية. [2]



المخطط [م2-7]: مخطط المدينة مع بداية التأثر بالعصر الإسلامية وتغير شكل تنظيم المدينة.

المصدر: أرشيف ميرية مدينة دمشق.



المخطط [م2-8]: توسع مدينة دمشق في العصر الحديث – عام 1918 م.

المصدر: الوكالة اليابانية للتعاون التقني.

الملحق رقم [3]: التطور التاريخي لمدينة حلب حسب العهود والفترات التاريخية التي مرت عليها:

أ- مدينة حلب في العهد الأيوبي:

بدأ العهد الأيوبي في مدينة حلب خلال العهد الثالث من العصر العباسي-بعد أن تم التنازل عنها لصلاح الدين الأيوبي سنة (579هـ / 1183م) فتركها لابنه الظاهر غازي الذي ازدهرت مدينة حلب في عهده وسلالته ازدهارا كبيرا شمل جميع مناحي الحياة بالرغم من حالة الحرب التي أحاطت البلاد.

مخطط مدينة حلب في العهد الأيوبي:

يجمع المؤرخون على أن القلعة كانت في الجهة الشرقية من سور المدينة. إلا أن ابن شداد يذكر أن الظاهر غازي قد شرع ببناء سور ممتد من شرقي قلعة الشريف إلى باب القناة (باب الحديد)، يحيط بالسور القديم الداخلي، وفتح فيه ثلاثة أبواب، وبنى دار العدل (دار الحكومة) بين السورين القديم والجديد، ولكنه لم يتم السور ولا الأبواب فأتمها ولده الملك العزيز محمد[3].

---

[1]- العمارة التقليدية في سورية، وثائق المشرق، (مرجع سبق ذكره)2004، ص11 .

[2] -لفاح، ماهر، نحو التنمية المستدامة للتراث العمراني في المركز التاريخي لمدينة دمشق، دمشق، سورية، وزارة الإسكان والتعمير، عن: مسلماني، مروان، دمشق: عهود وفنون، دمشق، 1988م

[3]-ابن شداد، عز الدين محمد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة م1 ج1، ص 21.

وقد هدم هذا السور أيام تيمولنك فأمر برسباي بتعمير السور البراني وترك السور الداخلي متهدما على ماكان عليه [1]. وظلت المناطق بين السوريين تعتبر ظاهر المدينة إلى أن أزيل السور الداخلي. وقد ظهرت في العهد الأيوبي ضواح قامت في الجنوب الشرقي والشمال الشرقي. وامتد أمام باب العراق ميدان كبير[2]. وقد حازت ثلاث منهذه الضواحي (بانقوسا، الرمادة، والحاضر السليماني) على مسجد جمعة وكان في أغلبها مدرسة أو أكثر آنذاك.

2-مدينة حلب في العهد المملوكي:

ابتدأ العهد المملوكي في مدينة حلب بعد قضاء هولاكو على آخر ملوك بني أيوب وانتصار المماليك على التتر سنة (658 هـ / 1259م). وبالرغم من الزحف المغولي ومرض الطاعون الذي فتك بالمدينة عام (749هـ / 1348 م) والغارات المدمرة التي شنها تيمورلنك حوالي عام (803 هـ / 1400م) دخلت المدينة و بالتدريج في شبكة التجارة العالمية، وازدهر تصدير القطن والبهارات والأصبغة إلى فينيسيا، ونشط استيراد النحاس والأجواخ إلى حلب. كما أصبحت حلب على طريق التجارة الدولية بالحرير بين إيران وأوروبا. وفي منتصف القرن 9 هـ / 15 م شهدت المدينة ازدهارا اقتصاديا عظيما [3].

الملحق رقم [4]: مدينة حمص القديمة:

أسوار المدينة القديمة:

أسوار المدينة القديمة وأبراجها الدفاعية هي التي كانت تؤمن للمدينة القديمة وأهلها الحماية والمناعة والتحصين، وتردُ عنها تعديات الغزاة والطامعين. وكانت الوسيلة المُتبعة في حفظ المدن وردع عاديات الغزاة مع القلعة الحصينة هي الأسوار التي تُطوق المدينة مع وجود بعض الأبرج الدفاعية والخنادق التي تُحيط بالأسوار، وتتوزع الأبواب في أماك مناسبة لكي تُلبي متطبات أبناء المدينة بشكل مريح.

تأخذ أسوار المدينة شكل المستطيل بشكل عام وهذا متروك لطبيعة الأرض وحاجة المدينة، شانها في ذلك شأن غيرها من المدن في بلاد الشام التي أقامها اليونان وحصّنوها ثم أتى من بعدهم الرومان ثم الفاتحون المسلمون الذين جدَّدوا ورمموا كل ما يحتاج إلى تجديد وترميم وزادوا في تحصنها حسب الحاجة.

أما اليونان فإنه عندما بنو مدنهم وحصّنوها جعلوا لها سبعة أبواب، وإنَّ الرقم سبعة بشكل عام هو رقم مقدَّس عندهم وهو يرمز كذلك إلى الكمال...[4]وكما قال الحافظ ابن عساكر عن أبي القاسم تمام بن محمد في دمشق: "أن بانيها جعل كل باب م هذه الكواكب السبعة، وصَّور عليه صورته... " [5]

وبهذا فأغلب الظن أن مدينة حمص شاركت غيرها من المدن الكبيرة والهامة في هذا القصد... ويؤكد معظم المؤرخين أن أسوار المدينة وأبوابها هي إسلامية وأن معظم الاسوار الرومانية للمدينة وأبوابها خاصَّة مدفونة تحت أبوابها الإسلامية.

---

[1]-الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب م2، ص (16-17)

[2]-غانغلر – أنيته، ص 10

[3]-غانغلر، أنيته، ص ص (12-13).

[4]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص 45.

[5]-الأعشى صبح، القلقشندي، ج 4، ص 96.

يقال أن أسوار المدينة قد جُددت أيام الامويين، وكانت مدينة منيعة متينة بحيث أنها ردَّت وأفشلت هجوم الصليبيين سنة (491 هـ / 1098 م) [1].ويقول ابن الأثير في أحداث سنة (565 هـ / 1267 م) بأن بعد الزلازل التي عمت البلاد وخربت كثيراً من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب... وغيرها، سار نور الدين الزنكي وجعل في كل من هذه المدن من يعمرها ويحفظها وأحكم أسوار البلاد وجوامعها [2].

ووصف ابن جبير أسوار المدينة عند زيارته لها في القرن السادس فقال: "... وأسوار هذه المدينة غاية في العتاقة والوثاقة، مرصوص بناؤها بالحجارةالصم السود... " [3] ثم أتى المنصور ابراهيم بن محمد شيركوه فأحكم أسوارها واهتَّم بأبوابها لردع الخطر الصليبي عن المدينة، وبقيت على مانشهده من بقايا هذه الأسوار وخرابها وآثارها المتداعية[4]. وهكذا فقد تحصَّنت المدينة القديمة بأسوارها التي تحيط بها وترتفع عن مستوى الأرض نحو سبعة أمتار وسماكته من 1 م إلى 1.5 م، كما يتوضع على جسم السور أبراج دفاعية أكثرها نصف دائرية شيّدت بالحجارة البازلتية المصقولة من القطع الكبيرة، أو من الصخور الكبيرة الكلسية وعليها فتحات للمراقبة ورمي النبال [5].

أبواب المدينة القديمة:

عدد أبواب المدينة القديمة هي سبعة، والأبواب هي: باب السباع، باب الدريب، باب تدمر، باب السوق، باب هود، الباب المسدود، باب التركمان [6].

وقد وصفها الرحالة ابن جبير قوله: "... وأبوابها أبواب حديد، سامية الإشراق، هائلة المنظر، رائعة الإطلالة والأناقة كتنفها الأبراج المشيدة الحصينة...) [7].

الملحق رقم [5]: الوضع الراهن لمحور الحج الإسلامي في دمشق:

أولاً: مخطط استعمالات الأراضي:

أ-هدف ا لمخطط:

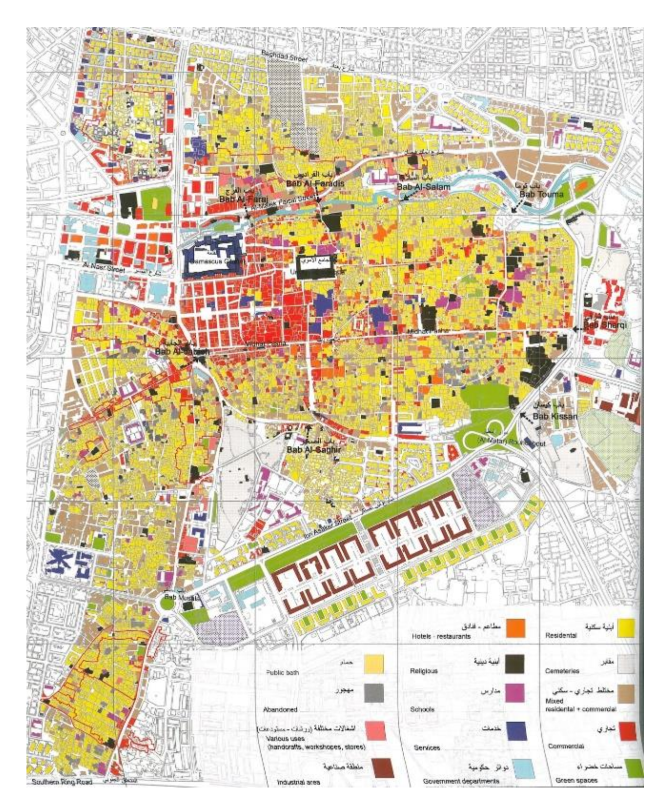
- تحديد مواضع تركز الفعاليات السكنية والتجارية وكثافتها.
- التعرف على مساحة ونسب الاستعالات من خلال الخرائط والرسم البياني.
- تحليل العلاقة فيما بين الفعاليات (توافق – تنافر).
- تحديد العناصر التي تؤثر في توزيع الاستعمالات (محاور الطرق مثلاً).
- تحديد الاستعمالات غير المناسبة والغير متوافقة.
- تحديد الاستعمالات التي تتطلب المحافظة عليها أو إلغاؤها كالورش والمصانع.
- تحديد مشاكل الوضع الراهن لاستعمالات الأراضي.

[1]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص ص (33 -34).
[2]-ابن الأثير الكامل ج 11، ص ص (158 -159).
[3]-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 208.
[4]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص ص (34 -35).
[5] -آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص ص (36 -37).
[6]-آغا، محمد غازي، مدينة حمص أوائل المهندسين في ظل الخلافة العثمانية، ص ص (39 -40).
[7]-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص208.

ب – تحليل المخطط:

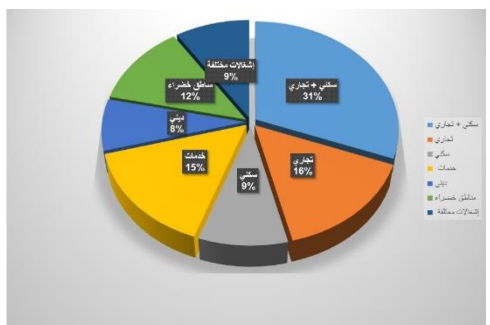
يلاحظ من المخطط العام [م5-1] والشكل [م5-1]، أنه تكثر الاستعمالات التجارية في الجزء الشمالي من محور الحج، بينم تنتشر الاستعمالات المخلطة (سكني + تجاري) على الجزء الجنوبي من امتداد المحور محور الحج، وتكثر الاستعمالات السكنية باتجاه الداخل عن المحور.

ونتيجة للدراسات الميدانية بلغت الاستعمالات المختلطة (9 %) يليها الاستخدام التجاري (16) والسكني (9%)، واستخدامات أخرى.ومن بين فئات استعمالات الأراضي فالمناطق التجارية المختلطة في الطوابق الأرضية ثم التجارية أما الطرق والمناطق الأخرى فلها حصتها.



المخطط [م5-1]: استعمالات الأراضي في مدينة دمشق القديمة ومحيطها المجاور وعلى امتداد محور الحج.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، ص 103.



الشكل [م5-1]: نسب فئات استعمالات الأراضي لكامل محور الحج.

المصدر: الباحثة.

ثانياً: مخطط نوع النسيج العمراني والمباني:

أ- هدف المخطط:

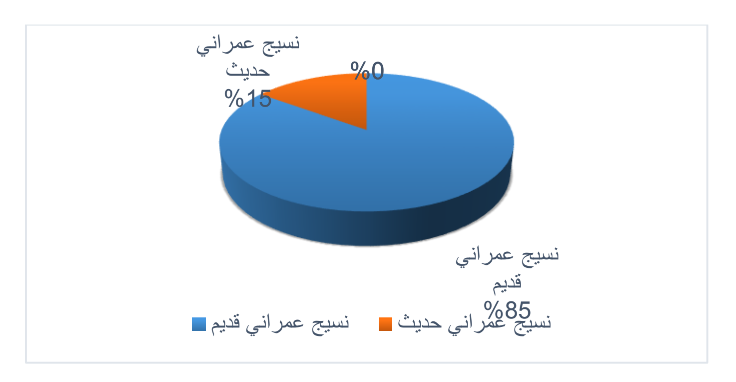
- تحديد نوع النسيج العمراني ونسب.
- تحدي القيمة الأثرية لبنية النسيج.
- التعرف على مساحة تداخل النسيج الحديث مع النسيج القديم.
- تحديد نسبة النسيج الحديث من النسيج القديم.

ب-تحليل المخطط:

يقسم هذا المخطط النسيج العمراني الذي تحويه المنطقة إلى نسيج عمراني حديث وقديم، وبالتالي يمكننا وبكل وضوح تقدير الأهمية الأثرية للمنطقة المدروسة من خلال قدير نسبة الأبنية التي تملك أهمية كبيرة على الصعيد الأثري. ومعظم المباني المنشأة حديثاً تتبع الحدود الجديدة مشكلة كتل جديدة. وبعد الزيارات الميداني تبين أن هناك نسبة لا بأس بها من المداخلات العمرانية الحديثة على محور الحج. ويوضح المخطط [م5-2] المباني الحديثة والقديم التي تقع على محور الحج والشكل [م5-2] يوضح النسب الخاصة به.

المخطط [م5-2]: المباني الحديثة والقديمة للنسيج العمراني في محور الحج ومحيطه المجاور.

المصدر: الباحثة.



الشكل [م5-2]: نسبة النسيج القديم إلى الحديث في محور الحج.

المصدر: الباحثة.

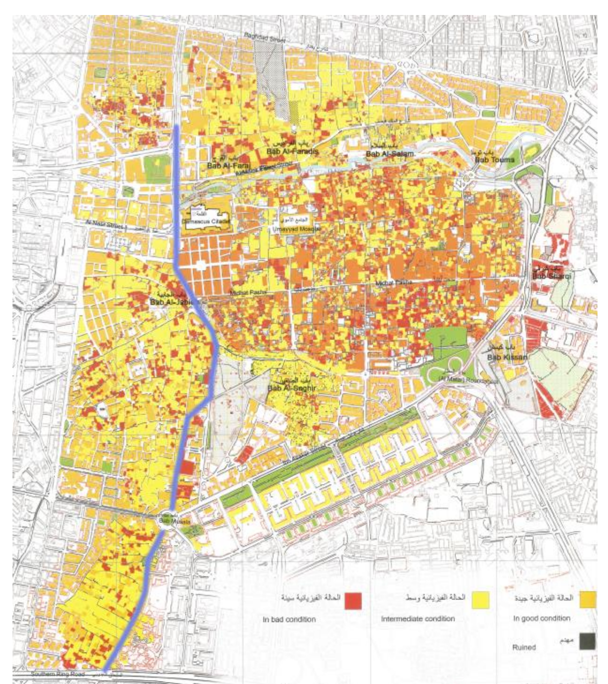
ثالثاً: مخطط الحالة الفيزيائية:

هدف المخطط:

- التعرف على الوضع الراهن لحالة المباني الفيزيائية في المحور المدروس ونسب توزعها.
- تحديد مساحة ونبة كل حالة من الحالات من خلال الخرائط والرسوم البيانية.
- التعرف على الحالت المختلفة للمباني من المباني المهجورة أو المهومة.
- رصد مدى جودة الهيكل العمراني للمحور المدروس م أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة للتعامل مع الحالات المختلفة (إحياء وتجديد – ترميم تأهيل – إعادة بناء).

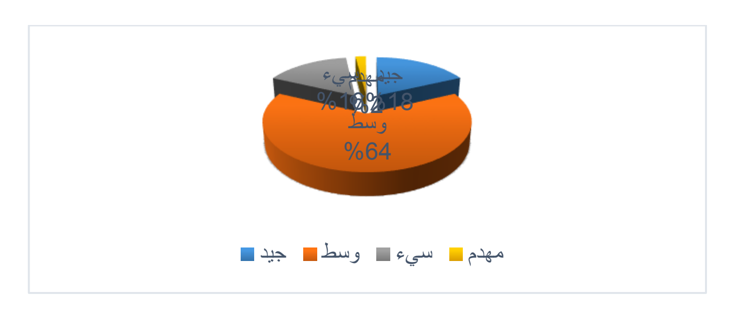
تحليل المخطط:

تغلب الحال الفيزيائية المتوسطة على كامل محور الحج في دمشق، كما أن نسبة الأبنية المتهدمة قليلة لا يتجاوز 4 %، ويوضح المخطط [م5-3] الذي تنطوي تحته المحو المدروس ضمن أربع مستوات (جيد – وسط – سيء مهدم)، ومن خلال هذا المخطط يتضح لدينا نسبة الأبنية ذات الحالة المتردية، وبالتالي يمكننا تقدير الزمن والكلفة المطلوبة في مشروع الإحياء لهذا المحور ومبانيه التاريخية التراثية. ويوضح المخطط [م5-3] الحالة الفيزيائية للمباني التي تقع على محور الحج والشكل [م5-3] يوضح النسب الخاصة به.



المخطط [م5-3]: الحالة الفيزيائية لمباني محور الحج والمناطق المتصلة به.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، ص 107 – بتصرف.



الشكل [م5-3]: نسب الحالة الفيزيائية لمباني محور الحج.

المصدر: الباحثة.

رابعاً: مخطط الارتفاعات:

هدف المخطط:

- التعرف على الحجم التشكيلي والفراغي للمنطقة المدروسة
- رصد ارتفاعات المباني في المنطقة وفقاً لفئات الارتفاعات المتواجدة.
- التعرف على نسبة ومساحة كل فئة من خلال الخرائط والرسوم البيانية.
- تحديد مشاكل الوضع الراهن لارتفاعات المبني الحديثة.
- تحديد العلاقة بين ارتفاعات المباني وبعض العناصر التخطيطية كاستعمالات الأراضي.

تحليل المخطط

استناداً إلى تحليل المحور المدروس من خلال الزيارات الميدنية يوضح المخطط المرفق نسبة الامتداد الشاقولي للأبنية والعقارات التي يحتويها المحور ومنطقته المجاورة. حيث تتراوح ارتفاعات الأبنية بين طابق إلى 8 طوابق، وتقسم هذه الارتفاعات ضمن المحور على الشكل التالي:

تشكل نسبة 86% من الأبنية في المحور ارتفاعاً يتراوح بن طابق إلى طابقين.

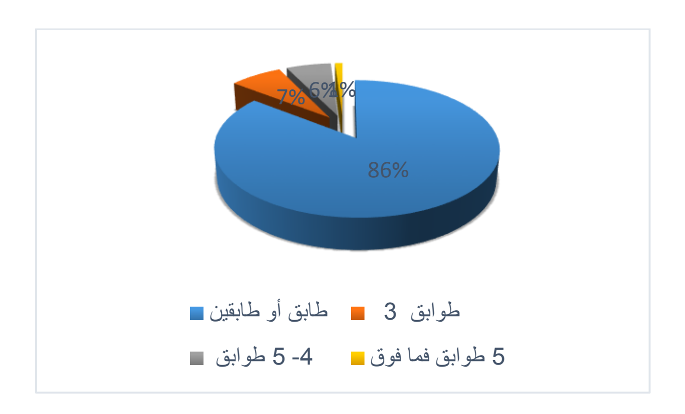
تشكل نسبة 7% من الأبنية ارتفاعاً يتراوح بين 3 طوابق إلى 5 طوابق.

وأخيراً تشكل نسبة 6% من الأبنية ارتفاعاً يتراوح بين 6-8 طوابق مع ندرة وجود أبنية برجية بارتفاع 8 طوابق.

تكمن أهمية هذا المخطط في معرفة المستوى العام الذي تتسم به المنطقة من حيث ارتفاع الكتل، وبالتالي معرف مدى الحاجة إلى الحفاظ على هذه الارتفاعات أو ضرورة ضبط القوانين التي تنص على احترام حقوق الارتفاق والجوار، ومنع أي شيء يؤثر عليه سلباً.ويوضح المخطط [م5-4] ارتفاعات المباني التي تقع على محور الحج والشكل [م5-4]يوضح النسب الخاصة به.

المخطط [م5-4]: ارتفاعات الأبنية الواقعة على محور الحج وفي المنطق المتصلة به.

المصدر: أطلس مدينة دمشق، 105-بتصرف الباحثة.



الشكل [م5-4]: نسب ارتفاعات الأبنية الواقعة على محور الحج الإسلامي.

المصدر: الباحثة.

- **تحليل الواقع المروري في محور الحج :**

هدف المخطط :

- تحديد مشاكل الطرق والشوارع (الرئيسية والثانوية) في محور الحج والطرقات التي ترتبط به.
- تحديد مدى كفاءة اداء هذه الطرق.
- تحديد نقاط تقاطع حركة المشاة والسيارات.
- تحديد مدى توافر مواقف ومرائب للسيارات.
- مواقع وحجم استيعاب مواقف السيارات.
- دراسة حجم الغزارة المرورية للمركبات في المنطقة.
- رصد حركة وحجم المرور العابر.

تحليل المخطط:

أ- تحليل مسارات الحركة :

لدراسة الواقع المروري في محور الحج يجب أولا تحليل وتصنيف الشوارع في محور الحج والمنطقة المجاورة له بشكل عام وتصنيف هذه الشوارع والطرقات كالتالي :

1- محور الحج هو عباة عن شارع رئييسي باتجاه لسير ولكن يقسم إلى عدة أقسام فهو من واحد من الشمال إلى الجنوب في لقسم الأول منه، ومن الجنوب إلى الشمال في القسم التوسط ومن الشمال للجنوب في القسم الأخير وحتى بوابة الميدان. ويستعمل من قبل المركبات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة

2- شوارع رئيسية تستعمل من قبل المركبات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وترتبط ارتباط مباشر بالشوارع الرئيسية لمحيط المدينة القديمة وبمحور الحج. وتستخدم هذه الطرقات للعبور والتخديم وخاصة للمناطق التجارية المتصلة بالمحور، خاصة في في منطقة الدرويشية، وفي سوق الجزماتية، وفي شارع البدوي (باب الصغير).

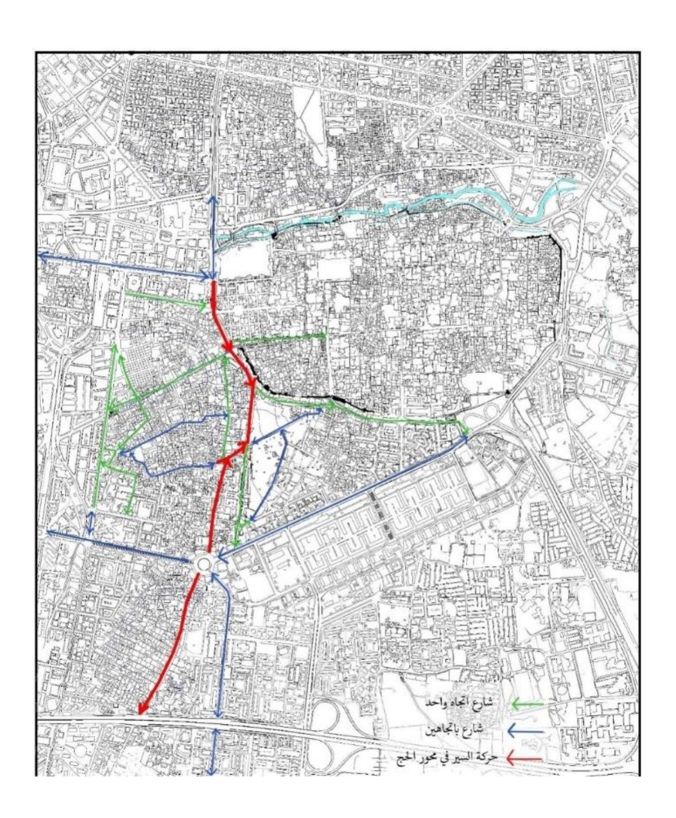
3- شوارع تخديم محلية وهي مزفتة أو مبلطة بالحجر البازلتي وتستخدم للمركبات المتوسطة والصغيرة ويمكن أن تكون عابرة أو مخدمة محلياً، مثل محور قصر الحجاج أو محور باب سريجة وفي شارع البدوي.

4- أزقة للعبور الجانبي التخديم وتستعمل فيها المركبات الصغيرة مثل تلك بالقرب من مقابر آل البيت.

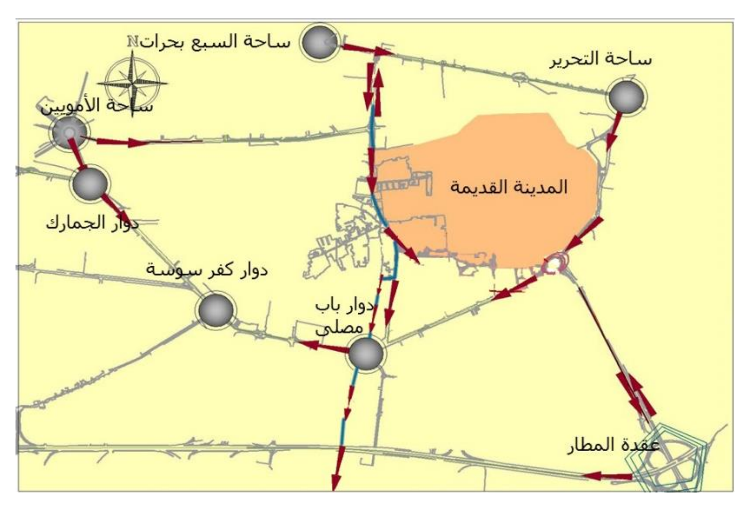
5- أزقة ضيقة أو ذات نهايات مسدودة تصلح لمرور المشاة فقط.

ويتشكل جزء من شبكة الطرق من شوارع ذات الاتجاه الواحد، حيث توفر أحياناً هذه الطرقات ذات الاتجاه الواحد ميزة تأمين السعة المرورية للطرق الرئيسية. ويعتبر محور الحج في جزءه الشمالي (محور باب الجابية أو الدرويشية) وطرق خالد بن الوليد الذي يصب في محور الحج من الطرقات ذات الاتجاه الواحد واللذان يشكلان جزء من شبكة الطرق الرئيسية للمنطقة، ويبين المخطط [م5-5] اتجاهات شبكة الطرق الرئيسية في محور الحج والطرق المتصلة به. ويوضح المخطط [م5-6] اتجاه السير في محور الحج وربطه مع أهم ساحات مدينة مشق ويوضح اتجاهات حركة السير فيها.

أن شبكة الطرق الرئيسية، والتي تتشكل من طرق ذات اتجاه واحد التي تصب في محور الحج، قد خلقت مروراً عابراً مسببة ازدحاماً كبيراً حيث يمكننا مشاهدة المرور العابر من الجنوب إلى الشمال على طول شارع قصر الحجاج والذي يمتد بمحاذاة محور الحج، ويدخل هذا المرور العابر إلى شارع باب السريجة، ولكل من هذين الشارعين أهمية تاريخية فهما يخدمان محور الحج؛ الطريثق الرئيسي لقوافل الحجاج فيما مضى، ويخدم شارع باب السريجة المنطقة التجارية فيه للسكان والزائرين من خارج منطقة القنوات.



المخطط [م5-5]: اتجاهات شكة الطرق الرئيسة في محور الحج والطرق المتصلة به.
المصدر: الباحثة.

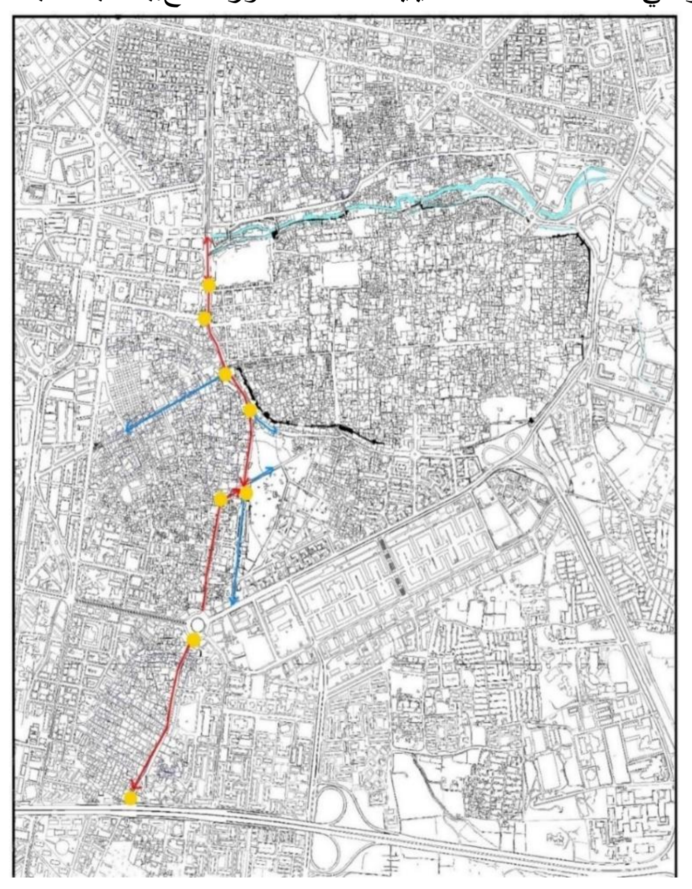


المخطط [م5-6]: الربط الطرقي لمحور الحج مع محيطه المجاور.

المصدر: الباحثة.

- **تحليل شبكة الطرق في محور الحج ومحيطه المجاور :**

كشفت الدراسات والزيارات الميدانية لمنطقة محور الحج أنّ الازدحام المروري هو أحد المشاكل الرئيسة التي يجب أخذها بعين الاعتبار في المخططات التفصيلية لمنطقة محور الحج.بالنسبة لشبكة الطرق في محور الحج؛ فبعضها واسع بعرض أربع حارات مثل محور الدرويشية، بينما تعمل بعض الطرق بعرض حارتين فقط بسبب وقوف السيارات على جانبي الطريق، وبالإضافة لقلة توافرالمرائب لوقوف السيارات في منطقة محور الحج.



وبعد الدراسة والمسح المروري التي أجريناها على المحورمن الساعة السادسة صباحاً وحتى الساعة الثانية عشر ظهراً، في نقاط مختلفة من المحور ـ تم رصد ثمانية أنواع من المركبات (سيارة، تكسي، ميكروباص،، باص، باص خاص، شاحنة صغيرة، شاحنة، دراجة هوائية). وتوصلت الدرسة إلى أن الكثافة المرورية الأكبر المخطط [م5-7].

المخطط [م5-7]: مسح حجم المرور والغزرة المرورية في محطات العد المروري لمحور الحج.

المصدر: الباحثة.

- **الوقع البيئي لمحور الحج ومحيطه العمراني المجاور :**

يمثل الجانب البيئي أحد أهم الجوانب العمرانية لمحور الحج في سورية، ويضم الجانب البيئي عدة قضايا وأمور تخص هذا الواقع المهمل حتى فترة قصيرة من الزمن، ويضم هذا الجانب عدة محاور، منها: (النظافة وإدارة النفايات، التشوهات والتلوث بأنواعه، من تلوث بصري، تلوث سمعي (ضجيج)، تلوث هواء وتلوث ماء).

أ- النظافة وإدارة النفايات :

أظهرت الدراسات والزيارت الميدانية لنا أن نظام إدارة النفايات يعمل بشكل جيد في المنطقة، ولوحظ أن بعض المباني المهجرة والمتهدمة قد أصبحت مكاناً لمكب النفايات، وزادت هذه الظاهرة في المناطق التي لاتتوافر فيها حاويات بسبب ضيق الطرقات، وهنا تكمن الإشارة إلى تقصي دور البلديات ومديريات النظافة في الاهتمام بتوفير أعداد كافية من حاويات القمامة في كامل المحور المدروس ومحيطه العمراني المجاور من الحارات والأزقة والشوارع، بالإضافة إلى ضعف عمليات المراقبة والإشراف المستمرة.

ب – **التشوهات البصرية:**

تختفي المظاهر الجمالية عندما تقع عين الإنسان على مايشوه المنظر العام، فيشعر بعدم ارتياح ذهني، ومنه :

اللافتات والمظلات :

- تُغطي اللافتات واجهات بعض المباني بهياكلها الضخمة وأضوائها المتحركة والمتنافرة دون مراعاة التناسق في النواحي العمرانية والجمالية فيما بينها وبين واجهات المباني المحيطة.
- استغلال واجهات المباني الضخمة لعرض الإعلانات قبل إتمام الإكساء.
- المظلات فوق المحلات التجارية مما يجعلها عرضة لتجمع الأوساخ والقذرات.

العناصر الكهربائية والمتحركة:

- التوضع العشوائي للمكيفات على واجهات المباني.
- التمديدات العشوائية لكابلات الهاتف والكهرباءعلى الواجهات.

الشرفات والبروزات :

- ضم الشرفات إلى الشقق بشكل غير مدروس وعشوائي.
- التنوع في ماد الإكساء ضمن المشهد البصري.

تلوث الضجيج وتلوث الهواء :

- الأدخنة الملوثة الصاعدة من الورش والتي تسبب في توث الهواء.
- أصوات الصناعات في الورش والصانع وأصوات الباعة المتجولين والتي تتسبب في الضجيج.

-2-3-المشاكل التي يعاني منها محور الحج:

أ-مشاكل النسيج العمراني في محور الحج:

التدهور العمراني وفقدان الطابع المعماري لمحور الحج :

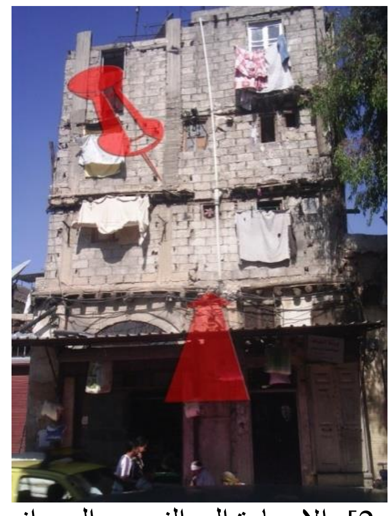
أظهرت التحليلات في محور الحج ومبانيه الخدمية التاريخية الأثرية،أن عد كبير من المباني على محور الحج تعاني من التدهور العمراني العام والمتمثل في إهمال المباني ذت القيمة التاريخية الأثرية وعدم الاهتمام بصيانتها وسوء استخدام وتوظيف هذه المباني في بعض الأحيان، بالإضافة إلى انتشار بعض المباني المتدهورة بيئياً وإنشائيا بالمنطقة.

تبين وجود عدد من الأبنية الحديثة، بارتفاعات غير متناسبة وغير منسجمة مع المباني التاريخية القيمة والمجاورة لها. الصورة [م5-2/1].



الصورة [م5-1]: تشويه الواجهات في محور الحج.

المصدر: الباحثة.

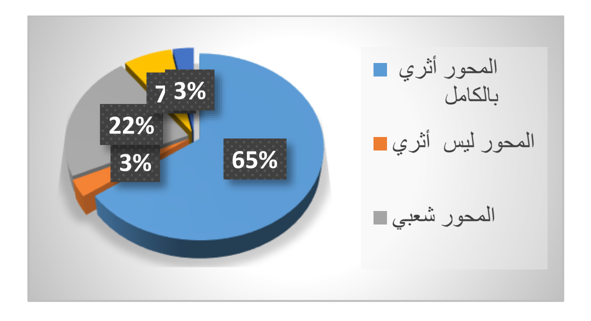


الصـــورة [م5-2]: الإســاءة إلى النسـيج العمراني من خلال العشوائيات التي تظهر على امتداد المحور.

المصدر: الباحثة.

- **التعدي على المباني الأثرية :**

هذه الظاهرة منتشرة في أغلب أجزاء المحور فيما، وخاصةً فيما يتعلق بالأنشطة التجارية والتحامها مع المباني الأثرية التي قد تهدد سلامتها وتقلل من قيمها التاريخية والبصرية والسياحية.



الشكل [م5-5]: القيمة المعمارية الأثرية لمحور الحج من وجهة نظر السكان ومستخدمي مناطق محور الحج

المصدر: الباحثة.

- **استعمالات غير مرغوب فيها:**

وهي الاستعمالات التي تتعارض مع القيمة التاريخية للمحور، حيث تتداخل بعض الاستعمالات الغير مناسبة في نسيج المحور مثل بعض الورش والمستودعات مسببة التلوث البيئي والبصري والسمعي، وبالتالي نتج عنه بعض استعمالات الأراضي الغير مناسبة في المحورومحيط المجاور ونمو لبعض الفعاليات بدون استراتيجيات تتلاءم مع النسيج التاريخي الموجود. ويوضح الشكل البياني [م5-6] تقيم مستخدمي محور الحج وقاطنيه حول القيم المعمارية الأثرية للمحور.

ب- المشاكل المرورية :

نتيجة للدراسات والمراقبة والزيارات فقد أظهرت التحليلات وجود بعض المشاكل التيتسبب الازدحام المروري وصعوبة التفريغ المروري، ونذكر منها مايلي :

مشاكل الطرقات ومسارات الحركة :

- تدني الحالة الفيزيائية للشوارع والبنى التحتية بيئياً عمرانياً وضيق البعض منها، مما يقلل البدائل في الحل لاستخدامها كمسارات تساعد على تسهيل الحركة المرورية. ا
- وجود بعض المسارات الضيقة في المحيط العمراني المجاور لمحور الحجوالتي قد لا تستوعب سيارات الإسعاف أو المطافىء في حالة حدوث أي طارئ يستدعي تواد هذه السيارات.
- تقاطع حركة المرور بين المركبات والمشاة.
- عدم وجود صيانة دورية وكافية للطرقات ومسارات الحركة.
- عدم وجود تصنيف عام وواضح للطرقات من قبل المحافظة لكونه المنطلق الأساسي للحد من الفوضى.
- الحالة المرورية في الشوارع التخديمية بحالة فوضى ولايوجد مسارات تحدد محاور المشاة أو المرور سواءاً للخدمة أو النقل أو السياحة، كما لا يوجد فرش طرقي يساعد على تنظيم مثل هذ الطرقات.

النقل العام ومواقف السيارات:

- عدم وجود خطط وسياسات اتجاه تشغيل خطوط المترو المعلن عنها أو دراسات حول خطوط تراموای تعمل علة تخفيف الضغط العام عن المدينة القديمة وحيطها بشكل عام.
- عدم وجود منظومة سير خاصة بالمدينة القديمة تراعي خصوصيتها.
- زيادة حجم حركة المرور العابر في المحور المدروس نتيجة عدم تحديد محاور حلقية حول المدينة للتخفيف من حجم العبور.
- عدم توفر مواقف سيارات ومرائب كافية.
- الوقوف العشوائي للسيارات في أي مكان نتيجة عدم توفر مكان وقوف لها، الأمر الذي يؤدي في بعض الحالات إلى إغلاق الطرقات إغلاقاً تاماً. الصورة [م5-3].
- التوقف غير المنضبط يؤدي إلى عرقلة السير في المحور وتشكل مشكلة زمنية واضحة.
- الازدحام المروري ضمن المحور والمحيط المجار وحاراته وأزقته.
- تتعقد هذه الحركة بشكل كبير في المناسبات الدينية كالأعياد وشهر رمضان الأمر الذي يتطلب معه دراسة هذه الفترات وأن يلبي الحل المقترح مثل هذه المناسبات.
- يتسبب المرور في بعض الأحيان عند نقل البضائع أو الأفراد إلى عرقلة السير في المنطقة والذي يضعف من قدرة تركيز الزائر على التمتع بالمباني الأثرية وتحويل اهتمامه لتفادي السيارات. الصورة]م5–4[.
- يؤثر الازدحام البيئي سلباً على النواحي البيئية (التلوث) مما قد يؤثر على الحالة الإنشائية للمباني الأثرية.



الصورة [م5- 3]: محور الحج في منطقة باب الجابية.

المصدر: الباحثة، 2011.



الصورة [م5-4]: محور الحج في منطقة الدرويشية.

المصدر: الباحثة، 2011.

- **عدم تناسب حجم الأنشطة مع القدرة الاستيعابية للمحور المدروس :**
- تعاني بعض مناطق المسار من تكدس الأنشطة التجارية وتعديلات المحلات والباعة مما قد يسبب ضغط كبير على استيعاب المنطقة لهذه النشاطات وتواجد الاختناقات والمشاكل المرورية، ولايوجد تقييد بساعات تخيم في تلك المناطق التجارية.
- بالإضافة إلى تعدي بعض أصحاب المحلات التجارية في عرض بضائعهم على الطرقت والأرصفة المجاورة مع وجود البسطات مما يساهم في زيادة الاختناق والتضييق على تفريغ الحركة المرورية في المحاور والأزقة.

ج-المشاكل البيئية:

يزداد التلوث في المنطقة وقد جلب معه مشاكل مستمرة، وهناك العديد من المشاكل البيئية والتي تتمثل في التالي:

مشاكل البنى التحتية :

- وجدت الدراسات التي تمت على المنطقة بأن نظام الصرف الصحي غير كافي ولايلبي احتياجات المنطقة.
- وجود عقارات ذات استعمالات صناعية مثلاً كالورشات والمعامل والتي تؤثر على البنى التحتية للمحور
- عشوائية التمديدات الهاتفية والكهربائية على الواجهات والأرضيات.
- أثر التدني في مستوى البنى التحتية في المناطق التجارية وزيادة الطلب على الطاقة على أداء هذه المناطق وزادها عرضة إلى الأخطار الجسيمة.

مشاكل الخدمات والمرافق العامة :

- تردي وضع النظافة في المحور.
- إدارة سيئة للنفايات.
- عدم وجود إضاءة ليلية كافية في الشوارع.
- تكاثر القوارض بسبب وجود النفايات في المباني المهدمة والمهجورة المهملة.

- النقص في الخدمات العامة والخدمات الاجتماعية (مناطق مفتوحة، خدمات صحية،...).
- نقص في الخمات الساحية.
- حاويات القمامةغير كافية.
- ضعف الوعي البيئي عند مستخدمي محور الحج وسكان المنطقة المحيطة به.

التلوث البصري:

يعتبرالتلوث البصري تشويه لأي منظر تقع عليه عين الإنسان، فيشعر بعدم الارتياح عند النظر إليه، ويمكن وصفه بأنه نوع من أنواع عدم التذوق الفني الذي يسبب اختفاء الصورة الجمالية لكل شيء.ومن هذه المشاكل:

- اختلاف أشكال المظلات فوق المحلات التجارية وتعديها على المحاور البصرية. ا
- توزع اللوحات الإعلانية بشكل عشوائي.
- استخدام عناصر ومواد بناء حديثة في فتحات الواجهات التقليدية.
- اختلاف نسب الارتفاع بين المباني نتيجة تداخل الأبنية الحديثة المرتفعة مما أدى إلى تشوه خط السيلويت للواجهات في محاور المنطقة.
- تداخل العناصر التقليدية مع التداخلات المعمارية الحديثة..

مشاكل تلوث الهواء :

إن التلوث الناجم عن عوادم السيارات نتيجة الحركة الكثيفة في المدينة القديمة، وخاصةً في المناطق الضيقة أو المسقوفة يؤدي إلى أضرار تتعلق بالأبنية التاريخية والمواطنين.

مشاكل التلوث السمعي :

- تخلق حركة المرور المستمرة مستويات ضجيج لايمكن قبولها، ولايقل هذا التأثير في المنالطق التجارية

مشاكل بيئية أخرى :

- ازدحام الشوارع والطرقات بالباعة المترامية والمنشرة على أطراف الشوارع بشكل لامسؤول، الصورة
- حاويات القمامة ضمن الشوارع الرئيسية والتجارية.
- المباني المهدمة والمتروكة نتيجة الإهمال وعدم الصيانة..
- ترك واجهات مباني دون إكساء.

ومن خلال الدراسات الميدانية والتحليل نستنتج أن الأبنية الموجودة على محور الحج والمنطقة على امتداد محور الحج، ذات قيمة معمارية وفنية كبيرة تحاكي بأهميتها (مناطق الحماية المسجلة)، لذلك نستنتج بأن محور الحج يتكامل بكافة الأبنية التاريخية التي تقع على امتداده، ويجب المحافظة على كامل المحور وأبنيته التاريخية الأثرية كخطوة أساسية على طريق إعادة إحياء هذا المحور..

الملحق رقم [6]: أساليب التعامل مع المباني التاريخية:

1-الحفاظ (preservation):

يتعامل هذا المفهوم مع الملكية الثقافية بشكل مباشر أي الحفاظ على حالتها الحالية، ومن ثم تنفذ التصليحات عند الضرورة لمنع التدهور. أما التعزيز والدعم فيكون إما بإضافة أو التطبيق الطبيعي لمواد لاصقة، ومساعدة للنسيج الخاص بالبناء مع احترام سلامة النظام الهيكلي مع المحافظة إلى فهم آلية عمل المبنى التاريخي كنظام بيئي مكاني يقدم بطريقة تقوم على تقنيات جديدة وبشكل مرضي وبناء على ذلك يمكن القول بأن الوسائل التقليدية غير كافية لحماية المباني التاريخية إذ تبين أنه من الممكن استخدام تقنيات حديثة مثبتة بالتجربة قابلة للتطبيق على مقياس المشروع وبيئته المناخية. وبالتالي إن (preservation) كحفاظ عملية مهمة جداً ووظيفة هامة من وظائف الـ (Conservation) كحماية. [1]

2-إعادة الإصلاح والترميم (Restoration):

إن هدف إعادة الإصلاح والترميم هو إحياء وإنعاش الفكرة الأصلية للممتلكات الثقافية (الحالة الاساسية أياُ كانت)، ليصبح قابلاً للقراءة بشكل أكثر وضوحاً. تتم عملية الإصلاح بالترافق مع تكامل التفاصيل والملامح (المعالم) بشكل متكرر ويستند بالدرجة الأولى على احترام المواد الأصلية بالترافق مع تكامل التفاصيل والملامح (المعالم) بشكل متكرر، ويستند بالدرجة الأولى على احترام المواد الأصلية الشواهد والأدلة الأثرية والتصميم والوثائق الأصلية. يتم في هذه العملية حصراً استبدال الأجزاء المفقودة أو خسارة أجزاء، ولكن يتم دمجه بطريقة تنسجم فيه مع الشكل وإذا أخذ المعيار الثاني للحفاظ على المباني التاريخية بعين الاعتبار الذي يقوم على عدم إزالة الدليل التاريخي , يكون من الواجب تمييز الأجزاء المضافة بشكل واضح. تحترم هذه العملية مساهمات العصور السابقة بكل جوانبها وأية إضافة لاحقة يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار كوثيقة تاريخية. استناداً إلى ذلك إن تنظيف الأبنية التاريخية هو شكل من أشكال إعادة الإصلاح والترميم. (34)

إن الترميم بطريقة الأناسيلوزو (Anastylosis)-طريقة الترميم في ايطاليا في اوائل القرن 800)-إعادة تجميع العناصر المتناثرة وتركيبها بالحد الادنى لضمان شروط الحفاظ على المعلم، واستخدام المادة الأصلية يكون مبرر عندما يكون مدعوم بدليل أثري قوي، وعندما يكون الأثر سهل القراءة بطريقة تسمح بتدخل جديدة تصبح بحيث تسهل معها عملية التخيل والتصور.

تؤكد وثيقة بورا (Buraa) التي نشرت عام 1979)-على بعض التعاريف كما يلي:

- الحفظ (preservation): يعني الحفاظ على البنية والنسيج كما هو في حالته وتخفيف ا التدهور.
- الإعادة (Restoration): تعني إعادة النسيج والبنية الموجودة إلى حالة سابقة ومعروفة وذلك بإزالة الإضافات او تجميع العناصر الموجودة بدون تقديم أية مواد أو مادة جديدة.
- الحماية (Conservation): تعني كل العمليات التي يكون الغرض الاساسي منها الاعتناء بالمكان لكي يحتفظ بأهميته الثقافية. يتبين مما سبق أن تعريف الإعادة شكل مطور من الحفظ وله اتصال وعلاقة بحالة الأبنية التاريخية قيد الاستعمال حيث يبرر هنا استعمال المادة الجديدة بسلسلة من الأسباب العملية والجمالية أي ليس فقط لتهوية المبنى أو السلامة المعمارية وإنما لحل المشكلة التي وجدت في التعريف. ولحل هذه الإشكالية أضافت وثيقة بورا التالي:
- إعادة البناء (Reconstruction): وتعني إعادة المعلم التاريخي إلى حالة معروفة وسابقة أي أصلية ويمكن تمييزها عن الإعادة بتقديم واستعمال مادة جديدة للنسيج والبنية [2].
-

.[1]-Feilden , B.M , conservation of historic buildings , p 73
.[2]-Rodwell , D , conservation and Sustaiability in historic cities , p p45) -86

3-إعادة التكوين والإنشاء: (Reconstruction):

إن عملية إعادة التكوين والإنشاء للأبنية التاريخية والمراكز التاريخية باستخدام المواد الجديدة قد يكون محتوم إذا أصاب هذه المباني كوارث كبيرة (نار، زلازل، حروب) وكما في عملية الترميم والإصلاح (restoration)، يجب أن تستند هذه العملية على الدلائل والوثائق الدقيقة وبشكل تبتعد فيه عن الحدس والتخمين. [1]

تعتبر عملية نقل الأبنية بشكل كامل لمواقع جديدة هي شكل آخر من أشكال إعادة البناء المبرر فقط بالمصلحة الوطنية العليا أنه يؤدي إلى خسارة قيم ثقافية اساسية وبالتالي توليد أخطار بيئية جديدة.

4-إعادة التأهيل: (Rehabilitation)

الطريقة الأفضل لحفظ وإبقاء الأبنية قيد الاستعمال كما هو متداول ومعروف وكما يدعوها الفرنسيون " تعزيز " (mise en valeur) أو عبارة عن معاصرة وتحديث مع أو بدون تعديل يكفي إن الاستخدام الأصلي بشكل عام يبقى الأفضل لحماية وحفظ المبنى (Fabric) وذلك بأقل حد ممكن من التغيرات.

إن الاستخدام التكيفي للمباني التاريخية هو عادةً الطريق الوحيد التي تحفظ بها القيمة الجمالية والأثرية للمبنى وذلك بما يضمن له البقاء الاستمرار وعدم تحنيطه أو تحويله إلى متحف مع الأخذ بعين الاعتبار عدم المساس بقيمته وخصوصيته وخاصةً عندما يتم عرض هذه الأبنية وتقييمها ومعالجتها وفق المعايير المعاصرة. [2]

تبقى طريقة التعامل مع التراث وخاصة في أسلوب إعادة التأهيل مسألة نسبية ومتفاوتة من مكان لآخر بتفاوت العوامل الثقافية، التي تختلف باختلاف الحضارات من مكان لآخر وترتبط بنظرة الشعوب إلى التراث، فبينما يميل الإيطاليون مثلا الى إتباع درجات الحرص عند التأهيل يميل الأمريكيون أكثر إلى التحديث والإبداع في هذا المجال، أما في البلاد العربية ما زالت المناطق التاريخية في ثقافة الإنسان العربي حتى الآن ملاذاً للفقراء وإعادة تأهيلها يأخذ الطابع الوظيفي البحت.

يوجد في أسلوب إعادة التأهيل المعماري، توفيقاً بين النظرة التقليدية للحفاظ وبين تلبية الحاجات المتجددة للمجتمع المعاصر، فحالياً يزداد التوجه الى إعادة تأهيل المباني التاريخية مع تزايد التطور السريع والحاجة الملحة إلى استخدام تلك المباني حتى أصبح مفهوم إعادة المبنى الى حالته الأصلية (Restoration) غير مجدي في بعض الاحيان أو وظيفياً لأن الكثير من هذه المباني قد فقدت وظيفتها الأصلية أو هجرها أهلها لأنها لا تواكب العصر. فهي قد أُنشئت أصلاً لتلبية حاجات الناس في عصور سابقة، أمَّا في وقتنا هذا فنحن بحاجة الى استعمال التقنيات الحديثة في المبنى مثل الكهرباء، والتمديدات الصحية، المصاعد، كراجات السيارات او اقتصاديا لأنَّها بحاجة الى مبالغ طائلة، ومجهود ووقت كبيرين حتى يتم إعادتها الى حالتها الاصلية، لذلك ظهر هذا التوجه الذي يدعو إلى عمل بعض التغييرات المناسبة على المبنى، وتوظيفه ليسدد تكاليف الترميم المبذولة عليه ويلائم روح العصر ويتوافق مع مفهوم الاستدامة. [3]

.[1]-Feilden , B.M , conservation of historic buildings , p 77

.[2]-Feilden , B.M , conservation of historic buildings , pp 78-81

[3]-عتمة، محمد علام، إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين، ص ص (124 – 127)

5-الحفاظ على الأبنية التاريخية من منظور الاستدامة:

-الحفاظ والاستدامة Conversation and Sustainability:

يُظهر التراث تاريخ وإبداع البشرية، وعملية إدارة التراث عملية مستمرة وديناميكية توازن ما بين التغيير والحفاظ، ولكن نجد أن التوجه اليوم لتحقيق الاستدامة يتجاهل موضوع الحفاظ على الأبنية التاريخية والتراثية، على الرغم من أهمية الموضوع. استنادا إلى ذلك يتشارك كل من مفهومي الحفاظ والاستدامة أساسيات محددة. إذ أن الفكرة الأساسية للاستدامة، هي استخدام ما هو قائم وموجود بشكل مباشر، وبالتالي الحفاظ يقوم على حماية ما نملك. فلا يوجد تناقض بين هذين المفهومين ويقوم كل منهما بشكل رئيسي على حفظ ما هو موجود.

ذكر بعض المحافظين والمنادين بالحفاظ على الأبنية القديمة أمثال (sir Berard Feilden)[1]، بأن الاستدامة هي عبارة عن إطالة منافع حياة البناء بشكل منظم، لتساهم في حفظ المال والمواد بشكل يقلل من استخدام المصادر المحدودة للعالم الطبيعي، وبالتالي تحقق وبنجاح أبعاد الاستدامة الثلاث. وبالتالي إنّ الحفاظ كأداة للإدارة يعتبر مفتاح للإستدامة، وبالإضافة الى كونه يهتم بالمرور على القيم الثقافية للأجيال المستقبلية لتعبر، وبشكل مباشر عن واحد من أهم بنود التراث. ومنه يمكن القول بأنَّ الحفاظ على الأبنية القائمة ذات القيمة التاريخية يساهمان بقوة للوصول إلى أهداف التنمية المستدامة، وتعمل كمبادئ أساسية للتطوير المستدام حيث ينبغي التعامل معها بنفس الطريقة التى يتم بها التعامل مع المصادر الغير قابلة للتجديد. [2]

تظهر الأبنية القائمة وخصوصاً التاريخية كمبانٍ مستدامة، ويعود ذلك الى تطبيق نفس المبادئ الخاصة بالأبنية الخضراء، كالتوجهات الخاصة باستخدام مواد البناء الطبيعية والمحلية ذات الخصائص البيئية المميزة (كالتوجيه والحفاظ على الطاقة) [3]، ومعه فإن فكرة الحفاظ تتجنب الاستخدام الغير ضروري للمصادر المحدود ة كالمواد والوقود وتوليد النفايات والتلوث فإن:

1- استخدام الأبنية القائمة ذو منافع اقتصادية واجتماعية وبيئية أي تبني للأبعاد الثلاثة للاستدامة.
2- إعادة تأهيل هذه الابنية تقلل النفايات وتحافظ على الطاقة.
3- القيمة الثقافية والاجتماعية للأبنية التراثية هي مصادر غير متجددة.

الملحق [7]: التكية المولوية وجامع المرادية في دمشق:

يجب التمييز بين جامع النقشبندي المعروفة بالتكية المولوية أو التكية المرادية نسبة إلى بانيها وبين مسجد التكية المولوية.

1-مسجد التكية المولوية:

يقع في شارع جمال باشا، وهو من مشيدات لعهد العثماني المبكر في شارع النصرن بجوارساحة الحجاز، أنشئت لأصحاب الطريقة المولوية سنة (993هـ / 1585م) أيام الولاية لحسن باشا، وتضم في مصلاها ضريحا خشبياً لأحد الشيوخ. [4] يبين المخطط [م7-1]موقع التكية المولوية.

[1]Sir Bernard Feilden:(11 September 1919 – 14 November 2008) was a conservation architect whose work encompassed cathedrals, the great wall of china and the taj mahal.

[2]-Aref , Y The Conservation of Heritage as a Means for Sustainability ,The Case of te Ottoman Town , Alexandria.

[3]-Aref , Y The Conservation of Heritage as a Means for Sustainability ,The Case of te Ottoman Town , Alexandria.

[4] - الشهابي قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 477 .

قال محمد بن جمعة في كتاب الباشات والقضاة: " وفي سنة 993 تولى دمشق حسن باشاالمرة الثالثة وفيها عمرت مولوخانة تكية الدراويش بالقرب من جامع تنكز وهي في غاية الحسن والنهاية ".

ولا يزال على الباب تاريخ البناء الأول موجوداً إلا أن هذا لمسجد قداعتراه كثيرمن التغيير منذ بنائه إلى يومنا هذا.

ولهذا المسجد اليوم جبهة حجرية منحونة متقنة فيها الباب وشباكان إلى الطريق وعلى وعلى كتفها تقوم المنارة الحديثة وهي منارة مثمنة من الحجر الأبيض المزخرف لها طابقان مزخرفان على الأسلوب المصري، الصورة [م7-1]. ومن تحتها سقاية وإلى جانب السقاية الحائط القديم وفيه أربع كوى صغيرة ثم الباب القديم الذي كتب عليه تاريخ البناء وهو سنة 993 ولى امتداد الباب أيضاً سقاية أخرى معطلة فوقها أبيات بالتركية مؤرخة بعام 1266. وإلى شمال الداخل من الباب الجديد القبلية المبنية من الإسمنت ولها محراب حسن ومنبر خشبي لطيف. وإلى يمين الداخل درجات ينزل بها إلى صحن مستطيل مؤدٍ إلى قبة الحضرة حيث يقيم الدراويش المولوية برقصهم المعروف وفي تلك الحضرة قبر لأحد شيوخهم. وحوالي تلك الحضرة أيضا عدة غرف لسكن الدراويش. [1]

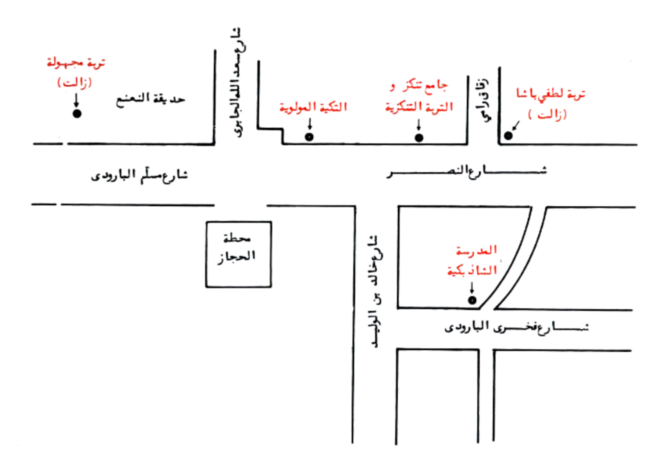


الصورة [م7-1]: الساكف الحجري لباب التكية المولوية.

المصدر: الشهابي قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 477.

وتعلو باب التكية كتابة شعرية نصّها:

مولوي خانة شهر آفاق أولدي تاريخ كعبة العشاق. [2]



المخطط [م7-1]: موقع التكية المولوية.

المصدر: الشهابي قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة.

[1] - عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 201 - 202 .

[2] - الشهابي قتيبة، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص 477 .

وكذلك يجب التمييز بين جامع النقشبندي المعروفة بالتكية المولوية أو التكية المرادية نسبة إلى بانيها وبين جامعي المرادية الذي يقع أولهما في باب البريد والثاني في سوق ساروجا وهما:

2-جامع المرادية:

باب البريد – بناه سنة 1108مراد بن علي بن داود بن كمال الدين بن صالح بن محمد البخاري النقشبندي (1132). وقال بدران: وهي بباب البريد مشهورة معروفة ذات مدرستين صغرى وكبرى والثانية ذات حجرات سفلى وعليا كانت محط الرجال الأفاضل معمورة وكان بها مكتبة عظيمة حتى كان يقال لها أزهر دمشق ثم أن نظارها باعوا جانباً منها ومن أوقافها وقطعوا راتب الطلبة وأمست في عصرنا كأمثالها خالية من دراسة العلم، ولم يبق اليوم منها إلأا بابها المتين وماعدا ذلك متهدم متغلب عليه.[1]

والآخر جامع المرادية:

سوق ساروجا – حارة الورد- بناها أيضاً سنة 1108 مراد بن علي المرادية السابقة وجعلها تكية ومدرسة كان لها باب كبير فسد اليوم ولا تزال آثارهموجودة والباب الذي يدخل منه اليوم إلى الجامع باب صغير وإلى جانبهالمنارة المستديرة المبنية من الحجارة السوداء والبيضاء وقد كتب على قاعدتها المربعة مانصه:

]منارة للهدى شيدت بحق   بأعلى رأسها الله يذكر

بسم الله ابدأ في بناهـــــا   وحمد يا عليّ لمن تشكر

وسهم للقضا اضمرت فيها   بتاريخ لمن بالسوء أبصر

اجيبوا داعياً لله نادى   ونادى للصلاة الله أكبر سنة 1179[

والمدرسة مؤلفة من صحن مصلى ومدفن فالصحن مفروش بالموزاييك وإلى شماليهوغربيه سبع غرف للمجاورين من الحجارة السود وإلى الجنوب ثلاث قناطر ومن ورائها المصلى وهو مؤلف من غرفة واسعة لها قوس عظيم ومن فوق القوس سقف عادي والمحراب والمنبر عاديان وإلى يمين المحراب قبة ضخمة بحيطانها المزخرفة تحتها قبران كبيران لعلهما الواقف وأخوه وعلى القبر لوحة خطية فيها أبيات منها:

ضريح مولى منيب   لله في كل مشهد   قطب الزمان وغوث

للكل في كل مقصد   النقشبندي من قد   نال المقام المرصلا

تاريخه جاء بيتاً   مسدد السبك مفرد   سنة 1160.[2]

[1] - عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 251 .
[2] - عبد الهادي، يوسف، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ص 251 .

الملحق رقم [8] مقترحات عمرانية لإحياء محور الحج في دمشق:

تتم عملية إحياء المحور من خلال معالجة عدة جوانب وهي:

1- التطوير العمراني والمعماري: وذلك بهدف:

- إعادة تأهيل وإحياء واجهات محور الحج بالكامل وبتمويل مشترك من آثار دمشق ومن وزارة السياحة.
- إعادة دراسة واجهات الأبنية الحديثة بما يتناسب مع شكل النسيج العمراني القديم في المحور.
- وضع خطة لتجهيزات الفراغات العامة من إكساء الأرضيات

- يجب ألا يقتصر التطوير العمراني المعماري للمحور والمنطقة المحيطة به على الضوابط الشكلية فحسب، بل عليه أن يهتم أيضا بالاستعمالات، وذلك لمعالجة التغييرات الوظيفية بطريقة تحفظ على الطابع الخاص بالمحور.

1-1- تنظيم استعمالات المحور ومحيطه:

- وضع ضوابط لامتداد المحلات التجارية في محور الحج.

- تنظيم الأسواق ومسارات المشاة فيها.

- تحسين الطرقات والواجهات في محور الحج عن طريق إعادة تأهيلها.

- ضرورة الإرتقاء بمستوى الفراغات العامة وشبكات مرافق البنى التحتية وخدمات المحور.

- ضرورة تأمين مناطق مظللة للجلوس

- ضرورة تأمين أكشاك لبيع الهدايا والتذكارات والخرائط الخاصة بمحور الحج وتطوره التاريخي ومبانيه الخدمية.

2-1- التطوير البيئي:

تعتمد سياسة التطوير البيئي على مبدأ التعاون مع الجهات والمؤسسات الحكومية وجمعية البيئة لوضع معايير بيئية يتوجب توافرها في نسيج الأبنية التاريخية والمحاور السياحية الثقافة التي يجب أن تراعي الاعتبارات التالية:

- العناية بالأشجار المزروعة في الفراغات العامة والطرقات على طول المحور والعمل على تنظيم مظهرها ومواقعها.

- ضرورة إعادة دراسة الواجهات وإزالة عناضر التشويه البصري منها.

- العمل على تخفيف أسباب تلوث الهواء الناتج عن وسائل النقل والمركبات من خلال خطة مرورية لتخيف الازدحام المروري وإلغاء حركة النقل العابر إيجاد وسائل نقل صديقة للبيئة.

- تجهيز المحور بمزيد من حاويات القمامة الصغيرة التي يجب توزيعها على مسافات متقاربة.

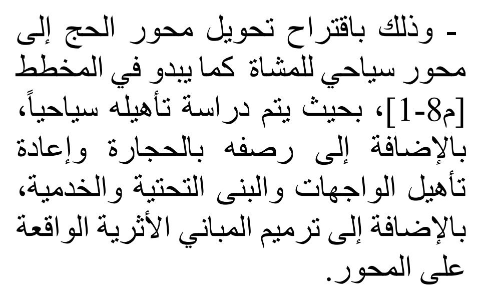
- ضرورة التشجير وتوفير مناطق خضراء.

- ضرورة توفير نافورات وعناصر مائية.

1-3- الحل المروري:

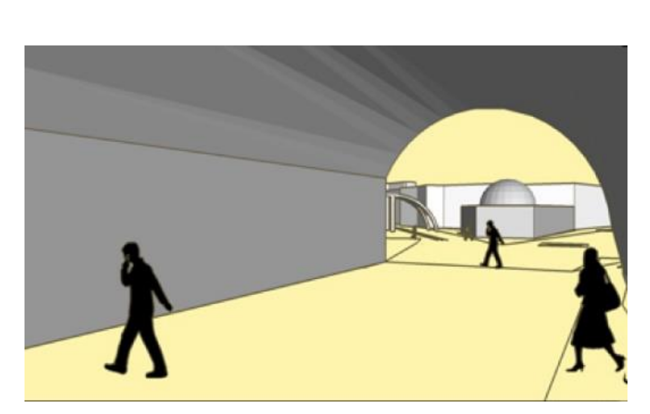
فيما يخص إستراتيجية الحل المروري يقترح وضع خطة مرورية لمنطقة المحورومحيطه المجاور ترتبط فيها شبكة الشوارع بكافة مستوياتها، بالإضافة إلى ضرورة تسهيل حركة المركبات والمشاة وتوفير أماكن ووقف السيارات في الأماكن المناسبة.ولقد تم وضع بعض المقترحات التخطيطية لتحسين واقع الحركة المرورية في منطقة المحور ومحيطه المجاور وتتضمن هذه الخطة عدة أهداف، أهمها:

أ- توفير طرق للمشاة:



- وذلك باقتراح تحويل محور الحج إلى محور سياحي للمشاة كما يبدو في المخطط [م8-1]، بحيث يتم دراسة تأهيله سياحياً، بالإضافة إلى رصفه بالحجارة وإعادة تأهيل الواجهات والبنى التحتية والخدمية، بالإضافة إلى ترميم المباني الأثرية الواقعة على المحور.

- اقتراح تأمين نفق تحت الأرض تحت مسار الحج يبد من بداية القلعة وحتى بوابة الميدان كما يبدو في الأشكال [م8-1/ 5/4/3/2].



الشكل [م8-1]: محور المشاة في محور الحج عند السنانية.

المصدر: الباحثة.

- توفير ممرات مشاة ثانوية حول المحور كما تبدو في اللون الأحمر.

- الاخذ بين الاعتبارعند تأمين مسارات مشاة آمنة ومريحة تأمين مسارات خاصة لذوي الحتياجات الخاصة والدراجات الهوائية.

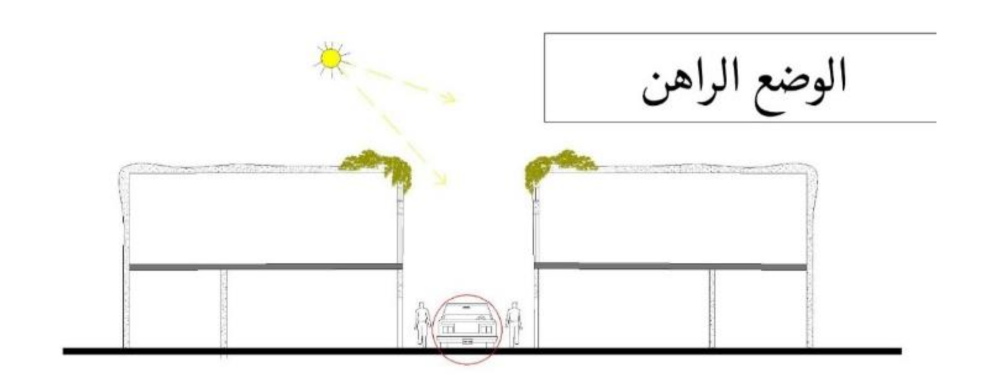
- توفير عناصر الفرش العمراني لمسار الحج الإسلامي بشكل مدروس الشكل [م8-6].

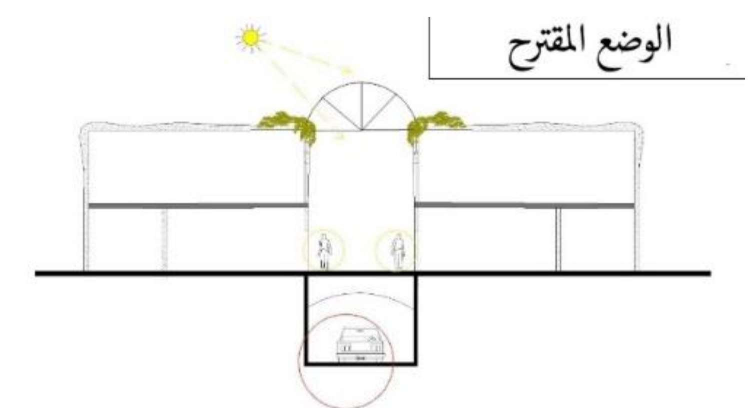
- توفير أرضيات بأشكال هندسية إسلامية وتباليط حجرية تمثل عنصر الربط ودليل لمحور المشاة.

- اقتراح تفعيل خطوط الترام حول المدينة القديمة وخاصةًإعادة إحياء خط الميدان القديم ضمن سياسة تحسين خدمة النقل العام للمدينة القديمة ومحيطها كما يبدو في المحور باللون الأزرق في المخطط [م8-1].

- ضرورة رفع مستوى الوعي المرري عند السائقين والمشاة وسائقي الدراجات عن طريق نشر هذا الوعي في كلاً من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والبصرية، بالإضافة إلى تعزيز دور الندوات وورش العمل لأهالي المنطقة.

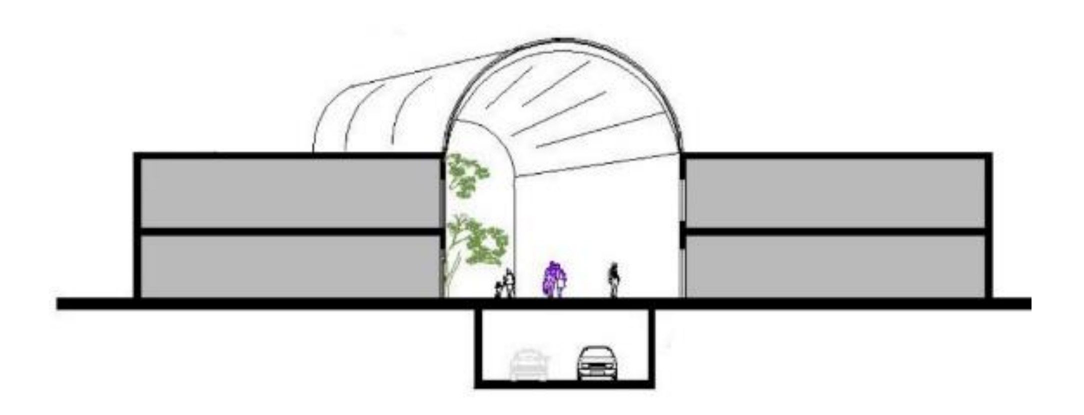
- ضرورة وجود تصنيف عام واضح للطرقات من قبل المحافظة لكونه المنطلق الأساسي للحد من الفوضى.





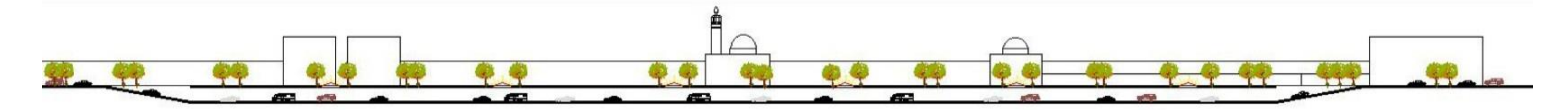
الشكل [م8-2]: مقترح لحل مشكلة اختلاط حركة السير مع المشاة.

المصدر: الباحثة.

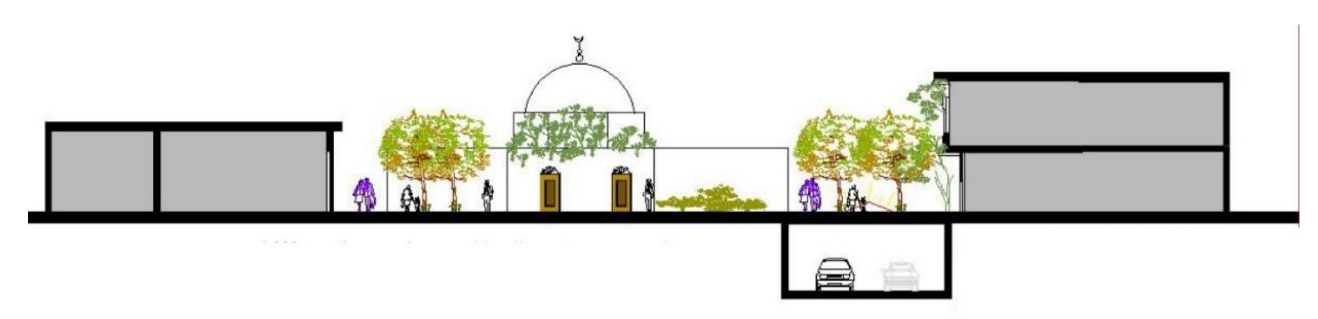


الشكل [م8- 3]: مقطع عرضي يبيبن نفق السيارات عند السنانية.

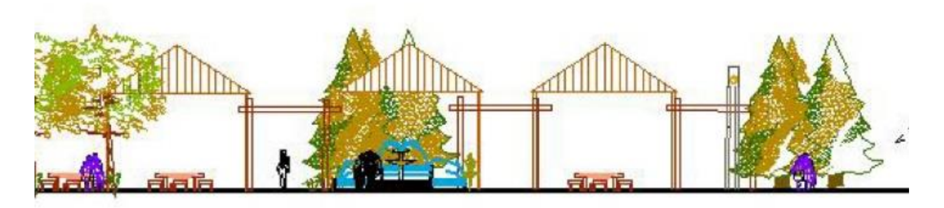
المصدر: الباحثة.



الشكل [م8-4]: محور المشاة في محور الحج والنفق تحته. المصدر: الباحثة.

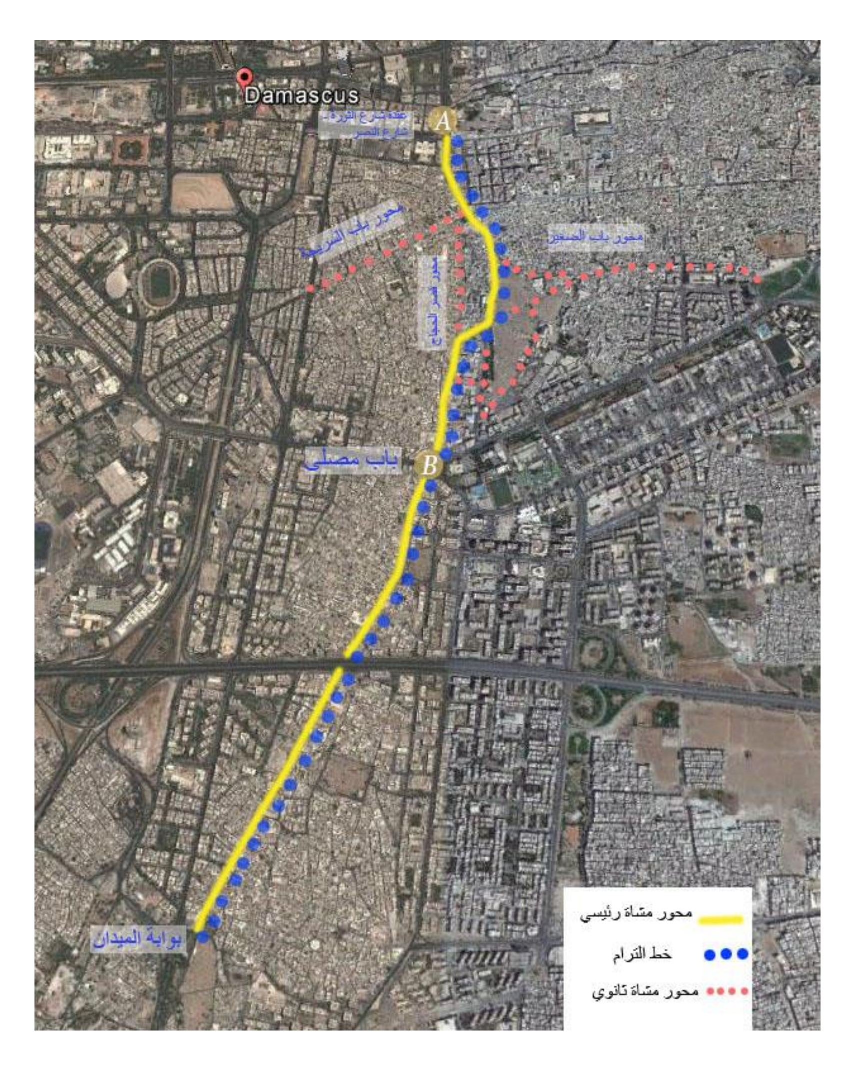


الشكل [م8-5]: مقطع عرضي في محور المشاة المقترح في محور الحج. المصدر: الباحثة.



الشكل [م8-6]: نموذج للفرش العمراني في محور الحج عند باب الجابية بعد تحويله لمحور مشاة.

المصدر: الباحثة.



المخطط [م8-1]: المقترح الخاص بمحاور المشاة وخطوط النقل العام والعقد المرورية.
المصدر: الباحثة.

Ministry of Higher Education
Damascus University
Faculty of Architecture
Department of History and Theories of Architecture.



The Pilgrimage Route and its Service Buildings in Syria during the Ottoman Period

(Historical and comparative study)

A dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Master degree in Architecture.

Prepared by:
Arch. Amani Al Rahhal

Supervisor:
dr. Abeer Arkhawi

Damascus \2015

Abstract

The architectural heritage acquires a special importance as architecture and building are the real remarks expressing the communities' dominant morals and values over history. It also indicates the recent advancement and progress scored at all fields of knowledge and sciences due to the prominent role it plays on cities development. Hence, heritage is considered as a school for architects, archeologists and cities planners where they can obtain knowledge and adopt principals and that is the reason for which the idea of the conservation, protection and rejuvenation of heritage had raised.

The Islamic pilgrimage route in Syria is one of the tracks that illustrate our historical heritage. It was a route for the commercial caravans rather than a route for pilgrimage. Moreover, it has several values and had a prominent role on the development and expansion of Damascus city in the ottoman era. This route is characterized by the monumental, historical and architectural remarks which have been constructed on the line of or nearby such route for serving it and those who are heading towards Al-Hejaz to perform pilgrimage "Hajj", the fifth pillar of Islam.

Today, the role the Hajj route in Syria performed throughout the previous historical phases in general and over the ottoman era in particular has vanished. In addition, care of many service historical buildings, whether those are located at such route or those were constructed far from it, to serve the pilgrims passing through the Hijj route has been ignored and the influence of those buildings over such route has disappeared. Therefore, and based upon the fears of the loss of such heritage and its several values, this research is a step taken towards the way of reviving and protecting the Hijj route and conservation of its service monumental and historical buildings.

This dissertation presented a comprehensive historical and analytical study of the Hijj route in Syria and of its service buildings during the ottoman period. In the first chapter, the study covered the old Hijj routes and trade roads which have been used for going to perform pilgrimage of BAIT ALLAH AL-HARAM (KA'BA). This research focused on the path or the Islamic Hajj during the ottoman period starting from Istanbul in Turkey as headquarters of the Ottoman State and passing by the Syrian land including

Aleppo, Hems and Damascus till the Holy Lands. This research includes an accurate marking of this route, roads and trails which represented the key line followed for heading towards the Holy Lands, besides all protocols organized in Damascus and Aleppo as a part of preparation for the journey to perform such holy pillar.

The second chapter illustrated the documentation of Hajj route in Syria and the consequences of the development of the constructional and architectural structure of the cities such route passes through in addition to the historical and constructional development of these cities. Furthermore, this chapter describes the documentation of all historical remarks and buildings located on this route. The documentary and analytical study of the Hajj route and its surroundings in Damascus has been conducted and all sketches necessary for such study have been prepared. The third chapter demonstrates a comparative and historical study of the service buildings (hospices, flats). Those buildings gained a great importance because of such religious occasion. This research emphasized on studying hospices and determining their design fundamentals, architecture characteristics and the role it played for the Hajj route. It also aims at the conservation of those building and re-using them on the proper way to ensure conserving them and activating their role related to the Hajj route. The fourth chapter of this research presented the economic role of Hajj during the Ottoman era and the role of Damascus City for securing the pilgrims needs during their stay in Damascus and its impact on the construction and architecture structure in Damascus including the existence of new areas, markets and plots as well as other important building on the line of the road which remained as live memory on account of the impact of such worshipping on the construction and architecture buildings. Then, this chapter dealt with the aspects of transportation means development, starting from riding livestock, passing through railways and digging the Suez canal and described the direct reflection of this development over the city and its constructional and architectural buildings and over Hajj route until we reached to the ignorance of this route gradually. This research documents the new route for Hajj which converted into a railway directing to Alhijaz and the effect of this conversion on construction and architecture and documents the buildings that were constructed in coincidence with the emergence of such railway.

Thus, the research concludes with the documentation of Hajj route in Syrian in general and the route marking in Damascus accurately and its service facilities at the Ottoman period. Furthermore, it emerges the role of that route with respect to developing construction and architecture in specific historical phases and protecting and exhibiting it as an important tourist attraction together with the Hajj route through the Alhijaz railway to highlight those roads as important tourist routs in Syria and to use this research as a bridge for registering the Islamic Hajj route at the list of world heritage. The research also presented a set of proposals that include the route and its service buildings as a step on the way to revive this route. Moreover, this research stresses on the community participation after educating people on the importance of heritage properly to ensure success of protecting and reviving Hajj route and conserving its historical buildings.

Research Summary

Damascus city developed clearly in the Ottoman period in the urban and architectural aspects , and the pilgrimage route had the largest role in the growth and expansion of the city towards the south . It , s one of the paths which reflects our historical heritage . Many of Arab and Foreign researches focused on the city expansion in the ottoman period and it,s historical buildings in that period .Other researches focused on the Shami pilgrimage route . But in fact this research throws the light on the urban development of Damascus in the ottoman period, the correlation between this development and pilgrimage route. The research also shows some of the most important Islamic buildings in that period as Sulaymaniyah Tekkia which will be studied here , because it had a significant role in serving the pilgrims who stayed in Damascus during the preparation period of the pilgrimage , where the pilgrim used to spend several months before going to the Holy Land to perform the fifh pillar of Islam depending on various historical references , studies and analysis to take a complete subject that consists of the urban and architectural development in Damascus City and shows the path which the caravans of Hajj walked in Damascus to go to the land of Hijas. It also showed the located markets on this important path which was held and flourished in the Ottoman period and documented the pilgrimage route in Damascus with pictures and necessary maps.

The process of reviving and protecting the Hijj route can be integrated with the conservation of its service historical buildings. Conservation of the buildings with historical values is one of the most important issues urged by the countries at the present time and that cope with the huge advancement currently witnessed by many countries as the historical building is an important one whose functional and environmental performance is influenced by the characteristics of the spacing that constitutes it, its function and surrounding environment and by the conservation of the historical values and other values of such buildings.

Statement of Problems:

1- The reality of the Islamic pilgrimage rout is not commensurate with what is planned, To demonstrate its value as a path for the Islamic pilgrimage, Where technical specifications vary from one part to another, In addition to the lack of clarity of the importance of the Islamic pilgrimage path and identity as a path for tourist and cultural.
2- Studies submitted to the axis of the Islamic pilgrimage suffer from lack of coherence and integration and clarity in the concept and method and mechanism of action,
3- The absence of historical feature of the axis and its historic role. As well as that there is a clear contradiction between the reality of the axis and hopeful tourist hub.
4- The absence of functional changes Studies of the buildings are positioned on this track, which was the backbone of important points in it, the demise of some of these buildings, encroachment ...). .
5- Blurred link between the existing buildings on this track service, as well as the uncertainty of others before, and events used and which necessarily linked to the pilgrimage route during the ottoman period.
6- Dealing with historic buildings like buildings newly altercation, and repurpose and use of renewal and rehabilitation are contrasted with the important values of these buildings, Because of the absence of studies that show the importance and role of these buildings for the Hajj in previous historical periods.

Objectives:

The research aims through the comparison, historical study and analysis to:

1- Revive the focus of the pilgrimage route in memory, and documented it by giving this path right from the study and protection, In parallel with an emphasis on philosophical and historical dimension of the road.

2- Give a study of the architectural constructions which has been serving the pilgrimage route, and try to devise principles and concepts of their design.
3- Develop architectural and urban recommendations and the foundations for everything related to the path of pilgrimage beside the historic buildings of archaeological service.

Research Importance:

The importance of this research comes because it provides us with a comprehensive study of the path of the Islamic pilgrimage in Syria significant, overall value, service and its service buildings value, in particular, being a emphasizes the following points:

1- Pilgrimage route in Syria, and the importance of this road on the historical development and the planning level.
2- Show the pilgrimage route in Damascus in particular where that Damascus has received particular importance in view of the rituals that were performed in it, And the impact of the pilgrimage route on the urban and architectural development, thus restoring this axis to memory.
3- The spatial importance of the pilgrimage route in all of Damascus (the main gathering center for pilgrims) and Aleppo (located on the pilgrimage route, which constitute greeted pilgrims Anatolia center, and beyond the Ottoman Empire, and east of the Arab world ...).
4- The scientific and practical significance; by reaching for historical analysis which shows the design of the foundations service buildings and others before prevailing in the period specified in the search.

Research Methodology:

Research methodology relies to reach by study for the following items:

1- Showing the Islamic pilgrimage route, and identity it as a importance path tourist in Syria.
2- tracking stations and places that have come down by pilgrims in Syria during their journey to a country of God.

3- Showing the evolution of wild pilgrimage path, and the turning toward the Hejaz Railway.
4- Suggestion a new vision for the revival of the Islamic pilgrimage route in Syria.

Where it is in the completion of research has been relying on both of the following mechanisms:

- Historical approach: in tariffs, introductions and in the identification of ancient pilgrimage paths and trade routes.
- Historical and analytical approach to the pilgrimage route and its impactting on the urban and architectural evolution.
- The descriptive analytical approach: to describe the reality of the path of Hajj and its service buildings.
- Deductive, inductive and comparison approach to reach a clear foundation for the service buildings.
- Inductive approach to arrive at the findings, recommendations and proposals for this path and its service buildings.

Research contents:

Theoretical section:

This research deals with the theoretical part the ancient trade routes, and The old ways of pilgrimage in the Arabian Peninsula, The research deals with the temporal dimension of the Shami pilgrimage route, covenants and the periods of time that has passed it ending to the Ottoman period, the research find theYin spatial dimension of the pilgrimage route and its path starting from leaving Topkapı Palace in Istanbul; untill reaching to Damascus, identifying with the rituals and ceremonies which coincided with Preparation to go to Hajj, and even leaving Damascus and various stations on the pilgrimage route in Syria.

Practical section:

This research deals in the practical section deals with the urban development of the city, which was accompanied with the development of the pilgrimage route, and it provides with an analytical study of the historical service buildings of this route In order to reactivate its roles for the pilgrimage route, beside to explaining the kits of pilgrims and its direct impacting on urban and architectural structure, And it shows the changes that accompanied the way transfering from this land route towards the sea or towards the Hejaz Railway line, So take advantage of the results in the revival the Islamic pilgrimage route and its service buildings.